

تفسیر

القرآن الکریم

مؤلف

صَدِّقُ بْنُ اِبْرَاهِيمَ اَلْمَشَاقِقِي

مُحَمَّدُ بْنُ اِبْرَاهِيمَ صَدِّقُ بْنُ اَلدَّيْرِ الشَّيْبَانِي

انتشارات پهلاد

ایران قم



تفسیر ۲۲۰۰

# القرآن الکریم

سورة البقرة ۳۴-۶۵

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تالیف

## صَدِّقُ الْأَمَلَاتِ الْهَادِيْنَ

## مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ صَدِّقِ الدِّينِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ

تصحیح محمد خواجوی

انتشارات بیدار

قم

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

شماره ثبت: ۸۸۷۶ ♦ ♦

تاریخ ثبت:



- الكتاب : تفسير القرآن الكريم - الجزء الثالث  
المؤلف : صدرالدين محمد بن ابراهيم الشيرازي  
الطبعة : الاولى  
التاريخ : ١٣٦٤ هـ - ش  
ترتيب الحروف : مطبعة بهشت  
المطبعة : مطبعة أمير  
الناشر : انتشارات بيدار  
العدد : ١٠٠٠

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

جمعداری اموال مرکز



قوله جل اسمه :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾

هذه نعمة رابعة من نعم الله في حق الإنسان المعدودة في هذه الآيات التي أوليها مافي قوله : ﴿يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكَتَبُوا آيَاتَهُ﴾ - الآية - وثانيتها مافي قوله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ والنعمة الثالثة مافي قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .

والظرف معطوف على الظرف السابق إن نصبته بمضمر ، وإلا فهو معطوف بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة ، بل القصة بأسرها على القصة الأخرى .

\* \* \*

لما أنبأ آدم عليه السلام الملائكة بالأسماء الحسنى بحسب مقامه الجمعي ، وعلمهم ما لم يعلموها - إذ لم تعط نشأتهم ذوقاً ووجداناً - أمرهم الله بالسجود له عندما سواه الله ونفخ فيه من روحه ، وكان الأمر به آياهم قبل تسويته ونفخ الروح فيه ، لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [٢٩/١٥] وسبب ذلك أنه كان امتحاناً لهم وإظهاراً لفضله عليهم من جهة استجماع مقامه الجمعي الكمالي لجميع مقامات مظاهر الأسماء .

## [ معنى السجدة وسبب مسجودية آدم ]

والسجود في الأصل تذلل وانقياد مع تطأطأ الرأس . يقال : سجد البعير وأسجد : طأطأ رأسه لراكبه . قال الشاعر (١) : « وَقَلَنْ لَهُ أُسْجِدْ لِلْيَلْبِي فَاَسْجِدَا » وقال: « ترى الاكم فيها سجداً للحوافر » اي تلك الجبال الصغار كانت مذلة لحوافر الخيل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [٦/٥٥] .  
وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض قصداً للعبادة .

والمراد منه ههنا إما المعنى اللغوي ، وهو التواضع لآدم تحية وتعظيماً له كسجود إخوة يوسف وأبواه له ، أو التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به أمور معاشهم ويتم به أحوال كمالهم بحسب معادهم ، لأنهم وسائط تدبيرات هذا العالم ، وتحريكات الأجرام واستحالاتها وانقلاباتها لأن يتكوّن منها الكائنات التي غايتها خلقة الإنسان ، لأن من أفراد عرقاء الرحمن .

وإما المعنى الشرعي : فههنا يحتمل السجود وجوهاً ثلاثة :

إما أن يكون المسجود له هو الله تعالى .

فحينئذ إما [ أن جعل آدم قبة لسجودهم كالكمة تفخيماً لشانه .

وإما أن كان آدم سبباً لوجوب السجدة ، فكأنه تعالى لما خلقه بحيث أن كان أنموذجاً للمبدعات كلها - بل للموجودات بأسرها - وجعله نسخة مختصرة لما في العالم الروحاني والعالم الجسماني ، وذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات الفعلية ، وقاضٍ عليهم من الإشراقات النورية من جهة تحريكاتهم الكلية ، ووصلة إلى ظهور ماصدر عنهم من الخيرات وترتب عليهم من وجود الأنوان الصورية والحوادث الأرضية بواسطة الحركات السماوية ، فأمروا بالسجود تذلاً

(١) قال أبو عبيد: « وأنشدني أعرابي من بني أسد : وقلن . . . تهذيب اللغة ١٠ / ٥٦٩ .



لما رأوا من عظيم قدرة الله وباهر آياته في نظم العالم من الأعلى إلى الأسفل، ثم من الأسفل إلى الأعلى بواسطة الإنسان الذي به ترتقي سلسلة الوجود - الهابط إلى أسفل السافلين - إلى أعلى عليين، وشكراً لِمَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِوِاسْطَتِهِ .

فاللّام فيه كاللام في قول حسان في مدح أمير المؤمنين عليه السلام :

ما كنت أعرف إنَّ الأمر منصرفٌ \* عن هاشم ، ثمَّ منها عن أبي حَسَن  
أليسَ أولُّ من صَلَّى لِقِبْلَتِكُمْ \* وأعرفُ الناسَ بالقرآنِ والسَّنَنِ

أو في قوله تعالى : ﴿ أقيم الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ ﴾ [١٧/٧٨] .

وإما أن يكون المسجود هو الإنسان ، لكن [لأمن حيث هو] حيث هو بته الإمكانية ليلزم الإشراك ، بل من حيث بلوغه إلى مقام القرب الإلهي ، ورجوعه وحشره إلى الحضرة الإلهية ، وفنائه عن ذاته ، وبقائه ببقاء الله لا ببقاء غيره ، ففي هذا المقام يصير الروح الإنساني كمرآة مصفولة لالون فيه ، انعكس عليه وجه الله الباقي على نهج التجلي - لأعلى وجه الحلول والاتحاد ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً - فسجودهم لادم عليه السلام من هذه الجهة سجود لله - لا له .

ومما يوضح ذلك إنَّ كلَّ مَنْ عَبَدَ اللهَ وَسَجَدَ لَهُ لا بدَّ أن يتصوَّره في ضميره بوجه من الوجوه ، ويشاهده في باطنه ، إذ العبادة والسجدة للمجهول المطلق محال ، ولهذا قد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (١) « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » .

ثمَّ إنَّك كلما تصوَّرتَه أو تخيَّلْتَه من الله فهو سبحانه وراء ذلك ، فإن نظرتَ إليه بما هو صورةٌ معيَّنة لها صفات معيَّنة أمكانية أو مكانية فقد عبدتَ غيرَ الله وسجدتَ لسواه ؛ وإنَّ نظرتَ إلى الحقِّ وجعلتها مرآةً لملاحظة المعبود الحقيقي ولم تجعل النظرَ نظرين - نظراً إلى المرآة ، ونظراً إلى المرئي - فقد عبدتَ الله مخلصاً محسناً .

فإذا جاز أن تكون الصورة المعقولة أو المتخيَّلة وجهاً من وجوه الحق المسجود له فلم لا يجوز أن [تكون] الصورة الآدمية التي هي مظهر أسماء الله الحسنى ومجلى صفاته كلها مسجوداً للملائكة على وجهٍ لم يكن المنظور إليه والمعبود غير الذات الأحديّة ؟

## فصلٌ فيه شرحٌ

[ الأقوال في سجود الملائكة لآدم ]

أجمع المسلمون على أن السجود بمعنى العبادة لغير الله كفرٌ ، والكفر لا يكون مأموراً به . ثم اختلفوا بعد ذلك على ثلاثة أقوال :

الأوّل : إن ذلك السجود كان لله ، وآدم عليه السلام كان كالقبة . واعترض عليه بوجهين :

أحدهما إن السجدة إذا نسبت إلى ما هو كالقبة عدت بغير اللام فلا يقال : صلّيت للقبة أو للمسجد . بل إلى القبة ، وفي المسجد . فلو كان آدم قبة لهذا السجود لوجب أن يقال : أسجدوا إلى آدم . وإذ ليس فليس .

والثاني : إن قول إبليس : « رأيتك هذا الذي كرّمت عليّ » وغير ذلك مما صدر منه من الإباء والإستكبار والإغواء لآلاده ، والعداوة والبغضاء إلى يوم الدين يدلّ على أنه أعظم حالاً من الساجد ، ولو كان قبة لما حصلت له هذه الدرجة التي انبسطت شهرتها في مجامع القدس ومصاقع الجبروت ، وقرعت أصواتها السوامع في صوامع الملكوت .

وأيضاً كان محمّد ﷺ يصلي إلى الكعبة ولم يلزم أن تكون أفضل منه (١) ، وأجيب عن الأوّل بتجويز أن يقال : « صلّيت للقبة » . كما يقال : « صلّيت إلى القبة » والاستشهاد عليه بالقرآن والشعر - كما مرّ - .



وعن الثاني بأن إبليس شكى تكريمه ، وذلك التكريم لأنسلم أنه حصل بمجرد كونه مسجوداً ، بل لعله حصل بذلك مع انضمام أمور أخرى .  
وكلا الجوابين لا يخلو عن ضعف :

أما الأول فلاشبهة في ندرة وقوع اللام في مثلها . والظاهر إنها [ليس] بمعنى « إلى » أو « في » .

وأما الثاني فإن الظاهر الواضح أن منشأ عصيان إبليس وتمرده ، ومبدء كفره وجحوده هو مسجودية آدم ، كما دل عليه قوله [تعالى] : ﴿ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [٦١/١٧] وقوله : ﴿ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ ﴾ [٣٣/١٥] .

القول الثاني : إن السجدة كانت له عليه السلام تعظيماً وتحيّة ، كالسلام عليه منهم ، وكانت الأمم السالفة يتحيّون ملوكهم وأنبيائهم كتحية المسلمين بعضهم بعضاً .

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا ﴾ [١٠٠/١٢] كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم بعضاً .

وعن صهيب<sup>(١)</sup> : إن معاذ لما قدم من اليمن سجد للنبي ﷺ ، فقال : يا معاذ ما هذا ؟ فقال : إن اليهود يسجد لعظمتها ، ورأيت النصارى يسجد لقيسها وبطارقتها قلت : ما هذا ؟ قالوا : تحية الانبياء . فقال صلوات الله عليه وآله : « كذبوا على أنبيائهم » .

وعن الثوري<sup>(٢)</sup> ، عن سماك بن هاني ، قال : دخل الجاثليق على علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأراد أن يسجد له ، فقال له علي عليه السلام : أسجد لله . ولا تسجد لي ،

(١) تفسير الفخر الرازي : ٤٢٧/١ . وجاء ما يقرب منه في المسند : ٣٨١/٤ .

(٢) الفخر الرازي : ٤٢٧/١ .

فقد قال رسول الله ﷺ : لو أمرت أحداً أن يسجدَ لغير الله ، لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجها ، لعظم حقّه عليها .

\* \* \*

القول الثالث : إن السجود في الآية كان على المعنى الذي له في أصل اللغة ، وهو الانقياد والخضوع .

وقد علمت ضعف القول الأول ، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً : لأن السجود لا شك أن لفظه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض ، فوجب أن يكون في أصل اللغة لذلك ، لأن الأصل عدم التغيير .  
فإن قلت : السجود عبادةٌ ، والعبادة لغير الله غير جازية .

قلنا : لانسلم أن السجدة عبادة . لم لا يجوز أن يكون في بعض الاوقات أو بحسب بعض العادات سقوط الإنسان على الأرض والصاقه الجبين عليها مفيداً لضرب من التواضع والتعظيم ، وإن لم يكن ذلك عبادةً ، وإن كان ذلك فلم يمتنع أن يأمر الله تعالى ملائكته بذلك إظهاراً لرفعته وإشعاراً بكرامته .

وأيضاً - السلطان قد يأمر لبعض مقربيه من عبده أن يخدم ويطيع رجلاً فقيراً أو ضعيفاً ، وهم يفعلون ذلك ويخدمونه ، ويرجع ما فعلوه في الحقيقة إلى خدمة السلطان وطاعته ، فسجود الملائكة لأدم [عليه السلام] كان في الحقيقة سجوداً لله وطاعة لأمره .

وقد علمت وجهاً آخر أظف من كل ما قبل أو يقال في دفع هذا الإشكال .

## فصل

[ إبليس من الملائكة أم لا ؟ ]

اختلفوا في أن إبليس - لعنه الله - هل كان من الملائكة ، أم لا (١) ؟ فذهب

(١) معظم ما جاء في هذا الفصل مأخوذ من مجمع البيان : ٨٢/١ .



قوم إنه كان منهم ، وروي عن ابن عباس «إن من الملائكة ضرباً يتوالدون يقال لهم : «الجن» ومنهم إبليس . وهو المروي عن ابن مسعود وقتادة ، واختاره الشيخ أبو جعفر الطوسي - قدس الله روحه - قال : «وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام» . ثم اختلف من قال «إنه كان من الملائكة» فمنهم من قال : «إنه كان خازن طبقات الجنة» . ومنهم من قال : «كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض» . ومنهم من قال : «إنه كان يسوس ما بين السماء والأرض»<sup>(١)</sup> .

وقال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان - قدس الله سره -<sup>(٢)</sup> : «إنه كان من الجن ، ولم يكن من الملائكة» قال : «وقد جاءت الأخبار بذلك متواترة عن أئمة الهدى ، وهو مذهب الامامية» . وهو المروي عن الحسن البصري ، وهو قول البلخي وغيره .

مركز تحقيق كتاب پورعقود اسلامي

واحتجوا على صحة هذا القول بأشياء :

أحدها قوله تعالى : ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [٥٠/١٨] .  
 وثانيها قوله تعالى : ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦/٦٦] نفى المعصية عنهم نفياً عاماً .  
 وثالثها إن إبليس له نسل وذرية ، قال تعالى : ﴿أَفْتَحِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [٥٠/١٨] . قال الحسن : إبليس أبو الجن ، كما إن آدم عليه السلام أبو الإنس<sup>(٣)</sup> .

وإبليس مخلوق من النار ، والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول

(١) راجع الدر المنثور : ٥٠/١ و ٢٢٧/٤ .

(٢) أوائل المقالات : ص ١٢١ طبعة تبريز ١٣٢٣ هـ ش .

(٣) تفسير الطبري : ١٧٩/١ .

بعضهم . ومن النور في قول الحسن ، لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون .  
ورابعها ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [١/٣٥] ولا يجوز على رسل الله الكفر  
ولا الفسق . ولو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب .

وذكروا في توجيه الاستثناء وجوهاً :

أحدها ما ذكره صاحب الكشاف <sup>(١)</sup> : « إن هذا استثناء متصل ، لأنه كان جنباً  
واحداً بين أظهر الألوف من الملائكة مغموراً بهم ، فنلبوا عليه في قوله :  
﴿ فَسَجَدُوا ﴾ ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم » .  
وثانيها إنه كان مأموراً بالسجود معهم ، فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجهم  
بالاستثناء منهم .

وثالثها إن هذا الاستثناء منقطع كقوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ [مِنْ] عِلْمٍ إِلَّا آتِبَاعِ الطَّغْيِ ﴾  
[١٥٧/٤] .

ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه - رحمه الله - في كتاب  
النبوة باسناده عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :  
سأله عن إبليس ، أكان من الملائكة ، أو كان يلي شيئاً من أمر السماء ؟ فقال :  
« لم يكن من الملائكة ، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء ، وكان من الجن ،  
وكان مع الملائكة يرى إته منها ، وكان الله سبحانه يعلم إته ليس منها ، فلما أمر  
بالسجود لآدم كان منه الذي كان » وكذا رواه العياشي في تفسيره <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

وأما من قال إنه كان من الملائكة فإنه احتج بأنه لو كان من غيرهم لما كان  
ملوماً بترك السجود .

(١) تفسير الكشاف : ٢١٠/١ .

(٢) تفسير العياشي : ٣٤/١ .

والجواب : إنه كان من جملة المأمورين بالسجود وإن لم يكن من جملة الملائكة . دلّ على كونه مأموراً قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تُسْجِدَ إِذْ أُمِرْتَكَ ﴾ [١٢/٧] .

\* \* \*

وهؤلاء الزاعمون إنه كان من الملائكة أجابوا عن الاحتجاج الأول - وهو قوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ بأن الجنّ جنس من الملائكة ، سمّوا بذلك لاجتنانهم عن العيون ، وقد قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا ﴾ [١٥٨/٣٧] أراد بها الملائكة ، لأنهم قالوا : « الملائكة بنات الله » .

\* \* \*

وأجابوا عن الثاني - وهو قوله : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾ بوجهين : أحدهما بأن من الملائكة من ليس بمعصوم - وإن كان الغالب فيهم العصمة - كما إن من الإنس معصومين ، والغالب فيهم عدم العصمة ؛ ولعلّ ضرباً من الملائكة لا يخالفهم بالذات ، وإنما يخالفهم بالعوارض والصفات ، كالبررة والفسقة من الإنس والجنّ يشملهما ، وكان إبليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس ، فلذلك صحّ عليه التغير من حاله والهبوط عن محله ، كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [٥٠/١٨] .

والثاني بأنه صفة لخزنة النيران للجميع الملائكة ، فلا توجب عصمة لغيرهم من الملائكة .

\* \* \*

وأجابوا عن الثالث بأنه يجوز أن يكون الله تعالى ركّب في إبليس شهوة النكاح تليظاً عليه في التكليف ، وإن لم يكن ذلك في باقي الملائكة ويجوز أن يكون الله لما أهبطه إلى الأرض تغيّرت حاله عن حال الملائكة .

قالوا : كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور ﴿ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارِ مِنْ تَارِحٍ ﴾ [١٥/٥٥] ؟

فأجيب بأنه كالتمثيل لما ذكر ، فإن المراد بالنور الجوهر المضيء ، أو النار كذلك ، غير أن ضوءها مكثّر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق ، فإذا صارت مهذّبة مصفاة كانت محض نور ، ومتى نكصت عادت الحالة الأولى جذعة ، ولا تزال تتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصّرف . وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص . وقد مرّ كلام كلّ من الفريقين في الفواتيح مستقصى .

واعلم أن لاشبهة لأحد في أن الملك والشيطان متخالفان اللوازم والآثار الذاتية . كيف وأحدهما بطباعه ملهم الخير والطاعات ؛ والثاني بطباعه موسوس الشرور والمعاصي . واختلاف اللوازم والآثار الذاتية دليل اختلاف الملزومات والمؤثرات بالذات .

نعم - كلا الجنسين متفقان في أنهما روحانيان غائبان عن الأبصار والحواس لانراهما وقبيلهما إلا عند تجسّمهما وتمثّلهما بصورة من الصور ، بل وجودهما كوجود الموجودات الأخروية لا ينكشف على أبصارنا إلا عند غيوبتنا عن هذا العالم - كما يقع للمكاشفين - أو لفساد مزاج البدن بواسطة غلبة اليبوسة على الدماغ يتعطل بها الحواس عن الشواغل ، فتستولي قوة الخيال على المحاكاة الخيالية - كما للممرورين أو بواسطة تمثّلها في العين ، أو تصوّرهما بصورة محسوسة جسمانية .

والظاهر من الأخبار والآثار إن مواطن الملائكة عالم السموات ودرجاتها على سبيل التعلّق والمباشرة ، وأمّا تعلّقها بعالم الأرضيات فعلى سبيل الامداد والاستخدام للقوى الأرضية ، وإن مواطن الشياطين والجنّ عالم الأرضيات على سبيل التعلّق والمباشرة .

وأما عالم السماء فلها اجتيازات على نهج العسور والامتراق للسمع - دون



الولوج في سموكها - لأنَّ عالم السماء كعالم قلب المؤمن <sup>بيت ميمور</sup> مطهر بطهارة القدس والتسبيح ، وعمارة الذكر والحمد ، لا يمكن أن يتصرف فيه إلا جوهر مقدس ، ولا سبيل للخبيث اللعين إليه إلا اختلاصاً واجتيازاً في بعض الساعات ، كأوقات الكسوفات والخسوفات وغيرها استراقاً للسمع .

وبالجملة - موطن الشياطين والجنّ هذا العالم الطبيعي ، وليس لواحد منهم درجة العلم والمعرفة بالمقاصد الكلية والأمور الإلهية سواء كانوا كفاراً كالشياطين ، أولهم ضرباً من الإسلام كطائفة من الجنّ ذكرت في القرآن .

وأما قولكم « إن الجنّ يطعمون » فقد جاء عن العرب ما يدل على أنهم لا يطعمون ولا يشربون . أنشد ابن دريد :

ونارٌ قد حضأتُ بعيدٍ وهنّ \* بدارٍ ما أريدُ به مقاماً  
سوى ترحيلِ راحلةٍ وعينٍ \* أكاثها مخافةً أن تَناماً  
أتوا ناري فقلتُ : منونَ أنتم ؟ \* فقالوا: الجنّ . قلتُ : عمواظلاماً  
فقلتُ : إلى الطعامِ . فقال منهم \* زعيمٌ : يحسدُ الإنسَ الطعاماً  
لقد فضّلتُم بالأكلِ فينا \* ولكن ذلك يعقبكم سقاماً

فهذا يدل على أنهم لا يأكلون ولا يشربون لأنهم روحانيون، وقد جاء في الأخبار النهي عن التمسّح بالعظم والروث لأنّ ذلك طعامهم [وطعام دوابهم] . وقد قيل : إنهم يتشمّون ذلك .

\* \* \*

وأجابوا عن الرابع - وهو قوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ بِأَنَّ هذه الآية معارضة بقوله [تعالى] : ﴿ اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [٧٥/٢٢] لأنّ « مِنْ » للتبويض .

وكلا القولين مرويًا عن ابن عباس ، فروي عنه إنه قال : إن الملائكة

كانت تقاتل الجن ، فسبى إبليس ، فلذلك قال تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ .  
 وروى مجاهد وطاوس عنه أيضاً إنه قال <sup>(١)</sup> « كان إبليس قبل أن يرتكب  
 المعصية ملكاً من الملائكة اسمه « عزازيل » وكان من سكان الأرض . وكان سكان  
 الأرض من الملائكة يسمون « الجن » ولم يكن من الملائكة أشدَّ اجتهاداً ولا أكثر  
 علماً منه ، فلما تكبر على الله وأبى السجود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطاناً مريداً  
 وسماه إبليس .

قال الشيخ محي الدين الأعرابي في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات  
 المكية <sup>(٢)</sup> : « اهلّم إن الجنّ هم أصل العالم الطبيعي <sup>(٣)</sup> ، ويتخيّل جلسهم بما يخبرونه  
 من حوادث الأكوان وما يجري في هذا العالم بما يحصل لهم من استراق السمع  
 من الملائكة الأعلى ، فيظنّ جلسهم إن ذلك من كرامة الله به - هبهات لما ظنّوا .  
 ولهذا ما ترى أحداً قط جالسهم فحصل عنده منهم علم بالله جملة واحدة ،  
 وغاية الرجل الذي تعنى به أرواح الجنّ أن يمنحوه من علم خواصّ النبات والأحجار  
 والأسماء والحروف ، فهو علم السبيا ، فكم يكتسب منه <sup>(٤)</sup> إلا العلم الذي ذمّته  
 السنة الشرايع الإلهية .

ومن ادعى صحبتهم وهو صادقٌ في دعواه فأسأله عن مسألة في العلم الإلهي  
 ما تجد عنده من ذلك ذوقاً أصلاً ، فرجال الله يفرّون من صحبتهم أشدّ فراراً منهم من  
 الناس ، فإنه لا بدّ أن تحصل صحبتهم في نفس من يصحبهم تكبراً على الغير وازدراءً  
 بمن ليس له في صحبتهم قدّم .

وقد رأينا جماعة ممن صحبتهم حقيقة وظهرت لهم براهين على صحّة ما ادّعوه

(١) الدرر المشور : ٥٠ / ١ . (٢) الفتوحات المكية : ٢٧٣ / ١ .

(٣) المصدر : إن الجنّ هم أجهل العالم الطبيعي بالله .

(٤) المصدر : منهم .

من صحبتهم ، وكانوا أهل جدّ واجتهاد - ولكن لم يكن عندهم من جهتهم شمة من العلم بالله ورأينا فيهم اغتراراً وتكبراً ، فمازلنا بهم حتى حلنا بينهم وبين صحبتهم لإنصافهم وطلبهم الانس<sup>(١)</sup> . كما رأينا أيضاً ضدّ ذلك منهم ، فما أفلح ولا يفلح من كان هذه صفته إذا كان صادقاً ، وأما الكاذب فلانشتغل به .

وقال في موضع آخر من هذا الباب<sup>(٢)</sup> : « ومنهم من يُجالسه الروحانيون من الجنّ ، ولكن دون الجماعة في الرتبة إذا لم يكن له حالٌ سوى هذا ، لأنهم قريب من الانس في الفضول .

والكيس من الناس من يهرب منهم كما يهرب من الناس ، فإن مجالستهم رديّة جداً قليلٌ أن تُنتج خيراً ، لأن أصلهم نارٌ والنار كثيرة الحركة ، ومن كثرت حركته كان الفضول أسرع إليه في كل شر<sup>(٣)</sup> ، فهم أشدّ فتنة علي جلسهم من الناس ، فإنهم قد اجتمعوا في كشف عورات التي ينبغي للعاقل أن يطلع عليه<sup>(٤)</sup> ، غير إن الانس لاتورث مجالسة الإنسان إياهم تكبراً ومجالسة الجنّ ليس<sup>(مصدر)</sup> كذلك ، فإنهم بالطبع يورثون في جلسهم التكبر على الناس وعلى كلّ عبد لله ، ومن تكبر على غيره فإنه يمقته الله في نفسه من حيث لا يشعر - هذا هو المكر الخفي .

وقال أيضاً فيه : « ومنهم من نفس الرحمن عنه بمجالسة الملائكة ، ونعم الجلساء هم ، [ هم ] أنوار خالصة لافضول عندهم ، وعندهم العلم الأعلى الذي لايرية فيه ، فيرى جلسهم في مزيد علم بالله دائماً مع الانفاس .

(١) المصدر : الانس .

(٢) الفتوحات المكية : ٢٧٣/١ .

(٣) المصدر : في كل شيء .

(٤) المصدر : فإنهم قد اجتمعوا مع الناس في كشف عورات التي ينبغي للعاقل

أن لا يطلع عليها .

فمن ادعى مجالسة الملائكة الأعلى ولم يستند في نفسه علماً برتبته فليس بصحيح الدعوى ، وإنما هو صاحب خيال فاسد « - انتهى كلامه .

### تفصيل كلام لتحقيق مقام في المفاضلة بين الملك والبشر

اعلم إن الناس اختلفوا في التفاضل بين الملائكة وأخبار البشر على طائفتين وهذا الاختلاف كان مستمراً قبل دورة الإسلام وبعده إلى يومنا .

وتحقيق معرفة هذا الأمر لا يمكن إلا بنور المكاشفة ، وأكثر ما يوردونه في هذه الباب كلام أهل الحجاب وسيما الذين فضلوا الإنسان على الملك ، لأن أكثر ما يحتجون به على ذلك يرجع إلى أمور عادية ومقدمات جمهورية لا يمكن التعويل عليها لصاحب البصيرة .

ونحن نذكر أولاً ما احتج به كل طائفة من الذين فضلوا الملائكة والذين فضلوا أخبار البشر - سواء كانوا قبل الإسلام أو بعده - ونقدم في الذكر كلمات الأوائل وأحوالهم قبل ظهور نور الإسلام ؛ ثم نذكر أقوال المتكلمين الإسلاميين وما ذكروه من الجانبين نقضاً أو إبراماً ؛ ثم ما يرد على كل كلام اعتراضاً وجواباً ؛ ثم نشير إلى سر الكلام وأصله ، وروح المقام وفصله ، وذلك في فصول :

## الفصل الأول<sup>١)</sup>

### في ذكر أقوال الأوائل

ومعظمها أقوال الصابئة في تفضيل جانب الملائكة ، وأقوال الحنفاء في تفضيل جانب البشر في مقابلة أقوالهم .

(١) هذا الفصل مأخوذ من كتاب الملل والنحل للشهرستاني : القسم الثاني : أصحاب الروحانيات ملخصاً : ٧/٢ إلى ٤٦ .



والصائبون هم الذين قالوا بنبوة اغاثاذيمون وهرمس - وهما شيث وإدريس عليهما السلام (١) - ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - ونسبتهم إلى الحنفاء كنسبة فلاسفة الإسلام إلى الصوفية بوجه ، إلا أنهم زادوا على التفضيل للملك على أهل النبوة <sup>عليهم السلام</sup> إلى حيث تركوا طاعتهم وانقيادهم وجعلوا الملائكة قبله طاعتهم ومنشأ نجاتهم وهدايتهم ، وربما يُسمون بأصحاب الروحانيات .

ومذهبهم إن للعالم صناعاً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان ، والواجب علينا معرفة المعجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يُتقرب إليه بالمتوسطين المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون ، المقدسون جوهرأً وفعلاً وحالة .

أما الجوهر : فهم المطهرون عن المسواد الجسمانية ، المبرؤون عن القوى الجسدانية ، المنزهون عن الحركات والتغيرات الزمانية ، قد جبكوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم ، وهم أربابنا وشفعاونا عند رب الأرباب .

فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ، ونهذب أخلاقنا عن صلاتق القوى الشهوية والفضيية ، حتى نحصل بيننا وبينهم مناسبة ، فيفيض علينا بعض أنوارهم وفضائلهم وعلومهم .

قالوا : والأنبياء أمثالنا في النوع ، وأشكالنا في الصورة ، يشاركوننا في الحاجة إلى المادة ، يأكلون مما نأكل ، ويشربون مما نشرب ، ويساهموننا في الصورة ، أناس بشر مثلنا ، فمن أين لنا طاعتهم ، وبأية مزية لهم لزم متابعتهم ؟  
وأما الفعل : فهم الأسباب المتوسطون في الإختراع والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال ، وتوجيه المخلوقات من مهده إلى كمال ، يستمدون القوة

(١) راجع أخبار الحكماء للقفطي (ص ٢) ودانشنامه ايران و اسلام (١٠٤ : ٢) .

من الحضرة القدسية ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية .

فمنها مدبّرات الكواكب السبعة السّيّارة في أفلاكها . وهي <sup>(١)</sup> هياكل<sup>٣</sup> . فلكل فلك روحاني هيكل جسماني <sup>(١)</sup> ، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي اختصّ به نسبة الروح إلى الجسد ، فهو ربّه ومدبّره ومديره .

ففعل الروحانيات تحريك الأجرام على قدر مخصوص ليحصل من حرّكانها إنفعالات في الطبائع السفلية والعناصر ، فيحصل من ذلك تركيبات ، فيتبعها قوى جسمانية ، ويركّب عليها نفوسٌ روحانيّة ، ثمّ قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي ، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي ، فمع جنس المطر ملكٌ ، ومع كل قطرة أيضاً ملكٌ .

ومنها مدبّرات الأنار العلوية الظاهرة في الجوّ ممّا يصعد من الأرض ، فينزل مثل الأمطار والثلوج والبرّد والرياح ، وممّا ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب ، وما يحدث في الجوّ من الرعد والبرق والسحاب والضبّاب <sup>(٢)</sup> [والمياه] وقوس قزح وذوات الأذنان والهالة والمجرّة ، وما يحدث في الأرض من الزلازل والهدّات والمياه والخسف - إلى غير ذلك .

ومنها متوسّطات القوى السارية في جميع الموجودات ، ومدبّرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات ، حتّى لا يرى موجوداً خالياً عن قوة وهداية - إذا كان قابلاً لهما .

**وأما الأحوال :** فأحوال الروحانيات من الروح والريحان والنعمة واللذة الدائمة والراحة والبهجة والسرور في جوار ربّ العالمين كيف يخفى ، ثمّ طعامهم وشرابهم التسييح والتقدّيس والتهلّيل والتمجيد ، وانسهم بذكر الله وطاعته ، فمن

(١-١) الملل والنحل : وهي هياكلها ، فلكل روحاني هيكل ، ولكل هيكل فلك .

(٢) الضباب وجمعه ضباب : سحابة تقي الأرض .

قائم لا يركع ، وراكع لا يسجد، وساجد لا ينتصب - على حسب مقاماتهم في القرب والمنزلة - لا يتبدل حالهم لما هم فيه من البهجة والسرور، فمن خاشع بصره لا يرفع، ومن ناظر لا يغمض ، ومن ساكن لا يتحرك ، ومن متحرك لا يسكن حركة لا تعب فيها ولا إعياء ولا نصب ، ومن كرّوبئي في عالم القبض ، ومن روحاني في عالم البسط ﴿لَا يَبْصُرُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

\* \* \*

فهذا مذهب الصابئة ، وقد جرت بينهم وبين الحنفاء مناظرات ومفاوضات في المفاضلة بين الروحاني المحض والبشرية النبوية وذكرها صاحب كتاب الملل والنحل على شكل سؤال وجواب ، وفيها فوائد لا تحصى ، فنوردها ملخصة عن الزوائد ليحيط الناظر بما فيها وعليها .

مركز تحقيق مكتبة ترمذ يوم ربي  
فصل

فيما ذكره الصابئون في تفضيل الملائكة على الأنبياء

وما أجاب به عنها الحنفاء . وهي وجوه :

الأول إن الروحانيات أبدعت إبداعاً لامن شيء - لامادة ولاهولي - وهي كلها جوهر واحد على سنخ واحد وجواهرها أنوار محضة لا ظلام فيها ، وهي من شدة ضيائها لا يدرك بالحس ، ولا ينالها البصر، ومن غاية لطافتها لا يجازيها العقل<sup>(١)</sup>، ولا يجول فيها الخيال .

ونوع الإنسان مركب عن العناصر الأربعة ، مؤلف من مادة وصورة ، والعناصر متضادة ومزدوجة بطبائعها ، ومن التضاد يصدر الاختلاف والهرج ، ومن الازدواج يحصل الفساد والمرج ، فما هو مبدع لامن شيء لا يكون كمخترع من

(١) المصدر : بحار فيها العقل .

شيء ، والمادة والهيولي سنخ الشر ومنبع الفساد ، فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون كمحض الصورة ؟ والظلام كيف يساوي النور؟ والمحتاج إلى الإزدواج، المضطرّ في هَوّ الاختلاف كيف يرقى إلى درجة المستغني عنها ؟

أجاب الحنفاء عنه : بِمَ عرفتم وجود هذه الروحانيات ؟ والحسن مادّكم عليه ، والدليل ما أرشدكم إليه ؟

فإن قالوا : عرفنا وجودها وتعرفنا أحوالها من اغاثاذيمنون وهرمس - يعني شيث وإدريس - .

قال الحنفاء : فقد ناقضتم مذهبكم في نفي المتوسط البشري ، فصار نفيكم إثباتاً وإنكاراًكم إقراراً .

ثمّ من الذي يسلّم إنّ المبدع من لاشيء أشرف من المخترع من شيء ؟ بل جانب الروحاني أثر واحد ، وجانب الجسماني أثران : أحدهما نفسه وروحه ، والآخر جسمه وجسده . فهو من حيث الروح مبدع بأمر الباري تعالى ، ومن حيث الجسد مخترع بخلقه ، ففيه أثران : أمرى وخلقى ، قولى وفعلى . فهذه المرتبة في الخلقة أفضل .

وإن فاضلتم بين الروحاني المجرد والجسماني المجرد فالصدق معكم ، ولكن المفاضلة بين الروحاني المجرد والمجتمع من الجهتين ، فلا يحكم عاقل بأنّ الفضل هنا للمجرد .

\* \* \*

الثاني : نوع الإنسان لا يخلو من قوتي الشهوة والغضب ، وهما تنزعان إلى البهيمية والسبعية ، وتنازعان النفس إلى طباعهما من الحرص والأمل لأحدهما ، والكبر والحسد للآخر ، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة .

فكيف يماثل من هذه صفة نوع الملائكة المطهرين عنهما وعن لوازمهما



ولواحقهما من التوازع الحيوانية والقواطع البشرية بأسرها ؟ لم يحملهم الغضب على حبّ الجاه والشهرة ، ولا حملهم الشهوة على حبّ المال والثروة ، بل طباعهم مجبولة على المحبة والموافقة ، وجواهرهم منطوية على الاتحاد والألفة .

أجاب<sup>(امل)</sup> : بأن هذه المغالطة مثل الأولى حدوّ النعل بالنعل ، فإنّ الطرف البشرية نفسين : نفس حيوانية لها قوتان : شهوية وغضبية . وأخرى إنسانية لها قوتان : علمية وعملية . وبتينك القوتين لها أن تجمع وتمنع ، وبهاتين القوتين لها أن تقسم الأمور وتفضّل الإجمال (الأخوال - امل)

ثم يعرض على العقل فيختار بقوته التي هي له كالبصر الناقد من العقائد الحقّ دون الباطل ، ومن الأقوال الصدق دون الكذب ، ومن الأفعال الخير دون الشر . ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية الشجاعة والحمية دون الذلة والهوان ، ومن لوازم القوة الشهوية التردد والتألف دون الشره والخساسة ، فيكون من أشدّ الناس حمية على خصمه وأعداء دينه ، ومن أرحم الناس تدللاً وتواضعاً لوليه وصديقه، فإذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين واستعملهما في جانب الخير . وليس الكمال والشرف في فقدان القوتين كحكم العنين والعاجز ، وإنما الكمال في استخدامهما أولاً في جانب الخير ، ثم الترقّي إلى إرشاد الخلائق في تزكية النفوس عن العلائق وإطلاقها عن قيد الشهوة والغضب ، فنفس النبي ﷺ كنفوس الروحانيين فطرة ووصفاً - وبذلك الوجه وقعت الشركة - وفضلها وتقدمها باستخدام القوى والنفوس التي دونها ، واستعمالها في جانب الخير والنظام - وهو الكمال .

\* \* \*

الثالث إن الروحانيات صور مجردة عن المواد ، عالية عن القوة والاستعداد ، قدر لها أشخاص تعلق بها تصرفاً وتديراً ، لامازجة ومخالطة ، والمتوسط لا بدّ أن

يكون كاملاً حتى يكمل غيره ، وأما الموجودات البشرية فهي إما صورٌ في موادّ ، أو نفوسٌ متعلقةٌ بها حاصلةٌ من المزاج والامتزاج . والفرض إنها موجودات بالقوّة لا بالفعل ، ناقصة لا كاملة ، والمخرج من القوّة إلى الفعل يجب أن يكون أمراً بالفعل غير محتاج إلى الخروج ، فإنّ ما بالقوّة لا يخرج بذاته من القوّة إلى الفعل - بل بغيره - والروحانيات هي المحتاجُ إليها في أن يخرج الجسمانيات إلى الفعل ، فالمحتاجُ إليه كيف يساوي المحتاجُ في درجة الوجود ؟

أجابوا : إن هذا الحكم - وهو كون الروحانيات بالفعل - غير مسلمٍ على الإطلاق ، إذ منها ما هو وجوده بالقوّة ، أو ما فيه وجودٌ بالقوّة ، ويحتاج إلى مخرجٍ يُخرجه إلى الفعل ، فإنّ النفسَ لها استعداد القبول [ من العقل ] عندكم ، والعقلُ له إعداد لكل شيءٍ وفيض عليه ، وأحدهما بالقوّة ، والآخر بالفعل .

وهذا لضرورة الترتيب في الموجودات العلوية ، فإن من لم يثبت الترتيب فيها لم تتمشّ له قاعدة عقلية أصلاً فإذا ثبت الترتيب فقد أثبت الكمال في جانب ، والنقصان في جانب ، فليس كل روحانيٍّ كاملاً من كلّ وجه ، ولا كلّ جسمانيٍّ ناقصاً من كلّ وجه ، فمن الجسمانية أيضاً ما وجوده كامل بالفعل ، وسائر النفوس محتاجةٌ إليه . وذلك أيضاً لضرورة الترتيب في الموجودات السفلية .

قالوا : وإذا سلّمتم لنا إن هذا العالم الجسمانيّ في مقابلة ذلك العالم الروحانيّ ، وإنّما يختلفان من حيث أنّ ما في هذا العالم من الأحيان فهو آثار ذلك العالم . وما في ذلك العالم من الصور فهو مثل هذا العالم - والعالمان متقابلان كالشخص والظلّ - فإذا أثبتتم في ذلك العالم موجوداً ما بالفعل كاملاً ويصدر عنه سائر الموجودات وجوداً ووصولاً إلى الكمال ، فيجب أن تثبتوا في هذا العالم أيضاً موجوداً ما بالفعل كاملاً تاماً حتى يصدر عنه سائر الموجودات تعلماً ووصولاً إلى الكمال .

ومن العجب ان عند الصابئة أكثر الروحانيات قابلة منفعة وإنما الفاعل الكامل واحد ، وعن هذا صار بعضهم إلى أن الملائكة أُنثى كما أخبر التنزيل عنهم به .  
وإذا كان كذلك فنقول : في الموجودات السفلية النفوس البشرية كلها قابلة الوصول إلى الكمال بالعلم والعمل ، فيحتاج إلى مخرج ما فيها بالقوة إلى الفعل ، والمخرج هو النبي ﷺ .

ثم كم يكون (١) بين الرسول والروح مناسبة وملاقة عقلية ، فيكون الروح الأول مصدراً ، والرسول مظهراً ، ويكون بين الرسول وسائر البشر مناسبة وملاقات حسية ، فيكون الرسول مؤدياً والبشر قابلاً .



أقول : إن لفظ « القوة » يطلق بالاشتراك اللفظي على ما هو بمعنى الإمكان الاستعدادي والقوة الانفعالية التجديدية ، وعلى ما يكون بمعنى الإمكان الذاتي والاستحقاق الفطري . والأول لا يجمع الفعلية ، بخلاف الثانية ، فالابداعات كمالاتها فطرية والجسمانيات كمالاتها تجديدية كسبية . وأما النفس فلها إمكان ذاتي في ذاتها ،

(١) أسقط المصنف سطورا بين الفقرتين تأتي بشرط منها لاكمال الكلام :

« المعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال في المحسوس ؛ وإلا كان متخيلا موهوماً والمحسوس لا يكون محسوساً حتى يثبت له مثال في المعقول ؛ وإلا كان سراياً معدوماً .

وإذا ثبتت هذه القاعدة فمن أثبت عالماً روحانياً ، وأثبت فيه مدبراً كاملاً من جنسه وجوده بالفعل ، وفعله إخراج الموجودات من القوة إلى الفعل بفيض الصور عليها على قدر الاستحقاق ، فيلزمه ضرورة أن يثبت عالماً جسمانياً ويثبت فيه مدبراً كاملاً من جنسه وجوده بالفعل ، وفعله إخراج الموجودات من القوة إلى الفعل بفيض الصور عليها على قدر الاستحقاق ، ويسمى المدبر في ذلك العالم الروح الأول على مذهب الصابئة ، والمدبر في هذا العالم الرسول على مذهب الحنفاء ، ثم يكون بين الرسول والروح مناسبة و ... »

ولها إمكان استعدادي به تنتقل من حالة إلى أخرى - ولكن بحسب تعلقها إلى المادة  
الجسمانية .

فالأولى أن يجاب عن استدلال الصابئة من هذا النمط ، على أن أشرف  
الروحانيات أشرف من الأنبياء ، بأن النفوس البشرية يجوز أن تتدرج في الاستكمال  
وترتقي إلى جانب علو الكمال بعد الهبوط والنقصان ، بحيث تنتهي درجتهم إلى  
درجة الروحانيين ، أو أعلى منهم بحسب الفطرة الثانية ، وإن لم تكونوا كذلك في  
الفطرة الأولى .

هذا إذا كان المراد من الفطرة الأولى لهذه النفوس مألها في أول تكونها  
الجسماني ، وإن أريد بها ما عتبر عنها بفطرة الله التي فطر الناس عليها ، فهي أيضاً  
غير قاصرة عن درجة فطرة الروحانيين ، وسبأني لهذا وضوح وانكشاف .

مركز تحقيقات كاتوليكا في بيروت

الرابع أن الروحانيات نورانية علوية لطيفة ، والجسمانيات ظلمانية  
[سلبية] كثيفة . فكيف تتساويان ؟ والاعتبار في الشرف والفضيلة بذوات الأشياء  
وصفاتها ومراكزها ومجالاتها ، فعالم الروحانيات العلو لغاية النور واللطافة ، وعالم  
الجسمانيات السفل لغاية الكثافة والظلمة ، والعالمان متقابلان . والكمال للعلوي  
والصفتان متضادتان ، والشرف للنور - للظلمة .

الجواب : لسنا نوافقكم أولاً : على أن الروحانيات كلها نورية ، ولانساعدم  
ثانياً أن الشرف للعلو ، ولانسالمكم ثالثاً أن الاعتبار في الشرف بذوات الأشياء .  
أما بيان الأول : فقد حكمتكم على الروحانيات حكم التساوي وما اعتبرتم  
فيها التضاد والترتيب ، وإذا كانت الموجودات كلها على قضية الترتيب والتضاد  
فلم أخفتم الحكميتين ههنا . فإن من قال : «الروحاني ما ليس بجسماني» فقد أدخل  
جواهر الشياطين والأبالسة والجن في جملة الروحانيات .

ثمّ من الجنّ مَنْ هو مُسَلِّمٌ ، ومنها من هو ظالمٌ ، ومن قال « الروحانيّ هو - المخلوق [روحاً] » فين الأرواح ماهو خيّرٌ ، ومنها ماهو شرّيرٌ؛ والأرواح الخبيثة أزداد للأرواح الطيّبة ؛ فلا بدّ إذن من إثبات تضادّ وتنافر بين القسمين ، فلمَ قلتم انها كلّها نورانيّة .

وعندنا - معاصر الحنفاء - الروح هو الحاصلُ بأمرِ الله ، الباقي على مقتضى أمره ، فمن كان لأمر الله أطوع ، وبرسالات رُسُلِهِ أصدق ، كانت الروحانيّة فيه أكثر والروح عليه أغلب ومن كان لأمره تعالى أنكر ، وبشرائعه أكذب ، كانت الشيطنة عليه أغلب .

هذه قاعدتنا في الروحانيات ، فلا روحانيّة أبلغ في الروحانيات من ذوات الأنبياء ﷺ .

وأما قولكم : « إن الشرف للعلو » إن غيتم به جهة العلو فلا شرف فيه - وكم من عال جهة سافل جهة وعلماً وذاتاً وطبيعة . وبالعكس .

وأما قولكم : « إن الاعتبار في الشرف بذوات الأشياء وصفاتها ومحالها » فليس بحق . وهو مذهب اللعين الأول ، حيث نظر إلى ذاته وذاتِ آدم عليه السلام ففضل ذاته - إذ هي مخلوقة من النار وهي علوية نورانيّة - على ذاتِ آدم وهو مخلوق من طين - وهو سفليّ ظلمانيّ .

بل عندنا الاعتبار في الشرف بالأمر وقبوله ، ومن كان أقبلَ لأمره تعالى ، وأطوعَ لحُكْمِهِ ، وأرضى بقضائه فهو أشرف ، ومن كان على خلاف ذلك فهو أبعَد وأخسّ وأخبث .

فأمر الباري تعالى هو الذي يُعطي الروح : ﴿ قُلْ أَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [٨٥/١٧] وبالروح يحيى الإنسان الحيوة الحقيقيّة ، وبالحيوة يستفيد العقل الغريزي

وبالعقل يُكتسب الفضائل ، ويُجتنب عن الرذائل ، ومن لم يقبل الأمر الإلهي فلاروح له ولا حياة ولا فضيلة ولا شرف .

\* \* \*

أقول : قد رجع هذا الكلام إلى الاعتراف بأن الشرف والفضيلة إنما هو بأمر جوهري ، فإن حقيقة الأمر الإلهي الذي يقبوله يصير الإنسان ذا روح وعقل وحياة دائمة هو الذي به يتجوهر الإنسان تجوهرأ روحانياً ، وتذوّت ذاتاً عقليةً دائمة .

وأما خطأ اللعين فليس لأجل حكمه بأن النار أشرف من الطين ، بل لأجل زعمه أنّ حقيقة الإنسان هي البدن المخلوق من التراب ، أو لأجل توهمه أنّ شرف الذات والصورة تابع لشرف الجسميّة والمادّة فهيهنا مغالطة بأخذ ما بالعرض مكان ما بالذات .

\* \* \*

الوجه الخامس : إنّ الروحانيّات أشرف بقوّتي العلم والعمل من الجسمانيّات . أمّا العلم : فلا ينكر إحاطتهم بمغيبات الأمور عنّا ، وإطلاعهم على مستقبل الأحوال الجارية علينا ، ولأنّ علومهم كليّة وعلوم الجسمانيّات جزئية ، وعلومهم فعلية وعلومهم انفعالية ، وعلومهم فطرية وعلومها كسبيّة ، فمن هذه الوجوه تحقّق لهم الشرف عليها .

وأما العمليّة : فلا ينكر أيضاً عكوفهم على العبادة ، ودوامهم على الطاعة ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [٢٠ / ٢١] ولا يلحقهم كلال ولا سآمة ، ولا يرهقهم ملال ولا ندامة . فتحقّق لهم الشرف من هذه الجهة . وكان أمر الجسمانيّات بالخلاف من ذلك .

أجابوا عن هذا بجوابين :

أحدهما التسوية بين الطرفين وإثبات زيادة في جانب الأنبياء . والثاني بيان ثبوت الشرف في غير العلم والعمل .



أما الأول : فقالوا : علوم الأنبياء عليهم السلام كلية وجزئية ، و فعلية وانفعالية وفطرية وكسبية . فمن حيث ملاحظة عقولهم عالم الغيب منصرفاً عن عالم الشهادة ، تحصل لهم العلوم الكلية فطرة دفعة واحدة ، ثم إذا لاحظوا عالم الشهادة حصلت لهم العلوم الجزئية اكتساباً بالحواس على ترتيب وتدرج .

فكما إن للإنسان علوماً فطرية - هي المعقولات - وعلوماً حاصلة بالحواس - هي الحسيات والتجربيات - فعالم المعقولات بالنسبة إلى الأنبياء كعالم المحسوسات بالنسبة إلى سائر الناس ، فنظرياتنا فطرية لهم ، ونظرياتهم لانصل إليها قط . بل ومحسوساتنا مكتسبة لهم ولنا بكواسب الجوارح .

فأمزجة الأنبياء - صلوات الله عليهم - أمزجة نفسانية ، [وإنفوسهم نفوس عقلية ، وعقولهم عقول أمرية فطرية . ولو وقع حجاب في بعض الأوقات فذاك لموافقتنا ومشاركتنا كي يزكي هذه العقول ، وتصفي هذه الأذهان والنفوس وإلا فدرجاتهم وراء ما يقدر .

والثاني : إنهم قالوا : ومن العجب أنهم لا يعجبون بهذا العلم بل ويؤثرون التسليم على البصيرة ، والعجز على القدرة ، والتبري من الحول والقوة على الاستقلال ، والفطرة على الاكتساب . ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم على ﴿ إنما أوتيته على علم ﴾ عندي ﴾ [٢٨/٧٨] .

ت (مل)

ويعلمون إن الملائكة والروحانيات بأسرها وإن علت إلى غاية قوة نظرها وإدراكها [مأحاطت] <sup>(١)</sup> بما أحاط به علم الباري جلّ جلاله ، بل لكلّ منهم مطرح نظر ، ومسرح فكر ، ومجال عقل ، ومنتهى أمل ، ومطار وهم وخیال ، وإنهم إلى الحدّ الذي انتهى نظرهم إليه مستبصرون ، وما وراء ذلك الحدّ إلى ما وراء ما يتناهي مسلمون مصدقون ، وإنما كمالهم في التسليم لما لا يعلمون ، والتصديق لما يجهلون

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ليس كمال حالهم ، بل ﴿ سُبْحَانَكَ لِأَعْلَمَ لَنَا  
إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ هو الكمال . فمن أين لكم أنّ الكمال في العلم والعمل لا في التسليم  
والتوكل ؟

وإذا كانت غاية العلوم هذه الدرجة ، فجعلت نهاية أقدام الملائكة والروحانيين  
بداية أقدام السالكين من الأنبياء والمرسلين ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [٦٥/٢٧] ،

فعالم الروحانيات بالنسبة إليهم شهادة ، وبالنسبة إلينا غيب ، وعالم الجسمانيات  
بالنسبة إلينا شهادة وبالنسبة إليهم غيب ، والله تعالى هو الذي يعلم السر وأخفى .  
قالوا : مَنْ عِلْمُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ الْعِلْمِ ، وَمَنْ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ أَدَاءِ  
الشكر فقد أدى كلّ الشكر .

الوجه السادس : إنّ الروحانيات لها اختيارات صادرة من الأمر متوجّهة إلى  
الخير ، مقصورة على نظام العالم ، وقوام الكلّ لا يشوبها ألبتة شائبة الشرّ وشائبة  
الفساد ، بخلاف اختيارات البشر فإنّه متردّد بين طرفي الخير والشرّ .  
ولولا رحمة الله في حقّ البعض - وإلا وضع اختياراتهم كان ينزع إلى جانب  
الشرّ والفساد ، إذ كانت قوّة الشهوة والغضب المركوزتان فيهم تجرّانهم إلى جانبهما  
وأما الروحانيات فلا ينزع اختياراتهم إلاّ التوجّه إلى وجه الله وطلب رضاه وامثال  
أمره ، لا جرم كلّ اختيار هذا حاله لا يتغيّر ولا يتعدّر عليه ما يختاره ، وكلّما أَرَادَهُ  
وقصده وجدّه مختاره حسب مراده ، وكلّ اختيار ذلك حاله يتعدّر عليه ما يختاره ،  
فلا يوجد المراد ولا يحصل المختار .

أجابوا لإعنها بجوابين :

أحدهما نيابة عن جنس البشر ، وهو أنّ اختيار الروحانيات إذا كان مقصوداً

على أحد الطرفين ، محصوراً عليه ، كان في وصفه مجبوراً ، ولاشرف في الجبر ، واختيار البشر مردد بين طرفي الخيرو الشر فمن جانب يرى آيات الرحمن ، ومن طرف يسمع وساوس الشيطان فتميل به تارة دعوة الحق إلى امتثال الأمر ، وتميل به طوراً داعية الشهوة إلى اتباع الهوى .

فإذا أقرّ طوعاً وطبعاً بوحدانية الله تعالى واختار من غير جبر واكراه طاعته وصيّر اختياره المتردد بين الطرفين مجبوراً تحت أمر الله باختيار من جهته من غير اجبار ، صار هذا الاختيار أشرف وأفضل من الاختيار المجبور فطرة <sup>(من)</sup> ، كالمكره فعله كسباً ، الممنوع عما لا يحب جبراً ، ومن لاشهوة له فلا يميل إلى المشتهي كيف يمدح عليه وإنما المدح - كل المدح - لمن زين له المشتهي ونهى النفس عن الهوى .  
فتبين ان اختيار البشر أفضل من اختيار الروحانيات .

والثاني نيابة عن الأنبياء ، وهو ان اختيار الأنبياء مع مائه من جنس اختيار البشر من وجه فهو متوجه إلى الخير ، مقصور على الصلاح الذي به نظام العالم وقوام الكل ، صادر عن الأمر ، صائر إليه لا يتطرق إلى اختياراتهم ميل إلى الفساد ، بل درجتهم ما يبتدر إلى الاوهام ، فإن العالي لا يريد أمراً لأجل السافل من حيث هو سافل بل إنما يختار ما يختار لنظام كلي وأمر أعلى من الجزئي .

ثم يتضمن ذلك حصول نظام في الجزئي تبعاً - لا مقصوداً - وهذا الاختيار والإرادة على جهة سنة الله تعالى في اختياره ومشيته للكائنات لأن مشيته كلية متعلقة بنظام الكل ، غير معلة بعلة ، واختيار الرسول المبعوث من جهة ينوب عن اختياره ، كما ان أمره ينوب عن أمره فيسلك سبل ربه ذللاً ، ثم يخرج من قبضة اختياره نظام حال وقوام أمر مختلف ألوانه ، فيه شفاء للناس .

ومن أين للروحانيات هذه المنزلة ؟ وكيف يصلون إلى هذه الدرجة ؟ كيف وكل ما يذكرونه هو وهم ، وكل ما ذكره <sup>(١)</sup> فمحقق بمشاهدة وعيان .

• • •

(١) المصدر : وكل ما يذكره النبي .

الوجه السابع إن الروحانيين متخصصون بالهياكل العلوية مثل زحل والمشتري وسائر الكواكب من السبعة ، وهذه السيارات كالأبدان والأشخاص بالنسبة إليها ، وكل ما يحدث من الموجودات ويعرض من الحوادث كلها مسببات هذه الأسباب وآثار هذه العلويات فيفيض على هذه العلويات من الروحانيات تصرفات وتحريكات إلى جهات الخير والنظام ، ويحصل من حركاتها واتصالاتها تركيبات وتأليفات في هذا العالم ويحدث في المركبات أحوالاً ومناسبات . فهم الأسباب الأول ، والكل مسبباتها ، والمسبب لا يساوي السبب ، والجسمانيون متشخصون بالأشخاص السفلية والمتشخص كيف بمائل الغير المتشخص <sup>مشخصون (اصل)</sup> .

وإنما يجب على الأشخاص في أفعالهم وحركاتهم اقتفاء آثار الروحانيات في أفعالها وحركاتها حتى يُراعى أحوال الهياكل وحركات أفلاكها زماناً ومكاناً ، وبخوراً وتعزيماً ، وتنجيماً ودعاءً وت حاجة خاصة بكل هيكل ، فيكون تقريباً إلى هيكل من الهياكل تقريباً إلى الروحاني الخاص به ، الموكل عليه ، ومنه تقريباً إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب حتى يقضي حاجته ويتم مسئلته .

أجابوا بأن قالوا : الآن نزلتم عن نيابة الروحانيات الصرفة إلى نيابة هياكلها وتركتهم مذهب الصبوة الصرفة ، فإن الهياكل أشخاص الروحانيين ، والأشخاص هياكل الربانيين ، غير إنكم أثبتتم لكل روحاني هيكلاً خاصاً ، له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره .

ونحن ثبت أشخاصاً ورسلاً كراماً تقع أوضاعهم وأشخاصهم في مقابلة كل الكون الروحاني والهياكل وحركاتهم في مقابلة حركات جميع الكواكب والأفلاك وشرائعهم مراعات حركات اسندت إلى تأييد الهي روحاني سماوي<sup>(١)</sup> ، موزونة بميزان العدل ، مقدرة على مقادير الكتاب الأول لبقوم الناس بالقسط ، ليست

مستخرجة بالآراء المظلمة ، ولا مستنبطة بالظنون الكاذبة. إن طابقتها على المعقولات تطابقتا ، وإن وافقتها المحسوسات توافقتا .

كيف - ونحن ندعي إن الدين الأول <sup>(١)</sup> هو الموجود الأول ، والكائنات تقدرت عليه ، وإن المناهج التقديرية هي الأقدم ، ثم المسالك الخلقية والسنن الطبيعية توجهت إليها ، والله تعالى سُنتان في خلقه وأمره ، والسنة الأمرية أقدم وأسبق من السنة الخلقية ، وقد اطلع خواص عباده على السنتين ﴿ وَأَنَّ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَخْوِيفًا ﴾ [٤٣/٣٥] - هذا من جهة الخلق - ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [٤٣/٣٥] - هذا من جهة الأمر - .

والأنبياء عليهم السلام متوسطون في تقرير سنة الأمر، والملائكة عليهم السلام متوسطون في تقرير سنة الخلق ، والأمر أشرف من الخلق ، فمتوسط الأمر أشرف من متوسط الخلق ، فالأنبياء أفضل من الملائكة .

وهذا عجيب ؛ حيث صارت الروحانيات الأمرية متوسطة في الخلق ، وصارت الأشخاص الخلقية متوسطين في الأمر ، ليعلم أن الشرف والكمال في التركيب لافي البساطة ، وأن اليد للجسماني لا للروحاني ، والتوجه إلى التراب أولى من التوجه إلى السماء ، والسجود لأدم من إبليس أفضل له من التسبيح والتفديس .

وليُعلم أن الكمال في إثبات الرجال - لافي تعيين الهياكل والظلال - وأنهم هم الآخرون وجوداً وعملاً، والسابقون فضلاً وعلماً ، وأن آخر العمل أول الفكرة ، وأن الفطرة لمن له الخمرة ، وأن المخلوق بيديه لا يكون كالمكون بحرفيه ، كما قال تعالى : وَعَزَّيْ وَجَلَالِي لَأَجْعَلَ مَنْ خَلَقْتُهُ بِيَدَيْ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ «كُنْ» فَكَانَ .

\*\*\*

الوجه الثامن : إنَّ الناس متماثلين في الحقيقة الإنسانية والبشرية ، ويشملهم

هذا متماثلون

(١) المصدر : الدين الإلهي

حدّ واحد وهو « الحيوان الناطق المائت » والنفوس والعقول متساوية في الجوهرية ، فحدّ النفس بالمعنى الذي يشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات إنه « كمال أول لجسم طبيعيّ آليّ ذي حيوة بالقوة » وبالمعنى الذي يشترك فيه الإنسان والملائكة « إنه جوهر غير جسم هو كمال أول لجسم له تحرك بالإختيار عن مبدئٍ نطقيّ عقليّ بالفعل أو بالقوة » . فالذي هو بالفعل خاصيّة النفس الملكيّة ، والذي هو [أ] بالفعل هو فصل النفس الإنسانيّة .

وأما العقل فقوة أو هيئة لهذه النفس ، مستعدّة لقبول ماهيات الأشياء ، مجردة عن الموادّ ، والناس في ذلك على استواء من القدم ، وإنما الاختلاف يرجع إلى أحد أمرين : أحدهما اضطراريّ - وذلك من جهة المزاج والاستعداد - والثاني اختياريّ ، من حيث الاجتهاد ، المؤثّر في رفع الحجب الماديّة وتصقيل النفس عن الصدا المانع لارتسام الصور العقليّة ، حتى لو بلغ الاجتهاد إلى غاية الكمال تساوت الأقدام ، وتشابهت الأحكام ، فلا يتفصل بشرٌّ على بشرٍ بالنبوة ، ولا يتحكّم أحدٌ على أحد بالاستتباع .

**أجابوا :** التماثل والنشابه في الصور البشرية لامرية <sup>(١)</sup> ، وإنما التنازع بيننا في النفوس والعقول قائمٌ ، فإنها عندنا على التضاد والترتيب .

وذلك إن النفس - كما حلّم من كلامكم أيضاً - لفظٌ مشترك يطلق تارة لمعنى بين الإنسان والحيوان ، وتارة لمعنى بين الإنسان والملك - على مساق حدودكم - فهلا زدتم قسماً ثالثاً - وهو النفس النبويّة - حتى يتميّز به عن الملكيّة ، كما يتميّز الملكيّ عن الإنسانيّ ؟ ! فإنّ عندكم المبدئ النطقيّ للإنسان بالقوة ، والمبدئ العقليّ للملك بالقوة <sup>(٢)</sup> ، فقد تغايرا من هذا الوجه ، ومن جهة إن الموت الطبيعي يطرد

(١) المصدر : مسلم لامرية فيه .

(٢) المصدر : للملك بالفعل .



على الإنسان ، ولا يطرء على الملك ، وذلك تمييز آخر . فليكن في النفس النبوية مثل هذا الترتيب .

وأما الكمال الذي تعرّضتم إنمّا يكون كمالاً للجسم المختار إذا كان اختيار المحرّك محموداً ، وأمّا إذا كان مذموماً من كلّ وجه صار الكمال نقصاً ، وبذلك يقع التضادّ بين النفس الخيرة والشريرة ، حتّى يكون إحداهما في جانب الملكية ، والأخرى في جانب الشيطنة ، فيحصل التضادّ المذكور ، كما حصل الترتيب المذكور . وأمّا ما ذكره المتكلّم الصابيّ من حدّ العقل « إنه قوّة أو هيئة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الأشياء مجردة عن الموادّ » فغير شامل لجميع العقول عنده ولا عند الحنيف ، بل تعرّض للعقل الهولاني دون سائر العقول - من العقل النظريّ ، والعمليّ ، وما بالملكة ، والذي هو بالفعل ، والذي هو المستفاد ، والذي هو الفعال للعلوم التفصيلية التي وجودها نفس معقوليتها ، ولاخلاف بينهم إن هذه العقول قد اختلفت حدودها وتباينت فصولها .

فأخبرني أيّها الحكيم - من أيّ عداد تعدّ عقلك أولاً ؟ هل ترضى أن يقال لك : « تساوت الأقدام في العقول حتّى يكون عقلك بالفعل والاستفادة ، كعقل غيرك بالقوّة والاستعداد ، بل واستعداد عقلك لقبول المعقولات كاستعداد عقل غيبيّ غويّ لا يردّ عليه برادّة ولا ينفكّ الخيال عن عقله ، كما ينفكّ (١) الحسن عن خياله .

وإذا كانت الأقدام متساوية فما هذا الترتيب في الأقسام ؟ وإذا ثبت ترتباً في العقول فبالحقيقة أن ترتقي في الصعود إلى درجة الاستقلال والإفادة ، وتنزل في الهبوط إلى درجة الاستعداد والاستفادة .



الوجه التاسع : قالت الصابئة : إذا أبطلتم تساوي العقول والنفوس بإثبات

(١) المصدر: كما لا ينفك .

الترتيب والتضاد فقد لزم الاتباع فأخبرونا مارتبة الأنبياء بالنسبة إلى نوع الإنسان ؟  
وماربتهم بالنسبة إلى الملك والجن وسائر الموجودات ؟

ثم مامرتبة النبي ﷺ عند الباري سبحانه ؟ فإن عندنا الروحانيات أعلى مرتبة  
من جميع الموجودات ، وهم المقربون في الحضرة الإلهية ، والمكرمون لديه .  
ونراكم تارة تقولون : « إن النبي ﷺ متعلم من الروحاني » ونراكم تارة تقولون :  
« إن الروحاني يتعلم من النبي ﷺ » ؟

أجابت الحنفاء بأن الكلام في المراتب صعب ، ومن لم يصل إلى رتبة كيف  
يمكنه أن يستوفي الكلام [في] أقسامها ، لكننا نعرف إن رتبة النبي ﷺ بالنسبة إلينا  
كربتتنا بالنسبة إلى من هو دوننا في الجنس - كالحيوانات - وكما إننا نعرف أسامي  
الموجودات ولا يعرفها الحيوانات ، كذلك هم يعرفون حقائق الأشياء ووجوه  
المصالح في الحركات وحدودها وأقسامها ، ونحن لانعرفها .

وكما إن النوع الإنساني يستخدم الحيوانات ويملكها بالتسخير فالأنبياء  
ملوك الناس بالتدبير ، وكما إن حركات الناس معجزات الحيوان كذلك حركات  
الأنبياء ﷺ معجزات الناس ، فالحيوانات لا يمكنها أن تبلغ إلى الحركات الفكرية  
حتى تميز الحق من الباطل ، ولا الحركات القولية حتى تميز الصدق من الكذب ،  
ولا الحركات الفعلية حتى تميز الخير من الشر .

فكذلك قياس حركات الأنبياء ﷺ لأن منتهى فكرهم لا غاية له وحركات  
أفكارهم في محال القدس مما تعجز عنها قوة البشر حتى يسلم لهم مع الله وقت لا يسعهم  
فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل .

وكذلك حركاتهم القولية والفعلية لا تبلغ إلى غاية انتظامها وجريانها على  
سبق الفطرة حركة كل البشر ، وهم في الرتبة العليا والدرجة الأولى من درجات  
الموجودات كلها ، قد أحاطوا علماً بما أعلمهم الرب تعالى على ذلك دون غيرهم

من الملائكة والروحانيين، ففي الأول يكون حالهم حال المتعلم ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدَ الْقُوَى﴾ [٥/٥٣] وفي الآخر حال التعليم، وذلك في حق آدم ﷺ : ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [٣٣/٢] حين كان الأمر على بدء الظهور والكشف، فانظر كيف يكون الحال في نهاية دور الظهور

وأما إضافتهم إلى جناب القدس فالعبودية الخالصة : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [٨١/٤٣] قالوا : « إنا عبادُ ربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم » أحق الأشياء لو أخص الأحوال بهم « عبده ورسوله » لاجرم كان أخص التعريفات بجلاله تعالى بأشخاصهم : إله إبراهيم . وإله إسماعيل وإسحق . وإله موسى وهرون . وإله عيسى . وإله محمد - صلى الله عليه وآله وعليهم .  
وكما إن من العبودية ما هو عام الإضافة ، ومنها ما هو خاص الإضافة كذلك التعريف إلى الخلق بالإلهية والربوبية ، والتجلي للعباد بالخصوصية ماله عموم ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومنه ماله خصوص ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ .

\* \* \*

فهذه نهاية مذهبي الصابئين والحنفاء في باب المفاضلة بين الملائكة والبشر، وفيها فوائد لاتحصى، ولهذا وقع في الرواية هذا التطويل ، وليعذرنا فيه أهل الدراية والتحصيل .

## فصل ١)

في أقوال علماء الإسلام القائلين بأن الملك أفضل من البشر

إعلم إن جماعة من أهل الشريعة كأكثر الأشاعرة موافقاً لمذهب أصحابنا

(١) هذا الفصل مأخوذ من تفسير الفخر الرازي (١/٤٣٠ إلى ٤٤٢) بإضافات من المؤلف .

الإمامية كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى، وأبي جعفر الطوسي - رضوان الله عليهم - احتجوا بأمر الله للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام على أنه أفضل منهم ، فذهبوا إلى أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة ، وقالت المعتزلة وأبو بكر الباقلاني من الأشاعرة وأبو عبد الله <sup>(١)</sup> الحليمي من فقهاءهم: « بل الملائكة العلوية أفضل » ولكل من الطائفتين وجوه من الاحتجاج والاستدلال نذكرها تلخيصاً وتهدياً .

\* \* \*

فحجة القائلين بأن الملائكة أفضل من وجوه :

الأول قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ إلى قوله : - ﴿ يَسْبَحُونَ أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُرُونَ ﴾ [٢١/١٩-٢٠] والاستدلال به من وجهين : أحدهما أن هذه العندية معلوم أنها ليست مكانية - لتعالیه سبحانه عن المكان والجهة - فيكون عندية شرفية ، ودنواً معنوية ، فعلم أن للملائكة هذا القرب والشرافة حاصل - دون غيرهم - .

وقد عورض هذا بقوله في صفة المؤمن بحسب الآخرة : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [٥٤/٥٥] وأما في الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى : « أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي » وهذا أكثر إشعاراً بالتعظيم ، لأن كون الله عند أحد أعظم إجلالاً من كونه عند الله .

وثانيهما إنه تعالى احتج بعدم استكبارهم على أن غيرهم وجب أن لا يستكبر وهذا الاستدلال إنما يتم إذا كانوا أفضل من البشر - كما لا يخفى .

ولأحد أن يقول : لانزاع في أن الملك أشد قوة وقدرة من البشر، ويكفي في صحة الاحتجاج هذا القدر من التفاوت ، إنما النزاع في الأفضلية بمعنى الشرافة والقرب أو كثرة المثوبات .

(١) الاصل : أبي عبد الله .

الثاني قالوا : عبادات الملائكة أشقّ من عبادات البشر، فيكونون أكثر ثواباً من البشر . أمّا الصغرى فلوجوه :

أحدها أنّ ميلهم إلى التمرد أشدّ ، لأنّ العبد السليم من الآفات، المستغني عن طلب الحاجات ، يكون أميل إلى التمتع والالتذاز من المنعم في الحاجات ، فيكون كالمضطرّ إلى عبادة مولاه والالتجاء إليه ولهذا قال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَا اللَّهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [٦٥/٢٩] .

ومعلوم إن الملائكة سكان السموات ، وهي جنان و بساتين ومواضع نزهة وهم آمنون من الفقر والحرص ، ثمّ إنهم مع ذلك أبدأ منذ خلقوا مشغولون بالعبادة خاشعون وجلون، كأنهم مسجونون ، لا يلتفتون إلى نعيم الجنان واللذات، بل مقبلون على الطاعات الشاقة ، موصوفون بالخوف الشديد ، والفرع العظيم ، وكأنه لا يقدر أحدٌ من بني آدم أن يبقى كذلك يوماً واحداً ، ويؤيده قصة آدم وحواء عليهما السلام ، وتناولهما لما نهاها عن أكله .

وأما الكبرى فلما ورد في الحديث عنه عليه السلام <sup>(١)</sup> : « أفضل الأعمال أحمرها » - أي أشقتها .

وثانيها إنّ انتقال المكلف من نوع عبادة إلى نوع آخر أروح له وأسهل عليه من الإدامة على عمل واحد ، ولهذا السبب جعل التصانيف مقسومة [ب] الأبواب والفصول ، وجعل كتاب الله مقسوم الأبواب بالسور والأعشار والأخماس <sup>(٢)</sup> ، ثمّ إن الملائكة كلّ منهم مواظبٌ على عمل واحد لا يعدل إلى غيره - كما مرّ - فعباداتهم في نهاية المشقة ، فيكون ثوابهم أفضل ، لما مرّ .

(١) النهاية لابن الأثير (حمز : ١/٤٤٠) : « في حديث ابن عباس : سئل رسول الله

(ص) : أي الأعمال أفضل ؟ فقال : أحمرها .

(٢) تفسير الفخر الرازي : وجعل كتاب الله مقسوماً بالسور والأحزاب والأعشار والأخماس .

ولقائل أن يقول على الوجهين : هب أن مشقتهم أكثر ، فلم قلتُم : « فيكون نوابهم أكثر ؟ » وذلك لأننا نرى بعض المتصوفة يتحملون من المشاق والمتاعب في طريق مجاهدتهم مانقطع بأن رسول الله ﷺ لم يتحمل شطر ذلك ، مع أننا نقطع بأن درجاتهم لا يبلغ جزءاً من ألف جزء من درجة النبي ﷺ . فعلم أن كثرة المشقة في العبادة لا تقتضي زيادة الثواب ، بل مبناها على الدواعي والقصود ، فعمل الفعل الواحد يأتي به المكلفان على السواء ، والثواب لأحدهما أعظم بكثير من الآخر ، لأن إخلاص أحدهما أشد .

على أننا لانسلم أن عبادات الملائكة أشق ، وما ذكرتم في بيانه « من أن السموات كالبساتين النزهة ، والمواضع الطيبة ، وأن أسباب التنعم إذا كانت كثيرة صعب تركها اشتغالاً بالعبادة » معارض بأن أسباب البلاء مجتمعة على البشر ، ومع ذلك لا يمنعون ذلك ، ويرضون بقضاء الله ويواظبون على العبادة ، وهذا أدخل في استحقاق الأجر والثواب .

وأما قولهم : « المواظبة على نوع واحد شاقة » معارض بأن الشيء إذا صار عادة صار كالأمر الطبيعي في نهاية السهولة ، وكان خلافه صعباً ، ولهذا قيل : « العادة كالطبيعة الثانية » ولذلك نهى النبي ﷺ<sup>(١)</sup> عن الوصال في الصوم ، وقال أفضل الصوم صوم داود عليه السلام ، وهو أن يصوم يوماً ويفطر يوماً .

أقول : العبادة والنسيح منهم كالغذاء والتنفس منا ليس يعود عليهم لأجل ذلك تعب ومشقة .

الثالث : قالوا : عبادات الملائكة أدوم ، فكانت أفضل : أما الأول فلقوله : ﴿ يَسْبَحُونَ آلِيلًا وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴾ [٢٠/٢١] وأما الثاني : فلأن الأدوم أشق ، والأشق أفضل - كما مرّ تقريره - .

(١) راجع وسائل الشيعة : كتاب الصوم ، باب تحريم صوم الوصال : ٣٨٧/٧ .



وفيه أيضاً ما سبق ، ولأنه قال ﷺ<sup>(١)</sup> : « أفضل العباد من طال عمره ، وحسن عمله » . وقال عليه وآله السلام<sup>(٢)</sup> : « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » وهذا يقتضي أن يكونوا في البشر كالنبي في الأمة . وذلك يوجب فضلهم على البشر .

ولقائل أن يجيب عنه بالنقض والحل :

أما النقص : فلأن كثيراً من الأنبياء ﷺ كانوا أطول عمراً من محمد ﷺ ، فلزم أن يكونوا أفضل منه ، وهو باطل بالاتفاق .

أما الحل : فلأن المراد من الحديث الأول إن العباد إذا كانوا متساويين في الإيمان والإخلاص وسائر ما ينوط بالعبودية ثم كان بعضهم أدام عبادة فكان أفضل ، دل عليه قوله : « وحسن عمله » .

ومن الثاني إن الشيخ في قومه إذا كان مثلهم أو أزيد منهم في رتبة العلم والعمل كان كذلك .

الرابع : إنهم أسبق السابقين في كل العبادات ، لاخصلة من الخصال إلا وهم أئمة متقدمون فيها ، وهم المنشؤون العامرون لمساجد الله ، والممهّدون لطرق الدين ، والسبقة في العبادة جهة تفضيل وتعظيم لقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [١٠/٥٦] وكذا التمهيد لها ، لقوله ﷺ<sup>(٣)</sup> : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » فهذا يقتضي أن يكون قد حصل للملائكة من الثواب كل ما حصل للأنبياء مع زيادة .

أقول : هذا الوجه قوي جداً ، ولهذا لم يذكر أحد جواباً عنه . والجواب كما يعرفه المحققون ويتحققه المكاشفون إن ذوات الأنبياء ﷺ بما لهم من الزلفى

(١) جاء ما يقرب منه في الترمذى : كتاب الزهد ، الباب ٢٢٥٢١ : ٥٦٥/٤ .

(٢) في الجامع الصغير (٤٣/٢) : الشيخ في أهله كالنبي في أمته .

(٣) راجع البحار : ١٠٤/٧٧ و ١٦٤ و ١١٧/٩٣ .

عند الله هي نتائج عبادات الملائكة وجزاء أعمالهم ، وغاية مساعدتهم العائدة إليهم ، والغاية أفضل من ذي الغاية كما ثبت في الحكمة الإلهية .

الخامس : إن الملائكة رسلُ الله إلى الأنبياء ﷺ ، والرسولُ أفضل من الأمة .  
 أمّا الأوّل فلقوله : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [٥/٥٣] وقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [١٩٤/٢٦] وأمّا الثاني فبالقياس على الأنبياء من البشر ، فإنهم أفضل من أممهم ، فكذا هي هنا .

ولقائل أن يقول : أفضلية الأنبياء على أممهم لانسلّم إنّها من جهة الرسالة وتبليغ الأمر، بل لِمَا عُلِمَ من حالهم وقربهم بما أبدوه من المعجزات والكرامات . بل ربما قيل : إنّ السائس للدواب خادِم لها من هذا الوجه ، والخادم - بما هو خادِمٌ - أنسى منزلة من مخدومه ، إلّا أنّ لخادم الدابة جهة إنساني في نفسه بها يكون فضيلته على الدابة ، فكذا حال النبي ﷺ مع الأمة ، قال ﷺ (١) : « تناكحوا تناسلوا ، فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة » .

السادس : الملائكة أتقى من البشر ، فوجب أن يكونوا أفضل منهم .  
 أمّا تفواهم ، فلا تُفهم مبرّون عن الزلات وعن الميل إليها ، وأمّا الأنبياء فإنهم وإن كانوا معصومين عن الكبائر - بل وعن الصغائر أيضاً كما ذهب إليه الإمامية - لكنهم لم يخلوا عن الميل إليها بحسب الطبيعة البشرية ، فثبت أنّ تقوى الملائكة أشدّ .

وأما كون الأنقى أفضل ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾ [١٣/٤٩] .

والجواب : لانسلّم إن تفواهم أشدّ ، وذلك لأن التقوى مشتقّ من الوقاية ، وكلّما كان الدواعي والشهوات أكثر كان التقوى عنها أشدّ، ولَمَّا كان المقتضى للمعصية

(١) كنز العمال (٢٧٦/١٦) : تناكحوا تكثروا فاني . . .

في حق البشر أكثر فكان تقوى المتقين منهم أكثر .

فإن قيل : لانسلم عدم الداعية فيهم أصلاً ، لكن لاشهوة لهم إلى الأكل والشرب والمباشرة ، ولهم شهوة التقدم والرياسة .

قلنا : هذا لا يضرنا - لأن هذه الشهوة مشتركة بين الفريقين ، وقد حصلت للبشر أنواع أخر من الشهوات الصارفة عن الطاعات ، كشهوة البطن والفرج وغيرهما فيكون فضيلة التقوى في البشر أشد وأقوى .

السابع : قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [١٧٢/٤] وجه الاستدلال به إن قوله : ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ مخرج التأكيد للأول ، ومثل هذا التأكيد إنما يكون بذكر الأفضل ، كما في قولك : « هذه الخشبة لا يقدر على حملها العشرة ، ولا المائة » وكذا في كثير من الأمثلة .

ولقائل أن يقول : هذه الآية إن دلّت فإنما تدلّ على فضل الملائكة المقربين على المسيح عليه السلام ، لا على من هو أفضل منه - وهو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وموسى وإبراهيم عليهم السلام - وبالجملة ، فلو ثبت إن المسيح أفضل من كل الأنبياء عليهم السلام كان مقصودهم حاصلًا ، وإلا فلم يحصل .

ثم نقول : قوله : ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ ﴾ ليس فيه إلا واو العطف التي لمطلق الجمعية ، والأمثلة الجزئية غير مفيدة في الدعوى الكلية ، على أنها معارضة بأمثلة أخرى ، كقولك : « ما أعانني على هذا الأمر زيد ولا عمرو » فهذا لا يفيد أفضلية عمرو من زيد .

سلمنا إنه يفيد التفاوت - أما إنّه من جميع الوجوه ، أو من جهة كثرة الثواب فغير مسلم . والسند إن النصرى لما شاهدوا من المسيح إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أخرجه من العبودية إلى المعبودية بسبب هذا القدر من القدرة ، فقال تعالى : إن عيسى لا يستنكف بسبب هذه القدر [ من القدرة ] <sup>(١)</sup> عن عبوديته ،

(١) الاضافة من تفسير الفخر الرازي .

بل ولا الذين هم فوقه في القوة والقدرة والبطش والاستيلاء على عوالم السموات والأرضين، فعلى هذا الوجه دلّت الآية على أنهم أفضل من البشر في القوة والشدة، - لافي كثرة الثواب كما هو المقصود .

وهيها وجهان آخران في الجواب :

أحدهما : إن الآية دلّت على أن مجموع الملائكة أفضل من المسيح عليه السلام - لا كل واحد .

وثانيهما : لعل خطاب الله كان مع أقوام اعتقدوا فضل الملك على البشر، فأورد الكلام على حسب معتقدهم، كما في قوله [تعالى]: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [٢٧/٣٠] الثامن : قوله تعالى حكاية عن إبليس : ﴿مَا نَهَيْتُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكَةً﴾ [٢٠/٧] وهذا وإن كان قول إبليس - وهو ليس بحجة - إلا إن آدم وحواء عليهما السلام لو لم يكونا معتقدين «إن الملك أفضل من البشر» لم يكن إبليس يفتريهما بذلك، ولا كانا اغترّا بذلك .

والجواب : أولاً إن آدم عليه السلام لم يكن نبياً حينئذ، فلم يثبت فضل الملائكة على الأنبياء من كونهم أنبياء .

وثانياً إن ما ذكر لا يدل على كون الملك أفضل عاقبة وأعظم مثوبة عند الله، بل أن لهم ضرراً من الفضيلة غير ذلك، ولا شبهة لاحد في أن لهم جهات فضل بالفعل على نوع البشر كالقوة، والقدرة، والحسن، والجمال، والصفاء، والنقاء من الكدورات المزاجية والأمراض والعاهات وغيرها، فلاجلها رغب آدم عليه السلام في أن يكون مثلهم في العاجل وإن كان أفضل منهم في الآجل .

التاسع : قوله تعالى : ﴿قُلْ لَأَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [٥٠/٦] لم يرد به نفي الصورة، إذ لا يفيد الغرض، وإنما نفي أن يكون له مثل ما لهم من الصفات الكمالية .

والجواب : إن الصديق حاصلٌ بنفي المماثلة في الصفات من كل الوجوه ،  
ولادلالة فيه على وقوع التفاوت بينهما في كل الصفات .

العاشر : قوله : ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [٣١/١٢] .

والجواب : إن المراد المشابهة في الصورة الظاهرة أو في المجموع من  
الصورة الحسنة والسيرة الكريمة ، ولا يلزم منه أن يكون المشبه به أقوى في الأخيرة ،  
سيما ما يكون بمعنى كثرة الثواب .

الحادي عشر : قوله تعالى : ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[٧٠/١٧] وظاهر إن ما عدا هذا الكثير المفضل عليه لا يمكن أن يكون إلا الملائكة ،  
لسقوط غير المكلف عن درجة الاعتبار ، وانحصار جنس المكلف في أربعة أنواع ،  
ولاشك إن الإنس أفضل من الجن والشياطين ، فلو كان أفضل من الملك أيضاً لكان  
أفضل من جميع المخلوقات ، وحينئذ لم يبق للتقييد بالكثير فائدة . فعلم إن الملك  
أفضل من البشر .

وأجيب عنه بجوابين : أحدهما أن في الكلام تمسكاً بدليل الخطاب ، وهو  
ضعيف لا يعول عليه في العقائد الكلية .

وثانيهما أنه لا يلزم منه إلا تفضيل الجنس على الجنس لا تفضيل الكل  
على الكل .

الثاني عشر : إن الأنبياء ﷺ ما استغفروا لأحد إلا بدؤوا بالاستغفار لأنفسهم ،

ثم للمؤمنين . قال آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ [٢٣/٧] وقال نوح :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ [٢٨/٧١] وقال إبراهيم :

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ [٤١/١٤] وقال موسى : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي ﴾

[١٥١/٧] وقال تعالى لمحمد ﷺ وعليهم وآلهم : ﴿ اسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [١٩/٤٧] .

أما الملائكة فلم يستغفروا إلا لغيرهم من المؤمنين ، كما حكى الله عنهم بقوله ﴿ فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَهَنَّمَ ﴾ [٧/٤٠] وقال : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٧/٤٠] ولو كانوا محتاجين إلى الاستغفار لبدؤوا أولاً لأنفسهم ثم لغيرهم ، لأن دفع الضرر عن النفس مقدم على دفعه عن الغير ، لقوله ﷺ (١) « إبدء بنفسك » فهذا يدل على أنهم أفضل من البشر .

والجواب - بعد تسليم دلالة عدم الاستغفار على عدم الزلّة - لانسلم إن التفاوت في ذلك مناط الأفضلية كما تقدم ، ومنهم من قال إن استغفارهم للبشر كالعذر لما طعنوا فيهم .

الثالث عشر : قوله [تعالى] : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ \* كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [١١-١٠/٨٢] وهذا عام للجميع ، فيدخل فيهم الأنبياء ﷺ وغيرهم . وجه دلالته على أفضليتهم بوجهين :

أحدهما : إن الحافظ للشيء يجب أن يكون أبعد من الخطأ والزلّة والمعصية من المحفوظ ، فيكون أفضل .

وثانيهما : إنه تعالى جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم في الطاعات والمعاصي ، فقولهم أقوى بالقبول من قول البشر ، فهذا يدل على أنهم أعظم قدراً .

وقد أجيب بمنع كلا الوجهين ، مسنداً بأن الملك قد يوكل بعض عبيده على حفظ ولده ، فلا يلزم أن يكون الحافظ أشرف من المحفوظ ، وبأن الشاهد قد يكون أدون حالا من المشهود له وعليه .

أقول : وكلا المنعين مكابرة في الأفاعيل الذاتية الطبيعية . قياساً على الأفاعيل الصناعية الكسبية .

الرابع عشر : قوله [تعالى] : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴾



[٣٨/٧٨] والمقصود من ذكر أحوالهم شرح عظمته تعالى يوم الآخرة ، ولو كان في المخلوق طائفة قيامهم وتضرعهم أقوى في ذلك من قيامهم لكان [ ذكرهم ] أولى . وأجيب بمثل ما مر من أن المزية لهم من بعض الوجوه لا ينافي المفضولية من جهة الشرف والثوبة .

الخامس عشر : قوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [٢٨٥/٢] بيّن إنه لا بد من صحة الايمان الإذعان بوجود هذه الأشياء ، ثم بدء بنفسه ، وثنى بالملائكة ، وثالث بالكتب ، وربيع بالرسول . وكذا في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ ﴾ الآية [١٨/٣] والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة .

وأجيب بأن هذه المحبة ضعيفة ، لأنها منقوضة بكثير من المواضع ، منها تقديم « سورة نبئت » على « سورة التوحيد » .  
السادس عشر : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [٥٦/٢٣] فجعل صلواتهم كالشريف للنبي ، فيكونون أشرف .

وأجيب بأنه منقوض بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ [٥٦/٢٣] .  
السابع عشر : يتكلم في المفاضلة بين جبرئيل ومحمد ﷺ ، فيدل على تفضيل جبرئيل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ \* وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [١٩/٨١-٢٢] .

وصف جبرئيل (عليه السلام) بستة أوصاف شريفة من أوصاف الكمال . ووصف محمداً ﷺ بصفة واحدة - هي عدم آفة الجنون - ولو كانا متساويين في الكمال لكان وصفه (عليه السلام) بهذه الصفة الواحدة بعد وصف جبرئيل بهذه الصفات خطأ لشأنه ، وتحقيراً لمنصبه ، وإبطالا لحقته ؛ وهو غير جائز عليه تعالى ، فدللت الآية على كون جبرئيل أفضل منه (عليه السلام) .

فإن قيل : لِمَ لا يجوز أن يكون تلك النعوت لمحمد ﷺ ؟  
 قلنا : لأن قوله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ﴾ يدفع هذا الإحتمال .  
 والجواب : إنكم توافقونا في أن لمحمد ﷺ فضائل أخرى لم تذكر في هذا  
 الموضوع ، فَلَِمَ لا يجوز أن يكون هو بتلك الفضائل أفضل من جبرئيل ؟ فإنه تعالى  
 كما وصف جبرئيل هيئنا بهذه الصفات الست وصف محمداً صلوات الله عليه وآله  
 بصفات ست في قوله : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ  
 وَسِرَاجاً مُنِيرًا﴾ [٤٦/٣٣] .

وبالجملة - فافراد أحد الشخصين بالوصف في مقام لا يدل على انتفاء تلك  
 الاوصاف عن الثاني .

الثامن عشر : المعلم أعلم من المتعلم ، والأعلم أفضل سيما في العلوم  
 المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وآياته ، كالعلم بأحوال العرش والكرسي ، والسموات  
 واللوح والقلم ، والجنة والنار ، وأصناف الملائكة والجن ، وأنواع الحيوانات  
 وغيرها .

ثم العلوم قسمان : قسم لا يعرف إلا بالوحي ، فهو لم يحصل لمحمد ﷺ إلا  
 من جهة الملك - سيما جبرئيل عليه السلام - فيستحيل أن يكون النبي ﷺ أفضل من  
 جبرئيل عليه السلام ، بل هو الواسطة بين الله وبينه ﷺ ، ولكونه عالماً بجميع الشرائع  
 الماضية والحاضرة : وعالماً أيضاً بسرائع الملائكة وأديانهم وسننهم فيكون أكثر  
 علماً ، فيكون أفضل ، لقوله تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾  
 . [٩/٣٩]

وقسم يمكن تحصيلها بالعقل ، فلا شك أيضاً إن جبرئيل عليه السلام أعرف فيها ،  
 لظول عمره وكثرة مشاهدته إياها ، فكان أفضل فيها .

والجواب : إن كون المعلم - من جهة كونه معلماً - أفضل من المتعلم وقت

التعليم - وإن كان مسلماً - لكن يجوز أن يصير المتعلم في مقام آخر، ووقت آخر أعلم وأفضل من المعلم .

ولا نسلم أيضاً أن الملائكة أعلم من البشر في معرفة الأشياء وخواصها ، بدليل استفادتهم علوم الأسماء من آدم عليه السلام ، كما في قوله تعالى ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ .

ثم إن سلّمنا مزيد علمهم - ولكن ذلك لا يقتضي كثرة الثواب ، لأن مبناه على الإخلاص في العمل ، ولانسلم أن إخلاص الملائكة أكثر .

**أقول :** إنكار أن يكون زيادة العلم المتعلق بأحوال المبدء والمعاد مقتضية لزيادة الشرف والثواب مكابرة صرفة ، فإن هذا النحو من العلم أينما تحقق فهو عين الشرف والثواب ، وكان الإخلاص من لوازمه الضرورية ، فلاحاجة إلى التقييد بها . والأولى في الجواب الإكتفاء بمنع كون الملائكة أكثر علماً فيما يتعلق بأحوال المبدء والمعاد من الأنبياء عليهم السلام .

التاسع عشر : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذُكِّرْ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [٢٩/٢١] دلّت الآية على أنهم بلغوا في الرتبة إلى أنهم لو خالفوا أمر الله لما خالفوه إلا بادعاء الإلهية - لا بشيء آخر من متابعة الشهوات - وذلك يدلّ على نهاية جلالته .

وأجيب بأن علو درجتهم في القوة والجلالة والتبرّي عن آفات الشهوة مسلّم ، لكن الخلاف معكم في كثرة الثواب .

العشرون : قول النبي صلى الله عليه وآله رواية عن الله تعالى <sup>(١)</sup> : « وإذا ذكّرني عبدٌ في ملاءٍ ذكرته في ملاءٍ خير من ملاءيه » وهذا يدلّ على أن الملائكة العلوية أشرف . وأجيب عنه بوجهين : أحدهما إنّه خبرٌ واحد لا يعول عليه في الأصول .

وثانيهما : إنّ هذا يدل على أن ملاء الملائكة أفضل من ملاء البشر ، وملاء البشر ومحشدهم عبارة عن مجمع العوام - لا الأنبياء - فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من عوام البشر كونهم أفضل من الأنبياء ﷺ .

أقول : هذا الخبر وإن كان احادياً ، إلاّ إنه مع انضمام سائر الأخبار والآيات يؤثر تأثيراً عظيماً في كون الملك أفضل من البشر .

وأيضاً مؤيدٌ بما ذكره الشيخ محي الدين الأعرابي في الفتوحات ، وهو عندنا من أهل المكاشفة :

« إنّي سألت رسول الله ﷺ عن ذلك في الواقعة ، فقال لي : إنّ الملائكة أفضل .

قلت : يا رسول الله - فإن سئلت : « ما الدليل على ذلك ؟ » فما أقول ؟

فأشار إليّ : « أن علمتم أنّي أفضل الناس ، وقد صحّ وثبت عندكم فهو صحيح أنّي قلت عن الله إنّّه قال : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خيري منهم » وكمّ ذاكر الله تعالى في ملاء أنا فيهم ، فذكره الله تعالى في ملاء خيري من ذلك الملاء الذي أنا فيهم .

فما سررت بشيء سروري بهذه المسئلة - انتهى .

ويعلم من كلامه تفضيل آحاد الملائكة على آحاد الأنبياء ، لا المجموع على المجموع فقط .

\* \* \*

فهذا آخر الكلام في الدلائل النقلية في ترجيح الملك وما فيها. وستسمع منا بيان التحقيق في هذه المسئلة ورجحان جانب الأنبياء ﷺ ، على معنى لا ينافي أمثال هذه الأخبار والآيات المذكورة .

## فصل ١)

في حجة القائلين بفضل الأنبياء عليهم السلام على الملائكة

وهي من وجوه :

أحدها - وهو العمدة - إن الله أمر الملائكة بالسجدة لآدم عليه السلام وثبت إته لم يكن كالقبة ، بل كانت السجدة في الحقيقة له ، وهي نهاية التواضع ، وتكليف الأشرف بنهاية التواضع للآدمي مستقبلاً في العقول ، فدل ذلك على أن آدم أفضل منهم .

وأجيب تارة بما قال بعض الناس - كما سبق - إن المراد من السجود هو التواضع - لا وضع الجبهة على الأرض -

وتارة - كما سبق أيضاً - بأن السجود منهم وإن كان بذلك المعنى لكنه كان لله ، لا لآدم . وكان آدم كالقبة للسجود .

وتارة بأن السجود - وإن كان لآدم - لكن مع ذلك لا يدل على كونه أفضل وأشرف منهم ، وذلك لأن الحكمة قد تقضي ذلك كسراً من عجب الأشرف وإظهاراً لانقياده وطاعته ، فإن للسلطان أن يعظم أقل عبيده ويأمر الأكابر بخدمته - إظهاراً [أ] لكونهم مطيعين له في كل الأمور، منقادين له في جميع الأحوال ، فلم لا يجوز أن يكون الأمر بهنا كذلك ؟

وتارة بما ذهب إليه أكثر المتكلمين من نفي الداعي وسلب التعليل في فعل الله وعدم الاعتراض عليه في خلق الكفر والضلالة في الإنسان ، وتعذيبه أبد الأباد ، فيجوز عليه تقديم المفضول وترجيح المرجوح ، وعلى هذا الأصل يبنى كثير من قواعدهم ، فليكن هذا من جملتها .

أقول : فيه مأمراً مراراً .

وثانيها إنَّ آدمَ عليه السلام كان أعلم ، والأعلم أفضل - وقد مرَّ بيانه .  
وأجيب بعدم تسليمه [ظ : تسليم] كونه أعلم منهم ، غاية الأمر إنه كان عالماً  
بتلك اللغات ، وهم ما علموها ، ولعلهم كانوا عالمين بسائر الأشياء مع إنه لم يكن  
عالمًا بها .

سلمنا إنه كان أعلم منهم - ولكن لِمَ لا يجوز أن يقال، إن طاعتهم أكثر إخلاصاً  
من طاعة آدم عليه السلام ، فلا جرم كان ثوابهم أكثر .

أقول : قد مرَّ إنَّ القول منشأ الجهل بمعنى الثواب والمنزلة عند الله ، فإنَّ  
جميع الخيرات والعبادات إذا لم يؤثر في تنوير القلب وإعداده لنور المعرفة بالله  
وآياته وأفعاله ، فهي من تفاريع العبث وشعب الرفث .

وثالثها إن الله تعالى جعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض ، والمراد منه الولاية ،  
لقوله تعالى : ﴿ يَا آدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾  
[٢٦/٣٨] ومعلوم إن أعلى الناس منصباً عند الملك من كان قائماً مقامه في الولاية  
والتصرف وخليفة له فدلَّ هذا على أن آدم أشرف الخلائق .

وهذا متأكد بقوله : وسخر لكم ما في البر والبحر <sup>(١)</sup> ، ثم أكد هذا التعميم  
بقوله : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [٢٩/٢] فبلغ آدم في منصب الخلافة في <sup>(٢)</sup>  
أعلى الدرجات .

فالدنيا خلقت متعة لبقائه ، والآخرة مملكة لجزائه ، وصارت الشياطين

(١) الظاهر إنه يشير إلى قوله تعالى و الله الذي سخر لكم البحر . . . [١٢/٤٥]  
و: وسخر لكم ما في الأرض [٦٥/٢٣] .

(٢) تفسير الفخر الرازي : إلى أعلى الدرجات .

[ ملعونين ] <sup>(١)</sup> بسبب التكبر عليه ، والجن رحيمته ، والملائكة في طاعته وسجوده والتواضع له ، ثم صار بعضهم حافظين له ولذريته ، وبعضهم منزلين لرزقه وبعضهم مستغفرين لزلزلاته . ثم إنّه تعالى يقول مع هذه المناصب الرفيعة ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [٣٥/٥٠] . فإذا لا غاية لهذا الكمال والجلال .

واجيب عنه بأنّ آدم إنّما جعل خليفة في الأرض ، فهذا يقتضي أن يكون أشرف ما في الأرض من الحيوان والنبات والجماد .

فإن قيل : فلم لم يجعل واحداً من الملائكة خليفة فيها ؟

قلنا : لوجوه : منها إنّ البشر لا يطبقون رؤية الملائكة . ومنها إنّ الجنس إلى الجنس أميل . ومنها إنّ الملائكة في نهاية الطهارة والعصمة والبرائة عن النقائص ، وهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿ وَكُوِّمْنَا لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَسَبَّحُوا لَهُمْ نهاراً وليلةً ﴾ [٢١/٢٠] .

ورابعها: قوله [تعالى] ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٣/٣] والعالم عبارة عن كلّ ما سواه كما تقدّم من أنه مشتق من العلم أو العلامة ، فمعنى الآية : « إن الله اصطفاهم على كل المخلوقات » والملائكة من المخلوقات : فكانوا أفضل من الملائكة .

واضترض بأنه منقوض بقوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [١٢٢/٢] فإنه يستلزم أن يكونوا أفضل من محمّد ﷺ .

وأجيب عنه بأنّ هذا الخطاب كان قبل وجوده ﷺ وجبريل كان موجوداً حينئذ ، فيلزم أن يكون قد اصطفاهم الله على الملائكة - دون محمّد ﷺ .

وأيضاً ، فهبّ إن تلك الآية قد دخلها التخصيص لقيام الدلالة ، وأما هي هنا

(١) الاضافة من تفسير الفخر الرازي .

فلا دليل يوجب ترك الظاهر ، فوجب إمضاؤها على ظاهرها في العموم .

وخامسها قوله [تعالى] : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [١٠٧/٢١]

والملائكة من جملة العالمين ، فكان ﷺ رحمة لهم فوجب أن يكون أفضل منهم .

وأجيب بأن كون محمد ﷺ رحمة لهم لا يلزم منه أن يكون أفضل منهم ، كما

في قوله : ﴿ فَأَنْظِرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [٥٠/٣٠]

ولا يمتنع أن يكون رحمة لهم من وجه ، وهم يكونون رحمة له من وجه .

وسادسها إن عبادة البشر أشق ، فوجب أن يكون أفضل .

بيان كون عبادتهم أشق لوجوه : منها كثرة الموانع لهم إلى الطاعات وكثرة

الدواعي والأشواق فيهم إلى المعاصي ، والفعل مع المعارض القوي أشد منه بدون

المعارض ، والمبتلى بكثرة الدواعي والشهوات يكون الطاعة عليه أشق .

ومنها إن شبهاتهم أكثر ، والحجج بينهم وبين المعبود أكثر ، فاحتاجوا إلى

الاستدلال والاجتهاد .

ومنها إن الشيطان مسلط على البشر بالوسوسة ، جارٍ في هروقهم مجرى الدم

ولا سبيل له إلى وسوسة الملائكة ، وذلك منشأ تفاوت عظيم في المشقة ، وإذا

ثبت ذلك فكانوا أكثر ثواباً من الملائكة ، لقوله ﷺ : «أفضل العبادات أحمرها»<sup>(١)</sup>.

وأجيب بما مرّ من أن ملاك الأمر في باب العبادة ومعظمه الإخلاص ، دون

المشقة ، لما نرى من كثرة المشقة في عبادات جهال المتصوفة ، ونسمع من رياضات

كفرة الهند وبعض الملاحدة مع أنا نعلم يقيناً إن منزلتهم خسيصة دينية .

وسابعها: إن الله تعالى خلق الملائكة عقولاً وخلق البهائم شهوات بلا عقول

وخلق الآدمي وجمع فيه الأمرين ، فصار الآدمي بسبب العقل فوق البهيمة بدرجة

لا حد لها ، فوجب أن يصير بسبب الشهوة دون الملائكة ، ثم وجدنا الآدمي إذا غلب



هواه عقله - حتى صار يعمل بهواه دون عقله - فإنه يصير دون البهائم ، فيجب أن يقال : إنه إذا غلب عقله هواه حتى صار لا يعمل شيئاً إلا بمتقضى عقله وبهداه - لا بمتقضى نفسه وهواه - أن يكون فوق الملائكة ، اعتباراً لأحد الطرفين بالآخر .

وأجيب بأن هذا جمعٌ بين الطرفين من غير جامع .

وثانيتها : إن الملائكة حفظة ، وبني آدم محفوظون . والمحفوظ أعزّ وأشرف من الحافظ فيجب أن يكون بنو آدم أشرف من الملائكة .

والجواب بالمنع من كلية هذه الدعوى ، فإن الأمير الكبير قد يكون موثقاً على المتهمين من الجنود .

وقاسعها : ما روي إن جبريل عليه السلام أخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى أركبه البراق ليلة المعراج ، ولما وصل إلى بعض المقامات تخلف عنه جبرئيل وقال :

« لودنوت أنملة لا احترقت » .  
 مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

وأجيب بأنه خبرٌ واحد .

وعاشرها : روي إنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن لي وزبرين في السماء » - وأشار إلى جبريل وميكائيل .

وأجيب بالمنع عن ثبوته وصحته .

## فصل ١)

في وجوه عقلية ذكرتها واعتمدت عليها الفلاسفة المتأخرون

المتفقون على أن الأرواح السماوية المسماة بالملائكة

أفضل من الأرواح الناطقة البشرية»

وأكثر تلك الوجوه مما مرّ ذكرها في وجوه الصابئة ، ونحن ذكروها مع

غيرها ، والجوابات المذكورة عنها ، زيادة في الاستيضاح وتميماً للاستبصار بها وبما فيها .

**فالأول :** إن الملائكة بسيطة الذوات مبرأة عن الشرور والآفات ، والبشر مركب عن النفس والبدن والنفس مركبة عن القوى الكثيرة ، والبدن مركب من الأجزاء والأعضاء والمركب معلول للبسيط ، وأسباب العدم له أكثر ، ولذلك كانت الفردانية من صفات الربوبية .

وعرض بأن المستجمع للروحاني والجسماني [ أفضل ] .

**والثاني :** إن الجواهر الروحانية مبرأة عن الشهوة والفضب اللذين هما منبع السفاد [ ظ : الفساد ] وسفك الدماء ، والخالي عن الشر مطلقاً أو البعيد عنه أفضل من المبتلى به .

**الثالث :** إنها بريئة عن طبيعة القوة والاستعداد ، لأن كلما كان ممكناً لها بحسب أنواعها المنحصرة في اشخاصها فقد خرج إلى الفعل والأنبياء ليسوا كذلك ، ولهذا قال ﷺ : «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة»<sup>(١)</sup> . ولاخفاء أن ما بالفعل التام الذي خرجت كمالاتها من القوة إلى الفعل أشرف مما بالقوة .

**الرابع :** إن الروحانيات أبدية الوجود، مبرأة عن التغير والفناء ، والنفوس البشرية ليست كذلك .

**الخامس :** إنها نورانية ، علوية ، لطيفة ، والنفوس العنصرية ظلمانية ، سفلية كثيفة . فأين أحدهما من الآخر .

**السادس :** الأرواح السماوية تفضل الأرضية بقوى العلم والعمل . أما العلم : فبالإتفاق على أن الأرواح السماوية يحيطون بالمغيبات ، ولأن علومهم فطرية كلية دائمة تامة ، وعلوم البشر بالصد من ذلك . وأما العمل ؛ فلقوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُونَ

(١) راجع بحار الانوار : ٢٧٦/٤٤ . والجامع الصغير : ١٠٤/١ .

أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لِيَفْتَرُونَ ﴿٢٠/٢١﴾ .

السابع : إن الروحانيات لها قوة على قلب الأقسام ، وقواهم ليست من القوى المزاجية حتى يعرضها الكلال واللغوب ، وإنك ترى الخاصة اللطيفة من النبات في بدو نموها تفتق الحجر ، وتشق الصخرة الصماء ، وما ذلك إلا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية ، فما ظنك بتلك الجواهر أنفسها .

والأرواح السفلية ليست كذلك ، وما يحكى من قوة الشياطين على الأمور الصعاب فممنوع . وإن سلم - فالأرواح العلوية أقدر، مع إنهم تصرفون قواها إلى مناظم العالم السفلي ، لا فيما هو شرُّ لهم .

الثامن : إن الملائكة لهم اختيارات فائضة عن أنوار جلال الله متوجهة إلى الخيرات ، واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل ، والخير والشر ، وإنما يتوجه بإعانة الملك - علي ماورد في الأخبار من أن لكل إنسان ملكاً يسدده ويهديه .

التاسع : إن الأفلاك كالأبدان والكواكب كالقلوب ، والملائكة كالأرواح ، فنسبة الأرواح إلى الأرواح كنسبة الأبدان إلى الأبدان ، وكما إن اختلافات أحوال الأفلاك مباديء لحصول الاختلافات في هذا العالم ، فيجب أن يكون أرواح العالم العلوي مستولية على أرواح العالم السفلي ، بل يكون عللاً ومبادي لها ، فهذه هي الآثار ، وهناك المنابع والمعادن ، فكيف يليق بالعقل ادعاء المساوات - فضلاً عن الزيادة ؟ !

العاشر : الروحانيات الفلكية مبادي لروحانيات هذا العالم ومعادنها ، منها نزلت ، فتوسخت بأوضاع الجسمانيات ، ثم تطهرت بالأخلاق الزكية ، وصعدت إلى عالمها ، ومصدر الشيء ومصعبه أشرف : منه المبدء ، وإليه المنتهى .

الحادي عشر : أليست الأنبياء لا ينطقون إلا عن الوحي ؟ أليست إن الملائكة

يعينونهم في المضائق ويهدونهم إلى المصالح - كما في قصة لوط ، وكيوم بذر  
وحنين ، وكما في قصة نوح من نجر السفينة - فمن أين لكم تفضيل الأنبياء ، مع  
افتقارهم إلى الملائكة في كل الأمور ؟

الثاني عشر : القسمة العقلية - بأن الأحياء إما خيرة محضة ، وهم الملائكة .  
أو شريرة محضة ، وهم الشياطين . أو خيرة من وجه شريرة من وجه ، وهم البشر -  
يحكم بأفضلية الملك .

وكذا التقسيم - بالناطق المائت ، وهو الإنسان . والناطق غير المائت ، وهو  
الملك . والمائت غير الناطق ، وهي البهائم - يرشد إلى أن الإنسان متوسطة الرتبة  
بين الكمال والنقصان . فالقول بأنه أفضل قلب القسمة العقلية ونزاع في ترتيب  
الوجود .

مركز تحقيق تراثنا في علوم الإسلام

وأما الجواب عن هذه الوجوه من جانب القائلين بتفضيل الأنبياء صلوات الله  
عليهم على الملائكة عليهم السلام :

فعورض الأول بأن المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي أن يكون أفضل  
مما له طرف الروحاني فقط . ولهذا جعل أبو البشر مسجوداً للملائكة .

ورّد الثاني بأن الخدمة مع كثرة الملائق أدلّ على الإخلاص .

وأيضاً من البيّن أن درجتهم حينما قالوا : ﴿ لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ أعلى  
منها حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ وما ذلك إلا بسبب  
الانكسار الحاصل من الزلّة ، وهذا في البشر أكثر . ولهذا قال عليه السلام حاكياً عن ربه :  
« أَنبِيَا الْمَدِينِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ زَجَلِ الْمَسْبُوحِينَ » .

ورّد الثالث بأن بعض الأمور فيها لعلها بالقوة ، ولهذا قيل : إن تحريكاتها  
للأفلاك لأجل استخراج التعلقات من القوة إلى الفعل ، كالتحريكات العارضة

لأرواحنا الحاملة لقوى الفكر والتخيُّل .

أقول : هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين ، المسماة عندهم بالعقول  
المجرّدة ، وإنما يجري في النفوس الفلكية .

والرابع بأنه لا قدِيم في الوجود إلا الله .

ولئن سلّم - إنها وإن كانت ممكنة الوجود فهي واجبة الوجود بمباديها -  
عورض بما عليه كثير من المحققين: إن النفوس البشرية أيضاً أزلية بمباديها ، وكانت  
كأظلال تحت العرش يسبّحون بحمد ربهم ، إلا أن المبدء الأول أمرها بالتزول  
إلى عالم الأجساد وشبكات المواد ، فلما تعلّقت بها استحکم إليها ، فبعث من تلك  
الظلال أشرفها وأكملها إلى هذا العالم ليحتال في تخليص تلك الأرواح عن هذه  
الشبكات ، وهذا هو المراد من « باب الحمامة المطوقة » من كتاب كليله ودمنة .  
والخامس بأن الشرف ليس بالمادة ، وإنما هو بالقرب من رب العالمين  
والانقياد له .

والسادس بأن المواظب على تناول الأغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى  
بالجوع ، فلا يكون لذّة الملائكة بالعلم والعمل كلذّة البشر، لعروض الفترات لهم في  
أكثر الأوقات بسبب العلائق الجسمانية ، والحجب الظلمانية ، فهذه المزية في اللذّة  
مما يختصّ به [ ظ : بها ] البشر ، ولذلك قالت الأطباء : إن الحرارة في حتمى الدقّ  
أشدّ منها في حتمى الغبّ<sup>(١)</sup> ، لكن الحرارة في الدقّ لما دامت واستقرّت بطل الشعور  
بها ، فهذه اللذّة لعلها ليست للملائكة لأجل الاستمرار ، ولا لغير الإنسان لعدم  
الاستعداد ، فكان الإنسان لها بالمرصاد .

وأجيب عن السابع بأنه لا مانع من أن يتفق نفسٌ ناطقة مستولية على الأجرام

(١) حتمى الدقّ ما يقول العامة لها : سخونة الرقيقة . وحتمى الغبّ التي تنوب يوماً

بعد يوم . (ناب نوب) .

المنصريّة بالتقليب والتصريف .

وعن الثامن بما يحتمل أن يقال : فيكون إذن أعمالهم أشقّ ، فيكون أجرهم وجزاءهم أعظم .

وعن التاسع بأنّ لا مؤثّر في الوجود إلّا الله عندنا .

أقول : القائلون بأنّ لا مؤثّر إلّا الله ، إمّا الأشاعرة النافين للعلّة والمعلول فلامعنى لهم ومعهم الخوض في المعقولات أصلاً ، وإمّا جماعة من المحققين ، القائلين بترتيب الوجود فهذا الجواب لا يضرّ، إذ المتقدّم في باب الاستفاضة للوجود خير من المتأخّر فيه .

وعن العاشر بأنّ هذا مبنيّ على عدم حشر الأجساد وبعثها في المعاد ، ودون ذلك خرطُ القناد .

وعن الحادي عشر بأنّ أولّ الفكر آخر العمل ، ولا يلزم من كون الشيء واسطة أفضليّته .

وعن الثاني عشر بأنّه كلام إقناعي ، وبما اعتمدوا عليه مراراً من أنّ الكلام في أكثرية الثواب .

فهذا تمام ما وجدناه من كلام الفريقين في هذا المقام ، ولنشر إلى طرف مما هدانا إليه بفضل ربّنا المفضل المنعم .

## فصل

في تحقيق الحقّ في كيميّة المفاضلة بين الملك والبشر

وبيانه متوقف على ذكر أصول :

الأول : إنّ أصول الموجودات هي الجواهر ، دون الأعراض . وأصول

الجواهر هي المجردات التي هي من عالم الأمر ، دون الماديات والجسمانيّات

التي هي من عالم الخلق . وأصول المجردات هي العقول المسماة بالأرواح الكلية ، دون النفوس ، سواء كانت سماوية أو أرضية . وأصول الأرواح الروح الكلي الذي لا واسطة بينه وبين الحق .

فهذه أصول الموجودات ، ولا موجود خارج عن هذه الأجناس وما يتفرع عليها .

**الأصل الثاني :** إن كل ما هو أقرب في سلسلة العلية والمعلولية إلى واجب الوجود فهو أشرف وأكرم ، لأن فيض الوجود الفائض منه تعالى على كل موجود يصل إليه أولاً ، ثم يمرّ عنه إلى ما هو أبعد منه ، فلا تصغ إلى قول من يقول : « إن الخسيس أكثر ثواباً من الشريف » بل إلى قول من يقول : « الخسيس يمكن أن ينتقل جوهره من الخسة إلى أن يصير أشرف من الشريف » .

**الأصل الثالث :** إن الإنسان وإن كان بحسب صورته البشرية نوعاً واحداً من جملة أنواع الحيوانات متفق الأشخاص في تمام حقيقتها النوعية ، إلا إنه بحسب قوته النفسانية المصوّرة بالصورة الباطنية الأخروية قابل لأن يصير أنواعاً كثيرة لحقائق متخالفة ، بعضها من جنس الملك ، وبعضها من جنس الشيطان ، وبعضها من جنس السبع ، وبعضها من جنس البهيمة ، وبعضها مما هو أسفل من البهيمة .

وبالجملة - مامن نوع من أنواع الموجودات - من أعلاها إلى أدناها - إلا ويمكن أن ينقلب إليه بعض الأشخاص الإنسانية ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [٧-٦/٩٨] .

**الأصل الرابع :** إن الموجودات كما هي مترتبة في سلسلة النزول الابداعي الصدوري من الأعلى فالأعلى ، إلى الأدنى فالأدنى - وهي المادة الجسمانية - كذلك مترتبة في سلسلة الصعود الإعدادي من الأدنى فالأدنى ، إلى الأعلى فالأعلى .

ففي سلسلة الابداع والإفاضة كل ما كان أقدم في الوجود فهو أشرف وأفضل  
وفي سلسلة التكوين والإعداد للغايات كل ما هو آخر فهو أشرف ، لأنّ الأكوان  
الإبداعية لكمال وجودها متفضلة راسحة بالخير الدائم على مادونها ، والأكوان  
الحادثة متوجهة في الاستفاضة للخير عمّا فوقها ، سالكة في طلب التمام والكمال  
إلى غاياتها .

وقد ثبت أنّ للأشياء الطبيعية غايات ، ولا يخلو موجود ناقص إلا وقد أودع  
الله فيه قوة طبيعية محرّكة ، أو شوقاً جبلياً يسلك به إلى طلب الكمال ، وتوصيله إلى  
الغاية والتمام . ولهذا جزم الحكماء الإلهيون بحربان نور العشق والشوق إليه تعالى  
في جميع الموجودات ، مامن موجود إلا وهو عاشق له ، أو مشتاق ساكن إليه أو  
سالك ، والله الباقي وكل شيء هالك .

واعلم إنّ هذه القشور الكثيفة وإن كانت خسيصة في الغاية شبيهة بالعدم لكن  
إعادة ترتيب الحدوث من هذه الحسيات الزائلة إلى العقليات الدائمة ليس بأصعب  
على من له الخلق والأمر من ابتدائه بالسياق عن العقليات الدائمة إلى الحسيات  
الدائرة ، وليس القشر المتكاثف - وإن تنهى في الإظلام والبرد - والكثافة بممتنع  
عن قبول الأثر عن الجوهر اللطيف .

بل الأرض - وإن تمكّنت بالاستفالة والاستقلال ، واشتدّت قوتها بمبالغ  
الإنزال ، فإنّها بتأثير قوة الشمس فيها واشراقها عليها تستجلب اللطافة ، وتصير مادة  
للغذاءات والأقوات ، منشأ لتوليد النبات .

ولو كان القشر المتكاثف ممتنعاً عودّه إلى اللطافة ، أو مصيرة مادة لتوليد  
اللباب فيه أو منه ، لما كان في جوهره وطبيعته قوة قابلة منفعة ، بل لم يكن القشور  
من الحبوب المزروعة ليصير قوتاً للحيوانات ، ولم يكن الثفل الكدر من الأشياء  
المأكولة ليصير مادة النبات .



الأصل الخامس : إن الإنسان يختص من بين الموجودات بأن له أن يتحرك وينقلب من أدنى الموجودات إلى أعلاها ، ويسلك من بعضها إلى بعض ، ويتبدل من طور إلى طور ، وهو في الحركة إلى الكمال أبعد مسافة ، وفي السلوك إلى المعاد والمرجع أعظم قوساً للرجوع ، وإن ابتداء حركته أدنى وأخس من ابتداء حركة غيره ، وانتهاء رجوعه أعلى وأرفع من انتهاء رجوع الكل .

فله أن يتصور أولاً بصورة خسيصة أدنى من كل خسيس ، ثم يأخذ في الاستحالة والانابة والرجوع ، ويتصور بصورة شريفة متعاقبة ، حتى يصير أشرف الشرائف ، وأحسن الحسنات ، وأفضل الممكنات ، وسبب ذلك ما ذكره الآن - وهو هذا :

الأصل السادس : إعلم إن منشأ انتقال الموجود من وجود أدنى إلى وجود أعلى انتقال بحسب انتقال الطباع والغريزة إنما هو ضعف الصورة ونقص المادة وعناية الفاعل . وقد مر إن جميع الموجودات كلها طالبة للكمال ، والذي يسكنها عن طلب كمال أعلى ويوقفها عنه تأكد مالها من الكمال بالفعل ، فإن غلبة ما بالفعل مما يبطل الاستعداد لاجل الذي هو بالقوة .

أو لا ترى أن أجرام كواكب الأفلاك لتامة صورتها لا يصير مادة لصورة أصلاً ، ولا عنصراً لمركب سماوي أو أرضي ، ولا أجساد السبع الشداد مما يقبل الانصداع ، والانفطار ، والانشقاق والافتراق إلا بعد انقضاء الدنيا وبوار العالم الأدنى ، وحشر الخلائق ، وانتقالها إلى النشأة الآخرة يوم طي السموات ، وانشقاق القمر ، وانطماس نور الشمس وتكويرها ونثر الكواكب وإظلامها - وذلك يوم آخر ليس من أيام الدنيا .

ولا - أيضاً - يصير واحد منها موضوعاً لأعراض مختلفة متضادة ، ولالصفات متبدلة مستحيلة ، إلا ما هو أضعف الأعراض من باب الوضع النسبي ، فلها قوة قبول أضعف الأعراض المادية ، لكون صورتها أقوى الصور الجرمية .

وإن أجرام العناصر لتصور صورتها الطبيعية تصير مادة لصور شيء أكمل من صورتها وموضوعة لأعراض قارة وكيفيات تشتد وتضعف فيحصل من موادها صور معدنية ونباتية وحيوانية .

ونوع الإنسان من جملة أنواع الحيوانات وإن كان متميزاً عن الكائنات بصورة حيوانية شريفة . إلا إنها أضعف الصور الحيوانية ، وأفراد البشر تكون ضعيفة الحيوانية في باب الحس والحركة ، لا يمكنها الاكتفاء في الملابس بإهاب طبيعي يحفظه عن الحر والبرد ، ولا في باب إصلاح المطاعم وإنضاجها بمطبخ طبيعي كالمعدة والكبد بل يحتاج في كل ذلك إلى معاون خارجي ، وهذا لضعف قواه الحيوانية ، كما قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [٢٨/٤] .

وهذا الضعف هو منشأ الانتقال والارتحال من حاله الأدنى إلى حال أعلى ، وبهذا يستعد لأن ينتقل من مقام الحيوانية الحسية إلى مقام الملكية العقلية وأنت لو تأملت في أحوال الموجودات لو وجدت الجميع إما واقفة في مقاماتها التي لها ، أو بطيئة في توجهها إلى نحو الغاية المطلوبة ، والسالك السريع الحركة نحوها منحصر في بعض أفراد الناس .

أما الملائكة المقربون ، فلاحاجة لها إلى الاستكمال والحركة نحو الكمال ، لأنهم دائمة القرب والوصول إلى معبودهم الأعلى - جل ذكره - .

وأما الملائكة السماوية فلكل منهم مقام في العبودية الدائمة ، لا باعث لهم في الخروج عما هم عليه ، لدوام إشرافاتهم المتوالية ، وقوة حالاتهم ووفور ابتهاجاتهم ولذاتهم ، كأحوال أهل الجنة في طبقاتهم ومنازلهم ومقاماتهم .

وأما الشياطين فلفوة ناريتهم ورسوخ أنانيتهم وحب رياستهم لم ينقادوا للعبودية والانكسار ، ولم يتغيروا عما فطروا عليه من الاستكبار والافتخار .

ويقرب من حالهم أحوال الجن ، وإن كان بعض منهم أحياناً مسلمين ، إلا

أنهم كلهم مخلوقون من النار ، والنار أقوى العناصر وأبعدها عن قبول التأثير .  
 وأما الجمادات التي ليست واقعة في حدود المادة الإنسانية ، فهي إما قوّة  
 الجمادية كالأحجار والبواقيت فلصلاقتها لا تنقلب إلى غيرها . وإما أن تكون ملائم  
 الجوهر لصورة أخرى ، لكنها مما قبلت صورة صلبة فوقت عندها ، فهي صعب  
 الانقلاب إلى غيرها وكذا الحكم في سائر النباتات والحيوانات .  
 وأما الإنسان الذي خلق لبلوغ النهاية فهي أبدأ في الحركة والرجوع والإجابة  
 والسلوك ، لكونه ما بين صرافة القوّة ومحوضة الفعلية .

والعجب أن الذين فضّلوا الملائكة على الإنسان - كالصابئة وغيرهم -  
 جعلوا اشمال الإنسان على القوّة والنقصان منشأ انحطاط درجته عن درجة الملائكة ،  
 وهذه الصفة بعينها تصير منشأ لأن يتفضل عليهم ويتجاوز عن مراتبهم .  
 الأصل السابع : إن كل ما يتعلق بالبدن - سواء كانت صورة أو نفساً حيوانية  
 أو إنسانية أو فلكية - فهي مصحوبة بالقوّة والاستعداد ، محتاجة إلى جوهر  
 عاقل يكملها ويخرجها من القوّة إلى الفعل ، وكمالها عبارة عن صيرورتها  
 عقلاً وعاقلاً بالفعل ، ومعقولاً بالفعل ، وكل ما صارت عقلاً بالفعل فيصير كل  
 الموجودات .

لأن كل موجود من شأنه أن يعقل فهي إما بتغير من جانب المعقول كالصور  
 المادية المعقولة بالقوّة ، المحتاجة في أن يصير معقولة بالفعل إلى مغير يغيّر  
 ومجرّد يجردّها وينتزعها من المادة . وإما بتغير من جانب العاقل إذا صار عاقلاً  
 بالقوّة ، فيحتاج إلى حركات فكرية يسافر من بعض الصور الخيالية إلى بعض ،  
 حتى ينتهي إلى العقولات الصريحة ، كالعقول القادسة وما فوقها .

فكل ما هو كامل بالفعل فلزمه أن لا يخلو عنه شيء من المعقولات ، بل يجب  
 أن يكون عقلاً بسيطاً هو صورة الكل في وحدة . ومثل هذا الموجود يجب أن

يكون مكملاً للنفوس .

ويجب أيضاً أن لا يكون المتعلق بالبدن سبباً قريباً لتكميل النفوس المستعدة  
إلى أعلى سبيل الإعداد والتعليم البشري ، دون الإفاضة والتكميل العقلي ، كالمعلم  
من البشر إذا حاول التعليم بعد نفس المتعلم لأن يقبل ما يلهمه المعلم العقلي الروحاني  
الذي هو عقلٌ بالفعل ، ويفيض عليه من عالم الغيب كماله الحقيقي .

ولو كان المتعلق بالبدن مادام كذلك سبباً مفيضاً على النفوس صوراً عقليةً لكان  
متساوي النسبة إلى الكل ، وكيف يكون من تعلق بيدين خاص وتعمل بتوسط آلاته  
وقواه ، متساوي النسبة إلى جميع الخلائق أجمعين - حاضرهم وغائبهم ، أولهم  
وآخرهم .

يَعْم - انتهاء النفوس الإنسانية يكون لامحالة إلى نفس شريفة هي أكملها  
وأقبلها للفيض العلوي العقلي ، ثم الإلهي ؛ بحيث يكون - وهي بعد في عالم البدن -  
صارت متجاوزة بحسب قوة انفعاله عن المبادي ، بل عن البادي عن حدود النفوس  
إلى حدود العقول ، بل إلى الطبقة العالية منهم - لا بما هي نفسٌ ، ولا حين ما هي  
في هذه الحياة الدنيا - بل من حيث المقام العقلي الذي ستقلب إليه بعد الخروج  
عن زيارة هذه المقابر الحسية .

وبالجملة - قد يكون من النفوس الإنسانية ما قد انقلبت باطنها إلى رتبة  
العقول صارت عقولاً بالفعل ، بمعنى أنها متى خرجت من قالب هذا الأدنى وصلت  
إلى مقامها الأعلى .

ومن هذه العقول الإنسانية ما هو أفضل الأفاضل ، ومقامه أعلى المقامات العقلية  
وقوته القدسية أشرف القوى القدسية ، يكاد زيت قوته القدسية يضيء بنور ربها  
ولو لم تمسه نار العقل الفعال ، فلما مسها صار نوراً على نور - يهدي الله لنوره  
من يشاء - كما قال جل اسمه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً \*

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ [٤٥/٤٦-٤٦].

الأصل الثامن : إن الموجودات الممكنة الصادرة عن الحق لا بد وأن يقع منها سلسلتان : سلسلة البدو والصدور ، وسلسلة العود والرجوع . ولا بد أن تكونا متكافئتان عكساً .

أما سلسلة البدو فمما لا شبهة في تحققها وحصولها عن المبدء على سنة الأمر والابداع ، لعدم الباعث على الإمساك والتعطيل ، واستحالة تحقق المضاد المدافع للجود ، المانع عن الخير والإفاضة ، فيصدر منه الأشرف فالأشرف ، فالترتيب المعنوي فيها يقتضي أن يكون كل ما هو أقرب إلى عالم الصور والقشور والأجسام فهو أبعد من الحقيقة الأحادية والهوية الصمدية ، لأن تلك الحقيقة حقيقة الحقائق ومعنى المعاني كلها .

فأول ما صدر منه ، أو تجلّى له ، أو ظهر فيه ، على اختلاف الاعتبارات والاصطلاحات - هي العين الواحدة المسمّى عند بعضهم بالعقل الأول، المعبر عنه بالحقيقة المحمدية ، والإسم الأعظم ، والعقل الكلي ، وعالم العقول .

ثمّ النفس الكلية ، وعالم النفوس المجردة المدركة للحقائق الكلية بالذات - أي بنور العقل الكلي - وللجزئيات بالألات - أي بأنوار الحواس . ثمّ النفس الخيالية المجردة عن الأجسام لاعتن الأجرام . ثمّ النفس المنطبعة المدركة للجزئيات بذاتها المثالية . ثمّ قواها المنطبعة . ثمّ النفوس النباتية من حيث حقائقها ونوعياتها الطبيعية ، ثمّ الجواهر المعدنية ، من تلك الحيثية . ثمّ الصور العنصرية . ثمّ الهولي التي هي أخسّ الجواهر وأدونها ، ومنها يتصاعد الوجود بعد تنزيلها الأقصى .

وأما سلسلة العود والرجوع إلى الكمال بعد الهبوط إلى أنزل المنازل والأحوال فوجودها أيضاً محقق لا شبهة [ فيه ] بناء على ما ذكرنا مراراً من أن التوجّه إلى الغايات في جبلة كل ناقص . وإن كل حادث من الحوادث كما لا بدّ فيه من فاعل ومادة

وصورة ، كذا لا بدّ لصورته من غاية ، والكلام في غايته كالكلام في نفسه ، فلغايته غاية أخرى .

ولا تتسلسل الغايات الذاتية إلى غير النهاية ، بل تنتهي إلى غاية لا غاية لها ، ويجوز في الغايات العرضية التعاقب الغير المنقطع إلى غاية أخيرة عند جمهور الفلاسفة ، كما يجوز ذلك عندهم في السوابق العرضية المسمّاة بالمعدّات .

ولكن كلامنا في الغاية الذاتية التي وجد الشيء لأجله ، وهي التي تقدمت على المعلول في التصوّر العلمي ، وتأخرت عنه في الوجود العيني عندما يقع المعلول تحت الحركة والكون ، أولم يكن التصوّر العلمي له عين وجوده العيني وأما فيما ارتفع وجوده عن عالم الحركات والانفعالات فالغاية له سابقة عليه علماً وعيناً .

فالموجودات الصورية ممّا يجب أن يترتب ترتباً ذاتياً ، رجوعياً غائباً على عكس الترتب الذاتي الابتدائي الفاعلي من الأدنى إلى الأعلى ، فالوجود الذي يتصاعد في الشرف يظهر أولاً في المعدن ، ثم في الحيوان ، ثم في الإنسان .

والصورة الإنسانية آخر المعاني الجسمانية وأول المعاني الروحانية ، كالبرزخ الجامع بين العالمين . وهي باب الله المؤتى منه إلى عالم القدس والرحمة . وهي آخر باب لسور حاجز بين النار والجنة ، وبعد مرتبة الإنسان البشري مراتب كثيرة في الصعود حتى يبلغ الوجود إلى النهاية .

واعلم [إن] النفوس الإنسانية كما إنّها تكون متفاوتة في النهاية ، كذلك كانت متفاوتة في البداية ، واختلافها من اختلاف معادنها الأصلية « الناسُ معادنٌ كمعادنِ الذهبِ والفضةِ » كما أخبر عنه سيّد الأنبياء عليه وآله وعليهم السلام والصلوة ، (١) وقد خلق الله في كل نفس معنى مخصوصاً ، وقوة محرّكة مخصوصة يجرّها إلى معادنها الأصلي ، ولا يقف بها دونه . قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢١﴾ [١٠٤/٢١] وقال أيضاً : ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ [٦٠/٢] وحركات الجوارح آثار تلك المعاني المنحركة التي أودعتها القدرة في النفوس إتماماً للحكمة وإظهاراً لكمال الرحمة ، فالنفوس التي لا تكون بينها وبين الأول تعالى واسطة تنجذب إلى جنابه طبعاً كأنجذاب إبرة من حديد إلى مغناطيس غير متناهي [القوة] . وقوله : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥٤/٥] كناية عن هذا الجذب والانجذاب ، كما أن قوله : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [٦٧/٩] كناية عن الطرد والدفع عن جناب القدس إلى جانب البعد .

وبالجملة نهاية كل واحد رجوعه إلى البداية ، وإلى هذا المعنى أشار العارف الرياني صاحب منازل السائرين ، عبدالله الأنصاري : «إلهي تطلقت لأوليائك فعرفوك ، ولولا تطلقت لأعدائك لما جحدوك» .

فحكم النفوس التي لم تكن بين مصدرها وبين الأول تعالى واسطة أن يعرفوها ويصلوا إليها راجعين راضين مرضيين . وأما النفوس التي بينها وبين الأول حجب العزة ووسائل القدرة فتحشرون إلى طبقات مختلفة المراتب في الصعود والهبوط ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [١٣٢/٦] وربما صارت بعض النفوس أبخس مما كانت في أول الأمر ، فيكون مرجعها إلى المهوي النازلة ، وليس هذا الموضع محل بيانه .

\*\*\*

فاذا تمهدت هذه الأصول فنقول : قد تبين وانكشف إن الإنسان يمكن أن يصير في آخر مقاماته أشرف من الملائكة ، إذ كما إن للملائكة طبقات متفاوتة في الوجود النزولي - وأشرفها طبقة الأرواح المهيمية التي هي باصطلاح الحكماء تسمى العقول الفعالة ، فكذلك للإنسان درجات متفاوتة في الصعود إلى الله ، وأشرفها وأكملها درجة الأرواح النبوية التي أيضاً عقول بالفعل ، وعند القيام إلى الله تعالى يكون فعالة للعلوم العقلية ، مكملة للنفوس ، شفعاء للخلائق إلى الله تعالى .

وكما إن أول الأرواح العقلية من لا واسطة في الشرف بينه وبين الله ، كذلك آخر الأرواح النبوية من لا واسطة بينه وبين الله ، كما قال ﷺ : « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » وهذا لا ينافي كون جبرئيل أو غيره من الملائكة معلماً له في بعض الأحوال ، لما علمت إن الإنسان ذو نشآت متفاوتة .

فجميع ما ذكره من الدلائل الدالة على تفضيل الملائكة على البشر حقٌ وصدق ، ولا ينافي كونه أشرف منهم في آخر أمره ، وحق المقام أن يقع المفاضلة بين الملك وبين آخر مقام الإنسان ، وأن يُعتبر مع كل صنف من الملك صنف من الناس الذين يكونون بإزائهم ، ويقعون في عالمهم .

وكما إن الملائكة أنواع كثيرة - بعضهم ملائكة العلوم ، وبعضهم ملائكة الأعمال . وملائكة الأعمال بعضهم ملائكة الجنة والرحمة ، وبعضهم ملائكة النار والعذاب كالزبانية - ولكل منهم منازل ومراحل كثيرة - فكذلك أصناف البشر بعضهم من أهل العلم والمعرفة والقرب ، وبعضهم من أهل العمل . فمنهم مطيعين ، وهم أصحاب الجنات . ومنهم عاصين ، وهم أهل النار . والكفرة بازاء أهل العلم مخلدة في الجحيم .

فإذا سئل عن التفاضل بين ملائكة الأعمال وأصحاب الأعمال من البشر فالفضل للملك ، لأنهم أقدر على الطاعات . وإذا سئل عن ملائكة العلوم وأهل الولاية والنبوة من البشر فالفضل للأنبياء والأولياء ﷺ لكونهم جمعوا بين العلم والعمل ، وكانوا متصفين بصفات الخلائق كلها ، منخلقين بأخلاق الله ، عارفين بجميع الأسماء ، لأنهم كانوا أولاً في عالم المحسوسات والجسمانيات ، ثم في عالم المتخيلات والمثاليات ثم في عالم الحقائق والمعقولات .

فلهم الجامعة الكبرى ، فاستحقوا للخلافة الإلهية مدة في عالم الأرض لقوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . ثم في عالم السماء « لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ » .



ثم في عالم الأسماء كاسم الله الأعظم الجامع لجميع الأسماء : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [٤/٨٠] قوله ﷺ : « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » (١) .  
وبالجملة - الإنسان الكامل الواصل إلى مقام الملك مساوٍ معه في الشرف والقرب ، لكنه أتمّ كمالاً من الملك باعتبار جمعيته واحتوائه على سائر المقامات ومروره عليها .

وأما ما ذكره العلامة القاشاني - صاحب الإصطلاحات - من « أن الملائكة المقربين باعتبار ارتفاع الوسائط بينهم وبين الله يكونون أشرف من الإنسان الكامل وهو أكمل منهم باعتبار الجامعة » فليس بجيد ، وذلك لما ثبت وتحقق عند المعبرين من الحكماء المتألهين وانكشف لدى أذواق العرفاء المكاشفين ، إن النفس الإنسانية إذا تجاوزت عن حدّ العقل الهولائي وما بالملكة وما بالفعل تتحد بالعقل الفعال ، وتصير هي هو بعينه في المقام الجمعي المسمّى عندهم بالعقل البسيط الفعال للعقول التفصيلية النفسانية .

وهذا الإتحاد بين العقل الإنساني والعقل الفعال في المقام الجمعي العقلاني لا ينافي امتيازه عنه بالعادات النفسانية ، والأخلاق والملكات الحسنة البشرية المكتسبة بواسطة تهذيب القوى وتكميل الذوات ، وتعديل الصفات .

ثم العجب إن العقل الفعال - مع كونه فاعلاً مقدماً مكملاً للنفس محيياً لها باذن الله بالحياة السرمدية - فهو بعينه غايةً أخيرةً مترتبة على استكمالها ، وثمره حاصلةً عن شجرة وجودها .

وهذا أمر عجيبٌ غريبٌ ؛ لكنه حقٌ لا مِرْيَةَ فيه لنا ، وهو مما ساقنا إليه البرهان ، وألهمنا به بفضل الله العظيم المنان .

فهذا ما حضرنا الآن في هذه المسئلة ، ولها زيادة تفصيل ذكرناها في تفسير آية

(١) في الاصل : « قوله (ص) : مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » خطأ .

النور<sup>(١)</sup> ، يظهر لمن أراد ذلك بالمراجعة إليه - والله أعلم .

## فصل<sup>٥</sup>

[ مسألة الجبر والتفويض في هذه الآية ]

استدل القاضي بهذه الآية على بطلان قول المجبرة من حيث إنها دالة أن الشيطان كان قادراً على السجدة ، ولم يسجد من غير عذر من وجوه :

أحدها قوله : ﴿أَبَى﴾ فإن من لم يقدر على شيء لا يقال له : «أباه» . والثاني قوله : ﴿أَسْتَكْبَرَ﴾ ولا يقال لمن لم يقدر على الفعل : «أنه استكبر» بل : «لم يفعل» . والثالث قوله : ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ولا يجوز إسناد الكفر إلى أحد من جهة أنه لم يفعل ما لم يقدر عليه . والرابع إن إياه واستكباره وكفره خلق من الله ، فهو بأن يكون معذوراً أولى من أن يكون مذموماً .

ثم قال : «من اعتقد مذهباً يقيم العذر لإبليس فهو خاسر الصفة» . وأجاب عنه صاحب التفسير الكبير بالمعارضة بقوله<sup>(٢)</sup> : «إن كان صدور ذلك الفعل عن قصد وداعية فمن أين حصل ذلك القصد ؟<sup>(٣)</sup> أوقع عن فاعل هو العبد أيضاً - بقصد آخر وهكذا فيتسلسل إلى لانهاية ، ويسد اثبات الصانع . وإن وقع عن فاعل هو الله فيعود عليك كل ما أوردته علينا -<sup>(٤)</sup> وإن قلت : وقع ذلك

(١) راجع تفسير آية النور: ٣٩٣ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ملخصاً : ٤٥٠/١ .

(٣-٣) في المصدر كذا : أوقع لاعتن فاعل ، أو عن فاعل هو العبد ، أو عن فاعل

هو الله ؟ فإن وقع لاعتن فاعل كيف يثبت الصانع ، وإن وقع عن العبد فوقع ذلك القصد

عنه إن كان عن قصد آخر فيلتزم التسلسل ، وإن كان لاعتن قصد فقد وقع الفعل لاعتن قصد

وستبطله ، وإن وقع عن فاعل هو الله فحينئذ يلزمك كل ما أوردته علينا .

الفعل عنه لاعن قصد ودواع فقد ترجّح الممكن من غير مرجّح ، وهو سدّ باب اثبات الصانع .

وأيضاً فإن كان كذلك كان وقوع ذلك الفعل إتفاقاً ، والإتفاق لا يكون في وسعه واختياره ، فكيف يؤمر به وينهى عنه ؟ » .

ثم قال : « فيا أيها القاضي - ما الفائدة بالتمسك بالأمر والنهي وتكثير الوجوه التي يرجع حاصلها إلى حرف واحد وهو « وقوع الأمر والنهي من الله على العبد » مع إن مثل هذا البرهان القاطع القالع خلفك يستأصل عروق كلامك ، ولو اجتمع الأولون والآخرون على هذا البرهان لما تخلصوا إلا بالتزام وقوع الممكن لاعن مرجّح - وحينئذ ينسدّ باب اثبات الصانع - أو بالتزام إنّه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد - وهو جوابنا » .

أقول : قد مرّ تحقيق هذا المقام مراراً على وجه لا يلزم عنه شيء من المفاسد ولا ينافي أصلاً من الأصول والمقاصد ، فلانعيد الكلام بذكره إذ المستقيم السلوك المهتدي بالنور يكفيه أقلّ من ذلك ، والغويّ المنحرف المطيع للسوهم لا ينتفع بالأكثر منه ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [٤٠/٢٤] .

## فصل

[ الكفر والايمن ، والأقوال في كفر إبليس ]

وأما قوله : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ فمعناه : كان كافراً في الأصل متظاهراً بصورة الأعمال الحسنة ، مترائباً بالطاعات الظاهرة في مجامع أهل الملكوت ، حتى أظهر الله ما كمن في باطنه على رؤوس الأشهاد من التمرد والإباء والعصيان ، والجحود والإنكار لأهل الله ، والظلمة والحسد والداد ، والتكبر والعناد ، كما هو دأب

متابعيه من أهل النفاق ، المغترين بلامع سراب الأعمال الظاهرة في ظلمات الهوى  
وتيه الجهالة والردى .

\* \* \*

واختلفت الفقهاء في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ على قولين :  
أحدهما : إن إبليس حين اشتغاله بالعبادة كان منافقاً ، كافراً . واستدلوا في  
تقرير هذا القول بدليلين مرّ ذكرهما في المفاتيح .

أحدهما ما نقل عن شارح الأناجيل الأربعة من شبهات إبليس السبعة ، على  
شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود . والثاني التمسك بقول أصحاب  
الموافاة ، وعليه أكثر أصحابنا الإمامية من أن الجمع بين الكفر والإيمان في شخص  
واحد مستحيل - ولو في زمانين - وذلك لأن أحدهما يوجب استحقاق الثواب الدائم  
والآخر يوجب استحقاق العقاب الدائم ، والجمع بين الثواب الدائم والعقاب  
[الدائم] محال ، فكذا الجمع بين الاستحقاقين معاً محال ، فطريان كل منهما إما أن  
يكون مزيلاً للآخر أو كاشفاً عن عدمه رأساً .

والأول باطل - لأن القول بالإحباط باطل - فبقي الثاني وهو المطلوب فإذا  
فرض كون واحد مؤمناً ، ثم ظهر منه الكفر بعد ذلك علم أن المفروض محال ، فإذا  
كانت الخاتمة لواحد على الكفر علمنا أنّ الصادر منه أولاً لم يكن إيماناً ، فهكذا  
الحال في إبليس .

\* \* \*

أقول : للباحث المتكلم أن يمنع إن مجرد الإيمان في أيّ وقت كان يوجب  
استحقاق الثواب الدائم ، بل بشرط أن يكون مستمراً عليه إلى خاتمة العمر . وكذا  
له أن يمنع أن مجرد الكفر يوجب ما ذكره ، إلا أن يكون استمرارياً أو ارتدادياً عن  
فطرة .

واعلم إنّه يمكن تصحيح ما ذهب إليه أصحاب الموافاة بوجه مناسب لمنهـب

الحكماء ، وهو إن الايمان الحقيقي ليس مجرد القول بالشهادتين ، بل عبارة عن اعتقادات مخصوصة يقينية، وعلومٌ حقةٌ برهانية او كشفية . وقد ثبت إن العلم الحاصل للنفس بالبرهان ليس يمكن الزوال عنها . فكل من تحلت نفسه بالايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل والشهداء فلا يمكن زوال ايمانه على التحقيق .

وكذا الكفر الحقيقي عند التحقيق ليس عبارة عن عدم التنطق بالايمان أو عدم الاعتقاد فقط ، أو خطور صورة باطلة بالبال مقابلة لأصل من الأصول . بل عبارة عن اعتقاد الشرك مع الرسوخ فيه والجحود لقول الحق وقول الرسول ﷺ وأئمة الدين ﷺ . وإلّا مجرد الجهل البسيط بأصول الايمان لا يوجب استحقاق العذاب الدائم ، بل يوجه الجهل المركب المشفوع بهيئة نفسانية وملكة ظلمانية يتأكد في النفس سداً بين يدي القلب ، وغشاوة على البصيرة .

فإذا تقرر ما ذكرناه ظهر لقول أصحاب الموافاة وجهٌ صحيحٌ وصورة علمية يستحسنها ذوق أرباب التحقيق .

\* \* \*

الثاني إن ابليس كان مؤمناً ، ثم طره عليه الكفر .

واعلم إن هذا القول مما يشكره العارف بآيات رحمة الله وآثار لطفه وعنايته ، ومما يسيء الظنَّ بربِّ العباد وحكمته وإحكام صنعه وإتقان فعله ، فإن تجويز أن أحداً كان مؤمناً مخلصاً لله في عبادته سنين متطاولة وأحقاباً كثيرة متمادية ، ثم تغير حاله وانصرف قلبه عما كان مستمرّاً عليه راسخاً فيه في تلك السنين والأحقاب المتطاولة بأدنى شيء - يستلزم أن لا يبقى لاحد اعتماداً على اليقينيّات ، ولا اعتقاد بشيء من الأصول المثمرة للسعادات ، فيكون كل أصل من الأصول اليقينية ممكن الزوال ، جائز الإضمحلال ، فيكون مدار الإعتقادات على الظنِّ والتخمين ، وبناء الأمور على البخت والاتفاق .

والحق ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٢٠/٩] ﴿ بَيَّنَّتْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [٢٧/١٤] ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [٦٢/٣٣] .

واعلم إنَّ الايمان الحقيقي صورةٌ في نفس المؤمن أحكم وأتقن من صورة الشمس والقمر ، وصورة سائر الأجرام الفلكية . بل لانسبة في الإحكام بين صورة المؤمن وصورة تلك الأجرام العظيمة الراسخة الشامخة ، لأن صورتها زائلة منكشفة النور يوم القيامة ، واهية يومئذ . وصورة المؤمن قائمة عند ربّه مشرقة ضاحكة مستبشرة أبد الأبدين ودهر الدهرين .

ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تفسير قوله : ﴿ وَكَانَ ﴾ فمنهم من قال : وكان في علم الله من الكافرين أي كان الله عالماً في الأزل إنه سيكفر . فصيغة « كان » باعتبار العلم ، لا باعتبار المعلوم مركز تحقيق كالمطور علوم إسلامي . ومنهم من قال : إنه بعد مضي كفره صدق عليه إنه كان من الكافرين في ذلك الوقت ، ومنى صدق المقيد ، صدق المطلق لأنه جزء المقيد ، فصدق عليه إنه كان من الكافرين .

ومنهم من قال : المراد من « كَانَ » معنى « صار » أي : صار بعد إباته عن الإتيان بالسجدة لآدم من الكافرين .

## فصل

[إبليس أول من كفر]

إن كلمة « من » في قوله : ﴿ مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾ للتبويض ، فظاهر الكلام يدل على وجود قوم آخرين من الكافرين قبل إبليس في ذلك الوقت ، ولهذا وقع الاختلاف في ذلك .

فمنهم مَنْ قال بأنه وُجد قبله جمع من الكافرين . ويؤيده ما روي عن أبي بريدة <sup>(١)</sup> إنه قال «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ فَقَالُوا : لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ . فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَارًا فَأَحْرَقْتَهُمْ . وَكَانَ إِبْلِيسُ مِنْ أَوْلَادِ الَّذِينَ أَبَوْا» .  
ومنهم مَنْ قال : معنى الآية إنه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك - وهو قول الأصم .

ومنهم مَنْ قال : إن هذا من باب إضافة فردٍ من أفراد الماهية إلى تلك الماهية ، وصحة هذه الإضافة لا تقتضي وجود تلك الماهية كما إن الحيوان الذي خلقه الله أولاً يصدق عليه إنه فردٌ من أفراد الحيوان - لا بمعنى إنه واحدٌ من الحيوانات الموجودة في خارج الذهن ، بل بمعنى إنه واحدٌ من أفراد هذه الحقيقة ، أعم من أن يكون الأفراد محققة أو مقدّرة .  
والحقّ عندنا إن إبليس أول من كفر بالله ؛ وأول من سنّ كل كفر وبدعة ومعصية وقعت في العالم أو سيقع إلى يوم القيامة ، وهذا رأي الأكثرين .  
ثم إنه هل هو أكفر الكفرة وأعد المناقين ، أم لا ؟ فيه تأمل .  
ثم على تقدير أنه أكفر الكفرة - هل هو أشد الكفار عذاباً يوم الآخرة ، أم لا ؟ فيه أيضاً موضع تأمل من ذي بصيرة .

### [ هل العاصي كافر؟ ]

واعلم إن المعصية عند أصحابنا الإمامية وعند المعتزلة والأشاعرة لا تُوجب الكفر ، وأما عند الخوارج : فكل معصية كفرٌ ، وهم تمسكوا بهذه الآية ، قالوا : إن الله كفر إبليس بتلك المعصية الواحدة ، فدلّ على أن كل معصية كفرٌ .

(١) في تفسير الفخر الرازي (٤٥٢/١) : « عن أبي هريرة » . ونسب الطبري هذا

القول إلى ابن عباس (تفسير الطبري : ١٨٠/١) .

وهذا الاستدلال في غاية الضعف . إذ على تقدير أن يكون منشأ كفره تلك المعصية لا يثبت به مطلوبهم ؛ لأنه ربما كان لبعض المعاصي خصوصية لا توجد في غيره .

على أننا نقول : إنما كفر لاستباحه أمر الله إياه بالسجود لآدم ، ولاستكباره واعتقاده كونه محققاً في ذلك التمرد لأنه أفضل منه - والأفضل لا يحسن أن يكون مأموراً بالتخضع للمفضول والتوسل - واستبداده برأيه واستدلاله على ذلك بقوله : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ جواباً لقوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [٧٥/٣٨] وعمله بقياسه المغالطي - المختل الأصل والفرع - في مقابلة النص .

ثم على القول بأنه « كان كافراً من أول الأمر ، منافقاً حين اشتغاله بالعبادة » هذا الاستدلال ساقط رأساً .

\* \* \*

واعلم إن من فوائد هذه الآية استباح الاستكبار، وأنه قد يُفسي بصاحبه إلى الكفر ، وكونه علامة لظلمة كامنة في النفس باعثة على الفرقة والإنانية .

والحث على الطاعة والایتمار - وإن لم يعلم سر الأمر - وترك الخوض في البحث .

وأن الأمر يكون للوجوب .

وأن الذي علم الله من حاله إنه يتوقى على الكفر هو الكافر على الحقيقة - لأن علم الله بالأشياء هو عين حقائقها - لأن العبرة بالخواتيم ، وإن كان يحكم الحال مؤمناً . وهو الموافاة المنسوبة إلى أصحابنا رضوان الله عليهم .



## فصل

في أن المأمورين بسجدة آدم عليه السلام هل كانوا  
جميع الملائكة ، أم بعضهم ؟

فالأكثر على الأول ، واستدلوا بوجهين :

الأول : صيغة الجمع المحلى بلام التعريف تفيد العموم ، سيما وقد قورنت  
بأبلغ تأكيد في قوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ .

والثاني : وجود الاستثناء من الجمع دال على أن ماعدا المستثنى كان داخلا  
في الحكم . وقوله : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ دل على أن الملائكة كلهم سجدوا لآدم ، فدل  
على أنهم كلهم كانوا مأمورين بالسجود .

ومن الناس من أنكز ذلك وقال : «المأمورون بالسجدة هم ملائكة الأرض»  
واستعظموا لأن يكون أكابر الملائكة مأمورين بسجدة آدم .

والمشهور من آراء الباحثين من الحكماء مثل هذا ، لأن الملائكة السماوية -  
وهي الجواهر الروحانية المحركة للأجرام العالية عندهم - يستحيل على أصولهم  
أن تكون منقادة للنفوس الناطقة الأرضية ، ولهذا ذهب أكثرهم على أن المراد من  
الملائكة المأمورين بسجدة آدم هي القوى البشرية ، المطيعة للنفوس الناطقة ، الخادمة  
إياها طبعاً .

أو يكون المراد منها النفوس الحيوانية والنباتية المنقادة للإنسان حيث سخرها  
الله له بما اعطاه من قوة تسخيرها إياها وتصرفه فيها لمصالح معاشه ومعاده ، وإليه  
ذهب صاحب إخوان الصفا (١) .

• • •

(١) راجع رسائل إخوان الصفا : الرسالة الثامنة من العلوم الناموسية : ٢٢٩/٤ .  
والرسالة السادسة من الجسمانيات : ١٤٨/٢ .

والحق إن الأمور بالسجود والانقياد لآدم جميع الملائكة السماوية والأرضية كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ إلا إن الملائكة الأرضية في وقت ومقام ، والملائكة السماوية في وقت ومقام آخر . فإن للإنسان درجات ومقامات بحسب سيره إلى الله .

فما دام كونه في مقام النفسية وعدم عروجه إلى عالم القدس العقلي فلامعنى لكون أكابر الملائكة - وهم المحرّكون للأجرام السماوية - مطبوعة له ، لأنهم إنما يطيعون أمر الله وعالم الأمر، ويلتمسون الأنوار العقلية ويتشوقون إلى الإتصال بالملائكة الأعلى ، وهم القاعدون في صوامع الجبروت ومصافح الربوبية ومجامع الإلهية .  
وأما إذا خرج عن مقام النسبية إلى مقام العقلية الصرفة ، وخلص عن التلونات والتغيرات إلى المرجع والمآب ، واستقر في مقعد من مقاعد الأنس والرحمة ، منخرطاً في سلك المقرّبين المهيمين ، فتعيّن بطبع له ملائكة السماء طاعتهم للملائكة الأعلى لأنه صار معهم في مقام الوحدة الجمعية والسعادة الكبرى والبهجة العظمى التي يكلّ اللسان عن وصفها ، ويضيق الأسماع والأذهان عن سماعها وفهمها .

وأما الملائكة المهيمون - وهم الذين لاتعلّق لهم بعالم الأجسام لاستغراقهم بمشاهدة جمال الأحديّة - فظاهراً إنهم خارجون عن أمر السجدة لغير الله والانقياد لِماسواه ، ولا يشكل هذا بعموم قوله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ لأن إطلاق الملائكة بناء على أنه مشتق من «الألوكة» بمعنى الرسالة - كما مرّ - إنما شاع على من له رسالة من الله إلى خلقه ، والأرواح المهيمّة مقامهم فوق ذلك . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿إِسْتَكْبَرَتْ أُمُّ كَنْتَ مِنْ أَعْلَٰئِنَ﴾ أي الملائكة المرتفعين عن الإلتفات بهذا العالم مطلقاً - والله أعلم بأسرار خلقه وآثار أمره .

قوله جلّ اسمه :

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ  
وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا  
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾

[ مقامات الإنسان ]

اعلم إنّ للإنسان الكامل درجات ومقامات في بدايات أحواله ومباهدي وجوده ؛  
كما إنّ له درجات ومقامات في نهايات أموره وعوائد بقاءه .

فأول مقاماته في البداية كونه مقدراً في علم الله وفيضه الأقدس أن يكون  
خليقة لله في الأرض ؛ وهو مقام عينه الثابت الذي قيل : « إنه غير مجعول » وهو مقام  
أخذ الميثاق .

ثمّ مقام مسجوديته للملائكة ؛ وذلك في جنة الأرواح وعالم القدس ، وفيه  
صوّر الأسماء الإلهية كلّها .

والمقام الثالث هو أول تعلق روحه بالبدن في عالم السماء بعد عالم الأسماء  
بواسطة لطيفة حيوانية متوسطة بين الروح العقلاني وهذا البدن الكثيف الظلماني .  
والإنسان بواسطة تلك اللطيفة الحيوانية التي تكون على صورته في عالم الأشباح له  
أن يدخل دار الحيوان وجنة الأبدان ، فقوله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ  
الْجَنَّةَ ﴾ إشارة إلى هذا المقام .

والمقام الرابع هو مرتبة هبوطه إلى عالم الأرض وتعلقه بهذا البدن الكثيف الظلماني ، المركب من الأضداد ، المنشأ للعداوة والفساد والحسد والعناد ، المحجوب عن عالم المعاد ، وهذا غاية النزول عن الفطرة الأصلية .

ثم يقع بعد ذلك الرجوع إلى الفطرة ، والعود إلى المبدء بالسير الرجوعي على عكس السير النزولي ، وبالخلاص من هذه القيود ، والتبري عن هذا الوجود ، ورزء الأمانات إلى أهلها ، والخروج عن كلّ حول وقوة إلى حول الله وقوته ، ففي هذا الرجوع أيضاً مقامات ودرجات كما هو مذكور في أحوال الآخرة .

[ جنة آدم هي الجنة الموعودة ، أم غيرها ؟ ]

واختلفوا في أن الجنة التي خرج منها آدم وزوجته هي بعينها الجنة الموعودة ودار الثواب وجنة المخلد ؟ أم هي جنة أخرى غيرها ؟

قال بعضُ العرفاء<sup>(١)</sup> : الجنة<sup>(٢)</sup> التي تكون الأرواح فيه (ظ : فيها) بعد المفارقة من النشأة الدنياوية غير التي بين الأرواح المجردة [ وبين الأجسام ] ، لأنّ تنزلات الوجود ومعارجه دورية . والمرتبة التي قبل النشأة الدنياوية هي [ من ] مراتب التنزلات ولها الأولية ، والتي بعدها من مراتب المعارج [ولها] الآخرة<sup>(٣)</sup> .

وابيضاً الصور التي تلحق الأرواح في البرزخ الأخير إتمامي صور الأعمال ونتيجة الأفعال السابقة في النشأة الدنياوية - بخلاف صور الجنة الأولى<sup>(٤)</sup> فلا يكون كلٌّ منهما عين الآخر . لكنهما تشتركان في كونهما عالماً حيوانياً وجوهراً نورانياً غير

(١) القيصري في مقدمة شرحه لفصوص الحكم ، الفصل السادس بتصرفات .

(٢) المصدر : البرزخ الذي يكون ...

(٣) المصدر : الآخرة .

(٤) المصدر : بخلاف صور البرزخ الأول .

متعلق الوجود بالمادة الظلمانية ، مشتملاً على أمثلة مافي العالم .  
وقد صرح صاحب الفتوحات المكية<sup>(١)</sup> في الباب الحادي والعشرين وثلاثمائة  
من كتابه بأن هذا البرزخ غير الأول . ويسمى الأول بالغيب الإمكانى . والثاني بالغيب  
المحالى . لإمكان ظهور مافي الأول في الشهادة وامتناع رجوع مافي الثاني إليها  
إلا في الآخرة .

وقليلٌ من يكاشفه بخلاف الأول . ولذلك يشاهد كبراً وثناً<sup>(٢)</sup> ويكاشف البرزخ  
الأول ، فيعلم ما يريد أن يقع في العالم الدنياوي من الحوادث ، ولا يقدر على  
مكاشفة أحوال الموتى - انتهى .

واحتجوا على المغالرة بينهما أيضاً بوجوه :

أحدها : إن هذه الجنة لو كانت هي دار الثواب لكانت جنة الخلد وكان من  
دخلها لم يخرج منها ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [٤٨/١٥] وقد خرج  
آدمُ وزوجته منها ، فليسيت هي بجنة الخلد .

أقول : هذا ضعيفٌ لأن ذلك إنما يكون إذا استقر أهل الجنة فيها للجزاء  
والثواب والوصول إلى الغاية والنهاية ، فأما قبل ذلك فإن كل شيء هالكٌ إلا وجهه .

الثاني : إن آدم لو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من إبليس بقوله :  
﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ [١٢٠/٢٠] ولما سمع قوله ﴿ مَا تَهَاكُمَا  
رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ [٢٠/٧] .

أقول : استحالة ذلك في بداية الأمر وقبل خروج النفس من القوة إلى  
الفعل ممنوعٌ ، فإن الإنسان مالم يقع في دار التكليف والابتلاء فهو بعد سريع  
القبول للوقائع .

(١) الفتوحات المكية : ٧٨/٣ .

(٢) المصدر : كثير منا .

(٣) راجع تفسير الفخر الرازي : ٤٥٤/١ .

الثالث إن إبليس لما امتنع من السجود لعين ، فما كان يقدر مع غضب الله عليه على أن يصل إلى جنة الخلد .

أقول : كما استحال عقلاً أن يدخل إبليس بعد طرده ولعنه الجنة الآخرة ، كذلك استحال دخوله في الجنة السابقة ، إلا إن العلماء ذكروا كيفية دخوله إنه على سبيل الاختلاس والاجتياز في أوقات قليلة نادرة ، كسارق يريد أن يدخل دار السلاطين ويختطف منها شيئاً ، ولذا قالوا : ويجوز أن يكون وسوسة إبليس من خارج الجنة من حيث يستمعان كلامه .

الرابع : إن الجنة التي هي دار الثواب لا يفني نعيمها ، لقوله تعالى ﴿ أَكَلَهَا دَائِمٌ ﴾ [٣٥/١٣] وقوله : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ ﴾ [١٠٨/١١] أي غير مقطوع [فهذه الجنة لو كانت هي التي دخلها آدم] <sup>(١)</sup> فلم يخرج منها آدم وزوجته - لكنهما قد خرجا منها .

أقول : هذا كالوجه الأول ويرد عليه شبه مأمّر ، والتحقيق الذي عليه التعويل إن الدارين واحدة بالذات ، متفائرة بالاعتبار ، وكذا جميع بدايات المقامات ، بالقياس إلى نظائرها من النهايات ، فعليه يُحمل أقوال أهل المعرفة واختلافهم .

وأما أهل النكرة والحجاب ، فمنهم من قال : إن هذه الجنة التي خرج منها آدم كانت في الأرض - لافي السماء - وهو قول أبي القاسم البلخي ، وأبو مسلم الإصفهاني ، وبه قال بعض أصحابنا ، فحملوا الإهباط على الانتقال من بقعة ، إلى بقعة كما في قوله : ﴿ اقْبِطُوا بِمِصْرًا ﴾ [٦١/٢] .

وربما عيّن وقيل : « إنّه بُسْتَانٌ كَانَ بَأَرْضِ فِلَسْطِينَ . أَوْ بَيْنَ فَارِسٍ وَكِرْمَانَ - خَلَقَهَا اللَّهُ امْتِحَانًا لِأَدَمَ » وحمل الإهباط على الانتقال منه إلى أرض الهند .

واستدل على ذلك بأنه لانزاع في أن الله خلق آدم <sup>عليه السلام</sup> في الأرض ، ولم

يذكر في هذه القصة إنه نقله إلى السماء ولو كان تعالى قد نقله إلى السماء لكان [ذلك] أولى [بالذكر] لأن نقله من الأرض إلى السماء من أعظم النعم ، فدل على أن ذلك لم يحصل وذلك يوجب أن المراد من الجنة التي قال الله : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ليست في غير الدنيا .

ومنهم من قال : إن تلك الجنة كانت في السماء السابعة . والدليل عليه قوله : ﴿ اهْبِطُوا ﴾ وهو قول الجبائي . قالوا : « إن الإهباط الأول كان من السماء السابعة إلى السماء الأولى . والإهباط الثاني كان من السماء إلى الأرض » .

ومنهم من قال : إن هذه الجنة هي دار الثواب ، بدليل إن الألف واللام في لفظ الجنة لا يفيدان العموم ، لأن سكون جميع الجنان محال . فلا بد من صرفهما إلى المعهود السابق إلى الفهم . والجنة التي هي المعهود المعلوم بين المسلمين هي دار الثواب ، فوجب صرف اللفظ إليها وهو قول المفسرين ، والحسن البصري ، وعمرو ابن عبيدة ، وواصل بن عطاء وكثير من المعتزلة ، وأصحاب أبي الحسن الأشعري . وهو المختار عند الإمام الرازي في تفسيره الكبير <sup>(١)</sup> .

ومنهم من قال : إن الكل ممكن ، والأدلة الثقلية ضعيفة ، ومع ضعفها متعارضة فوجب التوقف وترك القطع .

## فصل

### في تعيين الوقت الذي خلقت زوجة آدم (ع)

لا شبهة لأحد في أن ذلك كان بعد أن كرمه الله تعالى بكرامة تعليم الأسماء وأمر الكل بالسجود له تعظيماً ، وسجدة الملائكة له انقياداً وتسليماً ، وإباء إبليس عنه عناداً واستكباراً وعتواً وافتخاراً ، وصيرورته ملعوناً طريداً مريداً وقبل هبوطه إلى الأرض ،

(١) تفسير الفخر الرازي : ٤٥٥/١ ، راجع أيضاً مجمع البيان : ٨٥/١ .

لقوله : ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ .

فالثابت المحقق هو إنَّ خلقتها كان في مقام الجنة وهو ميلاد النفوس عند نزوله عن عالم القدس العقلي إلى النشأة النفسانية .

ويؤيد ما ذكرناه ما رواه السدي (١) عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة : إن الله تعالى لما أخرج إبليس من الجنة ، وأسكنها آدم بقي فيها وحده ، ما كان معه من يستأنس به ، فخلقت حواء ليسكن إليها .

وروي إن الله تعالى ألقى عليه النوم ، ثم أخذ ضلعاً من أضلعه من شقته الأيسر ، ووضع مكانه لحماً ، وخلق حواء منه ، فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعداً ، فسألها : من أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن إلي . فقالت الملائكة : ما اسمها ؟ قال : حواء . قالوا : ولم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شئتي حتى تير علوم ربي .  
فَعِنْدَهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ .

وعن ابن عباس - أيضاً (٢) - قال : « بعث الله جنداً من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على سرير من ذهب ، كما يحمل الملوك ولباسهما النور ، وعلى كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ ، وعلى آدم منقطة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخلا الجنة » .

فهذا الخبر يدل على أن حواء خلقت قبل ادخال الجنة ، والخبر الأول دل على أنها خلقت في الجنة .

ثم من الأخبار ما يدل على أنهما جميعاً خلقا في الأرض . ففي كتاب النبوة (٣)

(١) الدر المنثور : ٥٢/١ .

(٢) تفسير القصر الرازي : ٤٥٤/١ .

(٣) مجمع البيان : ٨٥/١ .



« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنَ الطِّينِ ، وَحَوًّا مِنْ آدَمَ . فَهَمَّةُ الرِّجَالِ الْمَاءُ وَالطِّينُ ، وَهَمَّةُ النِّسَاءِ الرِّجَالُ » .

ووجه التوفيق بين الكلّ معلوم عند أهل الهداية والمعرفة .

\* \* \*

واعلم إن الإتفاق حاصلٌ على أن المراد من الزوجة حواء وإن لم يتقدم ذكرها في هذه السورة ، وفي سائر القرآن ما يدل على ذلك ، فإنها مخلوقة منه .

ففي سورة النساء : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [١/٤] وفي الأعراف : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [١٨٩/٧] .

وروي الحسن<sup>(١)</sup> عن رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعِ الرَّجُلِ ، فَإِنْ أُرِدْتَ تَقْوِيمَهَا كَسَرْتَهَا ، وَإِنْ تَرَكْتِ انْتَفَعَتْ بِهَا وَاسْتَقَامَتْ » .

واعلم إن كل شهادة مطابق لغيب ، وكما إن المرأة هيئنا مخلوقة من الضلع الأيسر للرجل ، أو من بقية مادة منوية فضلية حصلت هناك منه ، فكذلك في عالم الأرواح حصلت النفس وهي جوهرة انفعالية من الجنية السافلة للعقل ، وهو جوهر فعال بالفعل ، مخرج للنفس من القوة إلى الفعل .

وكما إن الرجل إذا تفرّد هيئنا بذاته عمّن يسكن إليها من روجته يتوحش ويضطرب حاله في الخلوة والوحدة - عناية من الله لتكثير النوع بحصول الأفراد كذلك العقل إذا لم يتوجه إلى تربية النفس والسكون إليها وأراد التفرّد بذاته عن فعله يلزم عليه التعطيل ، ويلحقه الاضطراب في قرب نهار الأحدية الإلهية قبل أوانه كما يلحق أبصار الخفافيش من نور الشمس عند رفع حجاب الليل ، ويعتريه الذوبان تحت سطوع النور الإلهي الواجبي كذوبان الجميد عند طلوع الشمس عليه من غير حجاب .

(١) جاء ما يقرب منه في الدر المنثور : ٥٢/١ .

فهذا نكاح معنوي وقع بين العقل والنفس ، والعاقد بينهما هو الله ، وهكذا جرى الإزدواج بين كل قوة فاعلة ومادة منفعة كما بين الطبائع والصور الجسمانية وبين موادها القابلة بحكم النكاح الأول ، الساري في جميع الذراري ، ومن هذا قيل : « كلّ ممكن زوجٌ تركيبي » .

وذكر الشيخ الجليل محمد بن عليّ بن بابويه القميّ - رحمهما الله - في الفقيه<sup>(١)</sup> رواية عن زرارة بن أعين ، إنّه قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام عن خلق حواء ، وقيل له : إن أناساً عندنا يقولون « إن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى » .

فقال : « سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً - من يقول هذا ؟ ! إن الله تبارك وتعالى لم يكن له القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه ؟ ويجعل للمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام أن يقول : « إن آدم كان ينكح بعضه بعضاً » إذا كانت من ضلعه ؟ ! ما لهؤلاء ! حكّم الله بيننا وبينهم » .

ثمّ قال عليه السلام : « إن الله تعالى لما خلق آدم من طين ، وأمر الملائكة فسجدوا له ألقى عليه السُّبَات . ثمّ ابتدئ له حواء ، فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه . - وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل - فأقبلت تتحرك ، فانتبه لتحركها [فلما انتبه] نوديت أن تنحني عنه<sup>(٢)</sup> ، فلما نظرت إليها نظرت إلى خلقي حسن يشبه صورته . فكلمته بلغته » - في حديث طويل في آخره - :

« والخبر الذي روي إنّ حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر صحيحٌ ، ومعناه من الطينة التي فصلت من ضلعه الأيسر . فلذلك صارت أضلاع الرجل أنقص من أضلاع النساء » .

(١) الفقيه : كتاب النكاح ، باب بدء النكاح : ٣ / ٣٧٩ .

(٢) في النسخة : « أن تنحني عنها » خطأ وما أثبتناه مطابق للمصدر .

## فصل

قوله [ تعالى ] : وَقُلْنَا

قال بعض المفسرين : هذه نون الكبرياء والعظمة - لانون الجمع .  
واقول : كأنه إشارة إلى الجمعية الإلهية المحتوية بحسب الأسماء والصفات  
على جميع العقول والذوات .

و « السكُنَى » من السُكُون . لأنها نوعٌ من اللَّبَثِ والاستقرار .  
و ﴿ أَنْتَ ﴾ تأكيدٌ للمستكن في « اسكُنْ » ليصحَّ العطف عليه .  
و ﴿ زَوْجَكَ ﴾ معطوف على موضع أنت . ولو عطف على الضمير المستكن  
لكان يُشبه في الظاهر عطف الإسم على الفعل فأتى بالمنفصل وعطف عليه .  
و ﴿ رَغْدًا ﴾ منصوبٌ لأنه صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : « أَكَلَا رَغْدًا »  
أي : واسمًا كثيرًا . ويجوز أن يكون مصدرًا وُضِعَ موضع الحال من قوله : ﴿ كَلَّا ﴾  
- ويقال : قومٌ رَغْدٌ ، ونساءٌ رَغْدٌ ، وعيشٌ رَغْدٌ ، ورغيدٌ . فعلى هذا يكون تقديره :  
« وكَلَّا منها متوسعين في العيش » .

و ﴿ حَبِثٌ ﴾ يُبنى على الضم كما تبنى الفايات (١) : لأنه مُنْع عن الإضافة إلى  
مفرد كما مُنْعت هي من الإضافة ، فما يأتي بعده جملة اسمية أو فعلية في تقدير المضاف  
إليه . وهو للمكان المبهم ، أي : « أي مكانٍ شتتا من الجنة » على وجه التوسعة  
البالغة ، من جهة إنه لم يحظر عليهما بعض الأكل ، ولا بعض المواضع ، حتى لا يبقى  
لهما عذر في تناول من شجرة واحدة من أشجارها الكثيرة الفاتية للحصر .

والنكته في عطف قوله : ﴿ كَلَّا ﴾ على قوله : ﴿ اسكُنْ ﴾ بالواو هي هنا وبالفاء

(١) نحو : « من قبل » و « من بعد » . (مجمع البيان) .

في الأعراف (١) هي إن الفاء للسببية ، والواو للجمعية فكُلِّمًا كان المعطوف عليه شرطاً للمعطوف عطف بالفاء ، وإن لم يكن شرطاً عطف بالواو .

ثم قول القائل : « اسكن » قد يكون بمعنى « ادخل » وقد يكون بمعنى « الزم مكانك الذي دخلته » والأكل مشروط بالأول - دون الثاني - فإذا أريد منه المعنى الأول ينبغى العطف للأكل عليه بالفاء كما في قوله . ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [٥٨/٢] إذ الأكل في موضع مشروطٌ بالدخول فيه . وإذا أريد منه المعنى الثاني فينبغي العطف عليه بالواو المفيد للجمعية فقط - دون الترتيب - إذ الأكل في موضع غير مشروط بالدوام فيه ، فبحسب اختلاف الاعتبارين اختلفت الكلمة العاطفة في السورتين - والله أعلم .

### فصل

مركز تحقيق كاتوير علوم إسلامي

اختلف المفسرون في هذا الأمر . فقيل : إنه أمرٌ تعبد . وقيل هو إباحة ، لأنه ليس فيه مشقة ، وما لا مشقة فيه فلا تكليف به .

وأما قوله : ﴿ وَكَلَامًا ﴾ فهو إباحة بالإتفاق . وكذا ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ﴾ تعبد بالإتفاق . وهو مجزوم بالنهي ، والألف ضمير الفاعلين .

وقوله : ﴿ فَتَكُونُوا ﴾ يحتمل أمرين ، أحدهما أن يكون جواباً للنهي ، فيكون منصوباً باضمار « أن » وأن مع الفعل في تأويل المفرد ، فيكون عطفاً على المصدر والتقدير : « لا يكن منكما قربٌ لهذه الشجرة فكون من الظالمين » فالكلام حينئذ جملة واحدة ، لكون المعطوف من جملة المعطوف عليه . وإنما سمي جواباً لمشابهة الجزاء بحسب المعنى ، أي : إن تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين .

والثاني أن يكون معطوفاً على النهي ، فيكون مجزوماً . فالفاء عاطفة جملة على

(١) يَا آدَمُ اسْكُنْ أُمَّتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا [١٩/٧] .

جملة فكانه قال : « فلأتكونا من الظالمين » .

ومعنى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ : لاتأكلا منها . وهو المروي عن الباقر عليه السلام (١) وحاصله : لاتقرباها بالأكل . ولهذا أتت المخالفة بالأكل بلاخلاف - لا بالدنو منها - ولهذا قال : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا ﴾ .

واختلف في هذا النهي ، فقيل : إنه نهى التحريم . وقيل : نهى التنزيه ، دون التحريم . كمن يقول لغيره : « لاتجلس على الطريق » وهو مذهب أصحابنا ، وموافق لأصولنا العقلية - كما سيجيء بيانه .

فعندهم إن آدم عليه السلام كان مندوباً إلى ترك تناول من الشجرة ، فكان بالتناول منها تاركاً - نفلاً وفضلاً . ولم يكن آتياً بقبيح وفاعلاً لمحرّم ، لأن الأنبياء لايجوز عليهم القبائح - صغيرها وكبيرها .

وقالت المعتزلة . كان ذلك صغيرة من آدم عليه السلام - على اختلاف بينهم في أنه وقع منه على سبيل العمد ، أو السهو ، أو التأويل .

واستدل صاحب مجمع البيان (١) على امتناع موافقة المعصية على الأنبياء عليهم السلام بأن الفعل القبيح ما يستحق فاعله الذم والعقاب ، والمعاصي كلها كبائر عندنا ، وإنما تسمى صغيرة باضافتها إلى ما هو أكبر عقاباً منها لأن الإحباط قد دلّ الدليل عندنا على بطلانه ، وإذا بطل ذلك فلا معصية إلا ويستحق فاعلها الذم والعقاب ، وإذا كان الذم والعقاب منفيين عن الأنبياء ، وجب أن ينفي عنهم سائر الذنوب .

ولأنه لو جاز عليهم لنفر عن قبول [ قولهم ] . والمراد بالتنفير إن النفس إلى قبول قول من لايجوز عليه شيء من المعاصي أسكن منها إلى من يجوز عليه ذلك ، ولايجوز عليهم كل ما يكون منقراً عنهم من الخلق المشوّهة والهيئات المستكرهة .

وإذا صح ما ذكر علمنا إن مخالفة آدم عليه السلام لظاهر النهي كان على الوجه الذي

بيناه هذا كلامه - وهو المذكور في الكتب الكلامية من قبل أصحابنا القائلين بعصمة الأنبياء ﷺ مطلقاً ، وللبحث في بعض مقدماته مجال .

\* \* \*

وإنما قلنا إنه موافق لأصولنا العقلية من جهة إنه قد صح عندنا إن للإنسان نشآت ثلاث بحسب البداية والنهاية : نشأة الروح ، ونشأة النفس ، ونشأة الطبيعة ، وهذه دار التكليف والاختيار ، ودار الإبتلاء والاختبار . ومورد الأمر والنهي التشريعيين وعليهما مدار الطاعة والعصيان، والعصمة والخذلان، والشكر والكفران . وأما قبل هذه النشأة فالأمر فيها أمر قضاء وتكوين . والنهي فيها نهى إشعار وتحريض ، وليس فيها مجال القدرة للعبد والاختيار ، ولا يسع له التدبير والحزم والاجتهاد ، ولهذا قال بعض أصحاب القلوب ، إن سبب النهي هناك هو الدلال الذي تقتضيه غاية الجمال ولو لم ينفك عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة أنواع المرادات النفسانية فذكرها كان كالتحريض عليها ، فإن الإنسان حريص على [ما] يمنع .

واعلم إن كل ما [في] هذا العالم فهو في العالم الأعلى على وجه العطف وأصفي فالمعصية هي مخالفة الأمر الشرعي المنافية للعصمة الثابتة للأنبياء ﷺ وأما في عالم الغيب فهي عبارة عن النقيصة الإمكانية المتفاوتة كثرة وقلّة في الممكنات بحسب مراتب درجاتها عند الله قُرباً وبعُداً فكأما كان القرب منه تعالى أكثر كان جهات الإمكان أقل وكأما كان البعد منه أكثر كان تضاعف جهات النقص والامكانات أوفر . وبالعكس .

وبعض تراكم الإمكان على العقل يوجب نزوله في عالم النفس كالجنة ومنازلها وغاية تضاعف الإمكان في النفس توجب تعلقها بعالم الأبدان المنصرفة كما إن غاية المعصية - وهي الكفر - توجب خلود النفس في دار العذاب .

وايضاً التخاصم والتباغض ههنا من صفات الحيوانات، يجب تنزيه الملائكة

العلوية عنه . ولكن ورد في القرآن إن الملاء الأعلى يختصون ، فيجب حمل الخصومة فيهم على معنى اللطف وأشرف معاني الحيوانات، وهو كاختلاف اشراقاتهم العقلية وتباين تعيّناتهم الوجودية . ومن هذا القبيل صفة التنازع المذكور لأهل الجنان في قوله تعالى . ﴿بِتَنَازُعٍ فِيهَا كَأْسًا﴾ [٢٣/٥٢] .

### [ الشجرة المنهية ]

ثم اختلف في الشجرة المنهية عنها <sup>(١)</sup> . فمن ابن عباس : « هي السنبلة » ، وعن ابن مسعود والسدي : « هي الكزبة » . وعن ابن جريح : « الثينة » . وقيل : « هي شجرة الكافور » وهو المروي عن علي بن أبي طالب . وقيل : « هي شجرة العلم - علم الخير والشر » وعن ابن جدهان « هي شجرة الخلد التي كانت تأكل منها الملائكة » علوم رازي وقال الربيع بن أنس : « كانت شجرة من أكل منها أحدث ، ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث » .

ولكل منها وجه تأويل ، والموافق للحكمة أن يكون فيها إشارة إلى شجرة الطبيعة المشعبة أفنانها ، المتفتنة قواها وفروعها ، وهي ﴿ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [٦٥/٣٧] .

والحكمة تقتضي أن يخرج الإنسان أولاً من الجنان بأكل هذه الشجرة ويسقط من عالم الفطرة إلى عالم التركيب والطبيعة ثم يأخذ منها زاد الآخرة ويفطم نفسه عن طبيّات الدنيا التي هي خبيثات الآخرة - فطام الصغير عن رضعة أمه - ليلحق بدار الكرامة التي خرج منها .

ومن لم يزهد في الدنيا ولم يفطم نفسه عن تناول الطبيعة ومشتبهاتها، فلانصيب

(١) راجع تفسير الفخر الرازي: ٤٥٦/١ . ومجمع البيان: ٨٥/١ . والدر المنثور: ٥٣/١ .

له في الآخرة ولا طعام له إلا من الحميم والزقوم والفيلين . ويكون غذاء أهل الجحيم في الدار الآخرة من غسالات الطبايع وأكدارها وأوزارها ، كما أن غذاء أهل الجنة من الصفايا واللطائف ، وغذاء أهل القرب منهم من المعارف الإلهية والعلوم الربانية .

### تأييد استبصارى

#### [ في تأويل معصية آدم ]

اعلم ان للإنسان همّة عالية وحرصاً شديداً بحسب الجبلة ، فلا يزال تقول نار طبيعته وجهنم حرصه : « هل مزيد » ولا تمنلي حتى يضع الجبار قدمه فيها . ثم انه أبيع له ولزوجته مشتبهات النفس كلها ، فيها ماتشتهي الأنفس وتلذ الأعين وقيل لهما : « اقتنعا بها ولا توقدا نار الفتنة » وهي نار الطبيعة التي شأنها تحليل المواد والتصرف فيها ، وقد كانت كامنة في النفس ولم تخرج من الكمون إلى البروز . أولاترى إن الإنسان اذا أخذ في تناول الطعام انبعثت من طبيعته حرارة طابخة ونضجت مادة الغذاء ؟ فأصل النار من النفس ، ثم من الطبيعة .

ولا تقربا شجرة الطبيعة السفلية إن كنتما طالبين للسلامة عن المصيبة والمحنة ، فارغين عن حرقه المحبة ، وإلا فتكونا من الظالمين على النفس - بنوريطها في ورطات الهلاك التي قلت النجاة عنها ، وإحراقها بنار المحبة والمحنة ، والم البعد والفرقة ، وتعب السفر في الدنيا لربح الآخرة . وقد غرقت في بحارها طوائف كثيرة انكسرت فيها سفائنهم ومراكبهم .

وحمل « الظلم » على هذا المعنى أوفق بالمحافظة على قاعدة عصمة الأنبياء عليهم [السلام] وكل مذهب أفضى إلى انحفاظ عصمتهم كان أولى . وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢/٣٣] وسيأتي بيانه إن شاء الله [تعالى] .



قال بعض أولى البصائر : إنه تعالى قد وسّع على آدم ﷺ أسباب الانبساط  
أولاً ، ثم ضيق عليه الأمر آخرأ . وأنشد :

وأدبني حتى إذا ما فتنتني \* بقول يحلّ العصم سهل الأباطح  
تجافيت عني حين لالي حيلة \* وغادرت ما غادرت بين الجوانح

نخلقه بيده ، ونفخ فيه من رُوحه ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه الجنة في جواره  
وزوجه حواء . حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهه ، وانبت شجرة المحبة بين  
يديه . ثم منعه ، وكان في ذلك المنع تحريص وتذكير أيضاً . ثم عاتبه بقوله : ﴿ فَتَكُونَا  
مِنَ الْفٰلٰقِیْمِیْنَ ﴾ .

وهذا كما أسكر موسى ﷺ بأقداح الكلام ، وأذاقه لذة شراب السماع ،  
وقربه نجيباً ، حتى اشتاق إلى جماله وطمع في وصاله قبل أوانه ، وقال : ﴿ رَبِّ  
أَرِنِي ﴾ عاقبه بسطوة ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ [١٤٣/٧] .

وذلك إنّ الولاء والبلاء توأمان ، والمحبة والمحنة رضيعا لبان ، والمطلوب  
كلّما كان أدق كان أعزّ وأمنع ، والجمال لا بدّ من الدلال ، وبه يتميّز العاشق الصادق  
من المدّعي المحتال ، فلما ذاقا شجرة الغرام خرجا من دار السلام ، فما لأهل السلام  
ودار الغرام ، وأين الفارغ السالي من المحبّ الغالي .

وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق القضاء ، فلم يمس بعد ما كان مسجوداً الملك  
محسوداً السماك إلى السمك ، مشمول الرعاية ، موفوراً العناية ، حتى نزعه لباس الأمن  
والفراغ ، وبدّل باستيناسه الاستبحاش ، بدفعونه الملائكة بعنف ، أن انخرج من غير  
مكث ولا بحث .

فألهمها يد التقدير بحسن العناية والتدبير ، وكان الشيطان من جملة أسباب  
التقدير ، فصار هدف سهام الطعن والطرود ، فلما وقعا من القرّبه في الغربة ، ومن  
الألفة في الكلفة استوحشا من كل شيء . وهكذا شرط المحبة عداوة ماسوى

المحبوب ، فكما ان ذاته لا تقبل الشركة في التعبد ، كذلك لا تقبل الشركة في المحبة «  
- انتهى كلامه .

ويمكن تطبيقه على القوانين البرهانية ، وإن كان ظاهره كلمات خطائية .

## فصل

إن الذين جوزوا الذنوب على الأنبياء ﷺ حملوا النهي في قوله تعالى :  
﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ على نهى التحريم - استدلوا عليه بوجوه (١) :  
الأول : إن قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ كقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى  
يُطَهَّرْنَ ﴾ [٢٢٢/٢] وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [١٥٢/٦]  
وكما إن هذين للتحريم فكذا الأول .

والثاني : قال تعالى : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي : إن أكلتما منها ظلمتما  
أنفسكما ، ولذلك لما أكلتا قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ .

الثالث : إن هذا النهي لو كان نهى تنزيه لما استحق آدم بفعله الإخراج من  
الجنة ، ولما وجبت التوبة عليه .

والجواب عن الأول : إن النهي وإن كان في الأصل للتنزيه اوللقدر المشترك  
لكنه قد يجعل للتحريم دلالة منفصلة .

وعن الثاني : إن قوله : ﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي : فظلمنا أنفسكما بفعل  
ما الأولي بكما تركه ، لأنكما إذا فعلتما ذلك أخرجتما من الجنة - التي لا تظلمان فيها  
ولا تجوعان ولا تضحيان ولا تمرغان - إلى موضع ليس لكما فيه شيء من هذا .

وعن الثالث : إننا لانسلم إن الإخراج من الجنة كان لهذا السبب بل لحكمة  
سابقة وقعت الإشارة إليها - وسيأتي بيانها إن شاء الله تعالى .

قوله جلّ اسمه :

فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا  
فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾



هذا هو آخر درجات النزول لآدم عليه السلام من عالم القدس ودار الكرامة ، وذلك إن آدم عليه السلام لما كان مستصليحاً لعمارة الدارين ، وأراد الله بحكمته الكاملة منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الآخرة والجنة ، كونه من التراب تكوينا ، وركبه تركيباً يناسب عالم الحكمة والشهادة ، وهي هذه الدار الدنيا .

وما كانت عمارة الدنيا يتأتى منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة ، فمن التراب كونه ، وأربعين صباحاً حتمت طبيئته - كما ورد في الحديث القدسي <sup>(١)</sup> - ليبعد بالتخمير أربعين صباحاً أربعين حجاباً من الحضرة الإلهية ، كلّ حجاب هو معنى مودع فيه يصلح لعمارة الدنيا ، ويتعوق به عن الحضرة الإلهية ومواطن القرب . إذ لو لم يخرج عنها ولم ينزل إلى الدنيا لم يصلح لعمارة الدارين جميعاً ولخلافه الله في أرضه ، ثم لأن يكون زينة للعالم الأعلى وملكاً في

(١) جاء الحديث في أحياء علوم الدين (٤/٢٧٧) وقال العراقي في تخرجه :

« رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي بإسناد ضعيف جداً » .

الآخرة - ملكاً كبيراً .

فبالتبتل إلى طاعة الله والرجوع إليه بالعلم والعمل ، والإقبال عليه والانتزاع عن التوجه إلى السفليات يخرج كل وقت عن حجاب أمر مودع فيه عند التركيب ، وعلى قدر زوال كل حجاب ينجذب إلى مقام نزل منها ، ويتخذ منزلاً في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع الأنس ومنبع العلوم ، ومصدر الحقائق .

فإذا تم السلوك والتبتل ، وزالت الحجب انصبت على القلب مياه العلوم والمعارف ، كما في قوله ﷺ (١) : « مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ظَهَرَتْ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ بِنَابِيعِ الْحِكْمَةِ » فهذه الأربعين صباحاً في التمحيص والتطهير في مقابلة تلك الأربعين صباحاً في التخدير والتركيب .

ثم اعلم إن العلوم الحقيقية والمعارف هي بعينها أعيان صورية في عالم الحس والشهادة انقلبت باكسير نور العظمة الإلهية بها ، كما إن هذه الصور أصولها أيضاً أعيان عقلية وصور مفارقة عند الله صارت متمثلة في هذا العالم بتقدير الله . فلكل غيب شهادة ، ولكل ظاهر باطن . فنزولها وصعودها على وفق هبوط آدم ﷺ وعروجه تكميلاً للحكمة وإظهاراً للقدر .

## فصل

قال بعض الحكماء (٢) في ليمية إخراج النفوس من جنة الأرواح لجنانية وقعت : إن النفوس الجزئية لما هبطت من العالم الذي كانت ، وسقطت عن مراتبها العالية لجنانية وقعت من أبيها وأمها ، غرقت في بحر الهبولي وغاصت في قعر أمواج

(١) راجع بحار الأنوار : ٢٤٢/٧٠ . وحيون الأخبار : ٦٩/٢ . والكافي : ١٦/٢ .

(٢) رسائل اخوان الصفا : الرسالة السابعة من العلوم الناموسية والشرعية : ١٨٤/٤ .

الأجسام وقيل لها : ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تِلْكَ شَعْبٍ﴾ [٣٠/٧٧] ففترقت في مياكل  
الأجسام وتمزقت بعد وحدتها وجمعيتها ؛ وشئت شملها ، ووقعت بينهم العداوة  
والبغضاء إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ  
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ .

وعرض لها عند ذلك من الأهوال والدهش والمصائب مثل ما عرض لقوم من  
ركاب البحر لما اشتدت بهم الرياح ، واضطرب بهم البحر ، وهاجت بهم الأمواج ،  
وانكسرت منهم السفينة ، وغرقوا في بحر الطبيعة ، وغاصوا في ظلمات الماء ،  
وتفرقوا في كل فج عميق من الجزائر والسواحل .

فكما إن أولئك القوم في الوقت الذي انكسرت منهم السفينة - تراهم بين  
غانصي ، وطاف ، أو متعلق بحشبة أو بحبل ، أو راكب بعضهم كتف بعض ، كل  
واحد يقول : « نفسي ، نفسي » من شدة الأهوال ، لا يفكر بغيره ، ولم يرد النجاة  
إلأنفسه ، ولاهنة سواه ، ولا يفكر فيما كانت فيه - فهكذا حال النفوس في هذا العالم  
وكونها مع هذه الأجساد . فين هذه الأشياء نسبت النفوس عالمها ودارها الحيواني  
ولا يذكر شيئا مما كانت فيه من أمر عالمها ومبدأها ومعادها ، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا  
ذَكَرُوا لِآيَاتِنَا كُرْهُوا وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ . [٣٧/١٤-١٥]

ثم قال : إن النفس إذا انتبهت من نوم الغفلة ورقدة الجهالة واستبصرت  
ذاتها ، وعرفت جوهرها ، وتحققت بغربتها في عالم الأجسام وغرقها في بحر  
الهبولي ، وأسرها بالشهوات الطبيعية ، وعابنت عالمها ، واستبان لها فضل نعيمها  
على هذه اللذات الكدرة الظلمانية وتنسبت بروح عالمها وربحانها ؛ اشتاقت إلى  
هناك وملت الكون مع هذه الأجسام ، وزهدت في نعيم الدنيا ، وتمنت الموت لهذا  
الجسد ، والخروج من ظلمته ، فيكون مثلها مثل جماعة خرجوا من الجبوس  
والمطامير مع ضوء الصبح ، فشهدوا هذا العالم دفعة واحدة .

فأما النفس الغير المستبصرة فمثلها كمثل العميان - سواءً عندهم ضوء النهار وظلمة الليل .

\* \* \*

وسئل بعض الحكماء العارفين : « إننا من أي موضع جئنا إلى هذا العالم ؟ »  
فقال في الجواب : « اعلم إننا جئنا إلى هذا العالم من ذلك العالم . وحدّ هذا العالم من فوق فلك البروج سِدرة المنتهى ، تحت الفلك المستقيم إلى هذه الأرض وحدّ ذلك العالم من فوق الفلك المستقيم إلى تحت مرتبة القلسم الإلهي وهو العقل الكلي . ومجئنا من ذلك العالم إنّما هو من الجنة ، جنة الله التي هي حظيرة القدس التي بها قدس المقدّسون ، وتلك هي فوق ذلك العالم .  
فأما هذا العالم فهو دار عمل ، وذلك العالم دار حساب والجنة هي دار جزاء المحسنين .

مركز تحقيقات كامبوتر علوم اسلامی

واعلم إننا جئنا من جنة القدس إلى ذلك العالم ، ومن ذلك العالم إلى هذا العالم ، ومن هذا العالم نذهب إلى فلك البروج ، ومن [فلك] البروج نذهب إلى ذلك العالم الذي هو موضع الحساب ، ومن موضع الحساب يرجع من أحسن عمله إلى جنة الله ، وبقي بقاء سرمدياً ، ويبقى من أساء عمله تحت ذلك الطبيعة ونار الجحيم في دار جهنم ، ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ، إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [١٠٧/١١] .

واحتاجوا إلى العمل من غير إرادة منهم ، ليصلوا إلى الصور الموافقة لأرواحهم من الجنة ، وهم ينالون من تلك الصور التي في الطعام والشراب لذة ، ويجدون سكوناً إلى الدنيا تحت الطبع والطبيعة .

وكذلك يكونون في قيد الطبيعة ، يدخلون كارهين من غير إرادة تحت قيد العقل الذي بذره العقل العملي الذي جاء به الرسل ﷺ مما يشهد به شرايعهم حتى

تستأنس النفس وتطمئن بتلك الصور العملية والعقلية وتجذبها قراراً ، لأن أصلها أيضاً من جنة الله تعالى وتلك الاستفادة يُضيء لها طريق الصراط وقت ذهابها إلى معادها ويخف حسابها ، وتثقل موازينها .

فقد تبين الآن إنَّ البشر بتقدير الإبتداء ومقام الإباء فوق العقل والطبع ، لكنهم اليوم محبوسون تحت الطبيعة مقيّدون بالعقل العملي وخلاصهم يكون عند إطلاقهم عن وثاقهم وخروجهم عن قيد العقل ، وليس يخلصون عن قيد العقل إلا حين يخرجون من سجن الطبع والطبيعة . وهذه معانٍ منغلقة يفتحها الشرح (ظ : الشرع) للمستحقين ، وإنها محرمة على الجاهلين .

ثم سئل مسألة ثافية هي : **إنا لأي شيء جئنا إلى هذا العالم ، بعد أن كنا مغبوتين ؟**

فأجاب : اعلم إنَّ مجيئنا إلى هذا العالم لم يكن باختيارنا وإرادتنا ، لكن بالقهر جئنا ، وبالقهر نمسك ، وبالقهر نخرج . **وإنا جئنا للتمحيص والتطهير ليُمحصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١/٣﴾** وطهارة النفس إنما تكون بالعمل الشرعي والعلم الإلهي ، وبهذين تتم الطهارة والتوجه إلى المعاد ، وكما إنَّ طهارة الجسد يكون بالماء أو بالتراب عند عدم الماء ، كذلك طهارة النفس بالعلم الذي هو بمنزلة الماء ، والعمل الذي هو بمنزلة التراب ، فكلٌّ من أتى بالعمل الشرعي حتى يصل إلى العلم الإلهي ، فيعلم حقيقته ، ويعرف نفسه ، فإنه يخلص عند مفارقتها هذه الدنيا ، التي هي سجن المؤمن وجنة الكافر .

### إشارة مشرقية

واعلم إنَّ حكاية هبوط العقل الإنساني والنفس الأدبية من عالم القدس إلى موطن الطبيعة الجسمانية مما كثرت في رموزات الأنبياء ﷺ ، وإشارات الأولياء والحكماء .

ففي القرآن المجيد قد ذكر هبوط النفس وصعودها في آيات عديدة ،  
 كقوله : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ \* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ \* إِلَّا  
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [٦-٤/٩٥] و كقوله : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا  
 فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٣٨/٢]  
 و كقوله : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ \*  
 قَالَ فِيهَا تَحْيُونَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [٢٥-٢٤/٧] و كقوله : ﴿ الْهَيْكَلُ  
 التَّكْوِينُ ﴾ \* حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَنَسْتَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾  
 [٨-١/١٠٢] و كقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ \* ثُمَّ  
 نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [٧٣-٧٢/١٩] و كقوله : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ  
 تَعُودُونَ ﴾ \* فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [٢٩/٧] و كقوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا  
 فَرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٩٤/٦]

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام : « رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً أَعَدَّتْ لِنَفْسِهِ ، وَاسْتَعَدَّتْ  
 لِرُؤْسِهِ ، وَعَلِمَ مِنْ أَيْنَ ؟ وَفِي أَيْنَ ؟ وَإِلَىٰ أَيْنَ ؟ » .

وفي كلامه عليه السلام أيضاً <sup>(١)</sup> : « وَلِيحْضَرَ عَقْلَهُ ، وَلِيَكُنَّ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ  
 مِنْهَا قَدِيمٌ ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ » .

وفي كلامه عليه السلام أيضاً <sup>(٢)</sup> في بيان ماهية النفس ومبدأها ومعادها : « إِعْلَمْ إِنْ  
 الصُّورَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ هِيَ أَكْبَرُ حِجَّةِ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ ، وَهِيَ الْكِتَابُ الَّذِي كَتَبَهُ بِيَدِهِ ، وَهِيَ  
 الْهَيْكَلُ الَّذِي بَنَاهُ بِحِكْمَتِهِ ، وَهِيَ مَجْمُوعُ صُورِ الْعَالَمِينَ ، وَهِيَ الْمَخْتَصَرُ مِنَ اللَّوْحِ

(١) نهج البلاغة : الخطبة رقم : ١٥٢ .

(٢) جاء في المعجلى لابن أبي جمهور والكلمات السكونية للفيض (ره) : ١٢٥ .

وروي فيه (ص ١٦١) عن الصادق (ع) : « إِنْ الصُّورَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ هِيَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَىٰ  
 كُلِّ خَيْرٍ . وَالْجِسْرُ الْمَمْدُودُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ » .



المحفوظ ، وهي الشاهد على كل غائب ، والحجّة على كل جاحد ، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير ، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار .

وفي كلمات الحكماء الراسخين إشارات لطيفة ، ورموزٌ شريفة إلى هبوط النفس وصعودها ، وحكاياتٌ مرشدة إلى ذلك .

ومنها قصة سلامان وأبسال التي ذكرت في مقامات العارفين ، ومنها قصة الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليله ودمنة ، ومنها حكاية الطير المذكورة في رسالة لأبي علي بن سينا ، ومنها حكاية حيّ بن يقظان . يفهم من كلّ منها إنّ للنفس قبل وجودها في هذا العالم وجوداً سابقاً وفطرة أولية أصلية في المراتب المتقدمة ، وإنّ لها بعد هذا الوجود رجوعاً وعوداً إلى ما هيئت منه إن لم يعيقها عائقٌ عن الرجوع إلى أصلها .

قال بعض الحكماء مشيراً إلى ذلك ~~عنه~~ <sup>عنه</sup> إني كنت في هورقليا مع المخلان والرفقاء والإخوان والآباء في فضاء فسيح شديد البهاء كثير الضياء ، أبدع الله بعلمه القديم صور الكائنات في أحسن تقويم ، فيها رياض خضر كان بينها نسج ديباج من الزهر والنور والزعفران ، في أواسطها أنهار تجري على حصاة كأنها الدرّ والياقوت والمرجان ، فيها بيوتٌ عالية وقصورٌ شاهقة ، فيها سررٌ مرفوعة وأكوابٌ موضوعة ، ونمارق مصفوقة ، وزرابي مبثوثة يطاف عليها ولدان وغلّمان ، وحورٌ حسان لم يطمئنّ قبلهم إنسٌ ولا جان . وقد استعمل أبي الفلاحة في الأصقاع وتزيين البقاع بالعمارة .

فبعثني يوماً لتعمير قطر ، فإذا أنا بحمام كدير وغارٍ مظلمٍ منقوش بصورة العالمين ، استقرّ فيه أبناء الجنّ والشياطين العارفين بعلم السيمياء ، القادرين على إرادة الأشياء لأعلى ما هي عليها .

فشاهدت عجائب عديدة وغرائب كثيرة . منها إن رجلاً في مزبلةٍ عليها سواد

طرية ، وجيف منتنة ، ويسئل الله أن يُثبته على هذه الحالة أبداً . ومنها إن رجلاً ضعيفاً عاجزاً به أوجاع وجراحات لا تحصى كثرة في خربة من المغارة المنقوشة يزعم و يدعي أن تلك الخربة همارات ، وتلك الجراحات وتلك النقوش والصور خدمه و حشمه وهو ملك عظيم قدير ، يعاقب من يشاء ويرحم على من يشاء . فابتليت بصحبتهم طويلاً ، وخرجت عن الفطرة كثيراً .

فنسيت ما كنت عليه ، فحسبت النار نوراً ، والظلَّ حروراً ، والقبیح حسناً ، والحسن قبيحاً ، والموت حياة ، والحياة موتاً ، والسراب شراباً ، والذلة لذة ، والراحة جراحة . حتى نبهني بعض آبائي الكرام ، الذين زينوا حافات تلك الظلام من أنوارهم بمصاييح ، وجعلوها رُجوماً لأولئك الشياطين ، ومن انتمى إليهم من المرءة الملائع ، ووضعوا فيها سلايم ليسهل بها الرجوع والعروج ، ومفاتيح يفتح بها أبواب الخروج ، فأرسلوا من حبل شعاعهم خبوطاً ليخرج بها من مهاوي عالم الزور والغرور الى معارج عالم النور والسرور ، وذكروا أموراً بها يتذكر معاهد القدس فيجانس الإنس .

فتذكرت وعلمت إن أولئك الشياطين عارفين بالسيمياء ، قادرين على تغيير حقائق الأشياء في المرآئي الموضوعه ، فيخيلون النور ظلاماً ، والصحة سقماً ، فينسون أمر النفس وعهدا القديم ، ويحيلون بين المرء ومطلوبه . فأعرضت عن هؤلاء وتبتعت لأنوارهم ، واقتفيت لأثارهم ، وتعجبت من تبدل الحالات وتغير الخيالات .

وقال بعض آخر: إن فطرة انفصلت من البحر ، او شمعة انقطعت من النار ، فعادت واتصلت بما كان ، وطارت بأجنحة الكروبيين .

[ومنها ما ذكره انبازقلس الحكيم ، وهو: إن النفس إنما كانت في المكان العالي الشريف ، فلما أخطأت سقطت إلى هذا العالم ، وإنما صارت إلى هذا العالم

فراراً من سخط الله ، لأنها لما انحدرت إلى هذا العالم صارت غيائاً للأنفس التي قد اختلطت عقولها ، فصارت كالإنسان المجنون . نادى الناس بأعلى صوته وأمرهم أن يرفضوا هذا العالم وما فيه ، ويصيروا إلى عالمهم الأول الشريف ، وأمرهم أن يستغفروا الإله عز وجل لينالوا بذلك الراحة والنعمة التي كانوا فيها .

ومنها مقال أفلاطون الرقاني في كتاب له يدعى « فاذان » : « علّة هبوط النفس إلى هذا العالم سقوط ريشها ، فإذا ارتاشت ارتفعت إلى عالمها الأول » .  
ومنها مقال هو - أيضاً - في بعض كتبه الذي يدعي « طيماوس » : إن علّة هبوط النفس إلى هذا العالم أمور شتى . وذلك إن منها ما هبطت لخطيئة أخطأها ، وإنما هبطت إلى هذا العالم لتعاقب وتجازي على خطاياها . ومنها ما هبطت لعلّة أخرى » .

غير إنه اختصر في قوله ودام هبوط النفس وسكنها في هذه الأجسام .  
وقال في موضع آخر من طيماوس : إن النفس جوهر شريف سعيد ، وإنما صارت في هذا العالم من فعل الباري الخير ، فإنّ الباري لما خلق هذا العالم أرسل إليه النفس ، وصيّر لها فيه ليكون العالم حياً ذا عقل ، لأنه لم يكن من الواجب إذا كان هذا العالم متناً في غاية الإتقان أن يكون غير ذي عقل ، ولم يكن ممكناً أن يكون العالم ذا عقل وليست له نفس . فلهذه العلّة أرسل الباري النفس إلى هذا العالم وأسكنها فيه . ثم أرسل أنفسنا وأسكنها في أبداننا ، ليكون هذا العالم تاماً كاملاً ، ولئلا يكون دون ذلك العالم في التمام والكمال . فينبغي أن يكون في العالم الحسي من أجناس الحيوان ما في العالم العقلي .

ثم قال : إن هذا العالم مركّب من هيولي وصوره ، وإنما صور الهيولي طبيعة هي أشرف من الصور ، وهي النفس العقلية ، وإنما صارت النفس تصور في الهيولي بما فيها من قوة العقل الشريف وإنما صار العقل مقوّياً للنفس على تصوير الهيولي

من قِبَل الإِنْبِيَاءِ الأُولَى ، التي هي عِلَّةُ الإِنْبِيَاءِ العَقَلِيَّةِ والنَّفْسَانِيَّةِ والهِبُولَانِيَّةِ وسائر الأَشْيَاءِ الطَّبِيعِيَّةِ وَإِنَّمَا صَارَتِ الأَشْيَاءُ الطَّبِيعِيَّةُ حَسَنَةً بِهَيْئَةٍ مِنْ أَجْلِ الفَاعِلِ الأَوَّلِ ، غَيْرَ أَنْ ذَلِكَ الفِعْلُ إِنَّمَا هُوَ بِتَوَسُّطِ العَقْلِ والنَّفْسِ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الإِنْبِيَاءَ الأُولَى الحَقَّ هُوَ الخَيْرُ المَحْضُ ، وَهُوَ الَّذِي يَفِيضُ عَلَى العَقْلِ الحَيَوِيَّةِ أَوَّلًا ، ثُمَّ عَلَى النَّفْسِ ، ثُمَّ عَلَى الأَشْيَاءِ الطَّبِيعِيَّةِ .

ومنها ما قاله أرسطاطاليس - وهو المحمود اسمه ونعته في شريعتنا ، حتى أَنَّهُ نَقَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ قَالَ فِي حَقِّهِ : « هُوَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ جِهْلُهُ قَوْمُهُ » . وَقَالَ لِعَلِيِّ ع : « يَا أرسطاطاليس هذه الأمة » . وفي رواية أخرى : « يا علي أنت أرسطاطاليس هذه الأمة وذو قرنيها » . ورواية : « أنا ذو قرنيها » . وقد روي أَنَّهُ ذَكَرَ فِي مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ أرسطاطاليس ، فَقَالَ ﷺ : « لَوْ عَاشَ حَتَّى عَرَفَ مَا جِئْتُ بِهِ لِأَتَّبِعَنِي عَلَى دِينِي » - فَلَقَدْ تَكَلَّمَ فِي بَابِ النَّفْسِ الكَلْبِيَّةِ وَهَبَّطَهَا كَلَامًا يُشْبِهُ الرَّمْزَ ، وَهُوَ هَذَا (١) :

« إِنِّي رُبَّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي ، وَخَلَعْتُ بَدَنِي جَانِبًا ، وَصَرْتُ كَأَنِّي جَوْهَرٌ مَجْرَدٌ بِلَا بَدَنِي ، فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي (٢) رَاجِعًا إِلَيْهَا ، فَأَرَى (٣) فِي ذَاتِي مِنَ الحُسْنِ والبِهَاءِ مَا أَبْقَى لَهُ مَتَعَجِّبًا بَهْتًا .

فَلَمَّا أَبْقَيْتُ بِذَلِكَ رَقِيتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ إِلَى [عَالَمِ] العَلِيَّةِ الإِلَهِيَّةِ ، فَصِرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ فِيهَا ، مُتَعَلِّقٌ بِهَا ، فَأَكُونُ فَوْقَ العَالَمِ العَقْلِيِّ كُلِّهِ ، فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ الشَّرِيفِ الإِلَهِيِّ ، فَأَرَى هُنَاكَ مِنَ النُّورِ والبِهَاءِ مَا لَا يَقْدِرُ الأَلْسُنُ عَلَى صِفَتِهِ ، وَلَا تَعْيَهُ الأَسْمَاعُ ، فَإِذَا اسْتَفْرَقَنِي ذَلِكَ النُّورُ والبِهَاءُ وَلَمْ أَقْوِ عَلَى

(١) اثولوجيا : الميمرالاول، ٢٢ . ونقلت نظر القاريء الكريم إلى ما حققه المحققون

أخيراً من أن اثولوجيا لافلوطين وليس لأرسطو، راجع افلوطين عند العرب : المقدمة .

(٢-٣) المصدر : راجعاً إليها خارجاً من سائر الأشياء فأكون العَلَمَ والعَالِمَ والمَعْلُومَ

احتماله هبطت من العقل إلى الفكر والروية ، فحجبت الفكرة عني ذلك النور ، فابقي متعجباً أنني كيف انحدرت من ذلك الموضع الشامخ الإلهي . . . الذي هو علة كل نور وبهاء .

ومن العجب أنني رأيت ذاتي ممثلة نوراً ، وهي في البدن كهبتها وهي غير خارجة منه [ غير أنني أطلت الفكرة وأجلت الرأي فصرت كالمبهوت وتذكرت عند ذلك ارقليطوس ، فإنه أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس والحرص على الصعود إلى ذلك العالم الشريف الأعلى ] <sup>(١)</sup> وقال : إن من حرص على ذلك وارتقى إلى العالم الأعلى جوزي هناك أحسن الجزاء اضطراراً ، فلا ينبغي لأحد أن يفتر عن الطلب والحرص في الإرتفاع إلى ذلك العالم وإن تعب ونصب فإن أمامه الراحة التي لاتعب بعدها ولا نصب . وإنما أراد بقوله هذا تحريضا على طلب الأشياء العقلية لتجدها كما وجد ، وتذكرها كما أدرك .

تكملة كتاب علوم إسلامي

ولأرسطاطاليس في كتاب المعروف بأثولوجيا - معناه معرفة الربوبية - تصريحات وإشارات على أن صورة الإنسان قبل هذه النشأة الحسية كانت في العالم العقلي موجودة على وجه أعلى وأشرف من هذا الوجود المادي الظلmani .

فقال في موضع منه <sup>(٢)</sup> : « إن الإنسان الحسي صنم للإنسان العقلي ، والإنسان العقلي روحاني ، وجميع أعضائه روحانية ، ليس موضع العين غير موضع اليد ، ولا موضع الأعضاء كلها مختلفة ، لكنها كلها في موضع واحد » .

وقال في موضع آخر منه <sup>(٣)</sup> : « إن في الإنسان الجسماني الإنسان النفساني والإنسان العقلي ، ولست أعني أنه « هو هما » لكنني أعني أنه يتصل بهما لأنه صنم

(١) الاضافة من المصدر .

(٢) أثولوجيا : الميمر الخامس : ٦٩ ، وفيه فروق يسيرة .

(٣) أثولوجيا : الميمر العاشر : ١٤٦ ، وفيه فروق .

لهما ، وذلك لأنه يفعل بعض أفاعيل الإنسان العقلي وبعض أفاعيل الإنسان النفساني ففي الإنسان كلمات الإنسان العقلي وكلمات الإنسان النفسي ، فقد جمَعَ الإنسان الجسماني كِلْتَا الكلمتين ، إلا أنّهما فيه قليلة ضعيفة نزرّة ، لأنّه صنمٌ للصنم .  
فقد بانَ إن الإنسان الأوّل حسّاسٌ لإلانة بنوع أعلى وأشرف من الحسّ الكائن في الإنسان السفلي ، وهو إنّما ينال الحسّ من الإنسان الكائن في العالم الأعلى العقلي كما بيّناه » - انتهى كلامه .

و كلامه في النشآت الثلاث للإنسان يطابق القرآن كما وقعت الإشارة إليه ، فإنّ الإنسان العقلي هو الإنسان التامّ الكامل ، الذي كانت الملائكة كلّهم مأمورين بسجوده وطاعته ، والإنسان النفسي هو الذي كان في الجنة قبل هبوطه إلى هذا العالم لأنّ الجنة من مسارح النفس ومراتعها ، وفيها ما نشتهي الأنفس وتلذّ الأعيُن والإنسان السفلي هو المخلوط من التراب ، المعرض للموت والفساد والشر والعداوة والخصومة كما في قوله : ﴿ اِهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

## فصل

قوله [تعالى] : فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

الزَّلّة ، والخطيئة ، والمعصية ، والسّيئة بمعنى واحد بحسب العرف . وضدّ الخطيئة : الإصابة . يقال : « زلّت قدمه زلاً » و « زلّ في مقالته زلّة » والمزلة : المكان الدخض . والأصل في ذلك الزوال . فالزلة زوالٌ عن الحق وتحوّلٌ عنه .

قال صاحب الكشاف : « معناه : فأصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة « عن »

في هذه الآية كهي في قوله : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [٨٢/١٨] .

ومن <sup>(١)</sup> قرء : « أزالهما » فهو من الزوال عن المكان .  
وقال بعض العلماء : أزالهما الشيطان ، أي : استزلهما . وهو من قولك : « زلَّ  
في دينه ، أودنياه » نسب الإزلال إلى الشيطان لما وقع بدعائه ووسوسته وإغوائه  
عنها - أي : عن الجنة وما كان فيه من عظيم الرتبة والمنزلة .  
والشيطان المراد به إبليس . فأخرجهما ممّا كانا فيه من النعمة والدعة .  
ويحتمل أن يكون المراد أخرجهما من الجنة حتى أهبطا . أو من الطاعة إلى  
المعصية . وأضاف الإخراج إليه لأنه كان السبب فيه . كما يقال : « صرّفتي فلان عن  
هذا الأمر » .



واختلف في كيفية وصول إبليس إلى آدم وحواء حتى وسوس إليهما - وإبليس  
كان قد أخرج من الجنة حين أبي السجود ، وهما في الجنة .  
فقيل : إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة ، وإبليس لم يكن ممنوعاً من  
الدنو منه . فكان يكلمه . - عن أبي علي الجبائي .  
وقيل : كان إبليس يدنو من السماء فيكلمها . (ظ: فيكلمها) .  
وقيل : قام عند الباب فنادى .

وزوي <sup>(٢)</sup> « إنه أراد الدخول فمنعته الخزنة ، فدخل في فم الحية حتى دخلت  
وهم لا يشعرون » . وهذا يشبه قول القصاص . ويحتمل أن يكون الحية إشارة إلى بعض  
قوى النفس الإنسانية التي بوسيلتها يوقع الشيطان الوسوسة في قلب الإنسانية ، فكانه  
دخل بوسيلتها في روضة قلبه .

(١) هذه قراءة حمزة : مجمع البيان : ٨٦/١ .

(٢) الرواية عن ابن عباس وابن مسعود ووهب بن منبه ، راجع الدر المنثور : ٥٣/١

وتفسير الطبري : ١٩٠/١ .

وروي أيضاً ما يقرب [من] هذا<sup>(١)</sup>، وهو إن إبليس دخل الجنة في عبوة دابة .  
واختلفوا أيضاً إن إبليس هل باشر خطابهما ، أو يقال إنّه أوصل الوسوسة  
إليهما على لسان بعض أتباعه . وقوله تعالى ﴿وَقَامَسَهُمَا أَنِّي لَكُمَا لِمَنَ النَّاصِحِينَ﴾  
[٢١/٧] وكذا قوله : ﴿فَدَلَّيْهُمَا يَفْرُورٍ﴾ [٢٢/٧] يقتضى المشافهة .  
ودليل الثاني إن آدم وحواء كانا يعرفانه ، ويعرفان ما عنده من العداوة والحسد  
فبعيد في العادة أن يقبلوا قوله ، وأن يلتفتا إليه ، فينبغي أن يكون وسوسته بالواسطة .

## فصل

قوله : ﴿اٰهْبَطُوْا﴾ خطابٌ للجمع . وفيه وجوه<sup>(٢)</sup> :  
أحدها إنّه خاطب آدم وحواء وإبليس ، وهو اختيار الزجاج ، وبه قال جمع  
من المفسرين ، وهذا غير منكر وإن كان إبليس قد أخرج قبل ذلك بدلالة قوله :  
﴿فَاَخْرَجْنَا مِنْهَا فَاِنَّكَ رَٰجِيْمٌ﴾ [٧٧/٣٨] فجمع الخبر للنبي ﷺ لأنهم قد اجتمعوا  
في الهبوط وإن كانت اوقاتهم متفرقة ، كما يقال : « أخرج جميع من في الحبس »  
وإن أخرجوا متفرقين .

والثاني : إنّه أراد آدم وحواء والحیة - وفيه بُعد .

والثالث : إنّه أراد آدم وحواء وذريتهما . لأن الوالدين يدلان على ذريتهما  
وتتعلق بهما .

والرابع : - وهو الأولى - أن يكون الخطاب يختص بآدم وحواء ، والمرادهما  
وذريتهما ، لأنهما كانا أصلي الإنس ومستشبعهم ، جعلاً كأنهما الإنس كلهم . والدليل  
عليه قوله . ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [١٢٣/٢٠] وهو من قبيل

(١) راجع المصدرين السابقين .

(٢) مجمع البيان : ٨٧/١ .



قوله : ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٨/٢] .

والخامس : إن المراد هو آدم وحواء فقط ، وخاطب الإثنين على الجمع كما هو عادة العرب ، وعليه قاعدة علم الميزان ، وذلك لأن الإثنين أول الجمع . قال تعالى : ﴿إِذْ نَفَسْتُمْ فِيهِ غَمِّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [٧٨/٢١] أراد حكم داود وسليمان عليهما السلام . وقد تأول قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [١١/٤] على معنى فإن كان له أخوان .

والسادس : آدم وحواء والوسوسة - عن الحسن - وهذا ضعيف .

### [ سر هبوط آدم ]

واعلم إن إخراج آدم وحواء من الجنة واهباطهما إلى الأرض لم يكن على وجه العقوبة ، لأن الدليل قد دل على أن الأنبياء لا يجوز عليهم ما يوجب الذم والعقاب لهم عليه . ومن أجاز العقاب للأنبياء عليهم السلام فقد أساء عليهم الأدب وأعظم الفرية على الله ، وذلك لأن مقامهم بحسب الباطن عالم القدس العقلي ومحل العصمة عن الشرور والطهارة عن الخبائث الطبيعية والأرجاس البدنية .

وإنما أخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحة قد اقتضت تناوله من الشجرة ، والحكمة الإلهية قد قدرت اهباطه إلى الأرض وابتلائه بالتكليف والمشقة تكميلاً للسعادات ، وإخراجاً للذريات من ظهره وبتاً للخيرات ، وانفتاحاً لأبواب البركات ، فإن الرحمة الإلهية لما لم يجز وقوفها عند حد يفي ورائها الإمكان الغير المتناهي . لأن قوته غير متناهية ، وجوده غير محصور عند حد ليكون الفائض من رحمة وجوده قدر متناه .

ثم أشرف الحوادث البدنية هي الأرواح الإنسية المتعلقة بالقوالب البشرية ولا يمكن خروج جميع النفوس الناطقة من القوة إلى الفعل دفعة واحدة على سنة الإبداع ، لامع الأبدان .

فلا بدّ من تكثير هذا النوع الإنساني الذي تعلقت العناية الأولى بتدبير أفرادها وتكثير أفرادها من التوالد والتناسل قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة ، ففي كلّ مدة يفيض من عالم القدس الإلهي نفوساً إنسانية يرجع ما كمل منها بالعلم والتقوى إلى الوطن الأصلي، والمكان العالي ومالم يكمل بمكث في بعض البرازخ السفلية أزماناً طويلة أو قصيرة ، وأحقاباً كثيرة أو قليلة بحسب كثرة العوائق والأوزار وقلتها ، وإذا كان الاعتقاد فاسداً ، والجهل راسخاً ، كان العقاب أبدياً والمخلص مستحيلًا<sup>(١)</sup> .

### فصل

في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام وما ذكر فيها على طريقة المتكلم<sup>(٢)</sup>

لا شبهة في أنّ النبي لا بدّ في أثبات نبوته ورسالته من معجزة تقتضي صدق دعواه للنبوة ، وما يتعلّق بها من التبليغ وشرعية الأحكام ، فما يتوهم صدوره عن الأنبياء من القبائح إمّا أن يكون منافياً لما تقتضيه المعجزة كالكذب فيما يتعلّق بالتبليغ أولاً . والثاني إمّا أن يكون كفراً ، أو معصية غيره . والثاني إمّا أن يكون كبيرة كالقتل والزنا ، أو صغيرة . والثانية إمّا أن تكون منفرة كسرقة لقمة ، أو التطييف بحبة . أو غير منفرة ككذبة ، أو همة بمعصية . كلّ ذلك إمّا عمداً أو سهواً . بعد البعثة ، أو قبلها .

والجمهور من الإسلاميين اتفقوا على وجوب عصمتهم عمّا ينافي مقتضى المعجزة وما يتعلّق بالتبليغ - وإلا لارتفع الوثوق بالأداء - واتفقوا على أنّ ذلك كما لا يجوز عمداً ، لا يجوز سهواً . وقد جوزه القاضي سهواً - زعماً منه إنّه لا يدخل

(١) هذا نصّ صريح من المفسر - ده - بتسرمد العذاب على الكفار الراسخين في الجهل

(خواجوي)

(٢) راجع الأربعين للفخر الرازي المسئلة الثانية والثلاثون : ٣٢٩ إلى ٣٦٧ .

في التصديق بالمعجزة .

واتفقوا أيضاً على وجوب عصمتهم عن الكفر ، وقد جوّزه الأزارقة من الخوارج ، بناء على تجويزهم الذنب ، مع قولهم بأن كل ذنب كفر . وجوّز بعض فرق الشيعة اظهاره تقيّة واحترازاً عن إلقاء النفس في المهلكة . وردّ بأن أولى الأوقات بالتقيّة ابتداء الدعوة ، لضعف الداعي وشوكة المخالف .

وكذا عن تعمد الكبائر بعد البعثة ، فعند الأشاعرة سمعاً ، وعند غيرهم عقلاً وجوّزه الحشوية إما لعدم دليل الامتناع لهم ، وإما لما سيجيء من شبه الوقوع . وكذا عن الصفائر المنفّرة لإخلالها بالدعوة إلى الاتباع .

وكذا ذهب كثير من المعتزلة إلى نفي الكبائر قبل البعثة أيضاً . وذهب الإمامية إلى نفي الصفائر قبل البعثة وبعدها مطلقاً لاعمداً ولا سهواً وذهب الأشاعرة إلى نفي الكبائر بعد البعثة مطلقاً ، والصفائر - عمداً ولا سهواً - لكن لا يصرّون ولا يقرّون ، بل ينهون وينتهون .

وذهب إمام الحرميين منهم ، وأبوهاشم من المعتزلة إلى تجويز الصفائر عمداً .

\* \* \*

لنا : لو صدر عنهم الذنب لزم أمورٌ كلها فاسدةٌ بالدلائل العقلية والسمعية : أحدها حرمة اتّباعهم . لكن النبي واجب الاتّباع بالاجماع وبقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٣١/٣] .

الثاني ردّ شهادتهم . لقوله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ الآية [٦/٤٩] لكن التالي منتفٍ - للقطع بأن من يرّد شهادته في القليل من متاع الدنيا لا يستحقّ القبول في أمر الدين القائم إلى يوم الدين .

الثالث وجوب منعهم وزجرهم ، لعموم أدلّة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . لكنّه منتفٍ لاستلزامه ايذائهم ، وهو محرّم بالاجماع ، وبقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية [٥٧/٣٣].

الرابع استحقاقهم العذاب واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قوله: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ [٢٣/٧٢] وقوله: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [١٨/١١] وقوله ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢/٦١] وقوله: ﴿ أَنَا مُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [٤٤/٢] لكن كل ذلك منتفٍ عنهم بالإجماع . ولكون وقوعها من أعظم المنقرات .

الخامس عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [١٢٤/٢] فإن المراد به النبوة ، أو الإمامة دونها .

السادس كونهم غير مخلصين ، لأن المذنب قد أغواه الشيطان والمخلص ليس كذلك ، لقوله تعالى حكاية من إبليس: ﴿ لَا فَوْيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعيادك منهم المخلصين] [٤٠-٣٩/١٥] لكن اللازم منتفٍ بالإجماع ، [ و ] بقوله تعالى في إبراهيم وإسحق ويعقوب: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [٤٦/٣٨] وفي يوسف: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٢٤/١٢] .

السابع كونهم حزب الشيطان ومتبعيه ، واللازم قطعي البطلان . وذلك لأنه تعالى قسم الخلق صنفين فقال في أحدهما ، ﴿ أَوْلِيكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [ ١٩/٥٨ ] وقال في الآخر: ﴿ أَوْلِيكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [ ٢٢/٥٨ ] ولا خفاء في أن حزب الشيطان من يفعل ما يرتضيه - وهو المعصية .

الثامن عدم كونهم مسارعين في الخيرات ، معدودين عند الله من المصطفين الأخيار ، إذ لاخير في الذنب لكن اللازم منتفٍ لقوله تعالى في حق بعضهم: ﴿ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ ﴾ [ ٤٧/٣٨ ] ولفظ « الخيرات » للعموم ، فيتناول الكل والثاني أيضاً يتناول جميع الأفعال والثروك ،

بدليل جواز الاستثناء فيقال : « فلان من المصطفين الأخيار ، إلا في فعله الفلاني »  
والاستثناء يُخرج من الكلام مالولاه لدخل تحته . فثبت إنهم أخيار في كل الأمور ،  
وذلك ينافي الذنب عنهم .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [٧٥/٢٢] وقال :  
﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٣/٣]  
وقال في إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ [١٣٠/٢] وفي موسى : ﴿ إِنِّي  
اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ [١٤٤/٧] وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ \* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرُوا  
الدَّارِ \* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ [الأخيار] ﴾ [٤٧ - ٤٥/٣٨] فكل هذه الآيات  
دالة على كونهم موصوفين بالاصطفاء والخيرية ، وذلك ينافي صدور الذنب عنهم .

التاسع إن النبي أفضل من الملك - كما مر - والملائكة معصومون عن  
المعصية ، لقوله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ﴾ [٦/٦٦] وإذا كان الملك معصوماً  
وجب أن [ يكون ] المساوي له في الفضيلة معصوماً - فضلاً عن الأفضل - وذلك  
لقوله : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [٣٨-٢٨] .

والعاشر قوله تعالى في حق إبراهيم : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [١٧٤/٢]  
والإمام من يؤتم به ، ولو صدر عنهم الذنب لوجب الإتيان بهم في ذلك الذنب ،  
وذلك تناقض .

\* \* \*

وللمخالف في كل ما ذكرناه محل بحث وهو إن وجوب الاتباع والإتيان إنما  
هو متعلق بالشريعة وتبليغ الأحكام ، وبالجملة فيما ليس بدلة ولا طبع . ورد الشهادة  
إنما يكون بكبيرة أو إصرار على صغيرة من غير إنابة ورجوع . ولزوم الزجر والمنع  
واستحقاق العذاب واللوم إنما هو على تقدير التعمد وعدم الإنابة ، ومع ذلك فلا يتأذى

به النبي ، وبمجرد كبيرة سهواً ، أو صغيرة - ولو عمداً - لا يعد المؤمن من الظالمين على الإطلاق ، ولا من الذين أغواهم الشيطان ولا من حزب الشيطان ، سيما مع الإنابة وعلى تقدير كون الخيرات لعموم كل فعل وترك مسارعة البعض إليها لا ينافي صدور ذنب عن آخر - سيما سهواً ومع التوبة .

وبالجملة - فدلالة الوجوه على نفي الكبيرة سهواً ، وللصغيرة الغير المنفرة عمداً - على ما هو المتنازع فيه - محل نظر .

\* \* \*

واحتج المخالف بما نقل من أقاصيص الأنبياء ، وما شهد به ظاهر كتاب الله من نسبة المعصية والذنب إليهم ، ومن توبتهم واستغفارهم - وأمثال [ذلك] .  
والجواب عنه - أما إجمالاً - فهو إن ما نقل أحاداً فردود ، وما نقل متواتراً أو منصوصاً في الكتاب فمحمولٌ إما على ترك الأولى - كما عندنا - أو على السهو والنسيان - كما عند من جوزهما عليهم - أو كونه قبل البعثة - كما عند من جوز المعصية عليهم قبل البعثة - أو غير ذلك من المحامل والتأويلات  
وأما تفصيلاً فهو مذكور في التفاسير وفي الكتب المصنفة ، وسيأتي ذكرها في تفسير تلك الآيات على الاستقصاء ، ونشير إلى معاندها ههنا .

\* \* \*

أما ما ورد في قصة آدم فأمران :

أحدهما ما ورد في التنزيل إنه عصى وخالف النهي عن أكل الشجرة ، واعترف نفسه وعوتب قولاً وفِعلاً - أما قولاً : فبقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ الشَّجَرَةِ ﴾ [٢٢/٧] وأما فعلاً فبِنزع اللباس والاخراج من الجنة - ثم تاب الله عليه واجتبه وبالجملة ففي قصته سبع دلالات على عدم عصيته :  
الأول كونه عاصياً، لقوله : ﴿ وَعَصَى ﴾ .

والثاني النبي لقوله تعالى : ﴿فَقَوَى﴾ [١٢١/٢٠] وهو ضد الرشد .  
والثالث التوبة . لقوله تعالى : ﴿فَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾  
[٣٧/٢] وهي لا يكون إلا من الذنب .

الرابع : ارتكابه المنهي في قوله : ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ﴾ [٢٢/٧] .  
الخامس : سَمَاه ظالماً في قوله : ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٣٥/٢] وهو سَمَى  
نفسه ظالماً في قوله : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [٢٣/٧] والظالم ملعون لقوله تعالى :  
﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [١٨/١١] ومن استحق اللعن لولا التوبة - كان صاحب  
كبيرة .

السادس : كونه خاسراً لولا مغفرة الله ، لقوله : ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٢٣/٧] وذلك يقتضي كونه ذا كبيرة .

السابع : إنه أُخرج من الجنة جزاء على ما أقدم عليه من طاعة الشيطان .  
ولكل من هذه الوجوه جوابٌ تفصيليٌّ سيأتي . والجواب إجمالاً من  
وجوه :

أحدها - وهو المختار - إن النهي للتنزية ، وإنما سُمى ظالماً وخاسراً لأنه ظلم  
نفسه وخسر حظّه بترك ما هو الأولى له . وأما إسناد النبي والعصيان إليه فسيأتي . وإنما  
أمر بالتوبة تلافياً لما فات عنه ، وجرى عليه ما جرى معاتبته له على ترك الأولى ، لأن  
مثله عن مثلهم عظيم « حسنات الأبرار سيئات المقربين » ووفاء بما قاله للملائكة قبل  
خلقه .

وثانيها إنه فعله عن نسيان ، لقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [١١٥/٢٠]  
ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان وترك اليقظة ، والتنبيه لاصابة المراد ،  
ولعل النسيان - وإن حط عن الأمة - لم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم ، كما قال عليه السلام (١) :

« أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل » .  
 وثالثها إنه أدى فعله إلى ماجرى عليه على طريقة السببية المقدرة دون  
 المؤاخذة ، كتناول السم على الجاهل بشانه ، وفيه مصلحة باقية .  
 لا يقال « إنه باطل » ، لقوله تعالى : ﴿ مَا نَهَيْكُمَا رَبُّكُمَا ﴾ [٢٠/٧] ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾  
 [٢١/٧] الآيتين « لأنه ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حينما قاله إبليس ، ففعل مقاله  
 أورث فيه ميلاً طبيعياً ، ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله ، إلى أن نسي ذلك  
 وزال المانع ، فحمله الطبع عليه بتقدير الله .

ورابعها : قيل إنه أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه ، فإنه ظن إن النهي للتنزيه  
 أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة ، وتناول من غيرها من نوعها ، وكان المراد بها  
 الإشارة إلى النوع - كما زوي<sup>(١)</sup> إنه ~~أخذ~~ أخذ حريراً وذهباً بيده وقال : هذان  
 محرمان على ذكور أمّتي ، حلّ لاناها ، وإنما جرى عليه ماجرى تفضيلاً لسان  
 الخطيئة ليجتنبها أولاده .

وثانيهما : قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا  
 زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْهُمَا ﴾  
 [١٨٩/٧-١٩٠] قالوا : هذه الكتابات كلّها عائدة إليهما ، فيقتضي صدور الشرك عنهما  
 والجواب أنه لم يقل أحد في حق الأنبياء ~~وآلهم~~ الشرك في الأوهية مطلقاً ،  
 فالوجه أن يقال : لأنسلم إن النفس الواحدة هي آدم<sup>هرامون</sup> ، وليس في الآية ما يدل عليه .  
 بل قيل : الخطاب لقريش ، وهم « آل قصي » . والنفس الواحدة « قصي » . ومعنى  
 ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ جعلها من جنسها زوجة عربية قرشية . وإشراكهما فيما آتاها  
 الله تسمية أولادهما بعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد الدار ، وعبد قصي .

أو يقال : إنه على حذف المضاف ، أي جعل أولادهما شركاء له . بدليل قوله

(١) راجع بحار الانوار : ١٦٦/٧٧ . (كتاب الروضة : باب ٧) .



﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [١٩٠/٧] .

أو المراد ما وقع له من الميل إلى طاعة الشيطان ووسوسته - ميلاً نفسانياً .  
وأما الشبهة في حق نوح عليه السلام هو إن قوله تعالى : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [٤٦/١١] تكذيب له في قوله : ﴿ إِنَّ أَبْنِيَّ مِنْ أَهْلِي ﴾ [٤٥/١١] .  
والجواب : إنه ليس للتكذيب ، بل للتنبيه على أن المراد بالأهل في الوعد هو الأهل الصالح . أو المعنى : إنه ليس من أهل دينك بحسب القرابة المعنوية ، وإن أضفته إلى نفسك بحسب البنية الصورية .

وقيل : إنه كان ابن امرأته ، فالمعنى : إنه أجنبي منك ، وكنت سمّيته بابنك لاختلاطه بأبنائك ، والأجنبي إنما يعدّ من آل النبي إذا كان له عمل صالح - وهو عمل غير صالح .

وأما الشبهة في حق إبراهيم - صلوات الله عليه - فهو إنه كذب في قوله : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [٧٦/٦] و ﴿ بَلْ قَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ [٦٣/٢١] و ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [٨٩/٣٧] .  
والجواب : إن الأول على سبيل القرض والتقدير ، كما يوضع الحكم الذي يراد ابطاله ، أو على الاستفهام ، أو على أنه كان في مقام النظر والاستدلال . والثاني على سبيل التعريض والاستهزاء . والثالث على أن به مرض الهمّ والحزن من عنادهم أو الحتمى - على ما قيل - .

وأما الشبهة في حق يوسف فمن جهة يعقوب الإفراط والمحبة والحزن الشديد والبكاء .

والجواب : إنه لامعصية في ميل النفس ، سيّما إلى من يلوح آثار الخير والصلاح وأنواع الكمال . ولا في بثّ الشكوى والحزن إلى الله في مصائب يكون من جهة العباد ، سيّما قد قال إنه كان من خوف أن يموت يوسف على غير دين الإسلام .  
ومن جهة الإخوة ما فعلوا بيوسف وما قالوا من الكذب .

والجواب إنهم لم يكونوا أنبياء .

ومن جهة يوسف الهمّ المشار إليه بقوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [٢٤/١٢] وجعل السقاية في رَحْل أخيه ، والرضا بسجود إخوته وأبويه .

والجواب : إن المراد : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بَرُّهَانَ رَبِّهِ ﴾ والبرهان هو ما عنده من الصوارف العقلية الزاجرة للنفس عن فعل القبيح . أو المراد من « الهمّ » الميل الشهوي الحيواني الموجود في الطباع البشرية ، ولولا الزاجر الشرعي لما انتهى عن كل ما يمكنه من القبائح ، ولولا المعرفة الكاملة للقوة العقلية المنورة بحقيقة التقوى لوقع منه فعل ما لا ينبغي أحياناً . وليس المراد الهمّ بالمعصية والقصد إليها . وقيل : هو من باب المشاركة ، أي : شارف أن يهيم . وبالجملة فلادلالة هي هنا على العزم والقصد إلى المعصية - فضلاً عما يذكره الحشوية من الحشويات - ولهذا ورد في هذا المقام من الثناء على يوسف عليه السلام ما ورد ، من غير أن يبقى عليه زلة ، أو يذكر له استغفار وتوبة .

أما جعل السقاية في رَحْل أخيه : فقد كان بإذنه ورضاه - بل بإذن الله - ونسبة السرقة إلى إخوته تورية عما كانوا فعلوا بيوسف ، ومما يجري مجرى السرقة . أو هو قول المؤذن .

والسجدة كانت عندهم تحية وتكرمة ، كالقيام والمصافحة . أو كانت مجرد انحناء وتواضع - لا وضع الجبهة على الأرض .

وأما الشبهة في قصة موسى عليه السلام بقتل القبطي وتوبته عنه ، واعترافه بكونه من عمل الشيطان فمحمولٌ عندنا على أنه لترك ما هو الأولى . وقيل إنه كان خطأً وقبل البعثة .

وإذنه للسحرة في إظهار السحر بقوله : ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ [٨٠/١٠] ليس رضاً به ، بل الغرض إظهار بطلانه أو إظهار معجزته ، ولا يتم إلا به . وقيل :

لم يكن حراماً .

وإلقاء الألواح كان عن دهشة وتحير لشدة غضبه .

والأخذ برأس هرون وجره إليه لم يكن على سبيل الإيذاء ، بل يدنيه إلى نفسه ليتفحص منه حقيقة الحال ، فخاف هرون أن يحمله بنو إسرائيل على سبيل الإيذاء ، ويُفسي إلى شماتة الأعداء ، فلم يثبت بذلك ذنباً له ولا لهرون ، فإنه كان ينههم عن عبادة العجل .

وقوله للخضر : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا ﴾ [١٨/٧٤] أي : عجباً . وما فعله الخضر كان بإذن الله تعالى ، فلم يثبت لهما ذنب أصلاً .

وأما الشبهة في قصة داود عليه السلام فلم يثبت سوى أنه خطب امرأة كانت خطبها أوريا ، فزوجها أولياؤها داود - دون أوريا - أو سأل أن ينزل عنها فيطلقها ، وكان ذلك عادة في عهده فكان زلة منه لاستغناؤه بتسعة وتسعين .

والخصمان كانا ملكين أرسلهما الله إليه لينبئاهما ، فلما تنبأ استغفر ربه وخرّ راکعاً . وسياق الآيات يدل على كرامته عند الله ونزاهته عما ينسب إليه الحشوية ، إلا إنه بالغ في التضرع والتحرز والبكاء والاستغفار استعظماً للزلة بالنظر إلى ماله من رفيع المنزلة .

وتقرير الملكين تمثيلٌ وتصويرٌ للقضية ، لإخبار بمضمون الكلام ليلزم الكذب ويحتاج إلى ما قيل : « إن المتخاصمين كانا لصين دخلا عليه للسرقة ، فلما رآهما اخترعا الدهوى . أو كانا راعين غنم ظلم أحدهما الآخر ، والكلام على حقيقته » .

وأما الشبهة في قصة سليمان - على نبيتنا وعليه السلام فأمور :

أحدها ما يشير إليه بقوله تعالى : ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ ﴾ إلى آخره [٣٨/٣١] وذلك إنه اشتغل باستعراض الأفراس حتى غربت الشمس ، وغفل عن العصر - أو وزد كان له وقت العشي - فاعتم لذلك واسترد الأفراس فعقرها .

والجواب إن ذلك كان لأجل الاستغراق في اللذات إلى أسباب الدنيا ، او كان على سبيل النسيان - كما قيل - وعقر الجياد وضرب أعناقها كان لإظهار الندم وقصد التقرب إلى الله والتصديق على الفقراء من أحبّ ماله .

على أن من المفسرين من قال : المراد حبه للجهاد وإعلاء كلمة الله ، وضمير ﴿ تَوَاكَلْتُمْ ﴾ للجياد - لالشمس . وإنما طفق مسحاً بالسوق والأعناق تشريفاً لها وامتحاناً ، وإظهاراً لإصلاح آلة الجهاد .

وثانيها ما أشير إليه بقوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ الآية [ ٣٤/٣٨ ] فإن كان ذلك ماروي<sup>(١)</sup> « إنه ولد له ابنٌ ، وكان يَغذوه في السحابة خوفاً من أن يقتله الشياطين أو يخبله ، فما راعه أن ألقى على كرسيه ميتاً فتنبه لخطائه في ترك التوكل ، فاستغفر وتاب » فهذا ممّا لا بأس به ، وغايته ترك الأولى ، إذ ليس في التحفظ ومباشرة الأسباب ترك الامتثال لأمر التوكل ، على ما قال رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> : « إحققه وتوكل » .

وكذا ما روي<sup>(٣)</sup> إنه قال : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله » ولم يقل : « إن شاء الله » فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشقّ ولسد له عينٌ واحدة ، ويسدُّ واحدة ، ورجلٌ واحدة ، فألقته القابلة على كرسيه .

وأما ماروي<sup>(٤)</sup> من حديث الخاتم ، والشيطان ، وعبادة الوثن في بيته ، وجلوس الشيطان على كرسيه - فعلى تقدير صحته - يجوز أن يكون اتخذ التماثيل غير محرّم في شريعته ، وعبادة التماثيل في بيته غير معلوم الوقوع .

(١) الكشاف : في تفسير الآية .

(٢) الجامع الصغير ، ٤٧/١ : « إحققها وتوكل » .

(٣) كذا في الكشاف في تفسير الآية وفي الدر المنثور (٣١١/٥) : « بمأة امرأة ... » .

(٤) راجع الدر المنثور : ٣٠٩/٥ إلى ٣١٣ ، راجع أيضاً الكشاف في تفسير الآية .



ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿١﴾ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ عِنْدَ مُشْرِكِي مَكَّةَ أَعْظَمَ ذَنْبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ثَلَاثِمِائَةَ وَسِتِّينَ صَنَمًا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ ﷺ بِالدَّعْوَةِ إِلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ كَبُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَعَظُمَ ، وَقَالُوا : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ \* وَأَنْطَلَقَ الْمَلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِئِمَّةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ [ ٧-٥/٣٨ ]

فلما فتح الله على نبيه ﷺ مكة قال : يا محمد ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر .

فقال المأمون - لما سمع هذا الجواب بعد الأجوبة عن سائر السؤالات الموردة على عصمة الأنبياء ﷺ : « لقد شقيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن دين الإسلام خيراً .

وأما قوله : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ فمعناه فقدان الشرائع والأحكام . وقيل : إنه ضل في صباه في بعض شعاب مكة ، فردّه أبو جهل إلى عبدالمطلب . وقيل : ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب - وبالجملة - لادلالة على العصيان والميل عن طريق الحق . ولذا قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [ ٢/٥٣ ] .

وأما قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [ ٢/٩٤ ] فهو تمثيل لما كان يثقل عليه من حمل أعباء النبوة في أوائل البعثة ، أو من تهالكه على إسلام أهل العناد وتلفه .

وأما قوله : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ ﴾ [ ٤٣/٩ ] نلطف في الخطاب وعتاب على ترك الأفضل وإرشاد إلى تدبير الحرب والاحتياط .

وأما قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِإِنبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ إلى قوله : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [ ٦٧/٨-٦٨ ] عتاب على ترك الأفضل ، وهو أن لا يرضى باختيار أصحابه الفداء .

وكذا الكلام في قوله : ﴿ لِمَ نَحْرَمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ [ ١/٦٦ ] وقوله :  
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ [ ٢-١/٨٠ ] .

وأما ما روى إنه قرء بعد قوله : ﴿ أفرَأَيْتُمْ آلَ لَآتِ وَالْعُزَّى \* وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ  
الْآخِرَى ﴾ [ ٢٠/١٩/٥٣ ] « تلك الفرائق العلى . وإن شفاعتها لترتجى » فلما أخبره  
جبرئيل بما وقع منه حزن وخاف خوفاً شديداً فنزل قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ  
وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [ ٥٢/٢٢ ] تسلياً له .

فالجواب : إنه كان من إلقاء الشيطان في خياله - لانهتمداً منه .

وقيل : بل الفرائق هي الملائكة . وكان هذا قرآناً فنيخ .

وقيل معنى « تمنى النبي » حديث النفس . وكان يوسوس إليه الشيطان غير

الهدى ، فينسخ الله وساوسه من نفسه ويهديه إلى الصواب .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَتَخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ  
أَنْ تَخْشِيَهُ ﴾ [ ٣٧/٣٣ ] عتاباً على أنه أخفى في نفسه عزيمة تزويج زينب عند تطبيق  
زيد إياها ، خوفاً من طعن المنافقين ، ولا خفاء في أن إخفاء أمر دنيوي خوفاً من  
طعن أعداء الدين ليس من الصغائر - فضلاً عن الكبائر - بل غاية له ترك للأولى .  
وكذا ميلان القلب - لو ثبت .

وأما مثل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ [ ١/٣٣ ]  
﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ [ ٥٢/٦ ] ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [ ٩٤/١٠ ]  
﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [ ٦٥/٣٩ ] ﴿ وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
فَأَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرُونَ الْكِتَابَ ﴾ [ ٩٤/١٠ ] فجوابه : إن الأمر لا يقتضي سابقة تركه ،  
ولا النهي سابقة فعله ولا الشرط وقوع مضمونه .

\*\*\*

فظهر أن جواز الصغيرة على الأنبياء عليهم السلام عمداً - فضلاً عن الكبيرة - مما

لم يثبت بقاطع . وقد دلت الدلائل على وجوب عصمتهم وأما وقوعها عنهم سهواً أو نسياناً فهو موضع اجتهاد .

فإن قيل : ما بال زلات الأنبياء ﷺ قد حكيت حيث يُقرأ بأعلى الصوت على وجه الزمان ، مع أن الله خفّار ستّار قد أمر بالستر على من ارتكب ذنباً ؟ قلنا : ليدل على صدق الأنبياء ﷺ ، وكون ما يتلقون بأمر من الله ، من غير إخفاء لشيء ، وليكون امتحاناً للأمم كيف بأنبيائهم بعد الاطلاع على زلاتهم . وليعلموا أن الأنبياء ﷺ مع جلاله أقدارهم وكثرة طاعاتهم كيف التجأوا إلى التضرّع والاستغفار في أدنى زلّة وأقلّ تقصير .

### فصل

قوله [تعالى] : اهبطوا

مركز بحوث كالمبيوتر علوم إسلامي

اختلفوا في أن هذا الأمر هل هو أمر تعبد أو إباحة ؟ والأشبه عند قوم أنه أمر تكليف ، لأن فيه مشقة شديدة ، لأن مفارقه ما كانا فيه من الجنة إلى موضع لا يحصل المعيشة فيه إلا بالمشقة والكد من أشقّ التكليف . وإذا ثبت هذا فبطل ما يظنّ أن ذلك كان عقوبة ، لأنّ التشديد في التكليف لا يكون إلا لأجل الثواب ، فكيف يكون عقاباً مع ما يترتب عليه من النفع العظيم والثواب الجزيل .

وعند قوم من أهل المعرفة أنّ أمر « اهبطوا » أمر تكويني لهما ولذريتهما ، وذلك لأن الهبوط إلى الدنيا أو الأرض من الجنة أو السماء ليس واقعاً تحت الاختيار ، وكلّ ما ليس للمبدئ فيه اختيار فلامعنى للتكليف به . وأيضاً قوله : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ حكم يعمّ الناس كلّهم ، معناه ما عليه الناس من التمادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض . والقول بأنّ « الذرّية ما كانوا موجودين في ذلك الوقت فكيف تناولهم الخطاب ؟ » ساقط عند العارف بخطاب الله ، وبأنّ الأزمنة كلّها في حكم زمان واحد



عند الله . وبأن السامع لأمر التكوين وقول « كُنْ » يسمع الخطاب بسمع ذاتي عقلي قبل هذا السمع الظاهري .

### إشارة مشرقية

قد مرّ أنّ للإنسان نشأت ثلاث بحسب البداية النزولية ، وكذلك بحسب النهاية الصعودية للكامل . وله هبوطان وصعودان . وهذه النشأة الدنيوية آخر منازل الهبوط وأول منازل الصعود وهي دار التضاد والتفاسد ، وعالم التغالب والتعادي ، لضيق عرضتها الوجودية ، وانحصار لذاتها الكونية ، وقصور خيراتها من أن يسع للجميع فلذلك ينبعث فيها حبّ التغالب المؤدي إلى العداوة . فقوله : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ إشارة إلى ما هو من خواص هذه النشأة التي هي مهبط آدم وأولاده .

ولهذا احتاج كل من في هذا العالم إلى قوّة غضبيّة يذبّ بها عن نفسه الآفة والشرّ ، وإلى قوّة شهوية يجلب بها إلى نفسه النفع والخير والحكمة في وجودهاتين القوتين في الحيوان عموماً وفي الإنسان خصوصاً هو ما سبق ذكره .

وفيه أيضاً إشارة إلى وجوب وجود خليفة من الله في الأرض في حفظ هذا النوع الإنساني ، وعدم جواز أن يترك الناس وآراؤهم ، إذ لا بدّ لهم من الشركة في الماء والطين - كما لا يخفى - ولا يتم المشاركة إلا بالمعاملة ، ولا المعاملة - وهي مثار الخصومات ومنبت العداوات - إلا بسنّة وعدل . فإن لم يكن سنّة سانّ ، وعدل معدّل مصوب من قبل الله ، مخصوص بمعجزات وكرامات يدلّ على صدقه حتى يسمع دعوته ، وينقاد حكمه ، ويتبع قوله ورأيه ، لأدت العداوات والخصومات إلى الفساد وسفك الدماء ، والهرج والمرج .

وقيل : يعني بقوله : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ آدم وذريته ، وإبليس وذريته ، ولم يكن من آدم إليه ما يوجب عداوته إياه ، ولكن حسده الملعون وخالفه ، فنشأت

بينهما العداوة ثمّ إنّ عداوة آدم له ايمان وحكمة ، للخلاص من شره . وعداوة إبليس كفر وحيلة .

وقال الحسن : بين بني آدم وبني إبليس .

وليس ذلك بأمر بل هو تحذير ، لأنّ الله لا يأمر بالعداوة . فالأمر مختصّ بالهبوط ، والعداوة تجري مجرى الحال . لأنّ الظاهر يقتضي أنّه أمرهما بالهبوط في حالة عداوة بعضهم بعضاً .

## فصل

قوله [ تعالى ] : **وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ**

المُسْتَقَرُّ: إمّا بمعنى المصدر، كقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [١٢/٧٥] أو بمعنى المكان الذي يُسْتَقَرُّ فيه، كقوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [٢٤/٢٥] وقوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [٩٨/٦] فالأكثر على أنّ المراد ههنا هو المعنى الثاني، أي إنّها مستقرّكم حالتي الحياة الدنيا والموت .

وعن ابن عباس: إنّ المستقرّ هو القبر، أي يكون قبوركم فيها .

وقيل: الأوّل أولى، لأنّه تعالى قرّن المتاع به وهو لا يليق إلا بحال الحياة .

أقول: يحتمل أن يكون المستقرّ للاموات، والمتاع للأحياء، وفيه الإشارة

إلى حال السائرين إلى الله، والواقفين في هذا المهبط .

وقوله: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى يوم القيامة - إن أريد الخطاب للجميع -

أو إلى ساعة الموت - إن أريد لكلّ واحد - فإنّ نسبة يوم القيامة - أي الكبرى -

إلى الكلّ كتسبة حالة الموت - وهي القيامة الصغرى - إلى واحد واحد .

قوله جلّ اسمه :

تَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ

عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾

تَلَقَّى : أي قَبِلَ وأخذ وتناول آدمُ على سبيل الطاعة من ربه وربُّ كلِّ شيءٍ :  
كلمات . والمراد فجعلها وسيلة . أو سأله بحقهن .

وإنما اكتفى لدلالة ما بعده عليه . ولأن معنى التلقّي يفيد ذلك وينبئ عمّا  
حذف من الكلام اختصاراً . ولذلك قال : ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ بالفاء الدالة على الترتيب ،  
لأنه لم يتب و[لا] يتوب عليه إلا بأن سأل بتلك الكلمات ، وكان الله قد علّمه طريق  
الإنيابة ، وعرفه وجوب التوبة ، وهداه إلى التوسّل بتلك الكلمات .

وقرأ ابن كثير ﴿آدَمَ﴾ بالنصب و﴿كَلِمَاتٍ﴾ بالرفع ، ومعناه غير ذلك ،  
وهو أن الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة .

ويحتمل أن يقال : إن التلقّي لما كان من المعاني الإضافية - وكان من تلقى  
رَجُلًا فَتَلَقَّيَا كُلَّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ ، وأضيف الاجتماع إليهما معاً - صلح أن يشتركا في  
الوصف بذلك فيقال : كُلَّمَا تَلَقَّيْتَهُ فَقَدْ تَلَقَّاكَ ، فجاز أن يقال : « تَلَقَّى آدَمُ كَلِمَاتٍ »  
أي : أخذها واستقبلها . وجاز بالنصب . أي : جاءت من الله وتلقته كلمات . على  
مثل قوله : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [١٢٤/٢] في قراءة ابن مسعود (١) .

وتلك الكلمات هي كلمات الله التي لا تبعد ولا تنفذ أبداً ، وهي الجواهر العالية الموجودة بأمر الله ، بل هي نفس أو امر الله ، وصور ما في علم الله . وبمعرفة والاتصال بها والاعتصام بعراها التي لا انفصام لها نجت النفس الآدمية عن عذاب يوم الآخرة . وفي الأدعية النبوية<sup>(١)</sup> : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا ذُرِعَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ » .

\* \* \*

واختلف في تلك الكلمات ما هي<sup>(٢)</sup> ؟ قيل : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ - الآية - وهو المروي عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير ، وإن في ذلك اعترافاً بالخطيئة ، فلذلك وقعت موضع الندم وحقيقته الإنابة . وقيل : هي قوله : « لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ . اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَارْحَمْنِي إِنَّكَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، رَبِّ انِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَتُبَّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » عن مجاهد ، وهو المروي عن أبي جعفر الباقر<sup>(٣)</sup> .

وقيل : بل هي « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » . وعن ابن مسعود<sup>(٤)</sup> : « إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ مَا قَالَهُ أَبُو نَا حِينَ اقْتَرَفَ السَّيْئَةَ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

(١) المسند : ٤١٩/٣ .

(٢) راجع مجمع البيان : ٨٩/١ .

(٣) مجمع البيان : ٨٩/١ وجاء ما يقرب من ذلك في تفسير القمي (٣٧) عن الصادق (ع) .

(٤) الكشاف : ٢١١/١ .

وروي عن أهل البيت عليهم السلام (١) : « إن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء مكرمة معظمة ، فسأل عنها . فقيل له : هذه أسماء لأجل الخلق منزلة عند الله تعالى والأسماء : « محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام » فتوسل آدم إلى ربه بهم في قبول توبته . »

وعن ابن عباس (٢) : قال آدم : يا ربّ ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى . قال : ألم تنفخ في الروح من روحك ؟ قال : بلى . قال : ألم تسكنني جنتك ؟ (٣) قال : بلى . قال : يا ربّ إن تهت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ [قال : نعم] .

أقول: وفي كل من هذه الأقوال إشارة إلى ما أولناه أولاً ، فإن روح التسييح والتحميد إنّما يحصل للإنسان إذا توجه بقلبه إلى عالم التقديس والتحميد بالبرائة عن أدناس عالم الطبيعة ودمائها . وروح التوبة والإنابة إنّما يحصل عند رجوعه إلى الحضرة الإلهية بالتجرد عن ماسواها ، وليس في تحريك اللسان والشفتين بتلك الأدعية والاوراد كثير فائدة ، ما لم يكن معها حركة باطنية ورجوع معنوي إلى الجنة العالية التي كانت موطن أينا المقدس .

فالمعنى فيها : إن آدم ترك الخلق وأمّ الحق ملتجئاً إليه باطناً وظاهراً ، باكياً ، طالباً منه التوبة والرجوع ، فتاب عليه ورجع .

وفيما روي عن أهل البيت عليهم السلام إشارة إلى مقامات هؤلاء الاخيار ، ودرجات هذه الذوات المكرمة والنفوس المطهرة في عالم عرش الله قبل بداية هذا الكون

(١) مجمع البيان : ٨٩/١ .

(٢) راجع المستدرک للحاكم : كتاب تواريخ المتقدمين ، ذكر آدم (ع) : ٥٤٦/٢ .  
والدر المنثور : ٥٨/١ .

(٣) اضيف في المستدرک : « قال : أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى . »

الدينيوي ، وبعد رجوعهم عن هذه الدار ، واتصالهم بتلك الكلمات التي لا تبعد ولا تنفد .

وفيما زوي عن ابن عباس إشارة إلى أن المراتب اللاحقة هي أعيان المراتب السابقة ، وأن كل أحد يمكن وصوله إلى المقام الذي كان فيه بحسب الفطرة الأصلية إن ساعده التوفيق .

فقوله : « أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ » إشارة إلى مقامه السابق الربوبي الأسمائي . وقوله « أَلَمْ تَنْفَخْ فِيَّ الرُّوحَ مِنْ رُوحِكَ » إشارة إلى مقامه السابق الروحي في عالم العقل المحض . وقوله : « أَلَمْ تَسْكُنْنِي جَنَّتِكَ » إشارة إلى مقامه السابق النفسي في عالم الحياة النفساني الجنائي ، وهو عالم الجنة والمغفرة .

وقال النخعي<sup>(١)</sup> : أثبت ابن عباس ، وقلت : ما الكلمات التي تلقى آدم وحواء من ربه ؟ قال : علم الله آدم وحواء أمر الحج ، فحججاً ، وهي الكلمات التي يقال في الحج ، فلما فرغا من الحج أوحى إليهما بأنني قبلت توبتكما .

وزوي<sup>(٢)</sup> لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعاً ، والبيت يومئذ ربوة حمراء ، فلما صلى ركعتين قال : « اللهم إنك تعلم سرّي وعلانيتي ، فاقبل معذرتي . وتعلم حاجاتي ، فاعطني سؤلي . وتعلم ما في نفسي ، فاغفر لي ذنوبي . اللهم إنني أسئلك ايماناً يباشر قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم إنّه لن يصيبني إلا ما كتبت [لي] والرضا بما قسمت لي » فأوحى الله إلى آدم : « يا آدم قد غفرت لك ذنبك ، ولم يأتني أحدٌ من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من بين عينيه . وجاءته الدنيا وهو لا يريدتها »

(١) تفسير القصر الرازي : ٤٧٠/١ .

(٢) الدر المنثور : ٥٩/١ .

## فصل

قوله : ﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ أي : رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة فإن العبد كلما توجه بوجهه إلى الله توجهه تعالى بوجهه إليه « مَنْ كَانَ لِلَّهِ كَانَ اللَّهُ لَهُ » . وفي الحديث الإلهي<sup>(١)</sup> : « مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا » .

وإنما رتبته بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة ، وهو الرجوع إلى الله بالقلب التقى ، والعلم بقبح المصيبة . وقد علمت إن توبة الرب متوقف على توبة العبد ، والإعتراف بالذنب والندم عليه ، والعزم على أن لا يعود إليه . وإنما اكتفى بذكر آدم لأن حوا كانت تبعاً له في الحكم ، ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْتَوَّابُ ﴾ أي : الرجوع على عباده بالمغفرة ، أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة . وأصل التوبة - كما مر - الرجوع .

قال الفخال<sup>(٢)</sup> : « التوبة كالأوبة معنى . يقال : تَوَّبَ ، كما يقال : أَوَّبَ . قال تعالى ﴿ قَابِلُ التَّوْبِ ﴾ [٣/٤٠] فقولهم : « تَابَ يَتَوَّبُ تَوْبًا وَتَوْبَةً وَمَتَابًا ، فَهُوَ تَائِبٌ وَتَوَّابٌ » كقولهم : « آبَ يَتَوَّبُ أَوْبًا وَأَوْبَةً ، فَهُوَ آئِبٌ وَأَوَّابٌ » .

والتوبة لفظ مشترك فيها الرب والعبد ، فإذا وُصف بها العبد ، فالمعنى : رجع إلى ربه . لأن كل عاصٍ هو في معنى الهارب من ربه ، فإذا تاب فقد رجع من هربه ، فيقال : تاب إلى ربه ، والرب تاب على عبده . وقد يفارق الرجل خدمة رئيس فيقطع الرئيس معرفته عنده ، ثم يراجع خدمته ، فيقال : فلان عاد إلى الأمير ، والأمير عاد عليه بإحسانه ومعروفه » - انتهى كلامه .

(١) المستدرک للحاكم : كتاب التوبة ، ٢٤٧/٤ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٤٧٢/١ .

فبالحقيقة رجوع العبد إلى الحق عبارة عن الخروج من قيد النفس بترك المعاصي والتعلقات ، وتصفية القلب عن درن الشهوات ، ليستعد للقاء الله والجنة . ورجوع الحق إلى العبد عبارة عن كشف الحقيقة له بإفاضة الخيرات عليه ، وإنزال البركات إليه .

وبالجملة - كما ان بُعد العبد عن الحق - وهو عبارة عن احتجابه عنه بالصفات الظلمانية والملكات الرديّة ، وهو يستلزم بُعد الحق عنه - مع إنه مع كل شيء ، وهو أقرب إليه من كل قريب - فكذلك قرب العبد من الحق برفع الحجب الظلمانية يستلزم قرب الحق منه بتجلي ذاته له بنور وجهه ، لا بمعنى أن يحصل له تغيير وانتقال - تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا كما يقوله الفلاسفة في صيرورة الجوهر المفارق العقلي خزانة لمعلومات النفس بعد أن لم يكن من غير لزوم تغيير في ذات تلك الخزانة ، بل من حيث كونها خزينة . وذلك لأجل تغير حدث في النفس ، بحيث استمدت للاتصال بها والاستفاضة منها .

و﴿الرحيم﴾ هو المبالغ في الرحمة ، حيث يقبل التوبة من العبد وإن كانت المعصية شديدة والذنب عظيماً . وفي الجمع بين هذين الوصفين وعدُّ للتائب بالإحسان مع العفو، وإتيانهما بصيغة المبالغة دالٌّ على أن العبد لو تائب ثم عصى وتاب مراراً فيتوب الله عليه وبرحمه مراراً كما وردت به الآيات والأخبار والآثار ، وقام عليه الدليل العقلي .

### [ الآيات والأخبار في قبول التوبة ]

أما الآيات : فمثل : ﴿تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [٨/٦٦] ومعنى التصوح الخالص لله ، الخالي عن الشوائب . وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٢٢٢/٢] وليس فيها تخصيص بوقت دون وقت .



وأما الأخبار فكثيرة : منها قوله ﷺ (١) : «التائب حبيب الله» و: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (٢).

ومنها ما روى أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في الكافي (٣) مسنداً عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : «يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة ، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة . أما والله إنها ليست إلا لأهل الإيمان» .

قلت : « فإن عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب ، وعاد في التوبة » ؟

فقال : « يا محمد بن مسلم - أتري العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ، ثم لا يقبل الله توبته » ؟

قلت : « فإنه فعل ذلك مراراً - يذنب ، ثم يتوب ويستغفر » ؟

فقال : « كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة ، عاد الله عليه بالمغفرة ، وإن الله خفور رحيم ، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ، فيأياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله » .

وروي أيضاً في كتاب الكافي (٤) حديثاً متفقاً عليه عن أبي عبيدة ، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام - يقول : « الله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها » .

(١) لم أجده بلفظه وجاء مضمونه في روايات أخرى، وقال تعالى : إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين [٢٢٢/٢] .

(٢) ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة : ١٤٢٠/٢ . الدر المنثور : ٢٦١/١ .

(٣) الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب التوبة : ٤٣٤/٢ .

(٤) الكافي : الباب السابق : ٤٣٥/٢ .

وهذا الحديث مما هو منقول في غير هذه الطريقة عن رسول الله ﷺ بزيادة اللفاظ آخر ، وهو إنه قال ﷺ (١) : « الله [تعالى] أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض مهلكة معه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش - أو ماشاء الله - قال : « ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه » ، فأقام حتى أموت » فوضع يده على ساعده ليموت ، فاستيقظ فإذا راحلته عنده ، عليها طعامه وشرابه ، فاقه أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته .

وفي بعض الألفاظ (٢) : فقال من [شدة] فرحه إذا أراد شكر الله « أنا ربك ، وأنت عبدي » .

وزوي أيضاً فيه (٣) مسنداً عن أبي جعفر الخليلي قال : إن الله تعالى أوحى إلى داود أن : ائت عبدي دانيال ، فقل له : « إنك عصيتني فغفرت لك ، وعصيتني فغفرت لك ، وعصيتني فغفرت لك . فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك » فأتاه داود فقال : « بادانيال - إنني رسول الله إليك ، وهو يقول : بادانيال - إنك عصيتني فغفرت لك ، وعصيتني فغفرت لك ، وعصيتني فغفرت لك . فإن أنت عصيتني الرابعة لم أغفر لك » فقال له دانيال : « قد بلغت يانبيغ الله » فلما كان في السحر قام دانيال فناجى ربه فقال : « يارب - إن داود نبيك أخبرني عنك أنني قد عصيتك فغفرت ، وعصيتك فغفرت ، وعصيتك فغفرت لي . وأخبرني عنك إن عصيتك الرابعة لم تغفر لي . وعزتك وجلالك لئن لم تعصمني لأعصيتك ، ثم لأعصيتك ، ثم لأعصيتك » .

وروي إن رجلاً سئل أمير المؤمنين الخليلي عن الرجل ، يذنب ثم يستغفر ، ثم

(١) صحيح مسلم : كتاب التوبة ، ٦١/١٧ .

(٢) المصدر السابق : ٦٤/١٧ .

(٣) الكافي : الباب السابق ، ٤٣٥/٢ .

يذنب ثم يستغفر ، ثم يذنب ثم يستغفر ؟ فقال عليه السلام : « ثم يستغفر أبداً حتى [يكون] الشيطان هو الخاسر . فيقول : لا طاقة لي معه » .

وقال عليه السلام : « كلما قدرت أن تطرحه في ورطة وتخلص - فافعل » .  
وعن رسول الله ﷺ <sup>(١)</sup> : « إنه ليغان على قلبي ، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » . وفي رواية : « ليران » بدل « ليغان » . و « سبعين مرة » بدل « مائة مرة » .

\* \* \*

واعلم إن « الغين » شيء يغشى القلب فيغطيه بعض التنظية ، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء ، فلا يحجب عين الشمس ، ولكن يمنع ضوءها . قال القاضي البيضاوي في شرح المصابيح : « الغين : لغة في الغيم . وغان كذا أي : غطا عليه . وقال أبو عبيدة في معنى الحديث : أي يتغشى قلبي ما يلبسه . وقد بلغنا عن الأصمعي أنه سئل عن هذا الحديث ، فقال للسائل : عن قلب من تروي هذا ؟ فقال : عن قلب النبي ﷺ . فقال لو كان غير قلب النبي ﷺ لكنت أفسره لك .

والعلماء ذكروا في تأويل هذا الحديث وجوهاً :

الأول : إن الله اطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته بعده من الخلاف وما يصيبهم ، فكان إذا ذكر ذلك وجد غيماً في قلبه ، فاستغفر لأمته .

الثاني : إن رسول الله ﷺ كان ينتقل من حالة إلى حالة أرفع من الأولى ، فكان الاستغفار لذلك .

الثالث : - وهو تأويل أرباب الحقيقة - إن الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة الإلهية ، حتى يصير فانياً عن نفسه بالكلية . فإذا هاد إلى الصحو بعد المخو كان الاستغفار من ذلك الصحو .

(١) الجامع الصغير : ١٠٤/١ . راجع أيضاً الكافي : ٤٣٨/٢ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٤٧٣/١ .

الرابع : وهو تأويل أهل الظاهر - إنَّ القلبَ لا ينفكُ عن المخاطر والخواطر والشهوات، وأنواع الميل والإرادات، فكان يستعين بالربِّ في دفع تلك الخواطر . قال القاضي في ذلك الشرح : « والله درّ الأصمعي في انتهاجه منهج الأدب ، وإجلاله القلبَ الذي جعله الله موقع وحيه ومنزل تنزيله ، فإنه مشرب مدّ عن أهل اللسان موارده ، وفتح لأهل السلوك مسالكه . وأحقّ من يُعرب أو يعبّر عنه مشايخ الصوفية ، الذين بارك الحقُّ أسرارهم ، ووضع الذكّر عنهم أوزارهم ، ونحن بالنور المقتبس من مشكونهم نذهب ونقول :

لَمَّا كَانَ قَلْبُ النَّبِيِّ ﷺ أتمّ القلوب صفاءً ، وأكثرها ضياءً ، وأعرفها عرفاناً ، وكان ﷺ معنياً مع ذلك لتشريع الملة وتأسيس السنة ، ميسراً غير معسر ، ولم يكن له بدّ من النزول إلى الرخص ، والالتفات إلى حفظ النفس ، مع ما كان ممنحناً به من أحكام البشرية ، فكان إذا تعاطى شيئاً من ذلك أسرعت كدورة ما إلى القلب ، لكمال رفته وفرط نورانيته ، فإن الشيء كلما كان أرق وأصفى كان ورود الكدورات عليه أبين وأهدى ، وكان ﷺ إذا أحس بشيء من ذلك عدّه على النفس ذنباً فاستغفر منه » - انتهى كلامه .

ولا يخفى إنَّ التأويل الثاني والثالث أولى بأن ينسب إلى أهل الحقيقة ممّا ذكره وجعله منسوباً إليهم ، فإنَّ النبي ﷺ من فرط الجامعة وكمال المرتبة كان بحيث يسع قلبه الحقّ والخلق جميعاً ، وفي قوته بضبط الجانبين ، ولم يكن بحيث إذا تعاطى شيئاً من أمور السياسة أسرع إلى قلبه كدورة ، لأنَّ ذلك شأن ضعفاء العقول - أمثالنا .

## فصل

وأما الدليل العقلي على أن الإنسان متى تاب عن ذنبه فقد قيل الله منه وظنر له فهو مما يتوقف انبساطه على تحقيق معنى التوبة ، ومعنى وجوبها على الفور ،

ولنذكر نقاوة ما ذكره المحققون من علماء الإسلام وحُكماء هذه الشريعة التي أتانا بها سيد الأنام - عليه وآله السلام والتحية والإكرام - في معناها ، وهو :

إِنَّ التَّوْبَةَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ : أُولَاهَا مَعْرِفَةُ ضَرَرِ الذَّنُوبِ ، وَكُونِهَا حِجَابًا بَيْنَ الْعَبْدِ وَمُحِبُّوهُ ، وَسُمُومًا قَاتِلَةً لِمَنْ يَبْأُشُرُهَا .

فإذا عرف ذلك وتيقنه حصل له من ذلك حالة ثانية هي التَّأَلُّمُ لغواتِ المحبوب والتَّاسُفُ من فعل الذنوب ، وهذا التَّأَلُّمُ والتَّاسُفُ هو المعبر عنه بالندم .

وإذا غلب هذا التَّأَلُّمُ حصل حالة ثانية هي القصد إلى أمور ثلاثة : أُولَاهَا تَعَلُّقٌ بِالْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالُ وَالْمَضِي . فالمتعلق بالحال هو ترك ما هو مقيم عليه من الذنوب . والمتعلق بالاستقبال هو العزم على عدم العود إليها إلى آخر العمر . والمتعلق بالماضي تلافى ما يمكن تلافيه من قضاء الغوات والخروج من المظالم ، فهذه الثلاثة - أعني المعرفة ، والندم ، والقصد إلى المذكورات - أمور مترتبة في الحصول ، وقد يطلق على مجموعها إسم التوبة . وكثيراً ما يطلق على الثاني - أعني الندم - وحده ، وقد يُطلق على مجموع الأخيرين : الندم والعزم .

قال صاحب إحياء العلوم <sup>(١)</sup> : اعلم إن التوبة معنى منتظم من ثلاثة أمور مترتبة : عِلْمٌ وَحَالٌ وَفِعْلٌ . . . . . أَمَّا الْعِلْمُ - وَهُوَ مَطَّلَعُ هَذِهِ الْخَبِرَاتِ ، وَأَعْنِي بِهِ الْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ . . . . . بَأَنَّ الذَّنُوبَ سُمُومٌ مَهْلِكَةٌ . . . . . فَيُشْرِنُ نَوْزُ هَذَا الْإِيمَانِ مِثْلَ أَشْرَاقِ عَلَى الْقَلْبِ نَارَ النَّدَمِ ، فَيَتَأَلَّمُ الْقَلْبُ بِهِ حَيْثُ يَبْصُرُ بِأَشْرَاقِ نَوْرِ الْإِيمَانِ إِنَّهُ صَارَ مَحْجُوبًا عَنْ مُحِبُّوهُ ، كَمَنْ يَشْرِقُ عَلَيْهِ نَوْزُ الشَّمْسِ وَقَدْ كَانَ فِي ظِلْمَةٍ فَسَطَّعَ النُّورَ بَانْتِشَاعِ سَحَابٍ أَوْ انْصِرَافِ حِجَابٍ ، فَرَأَى مُحِبُّوهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ ، فَتَشْتَعِلُ نِيرَانُ الْحَبِّ فِي قَلْبِهِ ، فَتَنْبَعِثُ بِتِلْكَ النِّيرَانِ ارَادَتُهُ لِلانْتِهَاضِ لِلتَّدَارِكِ .

فالعلمُ والندمُ والقصدُ المتعلقُ [ بالترك ] في الحالِ والاستقبالِ ، والتلافى

(١) إحياء علوم الدين : كتاب التوبة ، الركن الاول : ٣/٤ .



غيرنا ، أو لم يوجهه .

فإذا عرف الوجوب ، وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لاسعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله عزوجل ، وأن كلَّ محجوب عنه فشقيّ لامحالة ، يحول بينه وبين ما يشتهي ، محترق بنار الفراق ونار جهنم ، وعلم أن لا بعد عن لقاء الله عزوجل إلا اتباع الشهوات ، والانس بما في هذا العالم الفاني ، والإكباب على حب ما لا بد من فراقه ، وعلم أن لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف الدنيا ، والإقبال بالكلية على الله طلباً للانس بذكره ، والمحبة بمعرفة جماله وجلاله على قدر طاقته ، وعلم إن الذنوب التي هي إعراض عن الله واتباع لمحبات الشياطين أعداء الله ، المبعدين عن حضرته بكونه محجوباً مبعداً عن الله - فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب ، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم ، فإنه ما لم يعلم إن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يتألم و لم ينتدم ، وما لم ينتدم ولم يتوجع فلا يرجع ، ومعنى الرجوع : الترك والعزم . فلا شك في أن المعاني الثلاثة ضروري في الوصول إلى المحبوب . فهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة .

وأما من لم يترسخ لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله ﷺ والأئمة من بعده ، وقد سبق بعض من الأخبار والأحاديث وهي كثيرة لاتحصى .

قال رسول الله ﷺ (١) حاكياً عن الله يقول لملائكته : «إذا همَّ عبدي بالحسنة فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها بعشر أمثالها ، وإذا همَّ بالسئئة فعملها فاكتبوها سئئة واحدة ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة » .

(١) راجع البخاري : كتاب الرقاق : ١٢٨/٨ . المسند : ٢٢٧/١ و ٢٣٢/٢ .

وروي<sup>(١)</sup> أن إبليس قال : يارب إنك خلقت آدمَ وجعلت بيني وبينه عداوةً ، فسلبني عليه . فقال الله تعالى : جعلت صدورهم مساكنَ لك . فقال : رب زدني . فقال : لا يولد ولدٌ لآدمٍ إلا ولد لك عشرةً . قال : رب زدني . قال : تجري منه مجرى الدم . قال : رب زدني . قال : اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد .

قال : فشكى آدمُ إبليسَ إلى ربه ، فقال : يارب إنك خلقت إبليسَ وجعلت بيني وبينه عداوةً وبغضاءً وسلطنةً عليّ ، وأنا لأطيقه إلا بك . فقال الله : لا يولد لك ولدٌ إلا وكنت له ملكين يحفظانه من قرناء السوء . قال : رب زدني . قال : الحسنَةُ بعشر أمثالها . قال : رب زدني . قال : لأحجب عن أحدٍ من ولدك التوبةَ ما لم يُغفر .

وبالجملة الأخبار كثيرة في هذا الباب، والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها لكن قد تدهش الغفلة عنه، فمعنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ، ولاخلاف في وجوبها. ومن معانيها ترك المعاصي في الحال ، والعزم على تركها في الاستقبال ، وتدارك ما سبق من التصير في سابق الأحوال، وذلك لا يشك في وجوبه . وأما الندم والتحرز عليه فواجب، وهو روح التوبة بعد العلم ، وبه تمام التلافي . فكيف لا يكون واجباً بل هو نوع ألم يحصل لامحالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله .

فإن قلت : تألم القلب أمرٌ ضروري لا يدخل تحت الاختيار ، فكيف يوصف

بالوجوب ؟

فاعلم إن سببه تحقق العلم بفوات المحبوب . وللعبد سبيلٌ إلى تحصيل سببه ، ويمثل هذا المعنى دخول العلم تحت الوجوب - لا بمعنى إن العلم بمخلقة العبد وحدثه

(١) جاء ما يقرب منه في الدر المنثور، ٥٥/١ . والشطر الثاني في الكافي : ٤٤٠/٢ .



في نفسه ، فإن ذلك محالٌ ، بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر كلها من خلق الله وفعله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٩٦/٣٧] هذا هو الحق عند ذوي البصائر ، وماسوى هذا ضلالٌ ووبالٌ .

وقد مرّ مراراً تحقيق نسبة الأفعال إلى الله ، وإن الكلّ بقضائه وقدره ، لا بالمعنى الذي ذهب إليه الأشاعرة . ولا بالمعنى الذي زعمه المعتزلة ولا الذي اشتهر من الحكماء . بل بالسعى الذي هو محبوبٌ إلا على قوم شرح الله صدورهم وبأشرف قلوبهم نور الحقّ .

\* \* \*

فإذا تقررت هذه المقدمات فنقول : كلّ توبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لامحالة .

اعلم<sup>(١)</sup> إنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كلّ توبة صحيحة فهي مقبولة ، فالناظرون بنور البصائر ، المستمدون من نور القرآن علموا إن كلّ قلب سليم مقبول عند الله ، ومتنعم في دار الآخرة في جوار الله ، ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله . علموا إن القلب الإنسانيّ خلق في أصل الفطرة سليماً ، فكلّ مولود يولد على الفطرة وإنما يفوته الإسلام بكدورة ترهق وجهه من غيرة الذنوب وظلمتها ، وعلموا إن نار الندم تحرق تلك الغيرة ، وإن نور الحسنة يمحون وجه القلب ظلمة السيئة ، وإنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات ، كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار . بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون .

فكما إن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه ، فكذلك القلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره ، وكما إن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب ، وغسله بالصابون والماء الجاري ينظفه لامحالة فكذلك استعمال القلب

في الشهوات بوسخ القلب ، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكّيه وكلّ قلب زكيّ طاهر فهو مقبولٌ ، كما إنّ كلّ ثوب نظيف فهو مقبولٌ ، وإنّما عليك التزكية والتطهير ، فأما القبول فمبدول وقد سبق به القضاء الأزليّ الذي لامرّد له وهو المسمّى فلاحاً في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١/٢٣] وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْهَا ﴾ [٩/٩١] .

ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أجلي وأقوى من المشاهدة بالبصر إنّ القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثيراً (تأثراً - ن) متضاداً يستعار لأحدهما لفظُ « الظلمة » - كما يستعار للجهل - ويستعار للآخر لفظُ « النور » كما يستعار للعلم وإنّ بين النور والظلمة تضاداً ضرورياً لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يعرف من الدين [ إلاّ قشوره ، ولم يعلق بقلبه ] إلاّ أسمائه ، وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين ، بل عن حقيقة نفسه . ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل . وأعنى به قلبه ، إذ بقلبه يعرف غير قلبه . فكيف يعرف غيره ، وهو لا يعرف قلبه ؟

فمن يتوهم إنّ التوبة تصحّ ولا تقبل كمن يتوهم إنّ الشمس تطلع والغلام لا يزول ، والثوب يُغسل بالصابون والوسخ لا يزول - إلاّ أن يفوص الوسخ لطول [تراكمه] في تجاوزيف الثوب وخلّه ، فلا يقوى الصابون على قلعه .

فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعاً وريناً على القلب ، فيمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم - قد يقول باللسان : « تبت » فيكون ذلك كقول القصّار : « قد غسلت الثوب » وذلك لا ينظف الثوب أصلاً ما لم يغيّر صفة الثوب باستعمال ما يضاف الوصف المتمكّن منه .

فهذا حال امتناع [ أصل ] التوبة ، وهو غير بعيد ، بل هو الغالب على كافّة الخلق ، المقبلين على الدنيا ، المعرضين عن الله بالكلية .

فهذا البيان كافٍ عند ذوي البصائر في قبول التوبة ، ولكننا نعصد جناحه بنقل الآيات والأخبار - كما مرّ ذكرها - فكلّ استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به .

فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [٢٥/٤٢] وقال : ﴿ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ ﴾ [٣/٤٠] إلى غير ذلك من الآيات .

وقال ﷺ<sup>(١)</sup> : « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم » .

وقال ﷺ<sup>(٢)</sup> أيضاً : « إن العبد ليدنّب الذنّب فيدخله الجنة » . قيل : وكيف ذلك يا رسول الله ﷺ ؟ قال : « يكون نصب عينيه تائباً فاراً منه حتى يدخل الجنة » . وقال ﷺ<sup>(٣)</sup> : « لله أفرح بتوبة العبد - الحديث - » والفرح وراء القبول ،

فهو دليل على القبول وزيادة .

وقال ﷺ<sup>(٤)</sup> : « إن الله عز وجل يسطر يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ، ولمسيء النهار إلى الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » فبسط اليد كناية عن طلب التوبة . والطالب وراء القابل ، فربّ قابل ليس بطالب .

وقال ﷺ<sup>(٥)</sup> : « وإن الحسنات يذهبن (تذيب - ن) السيئات ، كما يذهب الماء

(١) ابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ، ١٤١٩/٢ : « لو أخطأتم حتى ...

ثم تبتم ... »

(٢) قال العراقي ( تفریح أحاديث الأحياء - ذيل أحياء علوم الدين : ١٤/٤ ) :

أخرجه ابن المبارك في الزهد ...

(٣) ابن ماجه : الباب السابق : ١٤١٩/٢ .

(٤) جاء ما يقرب منه في الجامع الصغير : ٧٤/١ : « إن الله تعالى يسطر ... »

(٥) قال العراقي : ( ١٤/٤ ) لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى ، وهو بمعنى

« اتبع السيئة الحسنة تمحها » رواه الترمذي .

الوسخ». ويروى <sup>(١)</sup> إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة . فأنظره إلى يوم القيامة . قال : « وعزتك لأخرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح ». فقال [تعالى] : « وعزتي [وجلالتي] لا منعه التوبة مادام فيه الروح » .

روى أبو سعيد الخدري <sup>(٢)</sup> ، قال النبي ﷺ : « كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نفساً . فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلَّ على راهب . فأتاه فقال هل للقاتل من توبة ؟ فقال : لا . فقتله ، فكمَّلَ به مائة . ثمَّ سأل عن أعلم أهل الأرض فدلَّ على رجل عالم . فقال له إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . ومن يحولُ بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها ناساً يعبدون الله ، فاعبد معهم ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء . فانطلق حتى أتى نصف الطريق فأتاه الموت . فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً ، مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي وتوسَّط بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيهما كان أدنى فهو له . [ فقاوسوه ] فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد أن يسير إليها ، فقبضته ملائكة الرحمة .

وعن رسول الله ﷺ إنه قال <sup>(٣)</sup> : « إن عبداً إذا أصاب ذنباً قال : ياربِّ اذنبت ذنباً ، فاغفر لي . فقال ربُّه : إنَّ عبدي علم إنَّ له رباً يَغْفِرُ الذنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ . فقال له ربُّه : غفرت لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » - أخرجاه في صحيحهما - .

أبو أيوب ، قال : كنتُ كتمتكم شيئاً سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول :

(١) جاء ما يفرغ من معناه في المستدرک للحاكم : كتاب التوبة : ٢٦١/٤ .

(٢) مسلم : كتاب التوبة : ٨٤/١٧ .

(٣) البخاري كتاب التوحيد : ١٧٨/٩ . مسلم : كتاب التوبة : ٧٥/١٧ . وفي اللفظ

فروق يسيرة . راجع المستدرک للحاكم : ٢٤٢/٤ .

« لولا إنكم تذبون لخلق الله خلقاً يذبون ، ، ثم يغفر لهم » رواه مسلم <sup>(١)</sup> .

قال عبد الله <sup>(٢)</sup> : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجلٌ عليه كساء ، وفي يده شيء قد التفت ( ظ : التفت ) عليه ، فقال : « يا رسول الله - إنني مررت بغيضة شجر ، فسمعت فيها أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي ، فجاءت أمهن فاستدرت على رأسي ، فكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن فلففتن معها » .

فقال رسول الله ﷺ : « ضعهن عنك » . فأبى أمهن إلا لزومهن . فقال رسول الله ﷺ « أتعجبون [لرحم] أم الفراخ فراخها؟ قالوا : « نعم - يا رسول الله » قال : « فوالذي بعثني بالحق - لله عز وجل - أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها - ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن » فرجع بهن .

وعن أبي إدريس الخولاني <sup>(٣)</sup> ، عن أبي [ ذر ] ، عن رسول الله ﷺ عن جبريل ، عن الله عز وجل : يا عبادي - إنني حرمت على نفسي الظلم ، وجعلته محرماً بينكم ، فلا تظالموا . يا عبادي - الذي تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أباي ، فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي - كلكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي - كلكم عارٌ إلا من كسوته فاستكسوني أكسبكم . يا عبادي - لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على قلب أتقى رجلٍ منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي - لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على قلب أفجر

(١) مسلم : كتاب التوبة ، ٦٤ / ١٧ .

(٢) أبي داود : كتاب الجنائز ، الباب الاول ، ١٨٢ / ٣ . والراوي عبدالله بن محمد

النفيلي .

(٣) مسلم : كتاب البر والصلة : ١٣١ / ١٦ . المسند : ١٦٠ / ٥ . وجاء اسم الراوي

في النسخة « أبو مسلم الخولاني عن أبي » والصحيح ما أثبتناه مطابقاً للمصادر وما يجيء في آخر الحديث .

رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي - لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد ، فسألوني ، وأعطيت كل إنسان منكم ما سأل ، لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة . يا عبادي - إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . . .

قال : وكان أبو ادريس إذا حدث بهذا الحديث جنى على ركبته إعظماً له . وعن النبي ﷺ (١) ، قال : من استفتح أول نهاره بالخير ، وختمه بالخير ، قال الله تعالى لملائكته : « لا تكتبوا على عبدي ما بين ذلك من الذنوب » .

وروي (٢) إن جبرئيل سمع إبراهيم عليه السلام يقول : يا كريم العفو . قال جبرئيل : وتدرى ما كريم العفو؟ فقال : لا يا جبرئيل . قال : أن يعفو عن السيئة ويكتبها حسنة .

وفي الكافي (٣) مسنداً - عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام يقول : قال الله تعالى : « إن العبد من عبدي المؤمنين ليذنب الذنب العظيم مما يستوجب [به] عقوبتي في الدنيا والآخرة ، فانظر له بما فيه صلاحه في آخرته ، فأعجل له العقوبة عليه في الدنيا لأجازيه بذلك الذنب ، واقدّر عقوبة ذلك الذنب واقضيه واتركه عليه موقوفاً غير ممضي ، ولي في إمضائه المشية ، وما يعلم عبدي به . فأتردّد لذلك مراراً على إمضائه ثم أمسك عليه فلا مضيه كراهة لمسائته ، وحيداً عن إدخال المكروه عليه فأتطول عليه بالعفو عنه والصفح ، محبةً لمكافاته ، لكثير نوافله التي يتقرب بها إليّ في ليله ونهاره فاصرف ذلك البلاء عنه وقد قدرته وقضيته وتركته موقوفاً ولي في إمضائه المشية ، ثم اكتب له عظيم نزول أجر ذلك البلاء (٤) ، وادخره وأوفره

امر قرا

(١) الجامع الصغير : ١٦٣/٢ .

(٢) الفخر الرازي : ٤٧٣/١ .

(٣) الكافي : كتاب الايمان والكفر ، باب نادر (بعد باب تعجيل عقوبة الذنب) : ٤٤٩/٢ .

(٤) المصدر : ثم اكتب له عظيم أجر نزول ذلك البلاء .

له أجره ولم يشعر به ولم يصل إليه أذاه ، وأنا الله الكريم الرؤوف الرحيم .  
 وفي الكافي<sup>(١)</sup> أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَابَ  
 قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةِ قَبْلِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرٌ . مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ  
 قَبْلِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمُعَةٍ قَبْلِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ .  
 ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْجُمُعَةَ لَكَثِيرٌ ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ ، قَبْلِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ  
 يَوْمًا لَكَثِيرٌ ، مَنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَبَايِنَ قَبْلِ اللَّهِ تَوْبَتَهُ . »

## فصل

اعلم إن المراد بقبول التوبة هو ما أشرنا إليه ، والمراد به عند الجمهور اسقاط  
 العقاب المترتب على الذنب ، وهو في الحقيقة من لوازم ما وقعت إليه الإشارة ،  
 وسقوط العقاب بالتوبة الصحيحة مما أجمع عليه أهل الإسلام . وإنما الخلاف في  
 أنه هل يجب على الله ؟ حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً . أو هو تفضل يفعله الله  
 سبحانه كرمًا منه بعبده ؟

فالمتمتزة على الأول ، والأشاعرة على الثاني ، وإليه ذهب الشيخ أبو جعفر  
 الطوسي - ره - في كتاب الاقتصاد<sup>(٢)</sup> ، والعلامة الحلبي في بعض كتبه الكلامية ،  
 وتوقف المحقق الطوسي - طاب ثراه - في التجريد<sup>(٣)</sup> . وقال شيخنا البهائي - رحمه  
 الله - في أربعينته<sup>(٤)</sup> : « إن مختار الشيخين هو الظاهر ، ودليل الوجوب مدخول » .

(١) الكافي: كتاب الايمان والكفر، باب فيما أعطى الله عز وجل آدم (ع) وقت التوبة:

. ٤٤٠/٢

(٢) الاقتصاد: فصل في الكلام في الوعد والوعيد وما يتصل بهما: ١٢٤ .

(٣) تجريد الاعتقاد: المقصد السادس، المسئلة الثانية عشر .

(٤) الاربعين للشيخ البهائي (ره): الحديث الثامن والثلاثون .

أقول : الوجوب بالمعنى الذي ذكرناه قطعي لا ريب فيه .  
فإن قلت <sup>(١)</sup> : مامعنى لوجوب قبول التوبة ؟ أفنقول كما قاله المعتزلة بأن كذا  
واجب على الله ؟

قلنا : إننا لانعنى به ولا نريد إلا ما يريد القائل بقوله : « [إن] الثوب إذا غسل  
بالصابون وجب زوال الوسخ . وإن العطشان إذا شرب وجب زوال العطش ، وإنه  
إذا منع الماء مدة وجب العطش وإذا دام العطش ، وجب الموت » وليس في شيء  
من ذلك ما يريد المعتزلة ، ولا ما يريد الأشاعرة إذ لا علاقة ولا سببية بين الأشياء  
عندهم . بل نقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية ، والحسنة ماحية للسيئة ، كما خلق  
الماء مزيلاً للعطش ، والقدرة متسعة لخلاف ذلك ، ولكن ما سبقت المشية إلا بذلك ،  
فلا واجب على الله ، لكن كل ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لامحالة .

فإن قلت : ما من نائب إلا وهو شاك في قبول توبته ، والشارب لا يشك في زوال  
عطشه ؟

قلنا : شك في القبول كشك في وجوب شرائط الصحة ، فإن للتوبة أركاناً  
وشروطاً دقيقة ، وليس يتحقق وجود جميع شروطها ، كالذي يشك في دواء شربه  
للإسهال في أنه هل يسهل ، وذلك لشك في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار  
الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه ، وجودة عقاقيره وأدويته ، فهذا وأمثاله  
موجب للخوف بعد التوبة وللشك في قبولها .

هذا مقاله بعض أكابر الكشاف والتحقيق .

وأما مقاله أبو علي الطبرسي في تفسيره المسمى بمجمع البيان <sup>(٢)</sup> عند قوله  
تعالى : ﴿ فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ [٧/٤٠] : « إن في هذه الآية دلالة

(١) راجع أحياء علوم الدين : ١٥/٤ .

(٢) مجمع البيان : ٥١٥/٨ .



على أن اسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من الله إذ لو كان واجباً لكان لا يحتاج فيه إلى مشلتهم ، بل كان يفعله سبحانه لامحالة « ففيه نظراً ، لما مرّ من أن العبد ربما يشكّ في ذلك القبول مع أنه كان واجباً ، لعدم احاطته بأسبابه ، إذ الضرورة الذاتية لشيء لاتنافي الشك والإمكان العقلي ، وهو تجويز العقل لخلافه . ولأن السؤال قد يكون للامر الواقعي ، والغرض إظهار الإنكسار والمذلة أو بسط الكلام مع المحبوب وعرض الافتقار لديه ، كما قالوا في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [٢٨٦/٢] على بعض الوجوه (١) .

## فصل

### في شروط التوبة

سئل ذو النون المصري رحمه الله عن التوبة ، فقال (٢) : « إنها اسم جامع لمعان ستة : أولهنّ الندم على ماضى . والثاني : العزم على ترك الذنوب في المستقبل الثالث : أداء كلّ فريضة ضيّعتها فيما بينك وبين الله . الرابع : ردّ المظالم إلى المخلوقين في أموالهم وأعراضهم . الخامس : إذابة كلّ لحم ودم نبت من الحرام . السادس : إذابة البدن ألم الطاعات كما ذاق حلاوة المعصية » .

وهذا الذي ذكره ذو النون من الأمور الستة هو ممّا رواه الشيخ أبو علي الطبرسي في تفسيره عن أمير المؤمنين عليه السلام بهذه العبارة : « التوبة يجمعها ستة أشياء :

(١) قال في مجمع البيان (٤٠٤/٢) عند ذكر الوجوه في معنى الآية : « الثالث إن معناه لا تؤاخذنا إن نسينا - أي : إن لم نفعل فعلاً يجب فعاً على سبيل السهو والغفلة - أو أخطأنا - أي : فعلنا فعلاً يجب تركه من غير قصد ، وبه حسن هذا في الدعاء على سبيل الانقطاع إلى الله وإظهار الفقر إلى مسأله والاستعانة به ، وإن كان مأموناً منه المؤاخذة بمثله ... » .

(٢) تفسير القمى الرازي : ٤٧٥/١ .

على الماضي من الذنوب الندامة . وللفرائض الإعادة ورذالمظالم واستحلال الخصوم .  
وأن تعزم على أن لا تعود . وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربّيتها في المعصية .  
وأن تذيبها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي » .

وأورد السيد الرضي في كتاب نهج البلاغة<sup>(١)</sup>، إن قائلًا قال بحضرته : «أستغفرُ  
الله» فقال له عليه السلام : « ثكلتك أمك . أتدري ما الاستغفار ؟ إن الاستغفارَ درجةُ  
العليين ، وهو اسم واقع على ستة معانٍ - الحديث » .

وفي كلام بعض أكابر الكشف : « إنّه كما لا يكفي في جلاء المرآة قطعُ  
الانفاس والأبخرة ، كذلك لا يكفي في جلاء القلب من ظلمات المعاصي وكدوراتها  
مجرد تركها وعدم العود إليها . بل يجب محو آثار تلك الظلمات بأنوار الطاعات ،  
فإنّه كما يرتفع إلى القلب من كلِّ معصية ظلمة وكدورة ، كذلك يرتفع إليه من كلِّ  
طاعة نورٌ وضياء .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

والأولى محو ظلمة كلِّ معصية بنور طاعة يضادّها ، بأن ينظر التائب إلى  
سيئاته مفصلة ، ويطلب لكلِّ سيئة منها حسنة تقابلها ، فيأتي بتلك الحسنة على قدر  
مآتي بتلك السيئة ، فيكفر استماع الملاهي مثلاً باستماع القرآن والحديث ومسّ  
خط المصحف جنباً باكرامه وكثرة ثقبيله وتلاوته ، والمكث في المسجد جنباً  
بالاعتكاف فيه وأمثال ذلك . وكذا في حقوق الناس - كما يعالج الطبيب الأمراض  
بأضدادها .

## فصل

ومن المسائل في باب التوبة إنها هل يصح عن بعض الذنوب ،  
أم لا يصح إلا عن الجميع ؟

واعلم أن هذا مما اختلفت أقوال العلماء فيه ، فقال كثير من العلماء منهم المحقق الطوسي في التجريد - : « إن هذه التوبة غير صحيحة » (١) . وقال الآخرون : « إنها صحيحة » .

وقال صاحب الإحياء (٢) : « إن المقام لا بد فيه من تفصيل ، ولا يجوز اطلاق الصحة مجملة في شيء من الطرفين ، بل نقول - لمن قال : « لا تصح » - : إن عنيت به إن تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلاً ، بل وجوده كعدمه . فهذا خطأ بلاشبهة ، فإننا نعلم إن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب ، وقتلتها سبب لقلته . ونقول - لمن قال : « إنها تصح » - : [إن أردت] إن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة والفوز ، فهذا أيضاً خطأ . بل استحقاق النجاة والفوز يكون بترك الجميع . هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا أسرار عفو الله .

اعلم أن القائل بأن « التوبة عن البعض غير صحيحة » حجته إن التوبة عبارة عن الندم عن المعصية لقبحها - لالشيء آخر - وإلا لما كانت توبة ، والقبح مشترك بين جميع المعاصي ، فمن توجع وندم عن السرقة لكونها معصية - لا لخصوص كونها سرقة - فاستحال أن يندم عليه دون الزنا ، لأن العلة شاملة لهما . إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف ، يتوجع على قتله بالسكين ، لأن توجعه بفوات محبوبه - سواء كان بالسيف أو بالسكين - فكذلك المعاصي توجب للعبد فوات محبوبه ، والندم

(١) تجريد الاعتقاد : المقصد الخامس ، المسئلة العادية عشرة .

(٢) إحياء علوم الدين : ٤ / ٣٩ ملخصاً .

إنما يكون على فعل ما يوجب فوات محبوبه من حيث إنه قبيح . فلامعنى للتندم على بعض المعاصي دون بعض ، لاشتراكها في كونها حجاً بين العبد ومقصوده . هذا ما ذكره وهو بظاهره موجّه ، إلا أن فيه تفصيلاً ينكشف به الفطاء . فنقول : إن الأشياء قد يشترك في معنى واحد يتحقق ذلك المعنى فيها على وجه الكمال والنقص ، والقوة والضعف ، فيكون في بعضها أعظم وأشدّ ، وفي بعضها أصغر وأضعف . ومن هذا القبيل المعاصي والذنوب ، فإن الجميع مشتركة في معنى واحد - هو القبح أو الظلمة أو الحجاب - لكن بعضها أكبر قبحاً وظلمة وحجاً ، وبعضها أصغر .

فإذا تقرر هذا فنقول : التوبة عن بعض الذنوب إما أن يكون عن الكبائر دون الصغائر ، أو عن الصغائر دون الكبائر ، أو عن كبيرة دون كبيرة . أما الأول فممكن . لأننا نعلم إن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته ، والصغائر أقرب إلى العفو عنها ، فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه بحسب استعظامه وكونه مبعداً عن الله . وهذا مما ثبت وجوده في الشرع ، فقد كثّر التائبون في الأحصار ، ولم يكن واحداً منهم معصوماً . فلاتستدعي العصمة . والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيراً شديداً ، ويحذره السكر تحذيراً أخفّ منه على وجه يشعر بأنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلاً . فيتوب المريض بقوله من العسل دون السكر . فهذا غير محال وجوده .

الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض ، وهذا أيضاً ممكن لاعتقاد أن بعض الكبائر أشدّ وأغلظ عند الله ، كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم الناس ، لعلمه بأن حقوق الناس لا يترك ، وما بين الله وبينه يسارع العفو إليه . وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لاتتعلق بالعباد دون [ بعض ] لكونها متفاوتة في أنفسها ، وفي اعتقاد مرتكبها .

الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صفائر ، وهو مصرٌّ على كبيرة يعلم إنها كبيرة - كالذي يتوب عن الغيبة ، وعن النظر إلى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصرٌّ على شرب الخمر - فهذا أيضاً ممكنٌ . ووجه امكانه إنه مامن مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه ونادمٌ على فعله - ندماً قوياً ، أضعيفاً - ولكن يكون لذّة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم الخوف منه لأسباب توجب ضعف الخوف - من الجهل و الغفلة وأسباب قوة الشهوة - فيكون الندم موجوداً ، ولكن لا يكون مليئاً بتحريك العزم ، ولا قوياً عليه ، فإن سلم عن شهوة أقوى منه أو لم يعارضه إلا ما هو أضعف فهذا الخوف غلبها وأوجب ترك المعصية .

وقد تشتدّ ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه ، لعدم مقاومة خوفه ضراوته ، لضعف الخوف وقوة الضراوة . ويكون له ضراوةٌ بالغبية واستماع الملاهي والنظر إلى غير المحرم ، وخوفه من الله قد بلغ مبلغاً يقاوم هذه الشهوة الضعيفة ويقمعها ، ولا يقاوم شهوة أقوى من هذه الشهوة ، كشهوة شرب الخمر .

بل لهذا الفاسق أن يقول: « إن غلبني الشيطان بواسطة غلبة هذه الشهوة القوية فلا ينبغي أن أخلع العذار وأرخي العنان بالكآبة ، بل أجاهده في بعض المعاصي ، فساني أغلب عليه فيكون قهري له في البعض كفتارة لبعض ذنوبي .

ولو لم يتصور هذا لما صحَّ من الفاسق أن يصلي ويصوم . وقيل له : « إن كان صلواتك لغير الله فلا تصح ، وإن كان لله فاترك الفسق لله . فإن أمر الله فيه واحد ، فلا يتصور أن تقصد بصلواتك التقرب إلى الله مالم تقترن بترك الفسق » وهذا باطل ، بل له أن يقول : « إن الله على أمرين ، ولي على المخالفة عقوبتان ، وأنا ملي في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر ، فاقهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفّر عني ما عجزت عنه بفرط شهوتي » فكيف لا يتصور هذا . وهو حال كل مسلم . إذ لا مسلم إلا وهو جامعٌ بين طاعة الله ومعصيته ، ولا سبب له إلا هذا .

وإذا فهم هذا فهم إن غلبة الخوف على الشهوة في بعض الذنوب ممكنٌ وجوده ، والخوف إن كان من فعل ماضي أورث الندم ، والندم يورث العزم . وقد قال عليه السلام <sup>(١)</sup>: « الندم توبةٌ » ولم يشترط الندم عن كل ذنب . وقال عليه السلام <sup>(٢)</sup>: « النائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل : النائب من الذنوب كلها .

وبهذه المعاني تبيّن [إن التوبة عن] أفراد الذنوب إذا كانت متعائلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله غير ممكن . نعم ، يجوز أن يتوب على الكثير دون القليل ، لأن لكثرة المعصية تأثيراً في كثرة العقوبة .

### فصل

إن في هذه الآية حثاً على التوبة ، وتنبهاً على أن العبد لا بد وأن يكون دائم الرجوع والإنابة إلى الله تعالى ، كما إنه دائم المغفرة والرحمة ، وإنه مامن درجة في الخير والسعادة تحصل للعبد إلا وينبغي له أن يتوب عنها بتحصيل درجة فوقها لذاته ، فإن الانسان جوهرٌ متجدد الذات ، له في كل وقت حجاب من هويته . وقد قيل: « وجودك ذنبٌ لا يقاس به ذنبٌ » فيجب له في كل وقت توبةٌ عن ذنب وجوده ، واستغفارٌ عن غشاوة هويته .

قال بعض الحكماء : « إن لك منه غطاء فضلاً عن لباسك من البدن فاجهد أن ترفع الحجاب وتجرّد ، فحينئذ تلحق فلاتسل عما تباشره » .

وقال أيضاً : « انفذ إلى الأحديّة تدهش إلى الأبد . وإذا سئلت عنها فهي قريب ، وذلك لأن مراتب القرب إلى الله غير متناهية ، لعدم تنامي التجليات السماوية الصفاتية ، والشئون الإلهية ، ولكونه تعالى وراء ما لا يتناهي بما لا يتناهي شدة وقوة

(١) الجامع الصغير: ١٨٩/٢ .

(٢) الجامع الصغير: ١٣٤/١ .

وهو مع ذلك العلو والرفعة والوراثة رجاعاً إلى عبده تواب رحيم عليه ، قريب إليه يسمع ندائه ، ويجيب دعائه ، ويقضي حاجاته ، ويقول : ﴿ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [١٨٦/٢] وينزل كل ليلة في الثلث الأخير منه إلى سماء الدنيا ، فيقول : « هل من داع ؟ هل من مستغفر ؟ » .

ويروي <sup>(١)</sup> إن في بني اسرائيل شاباً عبد الله عشرين سنة ، ثم عصاه عشرين سنة ، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته ، فسأته ذلك . فقال : « الهي - أطلعتك عشرين سنة ، ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلني ؟ » فسمع قائلاً يقول - وهو لا يرى شخصاً - : « أحييتنا فأحييناك . وتركتنا فتركتناك . وعصيتنا فأمهلتناك وإن رجعت إلينا قبلناك » .

لحيتنا تاجبناك (منزامل)

وقال ذو النون المصري <sup>(١)</sup> : « إن لله عبداً نصبوا أشجاراً خطايا نصب رواق قلوبهم ، وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندماً وحرزاً ، فجنوا من غير جنون ، وتبلدوا من غير عمى ولأبكم - وإتهم لهم البلغاء الفصحاء ، العارفون بالله ورسوله - ثم شربوا بكأس الصفا فورثوا الصبر على الهلاك ، ثم تولت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت ، واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع ، حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا ، واستلنوا خشونة المضجع ، حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة ، وسرحت أرواحهم في العلاء ، حتى أناخوا في رياض النعيم ، وخاضوا في بحر الحياة ، وعبروا جسور الهوى ، وردموا خنادق الجزع ، حتى نزلوا بفناء العلم ، واستقوا من غدیر الحكمة ، وركبوا سفينة الفطنة ، وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة ، حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة » .

وقال بعض الفضلاء في وصف السالكين إلى الله الراجعين إلى حضرة الجبروت

كلمات مسجّمة تشير إلى مقاماتهم وأحوالهم ، وهي هذه : « لما جاءتهم عناية الفضل تركوا الفضول، وسافروا إلى منازل الوصول، وركب الساداتُ على خيل السعادات واستعانوا في سفرهم على سلوك الطريق بزاد التقوى ، المعجون بماء التوفيق ، وراضوا خيلهم في رياض الرياضة ، وضمروها والجموها بلجام منح الالتفات إلى غير مولاها ، وزجروها وضربوا بسيوط الخوف ، وحرّكوها بأعمال<sup>اعمال</sup> السوق ، وركضوها إلى غاية المنى في ميدان الشوق، وذبحوا نفوس الهوى بسيوف المخالفة وطمعوا فرسان الطبع برماح ترك العادات السالفة وطهروها بماء الدموع الطهور [١] نجاسات الذنوب والعيوب وسائر الشرور، حتى صحّت لهم العبادة المفتقرة إلى الطهارة كالصلوة ، وداووا قلوبهم من أمراض حُب الدنيا والمجاه ، وأحرقوا أشجار خشبها بنار حزن القلب الآواه ، وأحيوا ميتها بذكر الله .

واعجباً منّا - كيف نعرف تلك المواهب والأحوال ولا نندأوي من الداء العضال الذي بيننا وبينها حال . لقد عجزنا وملنا إلى الهوى وإلف العادة ، لم نخرج عن الرغوبات والطباع التي خرجت عنها السادة ، ولم ننعظ بوعظ لسوء حفظ لم تساعدنا السعادة » - انتهى كلامه .

أقول : بقي في هذا الزمان من هذه المعاني حكاياتها ، ومن حقائق العلم واليقين الفاظها وعباراتها، بقي أقوال بلا أعمال ، وأشخاص كالتماثيل بلا روح العلوم والأحوال .

وسئل عن عابد حين يبكي : « ما يبكي العابد ؟ » فقال : « مالي لأبكي ، وقد توهرت الطريق ، وقلّ السالكون فيها . وهجرت الأفعال وقلّ الراغبون فيها وأهل الحق . ودرّس هذا الأمر ، ولأراه إلا في لسان كلّ بطّال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال وقد افتقر الرخصة وتمهد التأويل ، واعتلّ بزلل العاصين » . ثمّ جعل يقول : « واغمّاه من فتنة العلماء ! واكرّباه من حيرة الأدلاء ! أين الأبرار من العلماء ؟ بل أين الأخيار من الزهاد ؟ »



قوله جلّ اسمه :

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ  
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾

لا بدّ في تكرير الأمر بالهبوط من نكته فذكروا في ذلك وجهين :

أحدهما : قول الجبائي ، وهو إن الهبوط الأوّل غير الثاني ، فالأوّل كان من  
الجنة إلى سماء الدنيا ، والثاني من السماء الدنيا إلى الأرض .

الوجه الثاني : إن التكرير للتأكيد .

واعترض الإمام الرازي <sup>(١)</sup> على أوّل الوجهين من وجهين :

أحدهما إنّه قال في الهبوط الأوّل : ﴿ وَلكُمْ فِي الْأَرْضِ مَسْتَقَرٌّ ﴾ . فلو كان  
الاستقرار في الأرض إنّما حصل بالهبوط الثاني لكان ذكره عقيب الأمر بالثاني أولى .  
وثانيهما : إن ضمير ﴿ اهْبِطُوا مِنْهَا ﴾ عائد إلى الجنة : وذلك يقتضي كون  
الهبوط الثاني من الجنة .

أقول : للمناقشة في كلا البعثن مجال : أمّا الأوّل فإنّ الاستقرار المذكور  
وإن لم يحصل إلّا بعد الهبوط الثاني ، لكن يجوز ذكره سابقاً عليه لفوائد أخرى  
كالتشديد والمبالغة في الإخراج ، كما يقول لأحد يريد إخراجه من داره « أخرج

فإنك لاتليق بهذه الدار ، ومكانك ينبغي أن يكون في بلاد الهند .  
ويؤيد قول الجبائي ماورد في حكاية آدم وخروجه من الجنة إنه « لما أمر  
بالخروج أتى إلى باب الجنة ليخرج منها ، فلما أراد أن يضع قدمه خارجاً قال  
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فلما سمع جبرئيل منه أوقفه انتظاراً للرحمة ، فقال :  
« إلهي ارحم عليه ، فقد ذكر كلمة عظيمة » فأعاد الله الأمر بالهبوط ، ونبهه على أن له  
في هذا الأمر رحمة آجلة أعظم وأوسع من هذه الرحمة العاجلة » فالقصة دالة على  
على أنه وقع لآدم وقفة في سور الجنة المضروب بينها وبين سماء الدنيا .

والمراد من السماء الدنيا على طريقة التوضيف مجموع عالم السماء ، لأنها  
بالقياس إلى الجنة دانية ، فالأمر بالهبوط الثاني كان متعلقاً بنزول آدم من السماء إلى  
الأرض بعد خروجه من الجنة بالأمر الأوّل إلى بابها الذي هو في عالم السماء .  
وأما الثاني فهو الضمير إلى الجنة إنما وقّس لأن ابتداء الهبوط كان منها ،  
وليس قوله ﴿ مِنْهَا ﴾ داخلاً في المأمور به .

ثم قال <sup>(١)</sup> : « وَعِنْدِي وَجْهٌ ثَالِثٌ أَقْوَى مِنْ الْوَجْهَيْنِ ، وَهُوَ إِنْ آدَمَ وَحَوَا ،  
لَمَّا أَتَى بِالزَّلَّةِ أَمْرًا بِالْهَبُوطِ فَتَابَا بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْهَبُوطِ . فَأَعَادَ اللَّهُ الْأَمْرَ بِالْهَبُوطِ مَرَّةً ثَانِيَةً  
لِيَعْلَمَا أَنَّ الْأَمْرَ بِالْهَبُوطِ مَا كَانَ جَزَاءً عَلَى ارْتِكَابِ الزَّلَّةِ حَتَّى يَزُولَ بِزَوَالِهَا ، بَلْ  
هُوَ بَاقٍ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْهَبُوطِ كَانَ تَحْقِيقًا لِلْوَعْدِ الْمَتَقَدِّمِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنِّي  
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٣٠/٢] .

وقيل : سبب التكرير اختلاف المقصود في الأمرين . فإن الأوّل دلّ على أنّ  
هبوطهم إلى دار بليّة يتعادون فيها ولا يخلّدون ، والثاني اشعر بأنهم اهبطوا للتكليف  
فمن امتدى نجى ، ومن ضلّ هلك ، كما يقال : « اذهب سالماً معافياً ، اذهب مصاحباً »  
وإن كان الذهاب واحداً - لاختلاف الحالين .

وهيها وجهٌ آخر ، وهو أنه يحتمل أن يكون الهبوط الأول إلى البدن ، والهبوط الثاني إلى الدنيا . ومنشأ الأول حاجة النفس لتكميلها إلى قواها ودواعيها كالشهوة والغضب التي في البدن ، ومنشأ الثاني حاجتها بواسطة تكميل البدن ومنافعه ومضارّه إلى الأمور الخارجة عنه .

ومما روي في الأخبار والحكايات : إن آدم عليه السلام اهبط بالهند وحواء بجدة ، وإبليس بموضع من البصرة ، والحيّة بإصبعان .

### إشارة قرآنية

[ كراهية الإنسان للهبوط ثم للعروج ]

ثم إن في الآية اشعاراً لطيفاً بأعجب أحوال الإنسان ، فإن من عجيب أحواله إن مفارقتة عالم القدس والرحمة وبعده عن درجة المقربين وهبوطه إلى دار الدنيا كان صعباً عليه في أول الأمر بمقتضى صفاته الذاتية وفطرته الأصلي ، ولم يرض بالكون في هذا العالم بل استكرهه واستوحشه ، حتى صدر الأمر بهبوطه مرة بعد أخرى ، ثم إذا وقع في هذه الدار - دار الغربة والوحشة - ومضت عليه برهة من الزمان ، نسي موطنه الأصلي وداره وأحبائه وأحفاده الذين كانوا أصحابهم فيها ، وألف هذا المنزل وتشبّط فيه ، وكره الخروج منه واستأنس بأهل الدنيا واستصعب مفارقتهم .

\*\*\*

وللشيخ أبي علي بن سينا قصيدةٌ يومي إلى هذا المعنى وإلى بعض أحوال النفس من تجرّدها وتعلقها ، هذه بعض أبياتها (١) - قال :

(١) القصيدة معروفةٌ تسمى بالقصيدة العينية وكذا « القصيدة الطيرية » جاءت في « لفت

نامه دهخدا » و « نامه دانشوران » ومع شرح وجيز في « أسرار الحكم » للسبزواري : ٢٧٥ .

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ \* وَرَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَتَمْنَعٍ  
 محجوبة عن كلِّ مقلِّ عارِفٍ \* وهي التي سَفَرَتْ<sup>(١)</sup> ولم تَتَبَرَّعِ  
 وَصَلَتْ عَلَى كَرِهِ إِلَيْكَ وَرَبِّمَا \* كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفْجُحِ  
 أَنْفَتْ وَمَا سَكَنْتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ \* كَرِهَتْ مُفَارَقَةَ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَظْنَهَا نَسِيتُ عَهوداً بِالْحَمَى \* وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَفْنَعْ

و «المحلُّ الأرفع» هو العالم الأعلى النوري المجرد بالكلية عن ملابسة الأجساد، وهو أرفع درجة ومكانة من عالم الجنان، لأنَّ الجنة جسمانية وعالم النور المحض مجرد عقلي .

وقد سبق إن النفس الآدمية كان معدنها الأصلي أولاً عالم العلم الإلهي والقضاء الرباني حيث كان مقدراً في علمه تعالى أنه جاعلٌ في الأرض خليفة، والعلم بالشيء هونحو من وجود ذلك الشيء، ثم نشأت بقدرته تعالى في عالم الأرواح العقلية حينما صارت منفوخاً فيها روح الله، ومسجوداً لملائكته ثم سكنت بأمر الله في الجنة وتناولت من ثمارها وأشجارها ثم هبطت بعد ذلك إلى القالب، وبالقالب إلى هذا العالم .

و«الورقاء» حمامة خضراء يشبه لونه لون السماء، شبه النفس الإنسانية بالورقاء لكثرة استيناسه بصورة الإنسان وشدة ميله بالعود إلى المحلِّ المعتاد الذي يتحقق به المعاد، وأصل التشبيه لها بالطير مطلقاً لصفة تجردها عن البدن، وهو بمنزلة القفص للطير، المشابهة لصفة الطيران . وإنما شبهت بالطائر الأخضر إشعاراً بأنها من عالم السماء وقد ورد في الحديث<sup>(٣)</sup> : « إنَّ الأرواح بعد البدن تكون في قوالب طيور خضر » وورد - أيضاً في الحديث<sup>(٣)</sup> : « إنَّها في قناديل معلقة تحت العرش » .

(١) في نسخة المصنف هنا « سرت » واثبتناها طبقاً لما يفسره قريباً وما جاء أيضاً في أكثر نسخ القصة .

(٢) جاء في بعض المواضع : أَلِقت مجاورة الخراب البلقع .

(٣) راجع أبي داود : كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة : ١٥/٣، وراجع أيضاً

ما جاء في الكافي : كتاب الجنائز، باب آخر في أرواح المؤمنين : ٢٤٤/٣ .

ويمكن أن يكون المراد بالأرواح ماهي أرفع من النفوس ، وهي العقول .  
والمراد من الطيور الخضر النفوس التي في عالم البرزخ ، ومن القناديل المعلقة  
تحت العرش ماهي لما بمنزلة الأبدان هناك ، وهي المثل المعلقة في عالم الاشباح  
المثالية .

و « الكاف » في قوله : « إيلك » إن اريد بها نفسك فيراد من « الورقاء »  
الروح . ومن « المحلّ الأرفع » عالم القدس العقلي وإن اريد بها بدنك فالورقاء هي  
النفس ، والمحلّ الأرفع هو عالم الجنة والثاني أنسب بما بعده .

و « السفر » في قوله : « سفرت » كشف الوجه . و « التبرقع » ستره . وتقديم  
لفظ « الكل » عليها لرعاية الوزن . والمراد منه : ان النفس لتجردها محجوبة متبرقة  
عن الأبصار ، ولنوريتها واسفارا وجهها مكشوفة على البصائر و « هي ذات تفجع »  
أي : ذات جزع وفزع .

و « البلقع » أي : المخالي . والمراد به عالم الأجسام ، لخلوها في نفسها عن  
الصور والهيئات ، لأنها فائضة عليها من عالم العقل والنفس أو البدن فإنه من حيث  
هو خراب خال عن القوى الروحانية والنفسانية .

وحاصل القول : إن العناية الإلهية قد جرت في الأزل وتعلقت بهبوط النفس  
الإنسانية من عالم الأرفع النوري إلى الهيكل المزاجي الإنسي ، بواسطة وجود  
الاعتدال فيه ، الذي هو ضرب من الوحدة الحقيقية وظل منها .

فنزلت النفس من جو الفضاء العقلي والمصعد الأعلى السماوي إلى مستوكر  
البدن الظلماني على سبيل الكراهة والصعوبة لأن مفارقة الوطن الأصلي - سيما عالم  
القدس النوري - تكون صعباً ، ومجاورة الأضداد والأعداء أصعب منها . لكن بحكم  
التقدير الأزلي والقضاء الإلهي - حيث لامرد لقضائه ولأمانع لحكمه - فارقت العالم  
الأعلى كرهاً وتعلقت بالمستوكر الأدنى جبراً وقهراً . وانفصلت عن الطهارات و

التقدّسات الروحية النورية ، وتعلّقت بالأدناس والألوات البدنية والقاذورات الطبيعية وهبطت في مقر السعيد الظلماني ومهوى الحضيض الجسماني والجحيم النفساني ، مقيّدة بالسلاسل والأغلال في سجون التعلّقات ، أسيرة بأيدي الشياطين والأغوال لشجون الأوهام والخيالات ، محترقة بنيران الشهوات ، ملسوعة بسموم العقارب والحيات .

فلما قيّدت كالحمامة بشبكة البدن وحبوب القوى ، أنست بها بعد ما كرهتها وألفت بها بعدما أنفت ، ونسيت عالمها بعد ما ذكرت ، كما قال تعالى : ﴿ نَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [١١٥/٢٠] وقوله : ﴿ نَسُوا الذِّكْرَ ﴾ [١٨/٢٥] وقوله : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [٦٧/٩] ورضيت بهذه الحياة الدنيا واطمئنت بها وبئست من الآخرة ، وأخلدت إلى الأرض واتبعت هواها ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ [٧/١٠] وقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْأَخْرَةِ كَمَا يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ أَمْثَلِكُمْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ [١٣/٦٠] .

فلما جهلت أبناء الدنيا عن أحوال الآخرة ومقاماتها اشتغلوا عند ذلك بطلب الدنيا ونعيمها ولذاتها وشهواتها وتمتوا الخلود فيها لأنها محسوسة لهم يشاهدونها بحواسهم - وتلك الدار ونعيمها ولذاتها ومشتهياتها غائبة عنهم وعن إدراك حواسهم - فتركوا البحث عنها والرغبة فيها والطلب لها والسعي إلى ذكر الله وذكر الآخرة ، فلا جرم احتاجت عند ذلك نفوسهم إلى من يذكرها العهد القديم وتجدد عليها الذكر الحكيم ، وتشوقها إلى ما عند الله ويسوقها من دار الدنيا إلى الدار الآخرة

فالرحمة الإلهية أجادت بإرسال الرسل إليها وإنزال الكتب عليها ، فمنهم من آمن لبقاء نور الفطرة في قلبه ، ومنهم من صد عنه لانطماس نور فطرته ومسخه وتراكم الظلمة على قلبه واسوداده بالمعاصي ، ولذلك قال : ﴿ قَائِمًا يَا بَنِيَّ كُمْ مِنِّي هَدَى ﴾ - الآيتين .

## فصل

[ سرّ الإتيان هنا بحرف الشك ]

« إن » للشرط ، و « ما » مزيدة أكّدت بها إن ، ولهذا حسن تأكيد الفعل بالنون وإن لم يكن فيه معنى الطلب ، وجواب الشرط الأوّل الشرط الثاني مع جوابه ، كقولك : « إن جئتني ، فإن قدرت أحسنت إليك » والمعنى : « إن يأتينكم مني هدى بإنزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجى من قيد الدنيا وعذاب الآخرة في الجحيم ، وفاز بالجنة والنعيم ، ومن كفروا كذب بالهدى والآيات فهو من أهل النار والعذاب الدائم » قوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا ﴾ - إلى آخره - عطف على الجملة السابقة قسيم لها ، فالمجموع بمنزلة قضية شرطية متصلة ، تاليها بمنزلة منفصلة مانعة الجمع مركبة من شرطيتين متصلتين تحقيقاً كما في علوم إسلامية

\* \* \*

وإنما وقع الكلام بحرف الشك والتردد ، والحال إن اتيان الهدى إلى كافة الناس كائنٌ لامحالة ، لأن ذلك أمرٌ غير واجب - لا لما ذهبت إليه الأشاعرة من نفي الوجوب والایجاب العقليين - بل لدقيقة علمية هي إن أسباب الأكوان وغاياتها بعضها علل ذاتية ، وبعضها علل غير ذاتية لتلك الأكوان ، ويقال للقسم الثاني : « العلل الإتفاقية » فكلما لزمّت من الصفات والأفعال للأنواع في أوائل طبيعتها الأصلية وبحسب كمالها الأوّل فهي ناشئة من الأسباب الذاتية ، وكلّ ما لحقتها في فطرتها الثانية وبحسب كمالها الثاني ، فهي من الأسباب الإتفاقية كاستعداد مادة ، أو مصادفة حالة غريبة ، أو معاونة أمر مبائن .

إذا تقرّر هذا فنقول : إن الإنزال والإرسال ، والترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، كلّها أمور غريبة طارئة على أفراد الإنسان ، ليست ناشئة من عللها الذاتية

المقتضية لأصل ذاتها ووجودها ، وإلا لما انفكّ منها واحد من أفراد الناس . نعم هي تفضلات وإحسانات من قبل الله إلينا ، بعد وجود المبادي والأسباب الذاتية ، وإن كان الكلّ من فضله وجوده ، وهي نافذة لوجوده ، لكنّ الكلام بعد تحقّق العلل الضرورية وإن كانت الإتفاقيات أيضاً منجّرة إلى أمور ضرورية ، لكونها مستندة إلى ما في علم الله وعالم قضائه الحتمي .

ولكن السبب الذاتي لشيء قد يكون غريباً لشيء آخر ، وكذا الشيء قد يكون بالنسبة [إلى] أسبابه القريبة اتفاقياً ، وبالقياس إلى البعيدة لزومياً - كما مرّ في مسألة اختيار العبد - وإذا كان الأمر غير ضروري حشّن الإتيان به بلفظ دالّ على الإمكان والشكّ ، فإنّ الشكّ في التصور بازاء الإمكان في الوجود .

ومن هذا يعلم أنّ لا يقين في الحوادث والمنتغيرات إلّا من جهة العلم بأسبابها الذاتية الضرورية ، ولهذا قالت الحكماء : « العلم بذی السبب لا یحصل [ إلّا ] من جهة العلم بسببه » .

وقال صاحب الكشاف في وجه المجيء بكلمة الشكّ (١) : « إنّه للإيدان بأنّ الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب ، وإنّه إن لم يبعث رسولاً ولم ينزل كتاباً كان الايمان به وتوحيده واجباً بما ركّب فيهم من العقول ، ونصب لهم من الأدلّة ، ومكّنهم من النظر والاستدلال » .

أقول : ما ذكره يوجب تخصيص الهدى والإرسال والإنزال ، وهو تخصيص بغير دليل ، لأنّ المراد منه كما ذكره بعضهم كلّ دلالة وبيان ، فيدخل فيه غرائز العقول وقيام الأدلّة ، والقُدرة على النظر والاستدلال ، وكلّ كلام نزل على كلّ نبي .



## فصل

اعلم أن الآية تدل على أمور :

**الأول :** التنبيه على جليل عناية الله وعظيم رحمته في حق آدم وذريته . إذ كأنه يقول: «إني وإن أهبطتكم إلى الأرض ، وأوقعتكم إلى الدنيا من المنازل العالية فقد عظمت عليكم الرحمة ، وأنعمت عليكم بما يؤدبكم مرة أخرى إلى الجنة على وجه أتم وأدوم زماناً وأكثر عدداً ، لأن آدم وحواء لو لم يهبطا إلى الأرض ، وبقيا في الجنة ابتداءً من غير ابتلاء ، لكان كثير غير محصور من الكمالات والخيرات فيهما في حدّ القوة ، من غير أن يخرج إلى الفعل - مع إمكان الخروج - ولم يدخل معها في الجنة أعداد نفوس غير محصورة من أولادهما ، فعلم أن خروجهما من الجنة متضمن لخيرات كثيرة ونعم جلييلة لهما ولذرياتهما .

**الثاني :** إنه تعالى بين أن من اتبع هداه بحقه علماً وعملاً - بالإقدام على ما يلزم ، والإحجام عما يحرم - فإنه يبلغ إلى منزلة لا يعتبره فيها خوف عن المآل ، ولا حزن في الحال . وهذا متضمن لجميع ما أعد الله لأولياؤه ، لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات ، وزوال الحزن يقتضي الوصول إلى كل اللذات والمرادات .

لا يقال : هذا يستلزم أن يتساوى جميع أهل الهداية في السعادات ولا يتفاوت فيها بين الأنبياء والأمم .

لأننا نقول : كل واحد من أهل السعادة ينال جميع ما يستلذه ، ويسلم من جميع ما يستكرهه ، وهم مع ذلك متفاوتون في السعادات ، لتفاوتهم في الشهوات وتفاوت ادراكاتهم للخيرات ، وكل ينال بقدر قوة وجوده وعلمه سعادة يليق بحاله وكماله .

**الثالث :** الآية تدل على أن المؤمن المتبع للهدى ، المعرض عن آفة الهوى

لا يلحقه خوفٌ أصلاً - لافي القبر، ولا عند البعث، ولا عند حضور الموقف، ولا عند تطاير الكتب، ولا عند نصب الموازين، ولا عند الصراط، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ [تَوَعَّدُونَ]﴾ [١٠٣/٢١].

ومنهم من استدل بعموم قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [٢/٢٢] وسائر العمومات الواقعة في أحوال القيامة وشدائدها على أن أهوالها كما تصل إلى الكفار والفجار كذلك تصل إلى المؤمنين والأخيار.

والجواب إن قوله: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ﴾ خاص، وقوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ وأمثاله عام، والخاص مقدم على العام عند التعارض.

والرابع: إن الهدى قد ثبت ولا اعتداء، لأن الأول فعل الله ومسته، ولا تبديل لسنة الله. والثاني فعل العبد، وهو في معرض التجدد والانفكاك. فذلك قال: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَدَايَ﴾. مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

والخامس: بطلان القول بأن المعارف ضرورية.

السادس: إبطال التقليد فيها، لأن الآية دلّت على أن الخلاص من الخوف والحزن إنما يترتب على اتباع الهدى، والمقلد لا يصدق عليه إنه اتبع الهدى، لأن ذلك يتوقف على البصيرة، ولا بصيرة في المقلد.

السابع: إن بمجرد اتباع الهدى يحصل استحقاق الجنة، لأن قلب الإنسان في نفسه لطهارته الأصلية صالح للوصول إلى عالم الجنان، وإنما عاقته عن ذلك كدورة الظلمات والجهالات ونقل الأوزار والتعلقات، وبتابع الهدى عاد إلى فطرته الأصلية مع زيادة نور العلم والعبادة، فيستحق الجنة أتم استحقاق.

\* \* \*

وقرىء «هدى» على لغة هذيل - بقلب الألف ياء - وقرء يعقوب ﴿فَلَاخَوْفٌ

عَلَيْهِمْ﴾ بنصب الفاء في جميع القرآن. والباقون بالرفع والتنوين.

## فصل

## وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا - الآيَة

قد جعل الله الكفر والتكذيب للآيات في مقابلة الاتباع للهدى وعلم إن المراد من الهدى الآيات ، وجعل الكفار والمكذبين قسيماً للمؤمنين المتبعين للآيات ، فأوعد هؤلاء بالعذاب الدائم والمخلود في النار كما وعد أولئك بالأمن من العذاب والحزن .

و«الآية» في اللغة العلامة . ومنه قوله تعالى ﴿عِيداً لِّأُولَئِنَّا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ [١١٤/٥] أي : علامة لاجابتك دعائنا ، ويقال للمصنوعات من حيث دلالاتها على وجود الصانع وعلمه وقدرته ، ولكل بعض من كتاب الله المتميز بفصل عنه غيره لدلالته على معرفة من معارف الله . وهي مشتقة من «أي» لأنها تبيّن أياً من أيّ ، أو من «أوى إليه» واصلها «آية» أو «أوية» كتمرة ، فأبدلت عنها<sup>(١)</sup> على غير قياس أو «آية» أو «أوية» كرمكة فأعلت أو «آية» كقائلة . فحذفت الهمزة - كذا في البيضاوي .

والمراد من الآيات : المنزلة - كالكتب والرسل - أو ما يعتمها والمعقولة . وعند التحقيق مرجعها واحد ، لأن معاني الكتب عين البراهين العقلية ، وذوات الرسل عين مبادئها التي هي عقول بالفعل . والكل شواهد الجمال وآيات العظمة والجلال ، والإعراض عن معرفتها والاهتداء بها يوجب العذاب والنكال ، والسقوط عن درجة الكمال والانحطاط إلى مهوى الأردال ومهبط النزال .

وأما الكلام في أن العذاب هل يحسن من الله ، أم لا ؟ وبتقدير حسنه : هل يحسن على الدوام ، أم لا ؟ فقد مرّ ذكره في تفسير قوله : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ .

(١) البيضاوي : فأبدلت عنها ألفاً .

واعلم إن الله سبحانه بيّن حال طائفتين من طوائف الناس بحسب العاقبة ،  
 لكون كل منهما في طرف التضاد من الآخر. إحداهما الكاملون في السعادة ، والآخرى  
 الكاملون في الشقاوة ، ولم يبيّن حال الاوساط إنما لأن حالهم يستفاد من أحوال هاتين  
 الطائفتين بوجه ، وإما لان المقام لا يقتضي تفصيل مراتب الناس بحسب العاقبة ، لأن  
 الكلام مسوق ههنا في أحوال مبادي نشأة الإنسان ، وأوائل فطرته ، وإنما انجز إلى  
 ذكر نبد من أحوال النهاية تبعاً وإجمالاً . والتفصيل فيها موكول إلى مواضع أخرى  
 من القرآن ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَآخِرُونَ مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا  
 يَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [١٠٦/٩] وكفوله : ﴿ وَآخِرُونَ آخِرُونَ يَذُنُّوهُمْ  
 خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرًا سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾  
 [ ١٠٢/٩ ] .

والحق إن الموجب للعذاب الدائم ضرب من الكفر، وهو الذي يكون مع أهل  
 النفاق المكذبين المعاندين، حيث يتركب فيهم الجهل مع الاستكبار والرسوخ فيه .  
 وأما الكفر بمعنى الصفة العدمية هي عدم الايمان بالله ورسوله بواسطة قصور  
 النفس عن درجة هذا الكمال ، وانحطاطها عن اكتساب هذا النور ، فلا يوجب ذلك  
 الأدوام الكون في النار ، وعذاب أدنى من عذاب أهل الشرك والظلم - نعوذ بالله .

\* \* \*

وههنا آخر الآيات الدالة على أحوال مبادي نعم الله على الإنسان وكيفية  
 تكوّنه أولاً في عالم القدس والانس ونزوله ثانياً من أعلى المراتب إلى أدنى المنازل  
 ليستعدّ بذلك النزول للبلوغ إلى السعادة القصوى ، والمملكة العظمى في النهاية .

ويستفاد منه الدلالة على التوحيد والنبوة والمعاد :

أما التوحيد فمن حيث إن المبدع المنشئ له في أكمل النشأة وأحسن  
 التفويم ، والمردد له في محال الجبروت ومنازل الملكوت والمقلب له في أطوار

الخلق وأحوال الفطرة ، قادرٌ ، حكيمٌ ، فاطرٌ ، عليمٌ ، محيطٌ بكل شيء ، وله الخلق والأمر .

وأما الدلالة على النبوة فمن حيث أن محمداً ﷺ أُخبر عن هذه العلوم الغيبية التي عجزت عن كنه إدراكها عقول الحكماء المتفكرين ، وقصرت أفهامهم عن تحصيلها - من ماهية الروح الإنسانية ، وترددها في مكان الغيب قبل مظاهر الشهادة - من غير تعلم من استاد بشري ، بل بوحى إلهي وعلم لدني . وهؤلاء بدقة أفكارهم لم يعلموا من الروح الإنساني إلا ما حدث عن مزاج البدن في الشهر الرابع من تكون النطفة في الروح ، ولم يعلموا من بقائها إلا استمرار وجودها على نعت واحد وجوهري واحد ، غير مطلقين على نشأتها السابقة على الكون في الرحم ، ولا على تمام نشأتها اللاحقة بعد الموت ، وتفصيلها كالقبر والبعث ، والحشر ، والصراط ، والحساب ، والميزان ، والجنة ، والنار والرؤية ، واللقاء .

وأما الدلالة على المعاد فمن حيث أن القادر الذي يخلق بدايات مخلقة الإنسان لا بد وأن يخلق نهايات خلقه وغايات ( ظ : غاياته ) فإن كل ما له بداية فله نهاية ، والإنسان لجامعية ذاته وشموله على الطبع والحس والنفس والروح والسر المنفوخ ، فله بحسب كل منها بدايات متتابعة ونهايات متلاحقة . وهذا بيان برهاني له شرح وتفصيل سيأتي إن شاء الله .

وأما ما قيل في إثبات المعاد في مواضع عديدة « إنه من قدر على خلق هذه الأشياء ابتداءً قدر على خلقها إعادة » فهو بمجرد لا يثبت وجوب المعاد - بل مكانه - إلا أن يضم به سائر الأدلة .

قوله عز اسمه :

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ  
وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارُهُوبٌ ﴿٤١﴾

لما عمّم الله تعالى جميع الخلق بالحجج الواضحة الدلالة على التوحيد والنبوة والمعاد ، وذكرهم ما أنعم عليهم في أبيهم آدم عليه السلام ، ونسبهم على مكان خلقتهم ومباني نشأتهم - عقبها بإزالة شبه المنكرين وقمع أوهم المعاندين بإقامة الحجّة على طائفة مخصوصين ، وهم اليهود الذين كانوا بالمدينة ، لأنهم أكثر الناس إنكاراً للنبوة ، كما إن كفار قريش كانوا أكثر الناس إنكاراً للتوحيد . وقيل : الخطاب لليهود والنصارى ، وهم جميعاً من أهل الكتاب ، المحجوبين عن الدين ، بل عن الحقّ مطلقاً واليقين .

فشرع أولاً في ذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود وآبائهم ، تذكيراً لنعمه وعظيم منته عليهم ، واستمالة لقلوبهم ، وتنبهاً على ما يدلّ على نبوة محمد صلى الله عليه وآله من حيث إخباره عن المغيبات والأحوال الماضية والأديان السابقة ، ثم أمرهم بإيفاء عهد الله من الإقرار بالربوبية ، والاعتراف بتمام نعمته في بعثة نبيّه الخاتم للرسول ، وانزال كتابه الجامع للكليم ، والحاوي للحكم ، المفصّح المعرب عن كلّ دقيق وجليل ، المصدّق لما بين أيديهم من التوراة والإنجيل ، ليكافئهم الله بإيفاء عهدهم

من حسن الجزاء وسعادة المسرى ، ثم حذّرهم ورهبهم عن التعرّض لما يوجب سخطه ، ويحجب عن رحمته من إنكار الحقّ وكمانه ، وتلبّسه بالباطل أو ترويح الباطل وإبرازه في صورة الحقّ لاتباع الهوى وطلب العاجلة وترك الآجلة . < فالكلام من هذه الآية إلى أوائل الجزء الثاني مسوق مع طائفة أهل الكتاب ومتكلمي اليهود والنصارى ، احتجاجاً عليهم وإنذاراً لهم على أبلغ وجه وآكده . ومن تأمل في تضاعيف ما ذكر في هذه الآيات من الإشعار بفنون نعم الله العامة والخاصة لطائفة أهل الكتاب ، ثم إردافها بالترغيب البالغ بقوله : ﴿ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ مقروناً بالترهيب البالغ بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ كَانُوا بِإِذْنِي لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾ [ عِلْمٌ إِنَّ هَذَا هُوَ النِّهَايَةُ فِي حَسَنِ التَّرْتِيبِ لِمَنْ يَرِيدُ الدَّعْوَةَ وَتَحْصِيلَ الْإِعْتِقَادِ فِي قَلْبِ الْمَسْتَمِعِ ] (١) .

### ونرجع إلى تفسير الألفاظ

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ : بأولاد يعقوب ، الإبن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني ، إلا إن « الإبن » للذكر ، و « الولد » يقع على الذكر والأنثى و « النسل » و « الذرية » يقعان على جميع ذلك . وأصل « إبن » من « البناء » ، وهو وضع الشيء على الشيء ، لأنه يبنى على الأب لأنه الأصل والإبن فرع له منسوب إليه ، كما ينسب المصنوع إلى صانعه . فيقال : « أبو الحرب » وكان إطلاق الأب على العلة الموجدة والإبن على المعلول في بعض ألسنة القدماء من هذه الجهة لأن العلة الموجدة للشيء هي أصل وجوده ، ووجود المعلول فرعه ، فكانوا يسمون المبادي بالآباء ، يقولون للباري جلّ مجده : « أب الآباء » أعني علة العلل ، لا بالمعنى الذي زاغت النصارى لاجل ذلك وضلت أفهامهم من قول المسيح عليه السلام : « إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَأَيْكُمْ » أي : ربي وربكم .

(١) الاضافة من تفسير الفخر الرازي : ٤٧٨/١ .

وإسرائيل لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - على نبيّنا وعليهم السلام - وقيل: أصله مضاف ، معناه بالعبريّة : صفوة الله . أو: عبد الله . لأنّ «اسر» معناه : عبد و« ايل » هو : الله - في لغة العبرانيّين ، فصارت مثل « عبد الله » مركباً اضافياً ، وكذلك جبرئيل وميكائيل . والقراءة المشهورة « إسرائيل » مهموز ، ممدود ، مشبع الياء . وقرء « إسرائيل » بحذف الياء . و« إسرائيل » بقلب الهمزة ياء . و« إسرائيل » بحذفهما وإسرائيلين بالنون <sup>(١)</sup> . قال أبو علي : « العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه » .

و «الذِّكْر» الحفظ للشيء . وضدّه النسيان . والحقّ إن الذِّكر هو ادراك الشيء المحفوظ أولاً ، ولا بدّ فيه من قوتين باطنيتين : الواهمة والحافظة و« الاسترجاع » أحصّ منه ، إذ لا بدّ فيه من قوى ثلاث - هما والمتصرّفة - فالذاكرة من الإنسان وكذا المسترجعة ليست قوّة بسيطة ، بل قوّة مركّبة من القوتين أو تزيد ، فلا يلزم بسببها إثبات قوّة أخرى في الإنسان غير الخمس الباطنيّة .

وربما يطلق « الذِّكر » على جرّي لفظ الشيء على لسانك ، وهو ليس بذكر للشيء حقيقة ، كما إن لفظ الشيء ليس وجوده ، بل ذكر الشيء عبارة عن إحضار معناه في حضرة النفس . قال تعالى <sup>(٢)</sup> « أنا جليس من ذكرني » فلو كان المراد به ذكر اللسان دون القلب يلزم أن يكون الله جليس هذا الجرم المخصوص .

وأما القلبُ الذّاكر للحقّ فليس المراد به هذا العضو العنصري المتخصّص بالوضع والأين . بل الذي أشير إليه في الحديث الإلهي <sup>(٣)</sup> : « لا يسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن الواضع » .

و « الذِّكر » قد يكون بمعنى ما يتذكر ، فيطلق على الكتاب الذي فيه تفصيل

(١) راجع المعرب للجوالهقي : ١٤ .

(٢) بحار الانوار : ١٥٣/٩٣ .

(٣) قال العراقي (الاحياء : ١٥/٣) : لم أر له أصلاً .



الدين ﴿إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [٤٣/٤٤] فكل كتاب من كتب الأنبياء ﷺ ذكر .  
و «الذِّكْر» هو الصلوة والدعاء ، وفي الأثر : « كانت الأنبياء إذا حزنهم  
أمرٌ فزهوا إلى الذكر» أي : إلى الصلوة .

تقول : « وفيتُ بمهدك وفاءً » و « أوفيتُ » لغة تهامة .  
والعهد : الأمر والوصية .

والرهبة : الخوف . وضدها الرغبة . وفي المثل (١) : « زهبت خيراً من  
رحموت » أي : لأن ترهب خيراً من أن ترحم .

### فصل

قوله تعالى : اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

أراد بذلك النعم التي أنعم بها على أسلافهم من تكثير الأنبياء فيهم والكتب ،  
وإنجائهم من فرعون وجنوده ، ومن الغرق على أعجب الوجوه ، وإنزال المن  
والسلوى عليهم ، وكون الملك منهم في زمن سليمان عليه السلام ، وغير ذلك .  
وعدّ النعمة على آباءهم نعمة عليهم ، لأن الأولاد يتشرفون بفضيلة الآباء . وهذا  
كما يقال في المفاخرة : « قتلناكم يوم الفخار ، وهزمتناكم يوم ذي قار ، وغلبناكم  
يوم النصار » .

وذكر النعمة بلفظ الواحد ، والمراد به النعم الواصلة إليهم مما اختصوا به  
أواشركوا مع آباءهم ، حتى تناسلوا فصاروا من أولادهم ، ومن ذلك خلقه إياهم  
على وجه يمكنهم اكتساب المعرفة بالله ، والاستدلال على توحيده والوصول إلى  
مكاشفة أسمائه وصفاته وملكوته وآياته ، فيشكروا نعمته ، ويستحقوا ثوابه وجنته .

واعلم إن « النعمة » يعبر بها عن كلّ خير ومنفعة ولذة ، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة . و « الخير » هو المؤثر المختار بحسب الواقع . و « المنفعة » ما يكون وسيلة إلى الخير بالذات ، فهي يكون خيراً بالعرض ، و « اللذة » قد تطلق بمعنى الشهوة ، وهي التي تكون مختصة بإدراك الحواس ، كالذة البطن ، والفرج ، والمال ، والجاه . وقد تطلق بمعنى إدراك الملائم سواء كان للعقل أو الحس . والأول لا يكون خيراً ، إلا أنها يمكن أن يكون منفعة ، وذلك إذا كانت على وجه يؤدي إلى الخير الحقيقي .

وكل واحد من هذه المعاني الثلاثة يمكن أن يصدق على بعض أفراد الآخرين فإن الشيء يمكن أن يكون خيراً ولذيذاً ومنفعة ، كالعلم بمسئلة إلهية يؤدي إلى العلم بمسئلة أخرى منها ، فإن العلوم الإلهية كلّها خير ، لأنه كمال عقلي باق دائماً ، وكلّ موجود باق دائماً فهو خير ، وهو أيضاً وسيلة إلى خير آخر فيكون منفعة ، وهو في نفسه لذيذ عند العالم به ، وإن لم يكن لذيذاً عند فاقد القوة التي بها تدرك المعارف الإلهية . والله سبحانه أحب الأشياء عند العرفاء الأحياء ، وهم أيضاً أحب الأشياء عنده ، كما يدل عليه قوله ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [٥٤/٥] . وهو أبنض الأشياء عند المتبعدين المنكرين وبالعكس ، كما في قوله ﴿ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لِقَاءَهُ ﴾ (١) : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ . وَمَنْ أَنْكَرَ لِقَاءَ اللَّهِ أَنْكَرَ اللَّهُ لِقَاءَهُ » .

وحدّ القوم « النعمة » بأنها المنفعة المنعولة على جهة الإحسان إلى الغير ، أما كونها منفعة فلأن المضرة المحضة لا يجوز أن يعدّ نعمة ، وأما التقييد بكونها منعولة على جهة الإحسان : فلأنه لو كان نفعاً ولكن لم يقصد الفاعل نفعه - بل ضرره - لم يكن نعمة عليه ، كمن أحسن إلى أحد وأراد به اختداعه أو استدراجه إلى ضرر .

إذا عرفت هذا فاعلم أن جميع ما خلقه الله لعباده فهي نعمة منه ، لأنها لا يخلو عن أمرين : إما خيراً ، وإما منفعة - أي : وسيلة إلى ما هو الخير بالذات . أما الخير

(١) الجامع الصغير (١٦٠/٢) : « . . . ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

بالذات : فيرجع حاصله مع انشعاب أقسامه إلى الإيمان ، وحسن الخلق ، وينقسم  
الإيمان إلى علوم المكاشفة ، وهي العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله وأوليائه وعالم  
(ظ : علم) المعاد واليوم الآخر ، وإلى علوم المعاملة : وهي تحصيل حسن الخلق .  
والأولى عدّ علوم المعاملة من جملة المنافع ، لأنها وسيلة إلى حسن الخلق  
الذي هو عبارة عن سلامة القلب وطهارة النفس وصفاء الضمير ، وشيء منها ليس  
خيراً بالذات ، لأنها عدمية ، والعدم لا يكون خيراً بالذات ، وإنما هو وسيلة إلى  
قبول الخير ، وهو صورة المطلوب - أي الحضرة الإلهية وأفعاله وآثاره - .

فعلوم المعاملة من المنافع المؤدية إلى الخير الحقيقي والسعادة الأخروية ،  
إذ لا سبيل إلى سعادة الآخرة إلا بالعمل والسعي في طريقها ﴿ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ  
مَا سَعَى ﴾ وليس لأحد في العقبى إلا ما تزود في الدنيا .

وهي تنقسم إلى عفة - وهي سياسة قوة الشهوة ، حتى لا تكون مستولية  
ولامطموسة - وإلى شجاعة - وهي تعديل قوة الغضب ، حتى لا يكون الإنسان من  
جهتها متهوراً ولا جباناً مقهوراً ، بل يكون إقدامه وإحجامه بمقتضى العقل المنور  
بنور الإيمان - وإلى حكمة - وهي إصلاح القوة الإدراكية حتى لا تكون جريزة  
مكارة كالشيطان في استنباط دقائق الحيل في الدنيا ، والتفريعات الجزئية من العلوم  
التي ضررها أكثر من نفعها . ولا يكون أيضاً بليداً غير مرقٍ في الأشياء النافعة .

وهذه الحكمة غير الحكمة التي أنى عليها كتاب الله بقوله : ﴿ مَنْ يُؤْتِ  
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [٢٦٩/٢] فإنها كلما كانت أكثر فهي أجلّ وأشرف .  
ومن تعديل هذه الثلاثة - أعني ملكة العفة والشجاعة والحكمة - تحصل  
للنفس ملكة أخرى تسمى بالعدالة ، وهي ميزان أنزل الله تعالى على لسان رسوله ،  
إذ قال : ﴿ أَلَا تَطَنُّوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿ وَأَقِيْمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾  
[٩/٥٥] فمن أخصى نفسه لتزك شهوة الجماع وترك النكاح مع الاستطاعة والأمن

من الغائلة ، او ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والفكر فقد أخسر الميزان ، ومن انهمك في الشهوات فقد طغى في الميزان ، وإنما العدل أن يخلو الوزن والتقدير عن الطغيان والخسران، وتتبادل كلتا كفتي الميزان ، وفي ذلك تحصل النجاة عن عالم الأضداد وخلص النفس عن أشرفاريت الظلمات وأفاعي الشهوات ، فإن التوسط بين الأطراف بمنزلة الخلو عنها .

فهذه هي الفضائل والخيرات المحضة ، وهي سعادة الآخرة ، ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقاء لافناء له ، وسرور لاغم فيه ، وعلم لا جهل معه ، وغنى لا فقر معه ، وهي النعمة الحقيقية . ولذلك قال عليه السلام « لا عيش إلا في الآخرة » وصدر هذا القول منه عليه السلام مرتين : مرة في الشدة تسلياً للنفس ، وذلك في وقت حفر الخندق<sup>(١)</sup> في شدة الضر ، ومرة أخرى في السرور منعاً للنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع<sup>(٢)</sup> .

وقال [ رجل ] : « إنني أسئلك تمام النعمة » فقال عليه السلام<sup>(٣)</sup> : « وهل تعلم ماتمام النعمة ؟ » قال : « لأ » . قال : « دخول الجنة » .

وأما المنفعة - أعني النعمة التي هي وسيلة إلى ما هو خيرٌ حقيقي - فننقسم إلى الأقرب الأخص بالخير، كفضائل النفس ، وهي كما مرّ : حفة وشجاعة ، وحكمة وعدالة . وإلى ما يليه في القرب ، كفضائل البدن ، وهو الثاني . وإلى ما يلي هذا في القرب ، كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة ، وإلى ما يجمع بين

(١) البخاري : باب ما جاء في الرقاق ، ١٠٩/٨ .

(٢) راجع المسند : ٢١٦/٣ وأيضاً مقاله العراقي في تخريج أحاديث الأحياء (ذيل

أحياء العلوم : ٢٤٩/١) .

(٣) في الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ٩٤) : فإن من تمام النعمة دخول الجنة

والقوز من النار .

هذه الأسباب الخارجة عن النفس ، وبين الحاصلة لها كالتوفيق والهداية .  
 فجميع نعم الله التي هي دون الخير الحقيقي ، والشرف الذاتي وهو المعرفة  
 بالله وأفعاله من ملائكته وكتبه ورسله ومعرفة النفس ومواطنها وغاياتها - المعبر عنهما  
 بالايمان بالله واليوم الآخر، كما مرّت إليه الإشارة - منحصرة مع عدم تناهيها وعدم  
 إمكان العدّ والإحصاء فيها - كما قال: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [١٤-٣٤] -  
 في أربعة أنواع :

النوع الأوّل منها هي الفضائل النفسانية التي ترجع إلى سلامة القلب وطهارة  
 النفس . وهي الأربعة المذكورة - العفة ، والشجاعة ، والحكمة ، والعدالة - وهذه  
 الفضائل لا تتمّ إلا بالنوع الثاني منها ، وهي الفضائل البدنية - وهي أيضاً أربعة :  
 الصحة ، والقوّة ، والجمال ، وطول العمر - ولانتهياً هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع  
 الثالث ، وهي النعم الخارجة المطبقة بالبدن - وهي أربعة : المال ، والأهل ، والجاه ،  
 وكرم العشرة - ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجية البدنية إلا بالنوع الرابع  
 وهي الأسباب التي تجتمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسانية الداخلة - وهي  
 أيضاً أربعة : هداية الله ، ورشده ، وتسديده ، وتأييده - وقد مرّ شرح هذه المعاني  
 في تفسير الفاتحة .

فمجموع هذه النعم ستة عشر أقسام وهذه الجملة يحتاج بعضها إلى بعض ،  
 إمّا حاجة ضرورية أو نافعة .

أمّا الحاجة الضرورية كحاجة سعادة الآخرة إلى حسن الخلق وسلامة القلب ،  
 وكذلك حاجة الفضائل النفسانية - ككسب العلوم وتهذيب الأخلاق - إلى صحّة  
 البدن ضرورية .

وأمّا الحاجة النافعة على الجملة ، كحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم  
 الخارجية مثل المال والعزّ والأهل ، فإن ذلك لو عدم ربما تطرّق الخلل إلى بعض

النعم الداخلية ، أولاترى إن الفقير في طلب العلم والكمال الذي ليس معه كفاية كساع إلى الهيجا بغير سلاح ، أو كبازي يروم الصيد بغير جناح .  
ولذلك قال عليه السلام (١) : « نِعَمَ الْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ » وقال عليه السلام (٢) :  
«نعم العون على تقوى الله المال» وكيف، ومن عدم المال مستغرق الأوقات في طلب القوت وتهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ، ثم يتعرض لأنواع الأذى من الأدنى حتى يشغله عن الفكر والذكر ، ويحرم عن فضيلة الحج والصدقات وإفاضة الخيرات .

سئل بعض الحكماء ، وقيل : ما النعيم ؟ فقال : الغنى ، فإني رأيت الفقير لا يعيش له . قالوا : زدنا ؟ قال : الأمن ، فإني رأيت الخائف لا يعيش له . قالوا : زدنا ؟ قال : العافية ، فإني رأيت المريض لا يعيش له . قالوا : زدنا ؟ قال : الشباب ، فإني رأيت الهرم لا يعيش له .

وكان ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ، ولكنه من حيث إنه معين على الآخرة فهو نعمة . ولذلك قال عليه السلام (٣) : « مَنْ أَصْبَحَ مُعَانِي فِي بَدَنِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، وَهُوَ قَوْتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حَيَزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا » .

وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما ، إذ قال عليه السلام (٤) :

(١) المسند : ٢٠٢/٤ .

(٢) قال العراقي (ذيل احياء علوم الدين : ١٠٤/٤) رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

(٣) الترمذي : كتاب الزهد ، الباب ٣٤ : ٥٧٤/٤ . ابن ماجه : كتاب الزهد : باب القناعة : ١٣٨٧/٢ . ولفظة «بحذائرها» غير موجودة فيهما .

(٤) قال العراقي (ذيل احياء علوم الدين : ١٠٤/٤) « لم أجده له اسناداً » وجاء في الكافي (٣٢٧/٥) : «من سعادة المرء الزوجة الصالحة» .

« نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى الدُّنْيَا الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ». وقال في الولد <sup>(١)</sup> : « إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : وَلِدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ - الْحَدِيثُ » .

وأما الأقارب فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي .  
وأما العزّ والجاه في دفع الإنسان عن نفسه الذلّ والضميم ، ولا يستغني عنه مسلم ، فإنه لا ينفك عن عدوّ يؤذيه ، وظالم يشوش عليه عامّة عمله وفراغه ويشغل قلبه ، وقلبه رأس ماله وإنما تندفع هذه الشواغل بالعزّ والجاه . ولذلك قيل : الدين والسلطان توأمان ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [٢/٢٥١] .

ولامعنى للجاه إلا ملّك القلوب ، كما لامعنى للغنى إلا ملّك الدراهم ، وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملّك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون [أما] عندهم وكذلك كان أئمتنا سلام الله عليهم يتوجهون إلى الأمراء ويفصدون التناول من خزانةهم والاستيسار والاستكثار في الدنيا بملاقاتهم ومعاشرتهم ، ولا تظنّ أن نعمة الله على رسوله ﷺ حيث نصره وأكمل دينه وأعزه في الأرض ، وأظهره على جميع أعدائه ومكّن له في القلوب حتى اتسع عزه وجاهه كان أقلّ من نعمته عليه حيث كان يؤذي ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة .

وأما كرم العشيبة فهو أيضاً من النعم الجليلة ، ولذلك من الله تعالى على بني إسرائيل في هذه الآية ، وفي قوله . . . <sup>(٢)</sup> ، وقال رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup> : « الْأئمة من قريش » ولذلك كان ﷺ من أكرم أرومة في نسب آدم <sup>(٤)</sup> ، ولهذا المعنى قال ﷺ <sup>(٥)</sup> :

(١) الجامع الصغير : ٣٥/١ .

(٢) كذا يراض بالأصل والاية : ٤٧/٢ و ١٢٢/٢٥ .

(٣) الجامع الصغير : ١٢٤/١ .

(٤) ابن ماجه : كتاب النكاح ، باب الاكفاء : ٦٣٣/١ . وفي الكافي : كتاب النكاح ،

باب اختيار الزوجة (٥/٣٣٢) : « اختاروا لنظفكم » .

« تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ » ! وقال <sup>(١)</sup> : « يَاكُمْ وَخَضِرَاءُ الدَّمَنِ » فقيل : « وما خَضِرَاءُ الدَّمَنِ ؟ » قال : « المرأةُ الحَسَناءُ في المَنبتِ السَّوِّءِ » .

فهذا أيضاً من النعم ، وليس المراد منه الانتساب إلى الأشرار والظلمة وأرباب الدنيا ، بل الانتساب إلى أكابر الأخيار كشخص رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام والعلماء والشهداء والصالحين .

فإن قلت : فما منفعة الفضائل البدنية وغانؤها ؟

فنقول : لاخفاء في شدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر ولذلك

قال عليه السلام <sup>(٢)</sup> : « السعادة طولُ العُمرِ في طاعةِ اللهِ »

وإنما يستحقر من جملتها أمر الجمال فيقال : يكفي أن يكون البدن سليماً من الأمراض الشاغلة عن تحري الخيرات . نعم - الجمال قليل الفناء . ولكن لعمري إنه من الخيرات أيضاً . أما في الدنيا فلا يفتني نعيمه فيها ، وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما إن القبيح مذموم ، والطباع عنه نافرة ، وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدر أوسع ، فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه ، إذ هو نوع قدرة ، إذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر عليها القبيح ، وكلّ معين على حاجات الدنيا فهو معين على الآخرة بواسطتها .

الثاني إن الجمال في الأكثر يدلّ على فضيلة النفس ، لأن نور النفس إذا تم إشراقه ، تأدى إلى البدن ، فالمنظر والمختبر كثيراً ما يتلازمان ولذلك عوّل أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن ، وقالوا : الوجه والعين مرآة الباطن ، ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والنعم ، ولذلك قيل : « طلاقة الوجه

(١) الكافي : ٣٣٢/٥ .

(٢) قال العراقي (١٠٥/٤) غريب بهذا اللفظ . وفي الترمذي (الزهد ، باب ٢١ : ج ٤

ص ٥٦٥) : « سئل النبي (ص) « من الناس خير ؟ » قال : « من طال عمره وحسن عمله » .



عنوان ما في النفس .

واستعرض المأمون جيشاً ، فعرض عليه رجلٌ قبيح [المنظر] فاستنطقه ، فإذا هو ألكن . فأسقط اسمه من الديوان . وقال : « الروحُ إنْ أشرقتْ على الظاهر فصباحةٌ وإنْ أشرقتْ على الباطن ففصاحة ، وهذا ليس له ظاهرٌ ولا باطنٌ » وقد قال عليه السلام (١) : « أطلبوا الخير عند حسان الوجه » . وقالت الفقهاء : « إذا تساوت درجاتُ المصلين فأحسنهم وجهاً أولاهم بالإمامة » وقال سبحانه ممتناً بذلك : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [٢٤٧/٢] .

وليس المراد بالجمال ما يهرك الشهوة ، فإن ذلك أنوثة مذمومة ، وإنما يعني به ارتفاع القامة في الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خِلقة الوجه ، بحيث لا تنبوا الطباع عن النظر إليه .

مركز تحقيق كتب توير علوم اسلامی

فإن قلت : كيف يكون المالُ والجاهُ والنسبُ والأهلُ والولدُ في حيزِ النعمِ وقد ذمَّ الله تعالى المالَ والجاهَ وكذا رسولهُ صلى الله عليه وأهل بيته عليهم السلام وقال : ﴿ إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴾ [١٤/٦٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَتَنَةٌ ﴾ [١٥/٦٤] وقال : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ ﴾ [١٣/٤٩] وقال أمير المؤمنين عليه السلام (٢) « الناسُ أبناءُ ما يحسنون ، وقيمةُ كلِّ امرءٍ ما يحسنه » وقيل : « المرءُ بنفسه لأبويه » فما معنى كونها نعمة - مع كونها مذمومة شرعاً - ؟ .

فاعلم إنَّ من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المأولة والعمومات المخصصة

(١) الجامع الصغير: ٤٤/١ .

(٢) الاختصاص: ٢: «...» وقد ركل امرئ ما يحسن . وجاء الشطر الثاني في نهج

البلاغة: الحكمة رقم ٨١ .

كان الضلال عليه أغلب، ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك الأمور على ما هي عليها  
ثم تبين النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى .  
فهذه نعم معينة على الآخرة لاسبيل إلى جحدها ، إلا إن فيها فتناً ومخاوف ،  
فيثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسمّ نافع : فإن أصابها المعزّم الذي  
يعرف وجه الاحتراز عن سمّها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة ، وإن  
أصابها سوادتي فهي عليه هلاك وبلاء . وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر  
واللآلي فمن ظفر بالبحر، فإن كان عالماً بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن  
مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه ، وإن خاضه جاهل بذلك فقد هلك .

ولذلك مدّح الله المال وسمّاه خيراً <sup>(١)</sup> : ومدّحه رسول الله ﷺ فقال <sup>(٢)</sup> :  
«نعم العون على تقوى الله المال الطيب» وكذلك مدّح الجاه والعزّ، إذ من الله على  
رسوله ﷺ أن أظهره على الدين كله، وحبّبه في قلوب الخلق ، وهو المعنى بالجاه .  
ولكن المنقول في مدحهما قليل ، والمنقول في ذمّهما كثير ، حيث ذمّ الرياء  
وهو ذمّ الجاه . إذ الرياء المقصود فيه اجتلاب القلوب ، ومعنى الجاه ملك القلوب  
وإنما كثرت هذا وقلّ ذلك، لأنّ الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحيّة المال وطريق  
الغوص في بحر الجاه ، فوجب تحذيرهم ، فإنّهم يهلكون بسمّ المال قبل الوصول  
إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ، ولو كانا في أحيانهما  
مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصوّر أن ينضاف إلى النبوة الملك . كما كان  
لرسول الله ﷺ - ولا أن ينضاف إليه الغنى - كما كان لسليمان عليه السلام - والناس كلّهم  
صبيان والأموال حيات، والأنبياء والعارفون معزّمون وقد يضرب الصبي ما لا يضرب المعزّم .  
فإذن النعم الدنياوية كلّها مشوبة ، وقد امتزج داؤها بدوائها، ومرجوها بمنخوفها

(١) ١٨٠/٢ : إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين .

(٢) احياء علوم الدين : ١٠٦/٤ .

ونفعها بضرّها ، فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يعرف منها فسادها ويستخرج دوائها ، وإلا فالفرار والفرار ، والبعد كل البعد عن مظانّ الأخطار ، فلا تعدل بالسلامة شيء في حقّ هؤلاء ، وهم الخلق كلّهم إلاّ من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه .

\* \* \*

فهذه مجاميع نعم الله وأجناسها الكلية ، ولكل منها أعداد لا تحصى وأسباب لا تنامي ، بل كلّ ما يوجد من الله تعالى في الدنيا فهي مما يصدق عليه بوجه من الوجوه إنه نعمة ، لأنه إمّا خيرٌ وإمّا وسيلةٌ إلى الخير . والشّرّ ما لا ذات له ، لأنه إمّا عدم ذات أو عدم كمال لذات ، فالموت والكفر والجهل والفقر وأمثالها التي هي شرور بالذات أمور عدمية ، وأمّا الظلم والجحود ، والقتل المحرّم والفسق والتكبر والعناد والجهل المركّب وأمثالها ، فهي شرور بالعرض ، لأنّها مؤدّية إلى ما هو شرٌّ بالذات ، أعني عدم الحياة الأخروية ، أو عدم كمال تلك الحياة ، ولهذا شرّح وتفصيل يليق بموضع آخر غير هذا الموضع .

### هداية

[ لماذا يُنسب الخيرُ إليه تعالى والشرُّ إلينا ؟ ]

اعلم إنّ كلّ ما يصل إلينا في كلّ وقت ولحظة من آناء الليل والنهار من النفع أو دفع الضرر، فهو من الله تعالى على ما قال ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [٥٣/١٦] وأمّا الشرور والآفات فهي من أنفسنا ومن قصور قابليّتنا وسوء استعداداتنا التي هي أيضاً منتبهةٌ بوجه الخير إلى الله ، وبوجه الشر إلى الامكانيات ولوازم الماهيات الناشئة من قصور الوجودات ، فإن وجود المعلول لا ينفك عن نقص ، وإلاّ لم يكن فرقٌ بين المفيض والمفاض عليه .

فجميع ما في العالم - على التحقيق - إمّا نعمة ، أو متنعم به نفع ، أو منتفع به

خير ، أو ما يؤدي إلى الخير، بل يمكن أن يقال: إن جميع ما في العالم - مما لا حد له ولا إحصاء - هي نعمة من الله في حق الإنسان ، إذ ما من شيء إلا وله الانتفاع بها .  
أما التي أودعها فينا من المنافع واللذات والجوارح والآلات فظاهر انتفاعنا بها ، لأننا نستعملها في جرّ المنافع ودفع المضارّ الدنيويّة والأخرويّة .

وأما التي خلقها الله تعالى خارجة عنا فهي أيضاً إما نستلذ بوجودها، او ننتفع لمعرفة والاستدلال على وجود الصانع وحكمته وجوده ولطفه ، فهي كلّها منافع منتفع بها إما حالا أو مآلا ، فإنها وسائل إلى المعرفة والحكمة ، وهي إما نفس السعادة واللذة الدائمة أو وسيلة إليهما فصحّ أنّ جميع مخلوقات الله نعم على العبد ، وهي غير متناهية لا يمكن عدّها ولذا قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ﴾ [٣٤/١٤] .

فإن قلت : إذا كانت النعم غير متناهية فكيف يمكن الانتفاع بها ؟ وأيضاً إذا كانت غير متناهية لم يمكن علم العبد بها فكيف أمر الله إياه بتذكّرها في قوله : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ ؟

والجواب عن الأوّل إنّ المراد بالنعمة ما يمكن الانتفاع به - سواء انتفع به أحد ، أم لا - فكلّ واحد من الأمور المخلوقة ممّا يمكن الانتفاع به للعبد ، فيكون نعمة في حقه .

وأما عن الثاني إنّ الأشخاص غير متناهية ، والطبائع النوعية متناهية ، ويمكن لنا العلم بالطبائع والعنوانات ، والحكم بها على وجه يسرى في أشخاصها الغير المتناهية مجملة ، كما في القضايا الكلية ، مثل قولنا : « كلّ إنسان له قوّة الكتابة » ففي هذا الحكم تصوّرنا طبيعة العنوان - أي ماهية الإنسان - بالكّنه ، وتصورنا أفرادها كلّها بالوجه وحكّمنا عليها بقوّة الكتابة . وهذا ضرب من العلم ، وهو يكفي للتذكّر الذي يفيد العلم بوجود الصانع وحكمته عن آثار صنعه وأنوار حكمته .

فقد ثبت ان جميع ما في العالم من المخلوقات فهو نعمة في حق الإنسان وقد مرّ إنّها كلّها خيرات بالقصد ، شرور بالتبع .

\* \* \*

هذا على ما هو مذهب أهل الحق ، وأما على مذهب أهل السنة فيجوز من الله خلق الشرور وإيلا من البري من غير أن يكون القصد فيه إلى إصلاح حالهم أو مالهم ثم اختلفوا<sup>(١)</sup> في أنه هل لله تعالى نعمة على الكافر في الدنيا ، أم لا ؟

فمنهم من قال : هذه النعم في الدنيا لما كانت مؤدية إلى الضرر الدائم في الآخرة لم يكن تلك نعمة ، فإن من جعل السم في الحلواء لم يعدّ النفع الحاصل من أكل الحلواء نعمة ، لما كان وسيلة إلى الضرر العظيم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾ [١٧٨/٣] .  
ومنهم من قال : إنه تعالى وإن لم ينعم على الكافر بنعمة الدين ، لكن أنعم عليه في الدنيا - وهو قول الباقلاني - وهذا أقرب إلى الصواب .

\* \* \*

لكن الإشكال المذكور في مثال الحلواء المسموم باق ، لا يمكن حله بقوة فكر المتكلم وصنعة وتلقفه للكلام ، وإنما ينحل وينكشف بقوة نور البصيرة الكاشفة لأسرار حكمة الله في خلق الكفار وتنعيمهم مدة لعامة هذه الدار وتعذيبهم في دار القرار ، فهذا التنعيم بعينه إما عين ذلك التعذيب ، أو منجر إليه . قال تعالى : ﴿ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ \* يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ [وَأَلْجُلُودًا] \* وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ \* كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ وقيل لهم : ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [١٩/٢٢-٢٢] .

أي الذين انقطعوا عن الله وعالم ملكوته ، وأعرضوا عن أصحاب القدس

والتجريد، وأهل الروح والعقل باتباع الهوى والشهوة والطبيعة ، قُطعت لهم بتقطيع خياط القضاء ثياب من نار القدر على قدر نفوسهم المحترقة بنار الهوى وكبريت الشهوة وحطب الطبيعة ، وهي ثياب أخلاق ذميمة نُسجت من سُدي مخالفات الشرع ولحمة موافقات الطبيعة . وَيُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمْ - أي من مبدء الإفاضة عليهم - حميم الشهوات النفسانية لسوء قابليتهم لماء الإفاضة فبصير حميماً في حقهم - على ما قبل :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مَرِّ مَرِيضٍ \* يَجِدُ مَرًّا بِهِ الْمَاءَ الزَّلَالَا

فَيَذَابُ بِهِ مَائِي بَطُونِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ ، ويخرج مائي نفوسهم من الملكات والأخلاق من القوة إلى الفعل يوم تُبلى السرائر ، فيصير مصورة بصور مؤلمة معذبة للروح ، ولهم مقامع من حديد قلوبهم ، وهي الملكات الذميمة الراسخة ، كلما أرادوا أن يخرجوا من دار الجحيم وسعير الهوى ونار الهاوية من غم ما هم فيه اعيدوا فيه بمقامع تلك الأخلاق لغلبة الجهل واستيلاء الحرص عليهم ، وقيل لهم : « ذوقوا عذاب ما أحرقت منكم نار الشهوات ، وأذابت سموم الأخلاق المهلكات من محاسن الاستعدادات » كما قال عليه السلام (١) : « الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب » .

ومما يدل على أن نعمة الله شاملة للكفار آيات كثيرة في هذا الباب ، كقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ - الآية ﴾ [٢٨/٢] وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ [٢٢/٢] وقوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ وهذا نص صريح في أن الله تعالى أنعم على الكفار ، لأن المخاطب بذلك هم كفرة أهل الكتاب .

وقوله : ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾

إلى قوله : ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [٦٢/٦-٦٣] وقوله : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾  
 وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [١٠/٧] وقوله : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ  
 مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا﴾ [٥٣/٨] وهذا صريح وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ  
 اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [٢٨/١٤] إلى غير ذلك من دلائل النعمة العامة ،  
 وشواهد الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء من غير اختصاص بأهل الايمان .  
 وأما حديث العذاب الدائم والخلود في النار للكفار فقد مضى لذلك ما فيه  
 كفاية للمستبصر ، وشكايه للمحجوب المستنكر .

### فصل مشرقى

[ فضل هذه الأمة على بني إسرائيل ]

مركز بحوث كالمؤثر علوم إسلامي

اعلم إن في الآية أشعاراً لطيفاً بانحطاط درجة هؤلاء المخالفين من أهل الكتاب  
 من منازل المحبين<sup>والغريبين</sup> حيث خاطبهم الله بذكر النعمة واستمالهم وجذب قلوبهم بهذه  
 الملاذ الدنيوية والمقاصد النفسانية كإنزال المنّ والسلوى لهم في التيه ، وتظليل  
 الغمام عليهم ، وتفجير العيون الإثنا عشرية ، واعطاءهم الحجر الذي كرس الرجل  
 يسقيهم ماشاءوا من الماء متى أرادوه ، فإذا استغنوا عن الماء رفعوه ، فاحتبس ،  
 واستنقاذهم مما كانوا فيه من البلاء من فرعون وقومه ، وتخليصهم من العبودية ،  
 وتنجيهم من الغرق ، وجعلهم ملوكاً بعد أن كانوا عبيداً لآل فرعون والقبط ، وإبرائهم  
 أرضهم وديارهم كما قال : ﴿ وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [٥٣/٤٠] واعطائهم عموداً  
 من نور لبيضي لهم الليل ، وكان رموسهم لا تتشعث ، وثيابهم لا تبلى .

وهذه كلها من النعم الدنيوية ، ولو كانوا من أهل القلوب المنورة بأنوار  
 المحبة والمعرفة لما احتاجوا في تعلم مسالك الدين والاهتداء بهدى المؤمنين إلى

تذكر أحوال النعم ، بل كان المهمّ فيهم تذكر أحوال المنعم وكيفية صفات جماله وجلاله ، وآيات ملكوته وجبروته ، وقد قال بعض العارفين : « عبيد النعم كثيرة ، وعبيد المنعم قليلون » .

فانظر إلى التفاوت بينهم وبين هذه الأمة المرحومة ، حيث قال لهم : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ وقال لهذه الأمة بقوله : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون ﴾ [١٥٢/٢] ولم يقل : « فاذكروا نعمتي » أو « اشكروا نعمتي » أو « لا تكفروا نعمتي » .

وفيه أيضاً إشارة إلى أن ذكر خواص هذه الأمة لله من نتائج خواص ذكر الله إياهم في الأزل بوجهين : أحدهما إن ذكره عبارة عن عمله ، وعلمه بالعبد متقدم على إيجاده المتقدم على ذكره لله . وثانيهما إنه سبحانه أمرهم بالذكر مع « فاه التعقيب » فقوله : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ فيه تقديم وتأخير معناه « أذكركم فاذكروني » وهذا كقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [١١٩/٥] فإن رضاؤهم عنه تعالى نتيجة رضاه عنهم ، وكقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [٥٤/٥] .

### [ الذكر ومراتبه وخواصه ]

واعلم أيها الحبيب - إن للذكر مراتب . وللذاكر أيضاً مراتب ، ونتيجة كل ذكر بما يوازيه ويناسبه في الفضل والثواب ، ذكر اللسان ، وذكر الأركان ، وذكر النفس ، وذكر القلب ، وذكر الروح ، وذكر السر .

فذكر اللسان الإقرار : فاذكروني أذكركم بالأمان . وذكر الأركان باستعمال الطاعات : فاذكروني بالطاعات ، أذكركم بالكرامات . وذكر النفس بالاستسلام للأوامر والنواهي : فاذكروني بالاستسلام ، أذكركم بنور الإسلام ، وذكر القلب بتبديل الأخلاق الذميمة وتحصيل الملكات الكريمة : فاذكروني بالأحوال والمقامات



أذكركم بالاستغراق في المشاهدة . وذكر الروح بالتفريد والمحبة : فاذكروني بالتفريد والمحبة . أذكركم بالتوحيد والقربة ، وذكر السرّ ببذل الوجود والفناء : أذكروني ببذل الوجود والفناء أذكركم بنيل الشهود والبقاء .

وهذا حقيقة قوله تعالى في الحديث الرباني <sup>(١)</sup> : « وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي » وهذا هو الذكر الحقيقي أن يجعل الذاكر مذكوراً ، والمذكور ذاكراً . بل يكون الذكر والذاكر والمذكور واحداً ، كما قال سبحانه : ﴿ لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [١٦/٤٠] كما قال قائلهم :

رَقَّ الزَّجَاجُ وَرَقَّتْ الْخُمُرُ \* فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلِ الْأَمْرُ  
فَكَأَنَّهُ خَمْرٌ وَلَا قَدْحٌ \* وَكَأَنهَا قَدْحٌ وَلَا خَمْرٌ

وهذا الدعوى - أي فناء العبد عن نفسه وبقاله بنور الحق على ما هو مشهود العارفين بالعيان - مما أقيم عليه البرهان ، وهو معلوم من علم النفس وكيفية تطوّراتها في الأطوار واتّحادها في مدارج الاستكمال بالعقل الفعّال ، كما هو مذهب كثير من الحكماء الأقدمين منهم فرفوربوس ، مثاله حال الفراش مع الشمع واشتعاله بشعلة الشمع ، فلما بذل الفراش للشمع وجوده نال من وجود الشمع مقصوده ، كما قيل :

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا \* نَحْنُ رُوحَانٌ حَلَلْنَا - إِلَى آخِرِهِ - .  
ومثال آخر : الحديدية الحامية بالنار ، حيث إنها لا يزال تتقرب وتشبه بالنار حتى تزول عنها الهوية الحديدية ، وتصير فانية في هوية النارية ، وتفعل فعلها من الإحراق والإضاءة .

فلاتتعجب من النفس إذا استشرقت بنور الله واتّصلت بعالم الربوبية وتخلّقت بأخلاق الله ، ففعلت ما فعلت بقدرة الله - لا بقدرتها - وسمعت بسمع الله ، وبصرت

(١) المعاسن للبرقي (٣٩/١) : « اذكروني في نفسك اذكرك في نفسي » .

يبصره ، فلها أن يقول (١) : « مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ » .  
 وهذا تحقيق قوله : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ » وقوله تعالى (٢) : « لَا يَزَالُ يَنْقَرِبُ  
 الْعَبْدُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتَهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصْرًا وَبَدَأً وَمَوْجِدًا . فَبِي  
 يَسْمَعُ ، وَبِي يَبْصُرُ ، وَبِي يَنْطِقُ ، وَبِي يَطِشُ ، وَبِي يَمْشِي » .

## فصل

### قوله [تعالى] : وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

هذا العهد هو عهد الإقرار بالربوبية المأخوذة عن الفطرة - وهو الإيمان بالله  
 وتوحيده على وجه يستعلم من دين محمد ﷺ والطاعة له ولرسوله ، فإن الإيمان  
 بالله واليوم الآخر من العبد وتقرّبه إلى الحضرة الإلهية كان مندرجاً في الاستكمال من  
 ابتداء المخلوق إلى بعثة محمد ﷺ ، فعند بعثته ﷺ بلغ إلى حد الكمال الذي لا أكمل  
 منه ، والتمامة التي لا غاية فوقها ، كما قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ  
 وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [٣/٥] أي : دين الإسلام ونعمة الإيمان .

فهذه النعمة التامة الإيمانية هي بعينها من جنس النعمة التي أمر الله بني إسرائيل  
 بتذكّرها ، ليعلموا من تذكّرها إن كمالها وتمامها لا يكون إلا بهذه الملة البيضاء  
 المحمدية ، والنعمة الحقيقية الإيمانية ، فإن درجات المعرفة بالله وملائكته وكتبه  
 ورسله واليوم الآخر كانت متفاوتة في كل زمان بحسب الكمال والنقص ، والقوة  
 والضعف ، وكلما قرّب من عصر نبينا ﷺ كانت أكمل وأقوى وأنور وأصفى .  
 فكانت هذه المعارف في الأمم السابقة على هذه الأمة - الذين هم خير الأمم -

(١) البخاري : باب التعبير ، ٢٣/٩ .

(٢) الحديث معروف وجاء بألفاظ مختلفة ، راجع التوحيد للصدوق : ٤٠٠ . والبخاري :

مشوبة بالحسّ والخيال والوهم والعقل .

فكانت العقائد حسية في زمن آدم عليه السلام وما يقربه لقلبه نور الحسّ على تلك الأمة ، فكانوا أصحاب الأرصاد الفلكية والكوكبية ، وأكثرهم كانوا عبدة الأصنام ولم يقدروا على تجريد معارف الدين واصول اليقين عن الأجسام فكانوا يعبدون الله ويؤمنون به وبملائكته في قوالب الأصنام وأمثلة الأجسام .

وأما أمة موسى عليه السلام فكانت عقائدهم خيالية لغلبة نور الخيال على تلك الأمة بقوة كرامات موسى عليه السلام . وكان كتابهم الألواح التعليمية ولم يقدر نبّيهم على تجريد عقائدهم عن الخيال ، ولذلك طلبوا منه رؤية الله ، وكان يبشّرهم برسول آخر الزمان عليه السلام .

وأما أمة عيسى روح الله عليه السلام فكان الغالب على أمته نور العقل والحكمة والتجريد - ولانور الحقيقة والتوحيد - وكانوا يعرفون الله وملكوته مجرداً منزهاً عن العالم وأعيانه ، والأجسام وأعراضه ، إلا إنه لم يصل قوة إيمانهم إلى حيث يجردون الله وملكوته عن التجسيم والتنزيه جميعاً ، وعن المزاولة والمزايلة مطلقاً ، كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام <sup>(١)</sup> : « مع كل شيء لا بمزاولة ، وغير كل شيء لا بمزايلة » . فهذا نور الحقيقة وهو فوق نور الحسّ ونور الخيال ونور العقل ، وطوره وراء هذه الأطوار الثلاثة من الأنوار ، وأنواعها الفائضة ، كلّ منها على قوم ، وهي كلّها حجب إلهية نورية ، كما أشير إليها في قوله عليه السلام <sup>(٢)</sup> : « إنّ لله سبعين حجاباً من نور » .

(١) جاء في نهج البلاغة (الخطبة : ١) والاحتجاجات للطبرسي : (١٩٩) الشطر الثاني

فقط هكذا : « مع كل شيء لا بمزايلة » .

(٢) قال المراقبي (تخرّيج أحاديث الأحياء ، ١٠١/١) : أخرجه ابو الشيخ بن حبان ...

« بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور » وأسناده ضعيف .

وتلك الحُجُب كانت كلها موجودة في الأمم السابقة غير مرفوعة عنهم ، وهي موجودة في هذه الأمة متفرقة ، وبها افتقرت إلى ثلاث وسبعين ، كما أخبر عنه النبي ﷺ بقوله (١) : « ستفترق أمتي - الحديث » ، ولم يصل السالك إلى حجاب من تلك الحُجُب ، إلا وظنّ إنه قد وصل .

وإليها الإشارة بقول إبراهيم الخليل ، وهو فاتح باب التوحيد وشيخ الموحدين وأبو العارفين - على نبينا وعليه الصلوة والسلام - فعبر عن نور الحسن بالكوكب ، وعن نور الخيال بالقمر ، وعن نور العقل [بالشمس] ، ثم عبر عنها وجاوزها جميعاً قائلاً : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٧٩/٦] وأشار إلى خواص هذه الأمة في دعائه بقوله : ﴿ وَمَنْ ذَرَيْتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [١٢٨/٢] .

وبالجملة - كان هذا النور الأحمدي في أصلاب عقائد العقول المتقدمة وأرحام استعدادات النفوس الماضية منتقلاً من طور إلى طور ، ومن حالة إلى حالة مبشرين ومنذرين به ، حتى استقر إلى غايته وبلغ نهايته ، ووصل إلى المبدء الذي فارقه واتصل به آخر القوس الصعودية من دائرة الوجود إلى مبدء القوس النزولية منها ، فكان قاب قوسين أو أدنى (٢) .

فهذا هو معنى العهد الذي أخذ الله الميثاق به على الأنبياء ﷺ ، وقد أثبت على

(١) راجع بحار الانوار : كتاب الفتن والمحن ، الباب الاول : ٤/٢٨ .

(٢) يعني أن الوجود كله بواسطة سريان هذا النور من أعلى المراتب إلى أدناها ، ومن أدناها إلى أعلاها صار كمقدار قوسين ، وهما نصفاً دائرة ، فكان الوجود كدائرة ، بل كنقطة دائرة . لأن النقطة الراسمة لها هي كل الدائرة ، فما من نقطة من نقاطها المعقولة ، أو الموهومة ، أو المحسوسة ، إلا وهو عين تلك الفاعلة - فافهم واغتمم - منه ضئى عنه (من حاشية نسخة الاصل) .

طبقه في الكتب المتقدمة من وصف نبينا ﷺ وإنه سببته الله في آخر الزمان - على ما صرح به في سورة المائدة : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا كُفْرَانَ عَنْكُمْ سِيبَاتِكُمْ وَلَا دَخِلْنَاكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ [١٢/٥] .

وقال في الأعراف : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ [١٥٦/٧-١٥٧] .

قال ابن عباس : « إن الله تعالى كان عهد إلى بني إسرائيل في التوراة إنني باعث من بني إسماعيل نبياً أمياً ، فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به غفرت له ذنبه وأدخلته الجنة ، وجعلت له أجرين : أجراً باتباع ما جاء به موسى ، وجاءت به أنبياء بني إسرائيل ، وأجراً باتباع ما جاء به محمد النبي الأمي من ولد إسماعيل . وتصديق هذا في القرآن في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [٥٤-٥٢/٢٨] .

\* \* \*

واعلم إنه قد وقعت في كتب الأنبياء المتقدمين المنقولة إلى العربية ، المشهورة بين أممهم بشارات وإنذارات ناصئة على بعثة نبينا ﷺ .

فصنفاً<sup>(١)</sup> ما جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس : « إن الرب الهكم يقيم لكم نبياً مثلي من بينكم ومن إخوانكم » .

وفي هذا الفصل : « إن الرب تعالى قال لموسى : « إني أقيم لكم نبياً مثلك من بين إخوانكم ، وأيتما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤذيها عني ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه » والمراد بـ « بني إخوة إسرائيل » هو إسماعيل على ما هو المتعارف

(١) جميع النصوص المذكورة هناك منقولة من تفسير الفخر الرازي : ٤٨٥/١ ...

فلا يصرف إلى من بعد موسى من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ، ولا إلى عيسى ، لأنهم لم يكونوا من بني إخوانهم ، ولا مثل موسى في كونه صاحب شريعة مستأنفة فيها بيان مصالح الدارين . فتعيّن محمد صلى الله عليه وآله .

ومنها ما جاء في الفصل العشرين من هذا السفر : « إِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى جَاءَ فِي طُورِ سَيْنَاءَ وَطَلَعَ (أشرق - ن) لَنَا مِنْ سَاعِيرَ ، وَظَهَرَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ ، وَصَفَّ عَنْ يَمِينِهِ عَنَوَانَ الْقَدِيسِينَ ، فَمَنَحَهُمُ الْعِزَّ وَحَبَّبَهُمْ إِلَى الشُّعُوبِ ، وَدَعَا لِجَمِيعِ الْقَدِيسِيَّةِ بِالْبَرَكَةِ » .

يريد الإخبار عن إنزال التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء وإنزال الإنجيل على عيسى عليه السلام بساعير ، فإنه كان يسكن من سيعير بقريّة تسمّى « ناصرة » ، وإنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وآله بمكة ، فإن « فاران » في طريق مكة قبل العدن بميلين ونصف وهو كان المنزل وقد بقي اليوم على يسار الطريق من العراق إلى مكة .

قال اليهود : إِنَّ النَّارَ لَمَّا ظَهَرَتْ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ظَهَرَتْ مِنْ سَاعِيرَ نَارٌ أَيْضاً ، وَكَذَا مِنْ جِبَلِ فَارَانَ أَيْضاً ، فَانْتَشَرَتْ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ .

وما ذكروه باطلٌ ، لأنَّ الله لو خلق ناراً في موضع فإنه لا يقال : « جاء الله من ذلك الموضع » إلا إذا تبع تلك الواقعة وحيّ نزل في ذلك الموضع ، أو ماشابه ذلك ، وعندكم إنه لم يتبع ظهور النار وحيّ ولا كلام إلا من طور سيناء فما كان ينبغي إلا أن يقال : « جاء الله من طور سيناء فقط » فأما أن يقال : « ظهر من ساعير ومن جبل فاران » فلا يجوز وروده ، كما لا يقال : « جاء الله من الغمام » إذا ظهر في الغمام احتراق ونيران - كما يتفق في الربيع .

وتصديق ذلك ما في كتاب حبقوق ، وهو : جاء الله من طور سيناء ، والقدس من جبال فاران ، لقد انكشف السماء من بهاء محمد صلى الله عليه وآله ، وامتلاّت الأرض من حمده ، يكون شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعزة ، تسير المنايا أمامه ، ويصحب

أسباع الطير أجناده ، قام فمَسَحَ الأرض ، وتأمل الأمم ، وبحث عنها ، فتضعفت  
الجبال القديمة ، واتضعفت الرواث الدهرية ، وتزعزعت سور أهل مدين ، ركبت  
الخيول ، وعلوت مراكب<sup>(١)</sup> الأبعاد والقوت وسينزع في نسبك إغراقاً<sup>(٢)</sup> ونزاعاً ،  
وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء ، ويحترق<sup>(٣)</sup> الأرض بالأنهار ، ولقد رأيتك  
الجبال فارتاعت ، وانحرف عنك شؤبوب السيل ، ونفرت المهاري نفيراً ورهباً  
ورهباً ، ورفعت أيديها وجللاً وخوفاً ، وتوقفت الشمس والقمر عن مجراها ، وسارت  
العساكر في برق سهامك ولعمان نيازكك<sup>(٤)</sup> تدوخ الأرض غضباً ، وتدوس الأمم  
زجراً ، إلا أنك ظهرت بخلاص أمتك وإنقاذ ثراث آبائك . - هكذا نقل علي بن  
رزين الطبري إمام النصارى<sup>(٥)</sup> .

قال أبو الحسين في كتاب الغرر<sup>(٦)</sup> : وإني رأيت في نقولهم : « وظهر من  
جبال فاران ، لقد نطقت<sup>(٧)</sup> السماء من بهاء محمد محمود ، وترتوي السهام بأمرك  
المحمود لأنك ظهرت بخلاص أمتك وإنقاذ مسيحك » .

فظهر إن المراد بقوله تعالى : « ظهر الرب من جبل فاران » ليس ظهور النار ،  
بل ظهور شخص موصوف بتلك الصفات ، وليس إلا محمد ﷺ ، فإن قالوا :  
المراد مجيء الله تعالى ، ولهذا قال في آخر الكلام « وإنقاذ مسيحك » .

قلنا : لا يجوز وصف الله تعالى بأنه يركب الخيول ، وبأنه جاء للمساخي  
القديمة . وأما قوله : « وإنقاذ مسيحك » فإن رسول الله ﷺ أنقذ المسيح من كذب  
اليهود والنصارى .

(١-١) تفسير الفخر الرازي : الانقياد والقوت وستزع في نسبك إغراقاً . . .

(٢) تفسير الفخر الرازي : وتخور . (٣) تفسير الفخر الرازي : بيانك .

(٤) تفسير الفخر الرازي : ٤٨٦/١ .

(٥) أبو الحسين محمد بن علي الملقب بالطيب البصري الأصل والبغدادي المنشأ

والمدين متكلم معتزلي في القرن الخامس ، له كتاب غرر الأدلة توفي ٤٣٦ هـ .

(٦) تفسير الفخر الرازي : لقد تقطعت .

ومنها ماجاء في السفر الأول : إنه تعالى قال لإبراهيم عليه السلام : إن هاجر تلد ، ويكون من ولدها من يكون يده فوق الجميع ويد الجميع ، مبسوطة إليه بالخشوع .  
ومنها ماجاء في كتاب أشعيا في الفصل الثاني والعشرين منه : قومي فازهري مصباحك يريد مكة ، قد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك ، قد تخلل الأرض الظلام وغطى على الأمم الضباب ، والرب يشرق عليك إشراقاً ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوء طلوعك ، ارفعي بصرك إلى ماحولك وتأملني فإنهم مستجمعون عندك وبحجونك ويأتوك ولدك من بلد بعيد وتنزين بناتك على الأرائك والسرر ، وحين ترين ذلك تسرين وتبهجن من أجل إنه يميل إليك ذخائر البحر ، ويحجج إليك عساكر الأمم ، وتساق إليك كبايش مدين ، ويأتوك أهل سبا ويتحدثون بنعم الله ويمجدونه ، وتسير إليك أغنام فاران ، ويدفع إلى مذهبي ما يرضيني ، وأحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً .  
قوله : « وأحدث لبيت محمدتي حمداً » معناه إن العرب كان يلبسني قبل الإسلام فيقول : « لبيك لاشريك لك [إلا شريك هو لك] »<sup>(١)</sup> ثم صار في الإسلام « لبيك اللهم لبيك [ لاشريك لك لبيك ] فهذا هو الحمد الذي جدده الله لبيت محمدتي »<sup>(٢)</sup> .

ومنها إنه روي السنان<sup>(٣)</sup> في تفسيره : إن في السفر الأول من التوراة « إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام فقال : « أجبت دعاءك في إسماعيل ، وباركت عليه ، فكبرته وعظّمته جداً ، وسيلد إثنى عشر عظيماً واجعله لأمة عظيمة » .

ودلالة هذا الكلام انه لم يكن في ولد إسماعيل من كان لأمة عظيمة غير نبيينا عليه السلام

(١) أضيف في تفسير الفخر الرازي : « تملكه ومملك »

(٢) في تفسير الفخر الرازي : محمدته .

(٣) تفسير الفخر الرازي : السمان .



ومنها دعاه إبراهيم وإسماعيل لرسولنا ﷺ وعليهما لما فرغا من بناء الكعبة ، وهو قولهما : « رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » [١٢٩/٢] ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول<sup>(١)</sup> : « أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى » وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [٦/٦١] .

\* \* \*

ومنها ماورد في الإنجيل :

فمنها ماورد في الإصحاح الرابع عشر منه : أنا أطلب لكم إلى أبي حتى يمنحكم ويعطيكم فارقليطاً ، ليكون معكم إلى الأبد .

وروي بهذه العبارة : أنا أذهب وسيايكم الفارقليط روح الحق الذي لا ينكم من قبل نفسه ، إنما يقول كما يقال له « وتصديق ذلك ﴿ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [٥٠/٦] وقوله : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [١٥/١٠] .

وقيل في تفسير فارقليط وجوه : أحدها : روح الحق واليقين .  
وثانيها : الشافع المشفع .

وثالثها : قال بعض النصارى : معناه الفارق بين الحق والباطل ، وكان في الأصل « فاروق » ، كما يقال : « راووق » للذي يروق [به] . وأما « ليط » فهو التحقيق في الأمر ، وهو كـ « آست » في لغة العجم .  
رابعها : إنه مشتق من الحمد .

وهذا الاسم ليس إلا لقبنا ﷺ ، فإن اسمه محمد وأحمد ومحمود ، ويقال :

(١) في الجامع الصغير (١٠٨/١) : أنا دعوة ابراهيم وكان آخر من بشر بي عيسى

ابن مريم .

إن صفة في التوراة : ان مولده بمكة ، ومسكنه بطيية ، وملكه بالشام ، وامتته الحمادون (١) .

ومنه مافي الإصحاح (٢) الخامس عشر : « فأما فارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي ، هو يعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء ، وهو يذكركم ما قلته لكم . ثم قال : « وإني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون ، حتى إذا كان ذلك تؤمنوا به . وقوله : « باسمي » يعني بالنبوة .

ومنه مافي السادس عشر (٣) : « أقول لكم الآن حقاً يقيناً إن انطلاقي عنكم خير لكم ، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي لم يأتكم الفارقليط ، وإن انطلقت أرسلت به إليكم ، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم ويدينهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر . ثم قال : « إذا جاء روح الحق واليقين يرشدكم ويعلمكم ويزيدكم بجميع الحق ، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه » .

ومنها مافي الزبور ، قال داود عليه السلام : « اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس إنه بشر » يعني : ابعث محمداً حتى يعلم الناس إن عيسى بشر .

قال بعض العلماء : وأمثال هذا كثير في كتب الأنبياء المتقدمين ، يذكرها المصنفون الواقفون على كتبهم ، ولا يقدر المخالف على دفعها أو صرفها إلى ملك أو نبي آخر ، ولا على أن يكتبها ، ولقد جمع أبو الحسين البصري في كتاب غرر الأدلة ما تفرقت من نصوص التوراة على صحة نبوة محمد عليه السلام .

(١) تفسير الفخر الرازي : ٤٨٨/١ .

(٢) كان في النسخة في هذا الموضع والمواضع الماضية والآتية : «الصحاح» والصحيح ما أثبتناه . والنصوص منقولة من تفسير الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : « مَبَشْرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ أَحْمَدُ » (٦/٦١) وقد نقله الفخر الرازي مما كان بيده من ترجمة انجيل يوحنا . والنصوص موجودة فيه بتغييرات في التراجم المختلفة .

(٣) انجيل يوحنا : ١٦/٧-١٣ .

## فصل

## قوله [ تعالى ] : أوفِ بِعَهْدِكُمْ

المراد من هذا العهد عند المعتزلة هو ما دلّ عليه العقل من أنّ الله يجب عليه إيصال الصواب إلى المطيع ، فصحّ وصف ذلك الوجوب بالعهد ، لأنّه بحيث يجب الوفاء به .

وأما عند الأشاعرة فحيث لا وجوب ولا إيجاب عندهم على الله ، فإنّما أن يكون إطلاقه عليه تعالى تجوّزاً ، من باب صنعة المشاكلة ، كقوله ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [١٤٢/٤] و ﴿مَكْرُوا وَمَكْرَ اللَّهُ﴾ [٥٤/٣] وذلك لأن معناه الأمر بمعنى المأمور به ، والموصوف به هو العبد ، دون الله . أو يقال : إنّه لما وعد بالثواب - والكذب على الله محال - فكُلّ ما وعد به استحال أن لا يوجد ، لأنّه لو لم يوجد لانقلب خبره الصدق كذباً والمفضي إلى المحال محال . فإفاء ذلك العهد - أي : مدلول ذلك الخبر - واجب الوقوع . وذلك أكد ممّا ثبت باليمين أو النذر . - هذا تلخيص ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره (١) .

أقول : فيه بحثٌ لأنّ نسبة الوجوب إليه تعالى إمّا على سبيل « عليه » أو على سبيل « عنه » . فالأول مذهب المعتزلة ، والثاني مذهب الحكماء . وشيء منهما لا يقول به الأشاعرة . فقولهم : « لما أخبر تعالى بالثواب فيجب وقوعه » مامعنى هذا الوجوب ؟ إن كان أحد المعنيين المذكورين ، فلا يصحّ إطلاقه عندهم على فعله تعالى ، وإن كان معناه أمراً ثالثاً غير ذينك المعنيين ، فما لم يبيّن لا يمكن إثباته ولانفيه ، فالآية حجة عليهم .

والحقّ في تفسيره أن يقال : لما تقرّر وسبقت إليه الإشارة : إنّ المراد من

هذا العهد هو النور النبوي الرباني - المعبر عنه بالامانة المعروضة على السموات والارض ، الذي كلّف الإنسان بتحمّله وكان ذلك النور محتجباً بالحجب الكونية في أوائل الخليقة ، ثم لا يزال يظهر شيئاً فشيئاً بحسب ارتفاع الحجب الظلمانية والنورية في كل زمان ، وخروج النفوس الإنسانية من حدود القوة إلى حدود الفعل في كلّ أوان ، حتى ظهر بعض ذلك النور في زمن سائر الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام ، وظهر تماماً في زمن خاتم الأنبياء عليه وآله السلام .

فايفاء العبد بهذا العهد هو معرفة هذا النور الذي أنزل الله على قلب رسوله ﷺ ، بل هو بالحقيقة رسول الله ، كما دلّ عليه قوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [١٥/٥] .

فالنور هو لوح ضميره الذي هو نورٌ من أنوار الله ، وسرٌّ من أسراره ، وأما الكتاب فهو كلام الله النازل عليه ، الدالّ على معرفة الحقّ الأول وآياته وملائكته وكتبه العقلية والنفسية ، وأحكامه القضائية والقدرية ، وكيفية تعلق علمه وقدرته بجميع الموجودات ، وكيفية عنايته وحكمته في خلق السموات والارض وانبساط نور وجوده على صفحات الماهيات وهياكل الممكنات ، ومعرفة المعاد وكيفية حكمه برجوع الأشياء كلّها يوم القيامة إلى الواحد القهار ، والايمان بجميع هذه المعارف ايمانا يقينياً شهودياً .

فمن آمن بهذه المعارف ايمانا بالغيب مع إصلاح الجزء العملي من القلب فقد سعد ونجى من العذاب ، ومن عرفها عرفاناً شهودياً راسخاً فقد فاز فوزاً عظيماً وكاد أن يكون من المقرّبين مشاهداً لما هو الخير المطلق والحسن المطلق والجمال المطلق الحق منخرطاً نوره في سلك نوره .

وأما ايفاء الله عهد العبد فهو افاضة أنوار الرحمة عليه في كل مرتبة من مراتب عبوديته ، وبحسب كل مقام من مقامات سلوكه إلى الله ، حتّى إذا قطع المنازل و

المراحل الحسيّة والخياليّة والعقليّة وبلغ حدّ الأقصى فاض عليه من نور جماله الأزلي وصيّرهُ من المحبوبين بعدما كان من المحبّين ، وجعله من الواصلين إلى العين ، بعد ما كان من السامعين للأثر ، فصارع علمه عيناً وإيمانه عيناً وقرائنه قرآناً وكلامه متكلماً .

## فصل

### قوله : وَإِيَّائِي فَآرْهَبُونَ

معنى « الرّهبة » هو الخوف والخشية ، وهي حالة تحدث في القلب من قبيل الخواطر ، وكذا الرجاء . والمقدور للعبد مقدماتهما .

والخوف عند العلماء [ على ظن مكروه تناله ، والخشية نحوه لكن الخشية تقتضي ضرباً من الاستعظام والمهابة . وضد الخوف الجرأة ، لكن قديقابل بالأمن ، فيقال : « خَائِفٌ وَآمِنٌ » « خَوْفٌ وَآمِنٌ » لأنّ الأمن يوجب الجرأة على الله . فبالحقيقة الجرأة تضادّه .

قال المتكلمون : الخوف منه تعالى هو الخوف [من عقابه] وأما أهل المعرفة : فالخوف عندهم كما يكون من العقاب يكون من القرب . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [٢٨/٣٥] .

والحق إنّ عذاب الآخرة إنّما يصل إلى الكفار وأهل النار بواسطة إنهم صاروا في الدنيا مبعدون عن مقام القرب ، فإذا بطلت هذه الحيوة الدنيا وانكشف الغطاء وبعثوا إلى الآخرة ، وجاء الحقّ للحساب والميزان لم يتحمّلوا سطوة القهّارية فيتعذّبون بسطوع شمس الآخرة على رؤوسهم ، ويعاقبون بنار الجحيم ، وتذوب بها أبدانهم وجلودهم .

بل كلّ عذاب وألم - سواء كان في الدنيا أو في الآخرة - إنّما يرجع إلى عذاب القرب لمن لم يكن مستعدّاً له ، لأنّ جميع ما يعدّ عند الناس من جملة

الموذيّات والمولمات ، فإنّما هو من مظاهر رحمته وجوده ، ومن منازل عنايته وحكمته والتضادّ الحاصل بينها إنّما يقع من لحقوق الأعدام والنقائص بها التي منشأها البعد عن مقامات الإلهية . فما يتعدّب متعدّب ، أو يتضرّر متضرّر من شيء مؤلم مضرّ إلاّ بواسطة تضادّ بين المتألّم وما يؤلمه ، والمتضرّر وما ينضرّر به ، ومنشأ التضادّ بين الشئيين - كما علمت - فقد وجود أحدهما لما في وجود الآخر وقصوره عن رتبة الجمعية بينهما .

أولاً ترى إنّ كثيراً من الهيئات والكيفيات المتضادّة والقوى المتخالفة قد اجتمعت في الحقيقة الإنسانية بواسطة القوة الجمعية التي فاضت على الإنسان من عالم الأمر؟ فالنار والماء والأرض والهواء مع كونها أموراً متضادّة إلاّ أنّها قد اجتمعت في المركّب بواسطة الوحدة الاعتدالية التابعة للصورة الوحدانية الحافظة للمزاج ، وكلّما كانت الصورة أقوى جوهرأ وأقرب منزلة إلى عالم الأمر الواحد ، فهي أوسع جمعية للمتضادات إلى أن ينتهي إلى العقل البسيط ، المدرك بذاته للأشياء التفصيلية إدراكاً حضورياً ، وشهوداً نورياً ، وإحاطة جمعية شمولية .

وهذا ما قاله بعض الحكماء : « إنّ العقل كلّ الموجودات » فالإنسان ما لم يصل إلى مقام العقل يجوز في حقّه أن يتعدّب ببعض أنوار القهارية وسطوات الإلهية ، ومن لم يعرف هذه المعاني صار يتعجّب من معنى عذاب القرب وخوفه ، مع إنّ الحقّ تعالى محض الرحمة . وأما العلماء الراسخون فإنهم يخشون الله - دون عقابه - ولا يخشون شيئاً آخر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ دلالة على الحصر ، وإنّ المرء يجب أن لا يخاف أحداً إلاّ الله ، فكلّ خوف يرجع إلى خوف جلاله .

وإذا ثبت هذا في الرهبة والخوف ثبت في الرغبة والرجاء ، فيجب أن لا يرجو أحداً إلاّ [ الله ] ، لأنّ كلّ محبة ورجاء يرجع إلى حبّ الله ورجاءه ، إذا كان المنظور إليه في كلّ شيء كونه أثراً من آثار قدرته ، ولمعة من لمعات نور جماله .

قال بعض العرفاء : الخوفُ خوفان : خوفُ العقابِ وخوفُ الجلال . والأولُ نصيبُ أهل الظاهر ، والثاني نصيبُ أهل القلب . والأولُ يزول . والثاني لا يزول .  
أقول : وهكذا ينقسم الرجاء إلى رجاء الثواب ورجاء الله . الأولُ نصيبُ أهل الحجاب ، والثاني نصيبُ أهل اليقين . أمّا خوفُ أهل القلب فهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [٢٨/٣٥] وقوله : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [٨/٩٨] وقوله ﴿ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [٣٠/٣] وقوله : ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ [٤١/٢] .  
وقد جمع رسول الله ﷺ بين خوف العقاب وخوف الجلال وخوف الجمال ومقابل كل منها في دعائه ، حيث كان يقول (١) « اللهم إني أعوذُ بعفوك من عقابك وبرضالك من سخطك وبك منك » تنبيهاً على منازل الخلق وتفاوت أحوالهم في الرغبة والرغبة .

وأما خوفُ أهل الظاهر ، فقوله ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَدِ ﴾ [١٤/١٤] وأما رجاءُ أهل اليقين فقوله : ﴿ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [٢١/٣٣] .  
وأما رجاءُ أهل الظاهر ، فقوله : ﴿ وَآخِرُونَ مَرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ﴾ [١٠٦/٩] .

\* \* \*

واعلم إنَّ الخوفَ والرجاءَ يجب أن يكونا مجتمعين في القلب ، غير منفك أحدهما عن صاحبه .

فمن آيات الخوف هذه الآية ، وقوله ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ [٤١/٢] وقوله : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَإِنكُمْ لَإِنَّا لَأَنزَجُوعُونَ ﴾ [١١٥/٢٣] وقوله : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سَدَى ﴾ [٣٦/٧٥] وقوله : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [٢/٢٩] وقوله ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ

(١) في أبي داود : كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الركوع والسجود : « أعوذ برضاك

من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك . . . ٢٣٢/١٤٠٠ .

يَعْمَلُ سُوءَ يُجْزِيهِ ﴿ [ ١٢٣/٤ ] وقوله : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [ ١٠٤/١٨ ] وقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [ ٢٣/٢٥ ] ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ [ ٤٧/٣٩ ] .

ومن آيات الرجاء قوله : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [ ٥٣/٣٩ ] وقوله : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [ ١٣٥/٣ ] ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ [ ٣/٤٠ ] ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ [ ٢٥/٤٢ ] ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [ ٥٤/٦ ] ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [ ١٥٦/٧ ] ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ ١٤٣/٢ ] .

وقال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> : « يقول الله عز وجل اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان » ثم يقول الله : « وعزتي وجلالي - لأجعل من آمن بي في ساعة من ليل أو نهار كمن لا يؤمن بي » .

ومن آياته اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء ، قال تعالى : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [ ٥٠-٤٩/١٥ ] لئلا يستولي عليك الرجاء بمرّة ، وقوله ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ عقبه بقوله : ﴿ ذِي الطَّلَوِّ ﴾ [ ٣/٤٠ ] لئلا يستولي عليك الخوف بمرّة .

وأعجب من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ثم قال في عقبه : ﴿ وَاللَّهُ رؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [ ٣٠/٣ ] .

وأعجب من ذلك والطف قوله تعالى : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْبَاطِنَ ﴾ [ ٣٣/٥٠ ] علق الخشية بالرحمن ، دون اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه ، ليكون الخشية مع ذكر الرحمة لئلا يكون الخشية تطير قلبك بمرّة ، فيكون تخويفاً في تأمين ، وتحريكاً في تسكين . وفي ذلك أيضاً إشارة إلى ما سبق من وجوده تعالى

(١) جاء ما يقرب منه في المسند : ١٧/٢ . وابن ماجه : المقدمة ، باب ٩ .





مما لا ينلهم بفقدته غرض مقصود - وإنما يفوت به من جمال - فالعناية إذا لم يقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة ، فكيف يرضى بسياقتهم إلى الهلاك المؤبد ؟ فسنة الله لا تجد لها تبديلاً . فالغالب إن أمر الآخرة على هذا القياس يكون ، فهذا إذا تأمل أحد قوى أسباب رجائه . وكذا التأمل في أنه يهب كفر سبعين سنة [بايمان سنة ، بل] بايمان ساعة . وقوله : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [٣٨/٨] .

وفي أنه كيف عاتب إبراهيم عليه السلام في دعائه على المجرمين بالهلاك . وكيف عاتب موسى عليه السلام في أمر قارون ، فقال له : « استغاث بك مراراً فلم تغنه ، فوعزتي لو استغاث بي مرة لا غنته وعفوت عنه » <sup>(١)</sup> . وكيف عاتب يونس في شأن قومه : « إنك تحزن على شجرة من يقطين أنبتتها في ساعة وأبستها في ساعة ، ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون » . ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه الأليم عنهم بعد ما أضلهم .

ثم كيف عاتب سيد المرسلين فيما روي <sup>(٢)</sup> إنه دخل من باب بني شيبه ، فرأى قوماً يضحكون . فقال لهم : « أتضحكون لأأريكم تضحكون » حتى إذا كان عند الحجر رجع إليهم القهقري وقال : « جائي جبرئيل فقال : « يا محمد إن الله يقول : يا محمد [لا تفتن عبادي من رحمتي . نبئ عبادي إنني أنا الغفور الرحيم » .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول <sup>(٣)</sup> : « الله أرحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها » وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(٤)</sup> « إن لله مائة رحمة ، فواحدة منها قسمها بين الإنس والجنّ والبهائم ، فيها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وذخر منها تسعة وتسعين

(١) راجع تفسير القمي : قوله تعالى : وَيَكَاَنَّهُ لَأَتْلُوعُ الْكَافِرُونَ : ٤٩١ .

(٢) الدر المنثور : ١٠٢ / ٤١ . بفرق يسير .

(٣) كنز العمال : ٢٧٣ / ٤ .

لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة .

وإذ قد أعطاك من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته والكون من هذه الأمة المرحومة . ثم غير ذلك من النعم الباطنة والظاهرة فمرجو من فضله العميم أن يتم ذلك الأمر ، فإن من بدء بالإحسان والإكرام فعليه الإتمام ، ويجعل لك من تسعة وتسعين رحمة الحفظ الوافر - نسئل أن لا يخيّب آمالنا بفضلته وكرمه .  
وأما من جانب الخوف فأولاً إن إبليس عبده ثمانين ألف سنة فلم يترك - فيما قيل - موضع قدم إلا وسجد الله تعالى فيه سجدة ، ثم ترك له أمراً واحداً ، فطرده من بابه وضرب بوجهه عبادة ثمانين ألف سنة ، ولعنه إلى يوم الدين ، وأعد له عذاباً أليماً أبد الأبد ، حتى روي أن الصادق الأمين صلوات الله عليه وآله ، رأى جبرئيل متعلقاً بأستار الكعبة وهو يتضرع : « إلهي لا تغير اسمي ، ولا تبدل جسمي » .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

ثم آدم صفى الله خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله على أعناقهم إلى جواره فأكل واحدة لم يؤذن فيها ، فنودي « ألا لا يجاورني من عصاني » فأمر الملائكة الذين حملوا سريره يرمونه من سماء إلى سماء ، حتى أوقعوه بالأرض ، ولم يقبل توبته - فيما روي - حتى بكى على ذلك مائة سنة ، ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك أبد الأبد .

ثم أن نوحاً - شيخ المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين - احتمل في أمر دينه ما احتمل ، لم يقل إلا كلمة واحدة على غير وجهها ، إذ نودي : ﴿ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٤٦/١١] حتى روي في بعض الأخبار إنه لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله سبحانه وتعالى أربعين سنة . ثم [إن] إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - لم يكن منه إلا هفوة واحدة ، فكم خاف وتضرع وقال : ﴿ وَالَّذِي أطمعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

[٨٢/٢٦] حتى روي إنه كان يبكي من شدة الخوف ، ويرسل الله إليه الأمين جبرئيل فيقول : «يا ابراهيم هل رأيت خليلاً يعذب خليله بالنار» ؟ فيقول : «يا جبرئيل - إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي» (١) .

ثم موسى بن عمران عليه السلام لم يكن منه إلا لطمه واحدة عن حدة ، فكم خاف واستغفر وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [١٦/٢٨] .

ثم في زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث إذا نظر يرى العرش - وهو المعنى بقوله [تعالى] : ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ ﴾ [١٧٥/٧] ولم يقل : « آية واحدة » - مآل إلى الدنيا وأهلها ميلة واحدة ، وترك لولي من أوليائه خدمة واحدة ، سلب عنه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطروح ، فقال : ﴿ مَثَلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ فأوقعه في بحر الضلالة والهلاك إلى الأبد ، حتى كان بعض العلماء يقول : « كان أمره بحيث يكون في مجلسه اثني عشر ألف محبرة من المتعلمين يكتبون عنه ، ثم صار بحيث كان أول من صنف كتاباً « أن ليس للعالم صانع » - نعوذ بالله ، ثم نعوذ بالله من سخطه وخذلانه - فانظر إلى الدنيا وشومها ما يحدث للعلماء - فتنبه .

ثم إن داود عليه السلام خليفته في أرضه وقع منه شيء ، فبكى على ذلك حتى نبت العشب من دموعه وقال : « إلهي أما ترحم بكائي وتضرعي ؟ » فأجيب : « يا داود - قد نسيت ذنبك وذكرت بكائك » .

ونقل مجاهد (٢) إنه بكى داود عليه السلام أربعين يوماً ساجداً - لا يرفع رأسه - حتى نبت المرعى من دموعه ، حتى غطى رأسه ، فنودي : « يا داود - أجاجع أنت فتطعم ؟ أم عار فتكسى ؟ » فنخب نخبة هاج العود فاحترق من حر خوفه . ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة . فقال : « يارب - اجعل خطيئتي في كفي » فصارت خطيئته مكتوبة في كفه ، وكان لا يسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته ،

(١) احياء علوم الدين : ١٨٣/٤ .

(٢) احياء علوم الدين : ١٨١/٤ .

وكان يؤتى بالقدح - ثلثاه ماء - فإذا تناول أبصر خطيئته ، فما يضعه على شفتيه حتى يفيض القدح من دموعه .

وروي إنه مارتفع رأسه إلى السماء حتى مات - حياة من الله - وكان يقول : « يا الهي - إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرض برُحبتها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدّت إليّ روعي » .

ثمّ يونس غضب غضبة واحدة في غير موضعها فسجنه في بطن الحوت تحت قعر البحر أربعين يوماً ، وهو ينادي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وسمعت الملائكة صوته ، فقالوا : ﴿إِلَهُنَا وَسَيِّدُنَا - صَوْتٌ مَعْرُوفٌ فِي مَكَانٍ مَجْهُولٍ﴾ فقال الله تعالى : « ذلك عبدي يونس » فشقت الملائكة . ثمّ مع ذلك كلّه غير اسمه فقال : ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ [٨٧/٢١] فنسبه إلى سجنه ، ثمّ قال : ﴿قَالَ تَمَنَّى الْآخُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ \* فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [١٤٤/٣٧] ثمّ ذكر منته ونعمته فقال : ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكْتَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [٤٩/٦٨] فانظر إلى هذه السياسة أيّها المسكين .

وكذلك هلمّ جرّاً إلى سيّد المرسلين - أكرم خلقه ﷺ ﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١١٢/١١] حتى كان يقول : « شيبنتني سورة هود وأخوانها » قيل : عنى هذه الآية وأشكالها في القرآن ، قال الله تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [١٩/٤٧] إلى أن منّ الله تعالى عليه بالفران ، فقال : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ \* الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [٣-٢/٩٤] وقال : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [٢/٤٨] .

فكان بعد ذلك يصلي الليل حتى تورّمت قدماه ، فيقولون : أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول (١) : « أفلا أكون عبداً

(١) البخاري : ٦٣/٢ . وراجع المعجم المفهرس : « شكوراً » .

شكورا» وكان يصلي بالليل ويبكي ويقول في سجوده<sup>(١)</sup> : « أعوذُ بعفوك من عقابك ، وبرضاك من سخطك ، وبك منك ، لأحصي ثناء عليك ، أنت كما أئنت على نفسك » .  
كان بعض العلماء يقول : « لا تأمن من قطع في ربع دينار خير عضو منك أن يكون عذابه هكذا غداً » - نسأل الله الكريم أن لا يعاملنا إلا بفضله ، إذ لا طاقة لنا بَعَدَه .

وفي الأدعية السجادية في الصحيفة الكاملة<sup>(٢)</sup> - على قائلها وآبائه السلام والتحية - : « اللهم إن تشأ تعفُ عنا فيفضلِك ، وإن تشأ تُعذبنا فيَعْدِلِك ، فسَهِّل لنا عفوك بمنك ، وأجرنا من عذابك بتجاوزك ، فإنه لا طاقة لنا بَعْدِك ولا نجاة لأحد منا دون عفوك » .



قال صاحب كتاب الإحياء<sup>(٣)</sup> بعد ذكر مخاوف الأنبياء عليهم السلام : « فهذه مخاوفهم ونحن أجدربال خوف منهم ، لكن ليس الخوفُ بكثرة الذنوب ، بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة ، وإلا فليس أئمننا لقلّة ذنوبنا وكثرة طاعتنا ، بل قادتنا شهواتنا ، وغلبت علينا شقوتنا ، وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا ، فلاقرب الرحيل ينبهنا ، ولاكثرة الذنوب تحركنا ، ولامشاهدة أحوال الخائفين تُخوفنا ، ولاخطر العاقبة يزعجنا ، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا ، إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا .

ومن العجائب إننا إذا أردنا المال في الدنيا زرّعنا وغرّسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا ، وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقّهنا وتعبنا في حفظه وتكراره

(١) مضى في :

(٢) الدعاء العاشر ، دعائه عليه السلام في اللجأ إلى الله تعالى .

(٣) إحياء علوم الدين : ٤ / ١٨٨ .

وسهرنا ، ونجتهد في طلب أوقاتنا ولا نثق بضمأن الله ولا نجلس في بيوتنا فنقول : « اللهم ارزقنا » ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم ، قنعنا بأن نقول بالستنا : « اللهم اغفر لنا وارحمنا » والذي إليه رجاؤنا وبه اغترارنا [ينا] دينا [ و ] يقول : ﴿ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح . . . فنسأل الله أن يسوق إلى التوبة سرائر قلوبنا .

### تذكرة

اعلم إن في الآية دلالة على أن كثرة النعم يعظم المصيبة (ظ : المعصية) وعلى أن تقدم العهد يعظم المخالفة ، وعلى أن الخطب في العلماء والتشديد عليهم في باب الذنوب أعظم ، وعلى أن رسول الله ﷺ كما كان مبعوثاً إلى العرب ، كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل .

وفي قوله : ﴿ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ دلالة على أن الكل بقضاء الله ، ولا استقلال للعبد في فعله ، وإلا لوجب أن لا يخاف إلا من نفسه ، لأن مفاتيح ثوابه بيده - لا بيد الله - .

وفيها أيضاً دلالة على وجوب معرفة الله على وجه يعلم به كون الكل بقضائه ، وأن لا تأثير لأحد في حكمه ولا راد لقضائه ، وهذا متوقف على علوم كثيرة ومسائل شريفة يجب الخوض فيها ، لأنها مما لا يتم هذا الواجب إلا بها ، ومقدمات الواجب واجبة ، فالعلم به تعالى وبصفاته وبكيفية أفعاله بقدر الطاقة واجبٌ والله أعلم بأسراره .

\* \* \*

وقرء : « اذكروا » وهو من باب الافتعال . وقرء : « نعمتي » باسكان الياء واسقاطها في الدرج ، وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها . وقرء « اوف » بالتشديد للمبالغة .

قوله جل اسمه :

وَمَا آمَنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ  
بِهِ ۗ وَلَا تَسْتُرُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا ۖ وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿١٥﴾

أمرهم بالايمن بعد ما أمرهم بإيفاء عهد الله تنبيهاً على أنه العمدة في ذلك، بل لأحد أن يقول : إنَّ الايمان بما أنزل الله على رسوله هو عين الايفاء بعهد الله على التأويل الذي سبق ذكره في معنى العهد ، وهو النور الذي يتنور به القلوب ، ويسلك به سبيل الآخرة ، وينكشف به حقائق الأمور ويطلع به الإنسان على الحضرة الإلهية وأفعاله وآثاره ولطفه وحكمته في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ﴿فَإِذْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٥/٥] .

فالنور هو جنس معاني القرآن والكتاب آيات ألفاظه ، وهو أي القرآن منزل من الله إلى قلب النبي ﷺ إن أريد به المعاني . ومنزل من السماء الدنيا على سمعه الشريف إن أريد به ألفاظه .

وكلاهما عند غيبته عن إدراك هذه الحواس الدنيوية ، فإن السمع الذي كان به يسمع رسول الله ﷺ كلامه ، والبصر الذي كان يبصر به شخص جبرئيل عليه السلام كانتا بوجه غير هاتين الحاستين العنصريتين ، وإن كانتا بوجه عينهما .



أمرهم بالتصديق بهذا القرآن المنزل ، وأخبرهم أن في تصديقهم بالقرآن تصديقاً منهم للتوراة والإنجيل لأن الذي في القرآن مصداق لهما ، ومؤكّد للإيمان بهما من حيث أنه مطابق لهما في القصص ، والمواعيد ، والدعاء إلى التوحيد ، والأمر بالعبادة ، والعدل بين الناس ، والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح ، من حيث أنّ كلّ واحدة منها حقّ بالإضافة إلى زمانه ، مراعى فيها صلاح الأنام ، ومن خوطب بالكلام من الله ، حتى لو نزل المتقدم من الأحكام في أيام المتأخّر منها لكان على وفقه بأبلغ وجا ولذلك قال ﷺ (١) : « لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي » .

وقيل : معناه إنه تصديق بالتوراة والإنجيل ، لأنّ فيهما الدلالة على أنه حق ، وآته من عند الله . وفيهما البشارة ببعثة محمد ﷺ وبيان نعوته وصفاته ، فكان الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن تصديقاً للتوراة والإنجيل ، وتكذيبه ﷺ تكذيباً لهما .  
والتفسير الثاني أولى لأن يكون حجة عليهم ، إذ على التفسير الأول لقائل أن يقول : التوافق في بعض المعاني لا يوجب أن يكون القرآن من عند الله ، فلا يلزم عليهم وجوب الإيمان به .

وأما على الثاني فيلزم عليهم الإيمان بحقية القرآن وتصديق الرسول ﷺ إذا اشتمل الكتابان على كون محمد ﷺ صادقاً ، فالإيمان بهما يوجب الإيمان بما يقوله ﷺ . ومعلوم إنّ الآية إنّما نزلت احتجاجاً عليهم ودلالة لهم على وجوب الإيمان بمحمد ﷺ . فبالجملة فالدالّ على اثبات نبوته هيهنا وجهان :

أحدهما شهادة كتب الأنبياء ﷺ عليه ، وهي لا تكون إلا حقاً .

والثاني إخباره عما في كتبهم ولم يكن له معرفة بما فيها إلا من قبل الوحي .

وقوله : ﴿ مَصَدَّقًا ﴾ حال منتصب به ﴿ آمِنُوا ﴾ كأنه قال : « آمنوا بالقرآن مصدقاً » و ﴿ مَعَكُمْ ﴾ صلة ﴿ لِمَا ﴾ والعامل فيه الاستقرار ، أي للذي استقر معكم والضمير في ﴿ بِهِ ﴾ عائدٌ إلى الموصول في قوله : ﴿ بِمَا أَنْزَلْتُ ﴾ أو في قوله : ﴿ لِمَا مَعَكُمْ ﴾ على التفسير الثاني .

\* \* \*

وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوْلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ أي : أول فريق ، أو فوج كافر به ، أو : ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك : « كسانا حلة » أي : كل واحد منا . والمعنى : « لا تكونوا أول كافر من أهل الكتاب بالقرآن » لأن قريشاً قد كانت كفرت به بمكة قبل اليهود .

وعن أبي العالية : معناه « لا تكونوا السابقين إلى الكفر [به] ، فيتبعكم الناس . أي : لا تكونوا أئمة الكفر » وهذا متوجه فإن الناس في المذاهب والملل يتبعون أهل الكتاب والعلم في أكثر الأزمنة . ومعلوم أن الخطاب في الآية مع أئمة أهل الضلال وعلمائهم ، الذين شأنهم كتمان الحق ، الذي في الكتب وتليسه بالباطل ، وتحريف الكلم عن مواضعه - كما هو عادة علماء السوء - .

وعن أبي جريح : معناه : ولا تكونوا أول جاحدين صفة النبي ﷺ في كتابكم فعلى هذا تعود « الهاء » في ﴿ بِهِ ﴾ إلى النبي ﷺ .

قيل معناه ولا تكونوا مثل أول كافر به . يعني : من أشرك من أهل مكة ، أي : لا تكونوا وأنتم تعرفون مكتوباً في التوراة والانجيل مثل من لم يعرفه وهو جاهلٌ مشركٌ لا كتاب له .

وقيل : ضمير ﴿ بِهِ ﴾ راجعٌ إلى الكتاب . أي : لا تكونوا أول كافر بكتابكم . أي لا تكونوا أول من كذب كتابكم من أمتكم ، لأن تكذيبكم لمحمد ﷺ تكذيبكم لكتابكم .

وقيل : معناه ولا تكونوا أول من جحد مع المعرفة ، لأن كفر قريش لم يكن مع المعرفة .

وقيل : معناه لا تكونوا أول الكافرين به عند السماع ، بل تثبتوا وراجعوا عقولكم وتدبروا في معانيه حتى يظهر لكم حقيقته وصدقه .

وقيل معناه : لا تكونوا أول كافر به من كفار اليهود ، لأن النبي ﷺ قدم المدينة وكانت بها القريضة والنضير ، فكفروا به ، ثم تابعت سائر اليهود على ذلك الكفر .

وقال المبرد هذا الخطاب لقوم خوطينوا به قبل غيرهم ، فقيل لهم : لا تكفروا بمحمد ﷺ ، فإنه سيكون بعدكم الكفار ، فلا تكونوا أول الكفار .



واعلم إنه إنما عظيم أول الكفر لأنهم إذا كانوا أئمة لهم وقدوة في الضلالة كانت ضلالتهم أعظم وكفرهم أشد ، إذ كما أن السابقين إلى الإيمان كانوا أعظم قدراً في الثواب ، وأشدّ قرباً من الله ، لقوله ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ كذلك السابقون إلى الكفر ، كانوا أعظم ذنباً ممن بعدهم ، وأشدّ ضللاً وأكثر بعداً عن الحق .

ولما روي عن النبي ﷺ (١) : « مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وقيل : إن الأولية موجبة لمزيد القبح والإثم ، وذلك لأنهم إذا سبقوا إلى الكفر ، فإما أن يقتدى بهم غيرهم فيه أولاً ، فالأول يوجب أن يكون لهم وِزر ذلك الكفر وِزر من كفر إلى يوم القيامة . والثاني يوجب أن يجتمع فيه أمران ، سبق إلى الكفر ، و التفرد به ، ولا شك في أنه منقصة عظيمة .

(١) راجع كنز العمال : ٧٨٠/١٥ . وأيضاً البحار : ٢٥٧/٧١ .

## فصل

ليس في نهيه تعالى أن يكونوا أول كافر به دلالة على أنه يجوز أن يكونوا آخر كافر به ، لأن المقصود النهي عن الكفر على كل حال ، وخص الأول بالذكر لما ذكر من عظم موقعه ، وكما إن قوله تعالى : ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [٢/١٣] لا يدل على وجود عمد لا يرونها . وقوله : ﴿وَقَتَلَهُمُ الْآنبيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾ [٤/١٥٥] لا تدل على جواز قتلهم بحق وقوله - عقيب هذه الآية : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير . وكما قال الشاعر (١) :

من أناس ليس في أخلاقهم \* عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وليس يريد أن فيهم فحشاً آجلاً . فكذا هي هنا . بل الغرض من هذه السياقة التنبيه على استعظام كفر من قرء في الكتب نعت محمد ﷺ ، ثم تجدد به . ولأن في قوله : ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ دلالة على أن كفرهم أولاً وآخرًا مخطور ، لأن تحقق وجود الشيء موقوف على ارتفاع جميع أنحاء عدمه أو ضده ، وكذا تحقق الايمان بما أنزل في كل وقت متوقف على ارتفاع جميع أنحاء الكفر في ذلك الوقت ، ولأن الايمان نوع من نور اليقين ، فإذا حصل في القلب لا يمكن رفعه فكل من آمن أولاً ايماناً بالحقيقة فهو مؤمن أخيراً لا يزال .

## فصل

قوله : ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾

أي : ولا تستبدلوا الايمان بالرسول وتعلم الحكمة والاطلاع على آيات الله

بثمن قليل من مال الدنيا وجاهكم الحقير عند أبنائها .

(١) هو سويد بن أبي كاهل .

وفي الكشف<sup>(١)</sup> : « الثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم ، خافوا عليها الفوات لو أصبحوا تبعاً لرسول الله ﷺ ، فاستبدلوا - وهي بدلٌ قليل ومتاعٌ يسيرٌ - بآيات الله وبالحق الذي كل كثير إليه قليلٌ وكل كبير إليه حقيرٌ . فما بال القليل الحقير! وقيل : كانت عامتهم يعطون أخبارهم من زروعهم وثمارهم ، ويهدون إليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم [لهم] ما صعب عليهم من الشرايع ، وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتبوا ويحرفوا . »

\* \* \*

واعلم إن العادة جارية في كل زمان بأنه إذا ظهر واحد من أهل الحق وأولياء الله ، فأول من يسعى في ابطال حقه ويريد إطفاء نوره في أكثر الأمرهم العلماء السوء ورؤساء حملة الكتاب ، أو المغترون بالشريعة التي كانوا عليها ، وذلك لأن ظهور حاله يوجب كشف نقائصهم وجهالاتهم على الناس ، وفي ذلك انحطاط منزلتهم عند الخلق ، ونقصان جاههم وسقوطهم عن أعين السلاطين ، وجميع ذلك هو مطمح أنظارهم في اكتساب العلوم والديانة .

فإنه سبحانه أشار إلى أن محافظتهم على هذه الأمور الدنياوية في ترك متابعتهم الرسول ﷺ وإن كان ثابتاً - إلا إن لهم في ذلك تفويتٌ للسعادة الأخروية بتحصيل مقامات العلم واليقين .

فإن كمال النفس الإنسانية بتحصيل ما عليه الواجب من صيرورتها جوهرًا عقلياً مضاهياً للجواهر القدسية والملائكة العقلية ، فإذا ترك ذلك التحصيل واشتغل بتحصيل اللذات الدنياوية وحفظ الرياضات الحيوانية ، فكأنه باع الملك واشترى الحيوان ، وباع البهجة القصوى والسعادة الأبدية باللذة الحيوانية الفانية ولاشك إنه

باعَ أمراً جليلاً بثمن قليل ، لأنّ لذة الدنيا بحذافيرها بالنسبة إلى نعيم الآخرة قليلة جداً ، بل كنسبة المتناهي إلى غير المتناهي .

\* \* \*

### وَالثَّمَنَ وَالْعَوْضَ وَالْبَدَلَ فَظَائِرٌ وَبَيْنَهَا فُرُوقٌ :

و«الثَّمَنُ» هو البديل في البيع ، وكذا «القيمة» . والبذل أعمّ من ذلك . والفرق بين الثمن والقيمة إنّ الثمن قد يكون وفقاً ، وقد يكون بخساً ، وقد يكون زائداً ، والقيمة لا تكون إلا مساوية من غير زيادة ولا نقصان .

قال الفراء<sup>(١)</sup> : إنّما أدخل الباء في «الآيات» دون «الثمن» وفي سورة يوسف أدخله في الثمن في قوله : ﴿وَشَرَوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [٢٠/١٢] لأنّ العروض<sup>(٢)</sup> كلّها أنت مخير فيها ، إن شئت قلت : «اشتريت الثوب بكساء» وإن شئت قلت : «اشتريت بالثوب كساء» أيهما جعلت ثمناً لصاحبه جاز . فإذا جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت «الباء» في الثمن كقوله : ﴿وَشَرَوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ لأنّ الدراهم ثمنٌ أبداً .

قيل : المعنى ﴿لَا تَسْتَبَدُّوْا بِآيَاتِي﴾ أي : بما في التوراة والإنجيل من بيان صفة محمد ﷺ ونعته ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ أي : عرضاً يسيراً من الدنيا .  
وزوى عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية أنّه قال<sup>(٣)</sup> : «كان حبي بن أخطب وكعب بن أشرف وآخرون من اليهود لهم ما كلة من اليهود في كلّ سنة ، فكرهوا بطلانها بأمر النبي ﷺ فحرفوا لذلك آيات في التوراة فيها صفتُهُ وذكره ، فذلك الثمن الذي أريد في الآية» .

(١) مجمع البيان : ٩٥/١ .

(٢) العروض - بالضم - جمع «عرض» : المتاع وكل شيء يسوى النقدين .

(٣) مجمع البيان : ٩٥/١ .

وروي عن ابن عباس أيضاً<sup>(١)</sup> : إن رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف وحيي ابن أخطب وأمثالهما كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا ، وأنهم لو اتبعوا محمداً لانقطعت عنهم تلك الهدايا ، فأصرّوا على الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقر .

\* \* \*

واعلم إن خطاب الله في القرآن ينبغي أن يحمل على العامّ الشامل لكلّ أحد وإن كان منشأ النزول مخصوصاً ، حتّى تكون علوماً كليةً باقية أبد الدهر فقوله : ﴿لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ أي بمعرفتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يجب أن يكون حكماً عامّاً يكون به النهي عن صنع كل من ترك تعلم آيات الحكمة واليقين بواسطة محافظته على دنياه وخوفه عن زوال جاهه عند الخلق ، وسقوط منزلته لديهم .

فمن ههنا يعلم إن كل من جهد حقاً من حقوق الله ، وأنكر علماً من المعارف اليقينية والعلوم الربانية حذراً من أن يلزم عليه اتضاع في أمر دنياه بظهور علمه موفوق علمه - كالعلم الأعلى بالقياس إلى العلوم الجزئية - أو خمول في شهرته وصيته أو كساد في مجمع وعظه ومدرسة علمه الناقص ، فهو داخل في جنس أولئك المخاطبين بهذه الآية .

## فصل

### قوله : وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ

أي بالايمان واتباع الحق ، والإعراض عن الدنيا ، ويقرب معناه ممّا تقدّم من قوله ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ .

والفرق بين الرهبة والتقوى بالتأكد والضعف ، وكان الوجه إن الأولى مقدّمة للثانية ولهذا اوردت الرهبة في الآية السابقة ، والتقوى في اللاحقة . وأيضاً لما عمّ

الخطاب في الآية الأولى العالم والمقلد جميعاً وقع الأمر فيها بالرهبة التي هي مبدء السلوك وحيث خصّ أهل العلم أمرهم بالتقوى الذي هو منتهاه .

### [ العلماء السوء وما ورد فيهم ]

واعلم إنّه قد وردت في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلّت على أنّهم أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة . والمراد بالعلماء السوء الذين قصدتهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ، والأحاديث الدالة على أنّ هؤلاء أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة ، وأنّ لزوم الحجّة عليهم أشدّ - كثيرة :

فمن طريق أهل البيت عليهم السلام مرواه محمّد بن يعقوب الكليني (١) رحمه الله بسنده المتصل عن سليم بن قيس الهلالي ، قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدث عن النبي ﷺ ، إنّه قال في كلام له : « العلماء رجُلان : رجُلٌ عالمٌ آخذ بعلمه ، فهذا ناج . وعالمٌ تارك بعلمه (٢) فهذا هالك . وإنّ أهل النار ليتأذون عن ربح العالم التارك لعلمه .

وإنّ أشدّ أهل النار ندامة وحسرة رجُلٌ دعا عبداً إلى الله ، فاستجاب له وقيل منه فأطاع الله ، فأدخله الله الجنة . وأدخل الداعي إلى النار (٣) بتركه علمه ، واتباعه الهوى وطول الأمل . أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق . وطول الأمل ينسى الآخرة » .

وروي أيضاً (٤) عن عدّة من أصحابه ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه

(١) الكافي : كتاب فضل العلم ، باب استعمال العلم : ٤٤/١ .

(٢) المصدر : لعلمه .

(٣) المصدر : وأدخل الداعي النار

(٤) الكافي : الباب السابق : ٢٥/١ .



رفعه - قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطب به على المنبر : « أيتها الناس - إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون . إن العالم العامل بغيره - وفي نسخة : « بغير بصيرة » بدل : « بغيره » - كالجاهل الحائر لا يستفيق<sup>(١)</sup> عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة عليه أعظم ، والحسرة أدوم على هذا العالم ، المنسلخ عن علمه ، منها على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما حائرٌ بائرٌ » .

روى أيضاً<sup>(٢)</sup> بسنده المتصل عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من طلب العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوء مقعده من النار » .

وروى أيضاً<sup>(٣)</sup> مسنداً عن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قال يا حفص - يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنبٌ واحد » .  
وبهذا الإسناد<sup>(٤)</sup> قال : قال أبو عبد الله عليه السلام ، قال : قال عيسى بن مريم : « ويلٌ للعلماء السوء ، كيف تظنى عليهم النار » .

وروى أيضاً<sup>(٥)</sup> مسنداً عن جميل بن دراج ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « إذا بلغت النفس هيهنا .. وأشار بيده إلى حلقه - لم يكن للعالم توبة » ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ [١٧/٤] .

وروي أيضاً<sup>(٦)</sup> عن علي بن إبراهيم ، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « طلبه العلم ثلاثة ، فأعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم : صنّف يطلبه للجهل والمراء ، وصنّف يطلبه للاستطالة والختل<sup>(٥)</sup> ، وصنّف يطلبه للفتة والعقل .

(١) المصدر : الجاهل الحائر الذي لا يستفيق . . .

(٢) الكافي : كتاب فضل العلم ، باب المستأكل بعلمه : ٤٧/١ .

(٣) الكافي : كتاب فضل العلم ، باب لزوم الحجة على العالم : ٤٧/١ .

(٤) الكافي : كتاب فضل العلم ، باب النوادر : ٤٩/١ .

(٥) استطال عليه : ترفع . والختل بفتح الخاء والتاء : الخدعة .

فصاحبُ الجهل والبراء موبذ، مमार، متعرضٌ للمقال في أندية<sup>(١)</sup> الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع، وتخلّى من الورع، فصدق الله من هذا خيشومته، وقطع منه حيزومه<sup>(٢)</sup>.

وصاحب الاستطالة والختل ذو حجبٍ وملق<sup>(٣)</sup>، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للاغنياء من دونه، فهو لخلواتهم هاضمٌ، ولدينه حاطمٌ، فأعصى الله على [هذا] خبره، وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنك في برئسه<sup>(٤)</sup> وقام الليل في جندسه<sup>(٥)</sup>، يعمل ويخشى وجلاً، داعياً، مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه.

مركز تحقيق كتاب تكملة علوم اسلامی

وأما من طريق غيرهم فوقع في الرواية عن النبي ﷺ إنه قال<sup>(٦)</sup>: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله بعلمه».

وقال أيضاً<sup>(٧)</sup>: «العلمُ علمان: علمٌ على اللسان، فذلك حجة الله على بن

(١) الأندية: المجالس والمجتمعات.

(٢) الخيشوم: الأنف. الحيزوم: وسط الصدر.

(٣) الحجب بكسر الخاء وتشديد الباء: الخدعة والغش. والملق بالتحريك: اللطف

الشديد باللسان دون القلب.

(٤) تحنك: أدار العمامة تحت الحنك. والبرئس بضم الباء والنون: قلنسوة طويلة

كان يلبسها النساء في صدر الإسلام.

(٥) الجنيس بكسر الحاء والذال: الليل المظلم. والظلمة.

(٦) في الجامع الصغير (٤٢/١): «... عالم لم ينفعه علمه».

(٧) الدارمي: باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ١٠٢/١.

آدم . وعلم في القلب ، فذلك العلم النافع .

وقال أيضاً <sup>(١)</sup> : « لأننا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال » فقيل :  
« وما ذلك ؟ » فقال : « أئمة مضلون . »

وقال أيضاً <sup>(٢)</sup> : « من ازداد علماً ولم يزد هدى ، لم يزد من الله إلا بعداً »

وقال عيسى <sup>(٣)</sup> : « إلى متى تصفون الطريق للمدليجين وأنتم مقيمون مع  
المتحيرين ؟ ! »

فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم ، وأن العالم إما متعرض  
لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد ، وأنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم تدركه  
السلامة <sup>(٤)</sup> .

وأما الآثار <sup>(٥)</sup> : فقال الحسن : « لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف  
الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء . »

وقال أيضاً : « عقوبة العلماء موت القلب » وأنشد <sup>(٦)</sup> :

عجيبٌ لمبتاع الضلالة بالهدى \* ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وقال أسامة بن زيد <sup>(٧)</sup> : سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى بالعالم ، فيلقى في

(١) جاء في المسند ١٤٥/٥ بفرق يسير في اللفظ .

(٢) في الجامع الصغير (١٦٢/٢) : «... ولم يزد في الدنيا زهداً» وراجع أيضاً

تخريج العراقي للحديث : ذيل إحياء علوم الدين ٥٩/١ .

(٣) إحياء علوم الدين : كتاب العلم ، الباب السادس .

(٤) الظاهر ان الصحيح «السعادة» كما في الإحياء ٥٩/١ .

(٥) راجع إحياء علوم الدين ٥٩/١ .

(٦) كذا . وفي الإحياء : «وانشدوا» .

(٧) البخاري : كتاب بدء الخلق ١٤٧/٤ . بفرق يسيرة .

النار، فتندلق أفتابه (١) ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا . فيطوف به أهل النار فيقولون « مالك ؟ » فيقول : « كنت أمر بالخير ولا آتبه ، وانهي عن الشر وآتبه » .  
وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم ، ولذلك قال تعالى . ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [ ١٤٥/٤ ] لأنهم تعدوا بعد العلم ، وجعل اليهود شراً من النصارى ، مع أنهم ماجعلوا الله ولداً ، ولاقالوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ولكن كفروا وأنكروا بعد المعرفة ، وقال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [ ٨٩/٢ ] وقال تعالى في قصة بلعم بن باعورا : ﴿ وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ حتى [ قال ] ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ [ ١٧٦/٧ ] فكذلك حكم العالم الفاجر ، فإن بلعم أوتي كتاب الله فأخلد إلى الشهوات فشبهه بالكلب . أي : سواء أوتي بالحكمة أو لم يؤت ، فهو مخلص إلى الشهوات .  
وقال [ عيسى عليه السلام ] (٢) : ﴿ مَثَلُ عُلَمَاءِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَخْرَةٍ وَقَعَتْ عَلَى فَمِ النُّهْرِ - لا هي تشرب ولا تترك الماء تخلص إلى الزرع . ومثل علماء السوء مثل قناة الحشّ ظاهرها خضر وباطنها نين ، ومثل القبور ظاهرها عامرة وباطنها عظام الموتى » .  
وفي المشنوي للمولى الرومي رحمه الله أبياتٌ جيدة في بيان حالهم وكشف عوارهم ، فهذه الأخبار والآثار تدلّ على أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أحسن حالاً وأسوء عاقبة ومآلاً وأشدّ عذاباً من الجاهل السليم القلب . وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة .

(١) اندلق الشيء : خرج من مكانه . والأفتاب جمع قتب : المعى .

(٢) إحياء علوم الدين ٦٠/١ . قوت القلوب ١٤١/١ .

## فصل

[ علامات علماء الآخرة ]

فإن قلت : كيف يمكن لأحد أن يعرف علماء الآخرة حتى يقتدي بهم ، والعلم الحقيقي حالة باطنية ؟ وبماذا يمتازون عن علماء الدنيا ؟

قلت : إن لهم علامات ذكرها بعض المحققين<sup>(١)</sup> :

منها أن لا يطلب الدنيا بعلمه . فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا ونخستها وكدورتها وانصرامها ، وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ، ويعلم إنهما متضادان ، وإنهما كالضرتين - مهما أرضيت أحدهما أسخطت الأخرى . . . . وإنهما كالمشرق والمغرب - متى قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى إذ الآخرة عالم النور والقصور ، والدنيا عالم الظلمة والقبور ، وإنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى ، كما قال أبو نصر الفارابي في نظم له<sup>(٢)</sup> :

عابوا عليّ تخصاصتي فأجبتهم \* حظّ وعلمٌ كيف يجتمعان  
رجحان ذا خسران ذا وكلاهما \* يتخالفان ككفتي ميزان  
حاز الجهول الرزق بالسبب الذي \* وقع اللبيب به على حرمان

فمن لم يعلم حقارة الدنيا وكدورتها ، وامتزاج لذتها بالمها ، ثم انصرام ما يصفو منها - فهو فاسد العقل . فإن المشاهدة والتجربة تُرشد إلى ذلك ، فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ؟ ! ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوام نعيمها فهو كافر

(١) الفزالي في إحياء علوم الدين : كتاب العلم ، الباب السادس ٦٠/١ . ملخصاً .

والظاهر أن الفزالي أيضاً أخذ جل ما قاله هناك من قوت القلوب لابي طالب المكي :

«باب ذكر الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة» ١٤٠/١ .

(٢) الأشعار غير موجودة في الإحياء .

مسلوب الايمان ، فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ؟ ! ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة ، وإنّ الجمع بينهما طمعٌ في غير مطمع ، فهو جاهلٌ بشريعة الأنبياء كلهم - صلوات الله عليهم - بل هو كافر بالقرآن من أوله إلى آخره ، فكيف يُعدّ من زُمرَة العلماء ؟ ! ومن عليم هذا كله ثمّ يؤثر الدنيا وجاهها ورياستها على الآخرة ، فهو أسير الشيطان مغلول بفغله ، مقيد بحبله ، قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته ، فكيف يُعدّ من أحزاب العلم من هذه درجته ؟ !

وفي أخبار داود (١) : « إنّ أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيت مناجاتي » .

وقال مالك بن دينار (٢) : « قرأتُ في بعض الكتب، إنّ الله عزوجل يقول : إنّ أهون ما أصنع بالعالم إذا أحبّ الدنيا أن أخرج [حلاوة] مناجاتي من قلبه » .

وقال عيسى عليه السلام (٣) : « كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى الآخرة وهو مقبلٌ على دنياه ؟ وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به - لا يعمل به - ؟ » .

وقال صالح بن حميان (٤) : « أدركتُ الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة » .

وروى أبو الدرداء (٥) ، أنه رضي الله عنه قال : أوحى الله إلى بعض الأنبياء : قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، ويلبسون

(١) احياء علوم الدين ٦٠/١ . قوت القلوب ١٤١/١ .

(٢) احياء علوم الدين ٦١/١ .

(٣) كذا في النسخة وفي احياء ٦١/١ : « صالح بن حسان » . وجاء في قوت القلوب :

١٤١/١ « صالح بن حسان » .

(٤) قال العراقي (ذيل احياء العلوم ٦٢/١) أخرجه ابن عبد البر بأسناد ضعيف .

مشوك الكباش ، وقلوبهم كقلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وقلوبهم أمرّ من الصبر : « إِيَّايَ يَخَادِعُونَ ، وَيِي يَسْتَهْزِءُونَ ! لَأَمْتَحِنَنَّ (١) لَهُمْ فَتْنَةً تَذَرُ الْحَكِيمَ حَيْرَانًا » .

وروى الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ إنه قال (٢) : « علماء هذه الأمة رجُلان : فرجُل آتاه الله علماً فبذله للناس ، ولم يأخذ عليه طمعاً ، ولم يشتري به ثمناً ، فذلك يصلي عليه طيرُ السماء ، وحيطانُ الماء ، ودوابُّ الأرض ، والكرامُ الكاتبون . يقدّم على الله سيّداً شريفاً حتّى يرافق النبيّين . ورجُل آتاه [الله تعالى] علماً في الدنيا فضنّ به على عباد الله [ عزّ وجلّ ] وأخذ عليه واشترى به ثمناً ، يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ، ينادي مناد على رموس الخلائق : هذا فلان بن فلان آتاه الله تعالى في الدنيا علماً فضنّ به على عباد الله تعالى ] وأخذ عليه طمعاً ، واشترى به ثمناً قليلاً . يعذب حتّى يفرغ الله من حساب الخلائق (الخلق - ن) .

وأشدّ من هذا ما روي (٣) : إنّ رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام ، فجعل يقول : « حدّثني موسى [صفي الله] حدّثني موسى نجى الله ، حدّثني موسى كليم الله » حتّى أثرى وكثر ماله ، ففقده موسى ، فجعل يسأل عنه فلا يحسّ له أثراً ، حتّى جاءه رجُل في يده خنزيرٌ وفي عنقه جبل أسود . فقال له موسى : « أتعرف فلاناً ؟ » قال : « نعم - هو هذا الخنزير » . فقال موسى : ياربّ : أسئلك أن تردّه إلى حاله حتّى أسأله فيما أصابه هذا . فأوحى الله إليه : « لو دعوتني بالذي دعا به آدم فمنّ دونه ما أجبتك . ولكن أخبرك لم صنعتُ به هذا . لأنّه يطلب الدنيا بالدين » .

(١) الاحياء : لأمتحن .

(٢) قال العراقي (ذيل احياء المعلوم ٦٢/١) «أخرجه الطبراني في الأوسط بأسناد

ضعيف في الموضوعات» وجاء في قوت القلوب ١٤٣/١ .

(٣) إحياء علوم الدين ٦٢/١ . وقوت القلوب ١٤٤/١ .

وأغلظ من هذا ماوردَ عن معاذ بن جبل<sup>(١)</sup> : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فِتْنَةُ الْعَالِمِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْاسْتِمَاعِ . وَفِي الْكَلَامِ تَنْمِيقٌ وَزِيَادَةٌ ، وَلَا يُؤْمِنُ عَلَى صَاحِبِهِ الْخَطَأَ ، وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ وَعِلْمٌ .

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَخْزِنُ عِلْمَهُ فَلَا يَحِبُّ أَنْ يَوْجَدَ فِي غَيْرِهِ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّارِ . وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَكُونُ فِي عِلْمِهِ بِمَنْزِلَةِ السُّلْطَانِ ، فَإِنْ يُرَدُّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ أَوْ تَهَوَّنَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ غَضِبَ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّانِي مِنَ النَّارِ . وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجْعَلُ عِلْمَهُ وَغَرَائِبَ حَدِيثِهِ لِأَهْلِ الشَّرَفِ ، وَلَا يَبْرِي أَهْلَ الْحَاجَةِ أَهْلًا لَهُ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الثَّلَاثِ مِنَ النَّارِ . وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَنْصَبُ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا ، وَيُفْتِي بِالْخَطَأِ وَاللَّهِ يُبْغِضُ الْمُتَكَلِّفِينَ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الرَّابِعِ مِنَ النَّارِ ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِيُغْزِرَ عِلْمَهُ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ الْخَامِسِ مِنَ النَّارِ . وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَتَّخِذُ عِلْمَهُ مَرَوَّةً وَنَبْلًا وَذِكْرًا فِي النَّاسِ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّادِسِ مِنَ النَّارِ . وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَسْتَفْزَهُ الزُّهْوُ وَالْعَجَبُ ، فَإِنْ وَعِظَ عَنَفَ ، وَإِنْ وَعَظَ أَنْفَ ، فَذَلِكَ فِي الدَّرَكِ السَّابِعِ مِنَ النَّارِ . فَعَلَيْكَ بِالصَّمْتِ ، فِيهِ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَضْحَكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، أَوْ تَمْشِي فِي غَيْرِ أَرَبٍ .

وَفِي الْخَبَرِ<sup>(٢)</sup> : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُنْشَرُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَمَا

يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » .

السلطين<sup>سز</sup>

وَقَالَ ﷺ<sup>(٣)</sup> : « الْعُلَمَاءُ أَمْنَاءُ الرُّسُلِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ مَا لَمْ يَخَالَطُوا السُّلْطَانَ ،

(١) راجع اللثالي المصنوعة : كتاب العلم ٢٢٣/١ . قوت القلوب ١٤٤/١ . وروى الصدوق في الخصال (باب السبعة : ١٢٩/١) ما يقرب من الشطر الثاني من هذا الحديث بتقديم وتأخير واختلافات في اللفظ عن الصادق (ع) .

(٢) احياء علوم الدين ٦٢/١ . قوت القلوب ١٤٤/١ .

(٣) راجع اللثالي المصنوعة : كتاب العلم ٢١٩/١ ، وجاء بلفظ يقرب منه في الكافي :

كتاب فضل العلم ، باب المستأكل بعلمه ٤٦/١ .



فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل . فاحذروهم واعتزلوهم .» .

وقال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> : « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء ، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء » .

وقال أبوذر لسلمة<sup>(٢)</sup> : « ياسلمة - لاتغش أبواب السلاطين ، فإنك لاتصيب من دنياهم شيئاً إلا وأصابوا من دينك أفضل منه » .

وهذه فتنة عظيمة للعلماء ، وذريعة صعبة للشيطان عليهم ، لاسيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ، إذ لايزال الشيطان يلتقى إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين .



ومن علامات علماء الآخرة<sup>(٣)</sup> أن لا يكون أحدهم متسرعاً إلى الفتوى ، بل يكون متوقفاً محترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً ، فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب ، أو بنص حديث ، أو إجماع ، أو دليل قاطع ، أجاب . وإن سئل عما شك فيه ، قال : « لأدري » . وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ، ودفع عن نفسه ، وأحال على غيره - إن كان في غيره غنية - هذا هو الحزم ، لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم . وفي الخبر<sup>(٤)</sup> : « العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة قائمة ، ولأدري » .

وقال الشعبي : « لأدري نصف العلم » . ومن سكت حين لا يدري [لله تعالى] فليس أقل أجراً ممن نطق ، لأن الاعتراف بالجهل (بالنقص - ن) أشد على النفس « وهكذا كانت الصحابة . قال عبدالرحمن بن أبي ليلى : « أدركت في هذا

(١) إحياء علوم الدين ١/٦٨ .

(٢) إحياء علوم الدين ١/٦٩ .

(٣) قال العراقي ذيل الإحياء ١/٦٩ : أخرجه الخطيب في أسماء من روى عن مالك .

المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ، مامنهم من أحد يُسئل إلا ودَّ أن أخاه كفاه ذلك . وفي لفظ آخر : « كانت المسئلة تُعرض على أحدهم ، فيردّها إلى الآخر حتى يعود إلى الأول » .

كان ابن عمر إذا سُئل عن الفتوى قال : « اذهب إلى الأمير الذي تقلد أمور الناس » وكان يقول : « تريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون علينا إلى جهنم » .  
وقال ابن مسعود <sup>(١)</sup> : « إن الذي يُفتي الناس [في كل ما يستفتونه] لمجنون »  
وقال : « جنة العالم : لأدري » .

وقال إبراهيم بن أدهم <sup>(٢)</sup> : « ليس شيء أشدَّ على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت [بعلم] ، يقول : انظروا إلى هذا ، سكوتُه أشدَّ علي من كلامه » .  
ووصف بعضهم « الأبدال » فقال <sup>(٣)</sup> : « أكلهم فاقة ، وكلامهم [ضرورة] » .  
ومرَّ أمير المؤمنين عليه السلام وعبدالله بن مسعود برجل يتكلم على الناس ، فقال <sup>(٤)</sup> :  
« هذا يقول : اعرفوني » .

وقال بعضهم : « إذا كثر العلم قلَّ الكلام » .

\* \* \*

ومن علاماتهم <sup>(٥)</sup> أن يكون أكثر اهتمامهم بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه ، والرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة ، والانقطاع إلى الله عمّا سواه . فذلك مفتاح الإلهام ، ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال بعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكمه ، وكم من مقتصر على

(١) قوت القلوب ١/١٥٤ .

(٢) قوت القلوب ١/١٥٥ .

(٣) إحياء علوم الدين ١/٧١ .

المهم في التعلّم ومتوقّر على العمل ومراقبة القلب فتح الله عليه من لطائف الحكم ما يحار فيه عقول ذوي الألباب .

ولذلك قال رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَزَّهُ اللَّهُ عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » .  
وفي بعض الكتب : « يا بني إسرائيل - لا تقولوا : العلم في السماء مَنْ ينزل به ؟ ولا في تخوم الأرض ، من يصعد به ؟ ولا من وراء البحار ، من يعبر فيأتي به ؟ العلم مجبولٌ في قلوبكم ، تأدّبوا بين يديّ بأدب الروحانيين ، وتخلّصوا إليّ بأخلاق الصديقين . أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطّيكم » .

فكم من معانٍ دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرّد للذّكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ، ولا يطلع عليها أذكباء المفسرين . وإذا انكشف ذلك للمراقب ويعرض على المفسرين استحسّنوه وعلموا إنّ ذلك من تنبيهات القلوب الزكيّة ، وألطف الله تعالى بالهيم العالية المتوجّهة إليه . وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق علم النفس وخواطرها وهواجسها ، فإنّ كلّ علم من هذه العلوم بحرٌّ لا يدرك غوره ، وإنّما يخوضه كلّ طالب بقدر ما رزق ، وبقدر ما وفقّ بحسن العمل .

وروي في الإسرائيليات<sup>(٢)</sup> إنّ حكيماً من الحكماء صنّف ثلاثمائة وستين مصحفاً في الحكمة ، حتى وُصف بالحكيم ، فأوحى الله إلى نبيّهم : « قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقاً ، ولم تردني شيئاً من ذلك . وإني لأقبل من نفاقك شيئاً » فندم الرجل وترك ذلك ونخالط العامة في الأسواق ، وواكل بني إسرائيل وتواضع في نفسه ، فأوحى الله إليه : « قل له : الآن وافقت رضائي » .

\* \* \*

(١) قال العراقي : أخرجه أبو نعيم في الحلية (ذيل الإحياء ٧١/١) .

(٢) إحياء علوم الدين ٧٦/١ .

ومنها<sup>(١)</sup> أن يكون أكثر بحثه في علم الأعمال عما يفسدها ، ويشوش القلب ، ويهيج الوسواس ، ويشير الشر . فإن أصل الدين التوقي من الشر ، ولذلك قيل :  
عرفت الشرّ للشر لكن لتوقيه \* ومن لا يعرف الشرّ من الناس يقع فيه  
ولأن الأعمال البدنية لاتتمّ إلا بالقصود والنيات ، وإنما الشأن في معرفة  
ما يفسدها ويشوشها ، وهذا مما تكثر شعبه ويطول تعريفه ، وكل ذلك مما يغلب مسّ  
الحاجة إليه<sup>(٢)</sup> ، وتعمّ البلوى به في طريق سلوك الآخرة .

وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريع في الأقضية والحكومات ،  
ويتبعون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تنفع ، وإن وقع ذلك فإنما يقع لغيرهم  
- لالهم - فإذا وقع كان في العالمين به كثرة ، ويتركون ما يلزمهم ويتكرّر عليهم  
آناء الليل و[أطراف] النهار من خواطرهم ووسوسهم وأعمالهم .

وما أبعد عن السعادة من باع مهمّ نفسه اللازم بمهمّ غيره النادر إثارة للقبول  
والقرب من الخلق على القرب من الله ، وحرصاً على أن يسميه البطالون من أبناء  
الدنيا فاضلاً ، عالماً بالدقائق . وجزائه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق ،  
بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ، ثم يرد القيامة مفلساً متحسراً على ما يشاهده  
من ربح العالمين ، ونور المقرّبين . وهذا هو الخسران المبين .

فهذه عدّة علامات جلية يمكن تعريفها لكلّ من أراد ، ذكرها صاحب كتاب  
الإحياء . ولهم علامات أخرى باطنية لا يعرفها إلا ذوبصيرة كشفية .

\* \* \*

ومن علاماتهم أيضاً ما ذكر صاحب كتاب إخوان الصفا بقوله :<sup>(٣)</sup>

(١) إحياء علوم الدين ٧٧/١ .

(٢) الإحياء : ميسس الحاجة .

(٣) إخوان الصفا : الرسالة السابعة من النفسانيات العقلية ٣١١/٣ . بفروق يسيرة

فمن إحدى علامات أولياء الله المنبعثين من موت الجهالة ورقدة الغفلة ،  
المستبصرين بعين اليقين ونور الهداية ، العارفين بحقائق الدنيا : إنهم قوم تستوي  
عندهم الأماكن والأزمان ، وتغاير الأمور وتصاريف الأكوان . فقد صارت الأيام  
كلها [ عندهم ] عيداً واحداً وجمعة واحدة ، وصارت الأماكن كلها [ لهم ] مسجداً  
واحداً ، والجهات كلها قبلة ومحراباً واحداً ، و<sup>(١)</sup> صارت حركاتهم كلهم عبادة لله ،  
وسكناتهم كلهم طاعة <sup>(٢)</sup> ، واستوى عندهم مدح المادحين وذم الدامنين ، لا يأخذهم  
في الله لومة لائم ، قياماً لله بالقسط <sup>(٣)</sup> شهداء وهم على صلواتهم دائمون ، وتحققوا  
بقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ <sup>(٤)</sup> [١١٥/٢] .

وإنما استوت عندهم الأماكن كلها [ وصارت ] محراباً ومسجداً وقبلة واحداً  
لتصديقهم قول الله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ وصاروا شهداء لمشاهدتهم له  
وتصديقهم قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ  
وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧/٥٨] .

وإنما استوت عندهم الأيام كلها فصارت كلها جمعة وعيداً لمشاهدتهم يوم  
القيامة الذي هو من أول البعث لمحمد ﷺ إلى تمام ألف سنة ، كما قال ﷺ <sup>(٥)</sup> :  
« بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ » .

وإنما استوت عندهم تصاريف الأحوال وتغاير الأمور لتصديقهم قول الله  
[ تعالى ] ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ

(١-١) المصدر : وصارت حركاتهم كلها عبادة لله وسكوناتهم طاعة له .

(٢-٢) المصدر : « شهداء لله بالحق ، وهم على صلواتهم دائمون » . والآية غير

موجودة فيه .

(٣) الجامع الصغير ١/١٢٦ .

أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْكُمْ ﴿٥٧/٢٢-٢٣﴾ وصاردعائهم مسنجاباً لأنهم لا يستلون إلا ما يكون، ولا يكون إلا ما قد كان<sup>(١)</sup> في سابق العلم . فقلوبهم في راحة من التعلق بالأسباب ، وأبدانهم فارغة من التكلف فيما لا يعني، ونفوسهم ساكنة عن الوسواس، وأبدانهم في راحة<sup>(٢)</sup> من أنفسهم ، والناس منهم في راحة وأمان، لا يريدون لأحد سوء ، ولا يضمرون لأحد شراً - عدواً كان أو صديقاً - كما قال علي عليه السلام<sup>(٣)</sup> : « والله ما دنياكم عندي إلا كمفطة عنز » .



(١) المصدر : إلا ما قدر في سابق العلم -

(٢) المصدر : وهم في راحة .

(٣) الحديث غير موجود في المصدر المطبوع ، وفي الخطبة الثالثة من نهج البلاغة :

ولالقيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز .

قوله جلّ اسمه :

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ  
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾

عطفُ على ما قبله ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَيُّكُمْ يَمَّا أَنْزَلْتُ ﴾ أمرٌ بترك الكفر والضلّال . وقوله : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ إشارة إلى الأوّل ، لأنّه تشويش الدلائل على الحقّ . وقوله : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ إشارة إلى الثاني ، لأنّه منع للوصول إلى الدلائل .  
و « اللّبس » : الخلط .

و«الباء» التي في «الباطل» إما للاستعانة كقولك « كتبتُ بالقلم » وكان المعنى : « ولا تلبسوا الحقّ بسبب إبداء الشبهات على السامعين » وإما للصلة كقولك : « لبستُ كذا بكذا » وكان المعنى : « ولا تجعلوا الحقّ ملتبساً عليهم بسبب الباطل الذي تكتبونه في خلاله ، أو تذكرونه في تأويله » . أو « لا تكتبوا في التورية ما ليس منها ، حتى لا يتميّز فيختلط الحقّ المنزّل بالباطل الذي تخترعونه أو تكتبونه » .

وقوله : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ جزمٌ داخل تحت حكم النهي ، كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ، ونهوا عن الإضلال بالنبیس على من سمع الحقّ ، والإخفاء على من لم يسمعه . أو منصوبٌ باضمار « أن » و « الواو » بمعنى الجمع ، أي :

« لاتجمعوا بين لبس الحقّ بالباطل وكتمان الحقّ » كقولك : « لاتأكل السمك وتشرب اللبن » ويؤيده إنّه في قراءة ابن مسعود : « وتكتمون » بمعنى « كاتمين » ، فإنّه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحقّ ، ولاشكّ في أنّ كلّاً منهما ممّا يمكن وقوعه وحداناً ، وإنّ الجمع بينهما أقبح ، وهم يفعلونهما جميعاً .

وذلك لأنّ النصوص الواردة في التورية والإنجيل في شأن محمّد ﷺ بعضها بحيث يمكن إخفاء دلالتها - إذ فيها نوع خفاء ، فكانوا يكتمونها - وبعضها في الجلاء والظهور بحيث لا يخفى على العقول السليمة وجه دلالتها ، إذا لم يشوشها شبهة مضلّة وتلييس ملبّس مجادل ، فكانوا يشوشون وجه الدلالة على المتأملين الناظرين بسبب إبداء الشبهات والمجادلات . فهذا هو المراد بقوله : ﴿ وَتَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ وهو المذكور أيضاً في قوله : ﴿ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [٥/٤٠] .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

وقوله : ﴿ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾ إشارة إلى القسم الأوّل . وقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقع حالاً . أي : عالمين بأنكم لا يسون ، كاتمون . فإنّه أقبح ، إذ الجاهل ربما يتصوّر له عذر ، والتقييد به لا يدلّ على جوازهما حال عدم العلم . بل على أنّ الإقدام على الفعل الضارّ مع العلم بكونه ضاراً أفحش من الإقدام عليه عند الجهل بكونه ضاراً . فلما كانوا عالمين بما في التلييس من المفاسد ، كان إقدامهم عليه [ أقبح ] .

وبالجملة - الخطاب متوجّه إلى رؤساء أهل الكتاب ، وهم يجحدون ما يعلمون وجحد المعاند أعظم من جحد الجاهل .

وقيل معناه : « وأنتم تعلمون البعث والجزاء » . وقيل معناه : « وأنتم تعلمون ما أنزل وسينزل ممّن كذب على الله تعالى » . وقيل معناه : « وأنتم تعلمون ما نزل



بيني اسرائيل من المسخ وغيره» .

والآية دالة على أن العالم بالحق يجب عليه إظهاره وبحرم عليه كتمانها .

\* \* \*

فإن قيل : كيف يجوز أن يكون هؤلاء عارفين بنبوة محمد ﷺ ، وذلك مبني على معرفة الله تعالى ؟ وعندكم إن من عرف الله لا يجوز أن يكفر . وهؤلاء صاروا كفاراً وماتوا على كفرهم ؟

قلت : للعلم مراتب : الظن ، واليقين ، والمشاهدة . والعلم الذي هو منشأ السعادة الأخروية والخلاص من العقاب الدائم هو اليقين الحاصل من البرهان الضروري الدائم ، وهو بذر المشاهدة الباطنية الدائمة ، وأما الظن فلا يغني عن الحق شيئاً . ولكن يكفي لصحة العمل ، وإبلاغ الحجّة . فلا يمنع أن يكونوا عارفين بالله [إبالتورية وبصفات النبي ﷺ] على وجه لا يستحق به الثواب ، لأن الثواب مترتب على العلم إذا عمل بمقتضاه .

وعند بعض أصحابنا - القائلين بالموافاة - إن استحقاقهم الثواب على إيمانهم مشروط بالموافاة ، فإذا لم يوافقوا بالإيمان لم يستحقوا الثواب . فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين ، وأن يكونوا مستحقين للثواب ، لإبطلالهم ذلك بالكفر . والمعتمد هو الأول .

## فصل

[ في ترهيب علماء سوء ]

قال الإمام الرازي في التفسير الكبير<sup>(١)</sup> : « هذا الخطاب - وإن ورد فيهم - فهو تنبيه لسائر الخلق ، وتحذير من مثله ، فصار الخطاب - وإن كان خاصاً في الصورة

فإنه عام في المعنى « - انتهى قوله .

واعلم إن أكثر من يوجد فيه تلبيس الحقّ بالباطل أو كتمان من العلماء هم الفقهاء ، الذين غلبت على أنفسهم الأهواء ، كحبت الجاه ، والتقرّب من الملوك والسلاطين ، وطلب المال . فإنهم لما غلبت عليهم الأهواء وطلب المراتب عند الملوك تركوا المحجّة البيضاء ، وجنحوا إلى التأويلات البعيدة ، ليمشوا بها أغراض الملوك وأغراضهم فيما لهم فيه هوى نفس ، ليستندوا في ذلك إلى أمر شرعي مع كون الفقيه ربما لا يعتقد ذلك ويفتي به .

وذكر الشيخ العارف المحقق محي الدين الأعرابي في الفتوحات : « إننا رأينا جماعة من الفقهاء والقضاة على هذا الشأن » .

وقال : « لقد أخبرني الملك ظاهر بن الملك صلاح الدين - وقد وقّع بيني وبينه كلام في مثل هذا - فنادى بمملوك وقال : جئني بالجرمدان (١) .

فقلت : ما شأن الجرمدان ؟ فقال : أنت تنكر علي مايجري في بلدي ومملكتي من المنكرات والظلم . وأنا - والله - أعتقد مثل ما تعتقد أنت فيه من ذلك . فليهم لعنة الله . ولقد أفناني فقيه هو فلان - وعين لي أفضل فقيه عنده في بلده في الدين والتشرف - بأنه لا يجب عليّ صوم شهر رمضان هذا بعينه . بل الواجب عليّ شهر في السنة . والإختيار لي فيه أي شهر شئت من الشهور - قال السلطان : - فلعتته في باطني ولم أظهر له ذلك ، وهو فلان - وسماه لي رجم الله جميعهم .

وليعلم إن الشيطان قد مكّنه الله من حضرة الخيال وجعل له السلطان فيها . فإذا رأيت الفقيه يميل إلى هوى تعرف أنه تردى عند الله زين الله له سوء عمله بتأويل غريب يمهّد له فيه وجهاً ، فحسنة في نظره ، فإذا مهّد له هذا السبيل جنح إلى نيل هواه

(١) لم أجد اللفظ فيما عندي من كتب اللغة . والظاهر إنه معرب من الفارسية وأصله

« جامه دان » أو « جرمدان » .

وشهوته بوجه شرعي في زعمه ، فلا يزال هكذا فعله « إنتهى كلامه .

واعلم إن علماء العلوم الحقيقية آمنين سالمين من هذه الأمراض والفتن ، فإن علومهم وحالاتهم مخفية عن العوام والحكام ، وإنما يعرض هذه الأمراض والفتن - أكثر ما يعرض - للوعاظ والفقهاء الذي اقتصروا على علم الفتاوى والحكومات والمعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش ، وخصصوا علم الفقه بها وستوه علم المذهب وعلم الدين ، فربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ، ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ، والبطن عن الحرام ، والرجل عن المشي إلى السلطان ، وكذا سائر الجوارح . ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات المهلكات .

قال الغزالي في كتاب الإحياء مُشيراً إليهم : « هؤلاء هم المغرورون من وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم .

أما من حيث العمل : فمثلهم كمثل المريض ، إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه - لا - بل مثلهم كمثل من به علة البواسير أو البرسام ، وهو مشرف على الهلاك محتاج إلى تعلم الدواء واستعماله ، واشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلاً ونهاراً ، مع علمه بأنه رجل لا يبيض ولا يستحيض ، ولكن يقول : ربما يقع علة الاستحاضة بإمرأة تسألني عنها . فذلك غاية الغرور .

فكذلك المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات ، والحسد والكبر والرياء - وسائر المهلكات الباطنة ، وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي ، ويلقى الله وهو عليه غضبان ، فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة ، والظهار ، واللعان ، والجراحات ، والديات ، والدعاوى والبيئات ، وبكتاب الحيض . ولا يحتاج إلى شيء من ذلك في عمره لنفسه ، وإذا احتاج غيره كان للمفتين كثرة . فيشتغل بذلك ويحرص<sup>عليه</sup> لما فيه الجاه والرياسة . وقد دعاه الشيطان ولا يشعر ،

إذ المغرور يظنّ إنّه مشغول بفرض دينه ، وليس يدري إنّ الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية .

هذا لو كانت نيّته صحيحة كما قال ، وقد قصد بالتفقه وجه الله ، وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظنّ إنّه علم الدين ، وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وترك أيضاً علم تهذيب [الأخلاق] وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته ، وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ، ويحمل على التقوى . فتراه آمناً من الله ، مغترّاً به ، متكلاً على أنه لا بدّ أن يرحمه ، فإنّه قوم دينه ، وإنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطّل الحلال والحرام ، فقد ترك العلوم التي هي أهمّ ، وهو غافلٌ مغرور ، وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ، ولم يدرك أنّ ذلك الفقه هو الفقه عن الله ، ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ، ليستشعر القلب بلازم التقوى ، إذ قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [١٢٢/٩] .

والذي يحصل به الإنذار غير هذا العلم ، فإنّ مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات ، وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات . والمال في طريق الله آلة ، والبدن مركب . وإنما العلم المهمّ هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة . فهي الحجاب بين الله وبين العبد ، فإذا مات ملوّثاً بتلك الصفات كان محجوباً عن الله .

فمثاله في الاقتصاد على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الآخرة على علم حرز الراوية والخفت . ولا شك في أنّه لو لم يكن لتعطّل الحجّ ، ولكن المقتصر عليه ليس من الحجّ في شيء .

ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ، ولم يهتمه إلا طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم ودفع الحقّ لاجل الغلبة والمباهاة ، [فهو أطول الليل

والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب ، والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع الشبهات المؤذية للقلوب .

وهؤلاء هم سباع الإنس ، وطبعم الأبداء ، وهم السّفه ، ولا يقصدون العلم إلاّ للمباهاة . فكلّ علم لا يحتاجون إليه في المباهاة - كعلم القلب ، وهو علم سلوك الطريق إلى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة - فإنّهم يستحقرونه ويسمّونه التزويق وكلام الوعّاظ .

وأما التحقيق فهو عندهم معرفة تفاصيل العرّبة التي تجري بين المتصارعين في الجدل .



مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

قوله عز اسمه :

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكعُوا مَعَ الرَّكعِينَ ﴿١٤٣﴾

لَمَّا أَمَرَهُمْ أَوَّلًا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ كَالْإِيمَانِ بِالْمَعَارِفِ الإِلَهِيَّةِ الْمُنزَلَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقُرْآنِ ، ثُمَّ نَهَاهُمْ ثَانِيًا عَنِ الْكُفْرِ بِهَا طَلِبًا لِلْعَاجِلِ وَعَنِ الْمَقَالِطَةِ وَتَلْيِيسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ، وَكُتْمَانِ دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ ، فَكَلَّفَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّزَامِ الْأَعْمَالِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَذَكَرَ مِنْ جَمَلَتِهَا مَا هُوَ كَالدَّعَائِمِ وَالْأَصُولِ فِيهَا - وَهُوَ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالزَّكَاةُ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَّةِ - أَعْنِي صَلَاةَ الْمُسْلِمِينَ وَزَكَوَتَهُمْ ، وَإِنْ غَيْرَهُمَا كَلَّا صَلَاةً وَلَا زَكَوَةً ، وَبِالْجَمَلَةِ أَمَرَهُمْ بِفُرُوعِ الْإِسْلَامِ الْعَمَلِيَّةِ كَمَا أَمَرَهُمْ بِأَصُولِهِ الْعِلْمِيَّةِ .  
وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ بِأُمُورٍ بِالْفُرُوعِ وَإِنْ لَمْ يَصَحَّ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْإِيمَانِ .

### [ الصلوة ]

واعلم إن لفظ الصلوة من الأسماء الشرعية ، ولا شبهة في أنها عربية ، فلا يجوز أن يكون الشرع ارتجلها ابتداء من غير نقل ، وإلا فلم يصح قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [٢/١٢] فلا بد أن يكون له في اللغة معنى آخر . فاختلفوا في أصله :

فقيل : الدعاء . قال الاعشى (١) .

عليك مثل الذي صليت فاعتمضي \* نوماً فإن لجنب المرء مضطجعاً

أي : دعوت . وقيل : اللزوم . قال الشاعر (٢) :

لم أكن من جناتها - عليم \* الله - وإنني بحرّها اليوم صال

أي : ملازم بحرّها . فكان معنى الصلوة ملازمة العبادة على الحد الذي أمر

الله به .

وقيل : أصلها من « الصلا » وهي : عظم العجز . لرفعه في الركوع والسجود .

وقيل : مأخوذة من « المصلي » وهو الفرس الذي يتبع غيره .

وعلى القول الأول أكثر العلماء ، إذ لا صلوة إلا ويقع فيها الدعاء أو ما يجري

مجراه . وربما تخلو صلوة عن متابعة الغير ، وإذا عمّ وجه الشبه في كل الصور كان

أولى مما يختص ببعضها . وأيضاً اطلاق اسم الجزء على الكل أمر شائع مشهور ،

فالحمل عليه أولى .

قال بعض الصوفية (٣) : اشتقاق الصلوة قيل من « الصلي » . وهي النار . والخشبة

المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم . وفي العبد اعوجاج لوجود

نفسه الأمارة بالسوء ، وسبحات وجه الله الكريم التي لو كشف حجابها لأحرقت من

أدركته ، يصيب بها المصلي من وهج السطوة الإلهية والعظمة الربانية ما يزول

اعوجاجه ، بل يتحقق به معراجُه . فالمصلي كالمصطلي بالنار . ومن اصطلي بنار انص

وزال بها اعوجاجُه لا يعرض على نار جهنم . آة القسم .

(١) جاء في تفسير الفخر الرازي « فاعتمضي » بد «مضي» و« عيناً » بدل « نوماً » :

وقبله كما في مجمع البيان :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً : \* يارب جنب أبي الآصاب والوجما

(٢) هو الحارث بن عباد البكري . (٣) عوارف المعارف : ١٥٩ .

وروى أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني - ره - في الكافي ، والصلوة في كتاب من لا يحضره الفقيه (١) : إنه قال رسول الله ﷺ : « ما من صلوة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الناس : أيها الناس - قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتُموها على ظهوركم ، فاطفئوها بصلواتكم » .

وقد ورد : « إن الله إذا تجلّى لشيء خضع له » ومن يتحقق بالصلة في الصلوة تلمع له طوالع التجلي فيخشع ، والفلاح للذين هم في صلواتهم خاشعون ، وبانتفاء الخشوع ينتفي الفلاح وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين .

وروى ابن عباس (٢) عن رسول الله ﷺ : « لما خلق الله تعالى الجنة عدن ، وخلق فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال لها : تكلمي . قالت : « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » - ثلاثاً » .

وعن رسول الله ﷺ (٣) : « إن العبد إذا قام إلى الصلوة فإنه بين يدي الرحمن ، فإذا التفت قال له الرب : إلى من تلتفت ؟ إلى من هو خير لك مني ؟ ابن آدم - <sup>كراة ما تلتفت</sup> أقبل إليّ ، فأنا خير لك من أن يلتفت إليه » .

وأبصر رسول الله ﷺ رجلاً يعث بلحيته في الصلوة ، فقال له (٤) : « لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه » .

وقال بعضهم (٥) : « الصلوة في اللنة هي الدعاء . فكان المصلي يدعو الله بجميع جوارحه ، فصارت أعضاؤه كلها ألسنة ، يدعو بها ظاهراً وباطناً ، وتشارك الظاهر والباطن بالتضرع والتقلب في الهيئات والتملقات ، تملق متضرع سائل محتاج . فإذا

(١) جاء الحديث في الفقيه (باب فضل الصلاة : ٢٠٨/١) وما وجدته في الكافي .

(٢) راجع الدر المنثور : ٢/٥ . ولم يرد فيه لفظة : « ثلاثاً » .

(٣) راجع كنز العمال : ٥٠٣/٧ الحديثين رقم : ١٩٩٧٤ و ١٩٩٧٩ .

(٤) الجفريات : ٣٦ . ٥ - عوارف المعارف : ١٦٠ و ١٥٩ .



دعا بكلّيته أجا به مولاه ، لأنه وعد فقال : ﴿ اَدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [٦٠/٤٠] أمرهم بالدعاء ، ووعدهم بالإجابة ، وليس بينهما شرطٌ .

« والاستجابة والإجابة هو نفوذ دعاء العبد . وإنّ الداعي الصادق ، العالم بسيدعوه بنور يقينه تخرف دعوته الحجب ، وتقف الدعوة بين يدي الله متقاضية للحاجة .»

« وإذا كانت الصلوة للذكر فكيف يسع فيه النسيان ، قال الله تعالى : ﴿ لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [٤٣/٤] فمن قال ، ولا يعلم كيف يصلي - وقد نهاه الله عن ذلك - فالسكران يقول الشيء لابقصور عقلي ، وكذلك الغافل الذي يصلي لابقصور القلب فهو كالسكران .»

« وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى لموسى ﴿ اِنلِخْ نَعْلَيْكَ اِنَّكَ بِالْاَوَادِ الْمَقْدَسِ طَوَى ﴾ [١٢/٢٠] أي : « همك بامرأتك وغنمك » . فالإهتمام بغير الله سكر في الصلوة .»

« وقيل : إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرفعون أبصارهم يمينا وشمالا . فلما نزلت : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [٢/٢٣] جعلوا وجوههم حيث يسجدون . وما رُئي بعد ذلك أحد منهم ينظر إلا إلى الأرض .»

« وخص الله هذه الأمة بإنزال فاتحة الكتاب ، وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع إلى الإجابة ، وهي تعليم الله عباده كيفية الدعاء . وفاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن العظيم .»

« وقيل : سميت مثاني لأنها نزلت على رسول الله ﷺ مرتين . مرة بمكة ، ومرة بالمدينة . وكان له ﷺ بكل مرة نزلت منها فهم آخر . بل كان له بكل مرة قرأها - على الترداد مع طول الزمان - فهم آخر . وهكذا أهل التحقيق من المصلين من أمته ، ينكشف لهم عجائب أسرارها ولوامع أنوارها ، ويقذف لهم كل مرة دُرر بحارها .»

وعن رسول الله ﷺ ، إنه قال <sup>(١)</sup> : « إذا قام أحدكم إلى الصلوة فليسكن أطرافه ولا يتمبل يتمبل اليهود ، فإنَّ سكونَ الأطراف من تمام الصلوة » .  
وقال رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup> : تعوذوا بالله من خشوع النفاق . وقيل : وما خشوع النفاق ؟ قال : خشوع البدن ونفاق القلب .

\* \* \*

واليهود يتمبلون في الصلوة . قال بعض الصوفية <sup>(٣)</sup> : «سببه إنه كان موسى ﷺ يعامل بني اسرائيل على ظاهر الأمور ، لقلّة ما في باطنهم من نور المعرفة ، وكان يهيب الأمور في أعينهم ويعظمها ، ولهذا المعنى أوحى الله تعالى أن يحلّى التورية بالذهب .

ووقع لى - والله أعلم - إن موسى ﷺ كان يرد عليه الوارد في صلوته ومحالّ مناجاته ، فيتموج به باطنه كبحر ساكن يهتّب عليه ، فتتلاطم الأمواج ، فكان تمايل موسى ﷺ لتلاطم أمواج بحر القلب إذا هبت عليه نسيمات الفضل . وربما كانت الروح يتطّلع إلى الحضرة الإلهية ، فيهم بالاستعلاء ، وللقالب بها تشبه وامتزاج ، فيضطرب القالب ويتمايل ، فيرى <sup>[اليهود]</sup> ظاهره ، فتمايلوا من غير حظّ لبواطنهم من ذلك .

ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ - إنكاراً على أهل الوسوسة : هكذا خرجت عظمته من قلوب بني اسرائيل ، حتى شهدت أبدانهم ، وغابت قلوبهم . لا يقبل الله صلوة امرء لا يشهد فيها قلبه كما يشهد به بدنه . وإنّ الرجل على صلوته دائم لا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهياً لاهياً» .

(١) الجامع الصغير : ٣٣/١ .

(٢) كنز العمال : ٥٢٦/٧ . (٣) عوارف المعارف : ١٦٠ .

## تنبيه

## [ فضل الصلوة ]

واعلم إنَّ الله تعالى أوجب الصلوة الخمس وقد قال ﷺ (١) « الصلوة عماد الدين » و (٢) « من ترك الصلوة فقد كفر ». وعنه ﷺ في طريق أهل البيت ﷺ (٣): « ما تقرب العبد إلى الله بشيء بعد المعرفة أفضل من الصلوة » فبالصلوة تحقيق العبودية وأداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلوة .

قال سهل بن عبدالله التستري (٤): يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ، ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ، ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا .

وقد ورد في الأخبار (٥): إنَّ العبد إذا قام إلى الصلوة رفع الله تعالى الحجاب بينه وبينه ، وواجهه بوجهه الكريم ، وقامت الملائكة من لدن منكبته إلى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه ، وإنَّ المصلّي لينثر عليه البرّ من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ، ويناديه منادٍ : لو علم المصلّي من يناجي كما التفت - أو ما انفتل - . وقريب من هذا ما رواه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٥) ، عن محمد ابن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، إنّه قال : « للمصلّي ثلاث خصال : إذا هو قام في

(١) الجامع الصغير : ٥١/٢ .

(٢) الجامع الصغير : ١٦٨/٢ .

(٣) الفقيه : باب فضل الصلوة ٢١٠/١٠ . (\* عوارف المعارف : ١٦٠ .

(٤) جاء ما يقرب من الشطر الاول في كثر العمال : ٢٩٨/٧ والشطر الثاني : ٢٨٦/٧ .

والشطر الثالث : ٢٨٩/٧ . وجاء في عوارف المعارف (١٦٠) لينثر بدل لينثر ويمن قرأه سنة الصنف ايضا كذلك .

(٥) ما وجدت الحديث في الكافي ، وهو في الفقيه : باب فضل الصلوة ، ٢١٠/١ .

وجاء ما يقرب منه في الكافي عن الصادق (ع) : ٢٦٥/٣ .

صلوته حفت به الملائكة من قدميه إلى أعنان السماء ، وتناثر البرّ عليه من أعنان السماء إلى مفرق رأسه ، وملك موكل به ينادي : لو يعلم المصلّي من يناجي ما انقلع وقيل : قد جمع الله تعالى للمصلّين في كلّ ركعة مفرّق على أهل السموات فله ملائكة في الركوع مذ خلقهم الله لا يرفعون رموسهم من الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والقعود . والعبد المتيقظ يتصف في ركوعه بصفة الراكعين منهم . وفي السجود بصفة الساجدين منهم . وفي كلّ هيئة هكذا . ويصير كالواحد منهم وبينهم .

وقيل <sup>(١)</sup> : في الصلوة أربع هيئات ، وستة أذكار . فالهيئات : القيام والقعود والركوع والسجود . والأذكار : هي التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلوة على النبي وآله . فصارت عشرة كاملة ، يتفرّق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة ، كلّ صفّ عشرة آلاف ، فيجتمع له في الركعتين ما يتفرّق على مائة ألف من الملائكة .

\* \* \*

وفي طريق أصحابنا الإمامية - رضوان الله عليهم - أحاديث كثيرة في فضل الصلوة وأسرارها ، نقلها جميعاً يؤدّي إلى التطويل :  
منها إنّه قال النبي ﷺ <sup>(٢)</sup> : « مثل الصلوة مثل [عمود] القسطنطين ، إذا ثبتت العمود ثبتت الأطناب والأتاد والغشاء ، وإذا انكسر العمود لم ينفع طنّب ولا وقد الغشاء (ومن) ولا غشاء » .

وقال ﷺ <sup>(٣)</sup> : « إنّما مثل الصلوة فيكم كمثل السريّ - وهو النهر - على باب أحدكم ، يخرج إليه في اليوم والليل ، ويغتسل منه خمس مرّات » .  
وقال الصادق عليه السلام <sup>(٤)</sup> : « من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه » .

(١) راجع قوت القلوب : ١٠٠/٢ ، والفقرات مأخوذة من عرارف المعارف : ١٦٠

(٢) الفقيه : باب فضل الصلوة ، ٢١١/١ .

أقول : وذلك لأن الصلوة مشتملة على معرفة الله وصفاته وتوحيده واليوم الآخر ، وكل من أداها بشروطها عارفاً بأصولها وأركانها ، فهو من أهل القرب والولاية ، فكيف تمسه النار ، وهو في بحبوحة القرب .

وقال الصادق عليه السلام <sup>(١)</sup> : أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل وهو ساجد قال الله تعالى ﴿ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [١٩/٩٦] .

وقال أبو جعفر عليه السلام <sup>(١)</sup> : ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلوة إلا اكتنفته بعد من خلفه <sup>(٢)</sup> ملائكة يصلون خلفه ، ويدعون الله عز وجل له حتى يفرغ من صلوته .

## فصل

### [ في الزكوة ]

وأما الزكوة فهي جاءت في اللغة [بمعنى النماء] . قال : « زكى الزرع » إذا نعى . وبمعنى التطهير ، قال تعالى : ﴿ أَقْلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [٧٤/١٨] أي : طاهرة وقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْهَا ﴾ [٩/٩١] أي : طهرها . وقال : ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾ [١٨/٣٥] أي تطهر بطاعة الله . ولعل إخراج نصف دينار من عشرين ديناراً - مثلاً - سمي في الشرع « زكوة » نظراً إلى هذين الوجهين .

فعلى الوجه الأول : يستجلب الزكوة بركة في المال ، وفضيلة في النفس ، فهي نماء في المعنى وإن كان نقصان في الصورة ، لأن في هذا الإعطاء يدفع الله البلاء عن المال ، ويزيد في قوة النفس بترك الحرص في الحال طلباً للثواب في المال . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم <sup>(٣)</sup> : « عليك بالصدقة ، فإن فيها ست خصال ،

(١) الفقيه : باب فضل الصلوة ، ٢٠٩/١ .

(٢) الفقيه : بعدد من خلفه .

(٣) تفسير الفخر الرازي : ٤٩٣/١ .

ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة . فأما التي في الدنيا فتزيد في الرزق ، وتكثر في المال ، وتعمر الديار . وأما التي في الآخرة فتستر العورة ، وتصير ظلًّا فوق الرأس ، وتكون سترًا من النار .

وعلى الوجه الثاني فتطهر المال من الوسخ والخبث ، وتطهر النفس من الرذيلة والبخل . قال تعالى لبيته : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [١٠٣/٩] .

\* \* \*

واعلم إن سر الزكوة وعلة وجوبها تطهير النفس عن محبة المال ، وفي كلام سقراط الحكيم : « محبة المال وتد الشر » وقال عليه السلام (١) « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وقرء بعض الفضلاء هذا الحديث هكذا : « حب الدينار رأس كل خطيئة » (٢) .

وأما مواساة الفقراء : فهي واقعة بالعرض ولا تصيب قدرة الله عن أن يرزقهم من وجه آخر ، غير ايجاب الزكوة على الأغنياء .

وروى أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٣) - رحمه الله - عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال : « مانع الزكوة بطوق بحية قرعاء تأكل من دماغه » . وذلك قول الله عز وجل : ﴿ سَيَبْطُؤُنَّ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [١٨٠/٣] .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (٤) : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه : « ملعون كل مال لا يزكي . ملعون كل جسد لا يزكي » .  
وبرواية أخرى عن الصادق عليه السلام (٥) : « ملعون ملعون مال لا يزكي » .

(١) الجامع الصغير : ١٤٦/١ .

(٢) بجعل الدنيا « ديناراً » والرأس « أساً » وهو تصحيف يخالف المرادي (منه - ره)

(٣) الكافي : باب منع الزكوة ، ٥٠٥/٣ ، ٥٠٢ .

(٤) قرب الاسناد : ٣٣ .

(٥) الكافي : باب منع الزكوة ، ٥٠٥/٣ .

وروي محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام <sup>(١)</sup> إنه قال : « مامن عبد منع من زكوة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نارٍ مطوقاً في عنقه ، ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب ، وهو قول الله تعالى : ﴿ سَيَطَوَّقُونَ مَابْخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [١٨٠/٣] .

وروي عن رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup> إنه قال : « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ [مَالاً] لَمْ يُوَدِّ زَكْوَتَهُ مِثْلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعاً أَقْرَع . له زبيبتان بطوقه ، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شديقه - ثم يقول : أنا مالك . أنا كنزك . - ثم تلا - : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - الْآيَةَ ﴾ [١٨٠/٣] .

وعن رسول الله ﷺ <sup>(٣)</sup> . « مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم ، فتكوي بها جنبه وجبينه وظهره كلما ردت <sup>(٤)</sup> أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيرى سبيله ، إما إلى الجنة ، أو إلى النار .

وقال ﷺ : - ولأصاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر <sup>(٥)</sup> أوفر ما كانت ، لا يفقد منها فصيلاً واحداً ، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواها كلما مرّ عليه أوليها ردّ عليه أخريها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله إما إلى الجنة . وإما إلى النار .

ولأصاحب بقر ولاغتم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع

(١) الكافي : باب منع الزكوة ، ٥٠٤/٣ .

(٢) البخاري : باب اثم مانع الزكوة : ١٣٢/٢ .

(٣) مسلم : كتاب الزكوة : ٦٤/٧ .

(٤) مسلم : كلما بردت .

(٥) بطح : ألقى على وجهه . القاع والقرقر : كلماها بمعنى الأرض المستوية .

فَرَقَرَّ لا يفقد منها شيئاً ، ليس فيها عَقْصَاءٌ ولا جَلْحَاءٌ ولا عَضْبَاءٌ (١) تنطحه بقرونها ، وتعلّاه بأظلافها ، كلما مرّ عليه أوليها ردّ عليه أخربها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله ، إِمَّا إلى الجنة ، وإِمَّا إلى النار .

وروي أيضاً عن رسول الله ﷺ (٢) : « مامن رجل يكون له إبلٌ أو بقرةٌ أو غنمٌ لا يؤذي حقها إلّا أتى بها يوم القيامة أعظم ما يكون وأسمته ، تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ، كلما جازت أخربها ، ردّت عليه أوليها ، حتى يقضى بين الناس » .



واعلم إنّ هذه التمثيلات المشاهدة يوم القيامة ، كما ورد في هذه الأحاديث - كلّها حقٌّ وصدق يجب الإيمان بها ، ولكنني أراك - يا حبيبي - عاجزاً عن فهمها وسرّ حقائقها وروح معانيها ، لأنك ونظرائك هاكفون على أصنام الأجسام الدنيوية ، لاتجاوزونها في باب الاعتقاد .

ولونظّرتم إلى هذه الأجسام الدنيوية المشاهدة لهذه الحواس أيضاً لعلمتم إنّ أصلها نشأت من المعاني والجهات العقلية التي اقتضت وجودها اقتضاء ذاتياً ، كعلوم الباري جلّ ذكره ، وأودراكات المبادي المقومة إياها ، فهذه الأجسام كأنها معانٍ تجسّمت وتكوّنت وانحصرت في مضائق الأبعاد والأحياز ، وكأنها أرواح تجسّدت ، وعقول تشكّلت ، إلّا أنّ بعضها وجدت على سبيل الحركة والاستعداد بمشاركة انفعال من المواد ، وبعضها نشأت على سنة الإبداع في الأيجاد .

وأنا الدار الآخرة - وهي دار القرار ودار جلال الله وكبريائه - فالقدرة فيها

(١) العَقْصَاءُ: ملتوية القرنين . الجَلْحَاءُ: التي لاقرن لها . العَضْبَاءُ: التي انكسر قرنها

الداخل .

(٢) البخاري : كتاب الزكوة : ١٤٨/٢ .



أوسع وأقوى ، فبأن يتكوّن به الأشكال والأمثال والأبعاد والاجرام من المعاني والاعتقادات والافكار والملكات كان أليق وأولى .

فليعلم إن هذا الثعبان المطوق في عنق مانع الزكوة ، والحيّة القرعاء التي تأكل من دماغه ، والشجاع الأقرع المتمكّن من أن يأخذ بلهزمته - المتمثل له يوم الآخرة - وكذا الإبل والبقر والغنم التي ستطأ يوم القيامة بأخفافها وتنطحه بقرونها ليست بأمر خارجة عن ذات الميت - أعني ذات روحه لا ذات جسده فإنّ الروح هي التي تتألم وتتعم - بل هي مما كانت معه قبل موته متمكّنة من صميم باطنه : لكنّه لم يكن يحسّ بلدعها وكيّها ووطئها ونطحها ، لخدّر وسكر كانا فيه لغلبة الشهوات والشواغل الملهية عن ذكر الآخرة ، المنسيّة للقاء عالم المعاني والحقائق المتمثلة بصورها الأصلية .

فإنّ لكل معنى صورة أصلية هي مثال ذاتها بالحقيقة، وصورة مجازية لها تعلق ما بتلك الصورة الأصلية ، فهي مثال المثال .

فالأشكال الأخروية هي أمثالات المعاني والحقائق ، والأجسام الدنيوية هي أمثالٌ وضعيّة تمثّلت بتوسط الحركات والانفعالات ، فهي كالنسخة الثانية لكتاب الحقائق ولهذا متابع فيها الخطأ في الحكاية عنها لمن قلّت ممارسته لقراءة الكتب، فيرى الظلمة نوراً ، والظلّ حروراً ، والهاوية قصوراً ، والمحنة سروراً ، والعذاب راحة ، والنقمة نعمة ، والقيح حسناً ، والحسن قبيحاً .

فجميع ملاذ الدنيا ينقلب آلاماً في الآخرة ، وذلك مما يشاهده أهل البصيرة بعيون قلوبهم الصافية عن غشاوة الشكّ والامتراء ، فهم يشاهدون كيف تتمثل هذه الهيئات النفسانية وتتجسّم يوم القيامة ، ويقرءون كتابهم وكتاب غيرهم قبل نشر الكتب ، ويحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا .

فيعلمون إنّ جميع ماورد في باب مانع الزكوة حقٌ وصدق ، ويعلمون سرّ

قوله تعالى : ﴿ فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [٣٥/٩] وسرقوله ، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ ﴾ [١٠٧/١٦] وقوله : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا - الآية ﴾ [٢٠/٤٦] .

ولو كانت هذه الأمور المؤلمة المعذبة عند الموت خارجة عن ذات الميت كما يظنه الظاهريون - لكانت أهون ، إذ ربما يتصور أن ينحرف عنه الثعبان ، أو ينحرف هو عنه ، أو يقع بينهما حاجزٌ ، لا - بل هو متمكن من صميم فؤاده يلذعه لذعاً أعظم مما يفهمه من لذع هذه الثعابين ، وهو بعينه صفته التي كانت معه في الدنيا - أي محبته للمال التي منشا تألمه بفقده في المال .

### فصل في تحقيق ما يؤول علوم السلاوي

قوله [تعالى] : وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ

أي : صلوا مع المصلين المسلمين . فإن صلوة الجماعة تفضل صلوة الفرد الفذ بسبع وعشرين درجة .

وفي رواية أصحابنا (١) : « صلوة الرجل في جماعة تفضل صلوة الفرد بأربع وعشرين صلوة . فيكون خمساً وعشرين صلوة » لما فيها من تظاهر النفوس .  
وعبر عن الصلوة بالركوع تسميةً للكل بأشهر أجزائه . لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التي يستدل بها على أن الإنسان يصلي . فعلى هذا لا تكرر لفظاً ولا معنى . لأن في الأول أمر باقامتها ، وفي الثاني أمر بفعالها مع الجماعة .  
وقيل : كأنه كرر لفظ الصلوة تأكيداً . ويحتمل أيضاً أن يكون الأول إشارة

(١) وسائل الشيعة : أبواب صلوة الجماعة ، الباب ١ : ٥ / ٣٧٠ .

إلى مطلق الصلوة ، أو الصلوة التي تعرفونها . والثاني إشارة إلى الشرعية . وقيل : خص الله الركوع بالذكر ، لأن صلوة اليهود لا ركوع فيها . ففيه تكليف لهم بصلوة المسلمين . وقيل : المراد من الركوع : الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الشاعر (١) :

لا تذلّ الضيف (٢) علك أن \* تركع يوماً والدهرُ قد رفعه

فكأنه تعالى لما أمرهم بالصلوة والزكوة ، أمرهم بعد ذلك بالانقياد والخضوع وترك التمرد . كما قال الله تعالى في مقام المدح : ﴿ أَدِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٥٤/٥] وقد وقع هكذا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [٥٥/٥] .

مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

(١) هو أصبغ بن قريع . راجع خزائن الأدب : ٥٨٩/٤ .

(٢) كذا . والظاهر أنه محرف والصحيح : «لاتهين الفقير» راجع تهذيب اللغة : ٣١٢/١

ومعنى اللبيب : الباب الاول : حل ، ١٥٥/١ .

قوله جلّ اسمه :

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ

وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

الهمزة للتقرير مع التقريع والتعجيب .

البرّ - في اللغة - والإحسان والصلة نظائرُ . يقال: فلان بارّ، وصول، مُحين .  
و ضد البرّ: العُوق . والبرّ والبرّ لغتان . وقولهم : « لا يعرف الهرّ من البرّ » قال  
الأخفش : « معناه لا يعرف من يهرّ عليه ممن يبرّ عليه » . وقال المازني : « الهرّ :  
السنور . والبرّ : الفأرة او دوية تشبهها » .

والبرّ اسم جامع لأعمال الخير، ومنه « برّ الوالدين » و « عمل مبرور » . وقد  
يكون بمعنى الصدق ، كما يقال: « برّفي يمينه » أي : صدق ولم يحنث . وقيل: البرّ  
التوسّع في الخير ، من البرّ - وهو القضاء الواسع - يتناول كلّ خير . ولذلك  
قيل : « البرّ ثلاثة : برّ في عبادة الله ، وبرّ في مراعات الأقارب ، وبرّ في معاملة  
الأجانب » .

والنسيان والسهو والغفلة متقاربة في المعنى ، والتفاوت بينهما بالشدة  
والضعف كما انّ للذكر مراتب متفاوتة : ما بالفعل ، وما بالقوة القرية ، أو البعيدة .  
﴿ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ أي تقرعون التوراة وتدرسونها ، وتعلمون ما فيها من  
الحثّ على أفعال البرّ والإحراض عن أفعال الإثم . أو أنتم من أهل التلاوة والدراسة

والمذاكرة للكتب العلمية ولستم من العوام والجهال ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قُبِحَ ما تَفْعَلُونَ!؟  
والعقل والفهم والمعرفة واللبّ نظائر ، وضد العقل الحمق .

والعقل في الأصل : الحبس والربط . والعقال : الرباط . يقال : « عقلتُ البعيرَ أعقله عقلاً » إذا شددت يده بالعقال . فسمي به الإدراك الإنساني ، لأنه يحبسه عن فعل ما يقيح ويعقله عن فعل ما يحسن ، ثمّ تسمّى به القوة التي بها النفس تدرك هذا الإدراك .

وقيل : العقل مجموع علوم لأجلها يمتنع الحيّ من كثير من المقبحات ، ويفعل كثيراً من الواجبات . وإنما سمي تلك العلوم « عقلاً » لأنها تعقل عن فعل القبيح ولا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل ، لأنه لا يعقله شيء عن فعل القبيح ، وإنما لا يختاره لغيره عنه وعلمه بقبحه ، ولعلمه بوجوه الحكمة والمصلحة المتقتضية لفعل الخير علماً ذاتياً .

وقيل : العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل ، ومن كان زاجره أقوى فهو أعقل . وقيل : العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة . وقيل : هو التمييز الذي فارّق الإنسان سائر الحيوان - وهذه الأقوال متقاربة المعاني .

\* \* \*

ولفظ « العقل » يُطلق في عرف الحكماء على معاني أخرى : منها قوّة في النفس تسمّى عقلاً نظرياً ومنها قوّة أخرى فيه تسمّى عقلاً عملياً - ولكل منها مراتب أربعة يطلق عليها اسم العقل - ومنها جوهر مفارق في الوجود والتأثير عن الأجسام وما يتعلق بها ، وهو أشرف أقسام الممكنات ولا واسطة بينه وبين الباري جلّ ذكره .

## فصل

واختلفوا في أنّ المراد من ﴿البر﴾ في هذه الآية ماذا ؟  
 فعن ابن عباس : إنها نزلت في أحبار المدينة ، كانوا يأمرّون الناس سرّاً -  
 من تصحبوه - باتّباع محمد ﷺ ولا يتبعون .  
 وعن السدي : كانوا يأمرّون بطاعة الله وينهونهم عن معصيته ، وهم كانوا  
 يتركون الطاعة ويقدمون على المعاصي .  
 وعن ابن جريح : إنهم كانوا يأمرّون الناس بالصلوة والزكاة ، وهم  
 يتركونهما .  
 وعن الزجاج : كانوا يأمرّون الناس ببذل الصدقة ، وكانوا يشحّون بها :  
 لأنّ الله تعالى وصفهم بقساوة القلوب وأكل الربا والسحت .  
 وعن أبي مسلم : إن جماعة من اليهود كانوا قبل مبعث رسول الله ﷺ يخبرون  
 مشركي العرب إنّ رسولا سيظهر منكم ويدعوكم إلى الحقّ ، وكانوا يرغبونهم في  
 اتّباعه ، فلما بعث الله محمداً ﷺ حسدوه وكفروا به .  
 وفيه وجوه أخرى مذكورة في التفسير الكبير وغيره<sup>(١)</sup> ، واقتصرنا عنها بما هو  
 أولى وأقرب .

\* \* \*

وفي قوله : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ عظيم أي : كأنكم في عدم تفطنكم لقبح  
 ما أقدمتم عليه - وهو غير خافي على أوائل العقول وبداياتها - مسلوبوا العقول .  
 وإلا فلا وجه لصدور مثله عمّن يعقل ويميّز بين الحسن والقبح . ونحوه قوله تعالى  
 ﴿أَفَلَا لَكُمْ وَلِيمًا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٦٧/٢١] .

(١) راجع تفسير الفخر الرازي: ٤٩٤/١ ، مجمع البيان : ٩٨/١ ، الدر المنثور: ٦٤/١

وفيه حجة اعترافية وله جوابٌ أشعري . والتحقيق خارج عما يدركه كل من الفريقين بإحدى العينين .  
وقيل معناه : أفلا تعلمون إن الله يعذبكم ويعاقبكم على ذلك . وقيل : أفلا تعلمون إن ما في التوراة حق ، فلم لاتصدقون محمداً ﷺ ولا تتبعونه .

## فصل

[ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ]

ولك أن تقول : إذا كان فعل البرّ واجباً ، والأمر به واجباً ، فلماذا وبّخهم الله تعالى على الأمر بالبرّ ؟  
والجواب : لم يوبّخهم على الأمر بالبرّ . وإنما وبّخهم على ترك فعل البرّ المضموم إلى الأمر به ، لأن ترك البرّ ممن يأمر به أفصح من تركه ممن لا يأمر به . كقول الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله \* عار عليك إذا فعلت عظيم

ومعلوم إنه لم يرد به منعه عن النهي عن الخلق المذموم ، وإنما نهاه عن إتيان مثله فالمراد بالآية حث الواعظ على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل ، ليقيم ، ويكمل فيكمل . لامنح الفاسق عن الوعظ - كما توهم - فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بها لا يوجب الإخلال بالآخر .

\* \* \*

وقال بعضهم : ليس للعاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، بل يجب أن لا يكون الأمر والنهي مرتكباً للمحرمات ، واشترط العدالة محتجاً بالنقل والعقل : أما النقل : فهذه الآية ، وقوله تعالى : ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كبر مقتاً عند الله

أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣/٦١﴾ وما روي عن النبي ﷺ إِنَّهُ قَالَ (١) : « مررت ليلة أسري بي بقوم تفرض شفاهم بمقاريض من نار ، فقلت : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فقالوا : كُنَّا نأمر بالخير ولا نأتيه . وننهي عن الشر ونأتيه . »

وأما المعقول : فهو إنه لو جاز ذلك لجاز لمن يزني بأمرأة أن ينكر عليها على كشف وجهها في أثناء الزنا . ومعلوم إن ذلك مستنكر عقلاً . وإن هداية الغير فرع الاهتداء ، والإقامة بعد الاستقامة . ولهذا قيل : « إن الإصلاح زكوة نصاب الصلاح » .

والجواب : إن المكلف كما هو مأمور بفعل المعروف ، مأمور بالأمر به للغير . وكما هو مأمور بترك المعصية ، مأمور بمنع الغير عن فعلها منطلقاً . ثم المنع عن الجمع بين فعل المعصية ومنع الغير عنها أو أمرهم بالطاعة يتصور على وجهين ، لكونه ذا جزئين . وفساد المركب من الجزئين إما أن يكون لفساد أحد جزئيه بخصوصه ، أو لفساد انضمام أحدهما بالآخر .

فهيهنا ثلاثة احتمالات ، لكن أحدها - وهو كون المنع متعلقاً بفعل الطاعة - ظاهر البطلان بالإتفاق . فبقي احتمالان آخران : أحدهما أن يكون المنع متوجهاً إلى فعل المعصية ، كنسيان النفس فيما نحن فيه . والثاني أن يكون متوجهاً إلى الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر مع فعل المعصية . فيكون المنع ههنا عن ترغيب الناس بالبر مع نسيان النفس والحق في معنى الآية عندنا هو الأول - لا الثاني - فسقط احتجاج الخصم بالآيتين وبما تضمنته حديث الإسراء .

وأما احتجاجه العقلي بما ذكره من المثال ، فلا نسلم أن مجرد انكاره عليها على كشف وجهها مستتبع عقلاً . بل الاستباح والاستنكار على مجموع الزنا والإنكار عند التحليل يرجع إلى فعل الزنا - لا إلى ذلك الإنكار .



وأما حديث الفرعية ، فكلام شعري كما لا يخفى .

وأيضاً : فالصغائر النادرة لاتخلّ بالعدالة ، ولفاعلها أن ينهي عن المنكر بالاتفاق مع اندراجها في الآيتين والحديث وما هو جوابكم فهو جوابنا .  
وأيضاً : لو تمت دلائلكم لاقتضت عدم وجوب الأمر والنهي إلا على المعصوم فينسد باب الحسبة .

بقي في هذا المقام شيء ، وهو إن من أمر بالخير ولايعمل به ، او نهى عن الشر وأتى به ، قد علم من حاله إنه متساهل في دينه ، ذو وهن في اعتقاده ، وإلا فما كان يفرغ من توبيخ نفسه إلى نصيحة غيره .



## فصل

[ الوعظ دون اتعاذ الواعظ ]

مركز بحوث ودراسات إسلامية

اعلم إن المقصود من الوعظ والترغيب بالطاعة ، والتحذير عن المعصية إرشاد الغير وهدايته إلى طلب الخير ودفع الشر وتحصيل السعادة ، والحذر عن الشقاوة . ولا شبهة لأحد من العقلاء في أن الإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير ، فمن وعظ ولم يتعظ ، ومن أمر بالإحسان ولم يحسن إلى نفسه فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل ، ولهذا قال : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ تعجبياً لأن يقع مثل ذلك عن العقلاء .

وأيضاً من وعظ كان غرضه أن يصير وعظه مؤثراً في القلوب ، والإقدام على المعصية مما ينفّر القلوب ، فكان من عصى كان مقصوده أن لا يصير وعظه مؤثراً في القلوب . فالجمع بين الوعظ والمعصية جمع بين الضدين ، وهو غير لائق بالعقلاء .  
ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام (١) : « قصم ظهري رجلاًن : عالمٌ مهتتك ،

(١) جاء الحديث بألفاظ مختلفة راجع البحار . ١١١/٢ . ١٠٦٩ .

وجاهلٌ متسكٌ » وذلك لأنَّ من وَعَظَ وأظْهَرَ علمَه للمخلوق ثمَّ نَسِيَ نفسه ولم يتعَظَّ وفعل المعصية صار وعظُه واطْهَارُه للعلم سبباً لرغبة الناس في المعصية ، لأنَّهم يقولون : « إنَّ هذا رجلٌ عالمٌ ، لو أنَّه اطَّلَعَ على ضرر المعصية لما أقدم عليها ، ولولا أنَّه اطَّلَعَ على أنَّه لأصل لهذه التخويفات لما اجترأ على فعل المعصية » .

فقد صار وعظُه داعياً للناس إلى التهاون بالدين ، والجرأة على المعاصي ، سيِّما والنفوس مجبولةٌ على الحرص بالمنكرات والشهوات إذا لم يكن رادعٌ شرعي أو عقلي ، فإذا كان غرض الواعظ الرذع والزجر ثمَّ أتى بما يوجب الرخصة والترغيب ، فكأنَّه فعل شيئاً متناقضاً ، وهو من العاقل موضع العجب .



### [ الوعاظ الغير المتعظون ]

أكثر ماتعترى هذه الصفة - أي اصلاح الناس والأمر لهم بالبرّ مع نسيان النفس وإصلاحها وعدم تفقّد أحوال القلب - للمقتصرين على العلوم الظاهرة من غير تحقيق فيها ، والناقلين للأخبار والروايات من غير دراية . لما فيها من جلب خواطر الناس والشهرة وطلب الرياسة والإمامة .

فالواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به حلاوة ولذّة لا يوازئها لذّة ، فإذا غلب ذلك على نفسه مالّ طبعه إلى كلّ كلام مزخرف يروج عند العوام - وإن كان باطلاً - ويفرّ عن كلّ كلام يستثقله العوام - وإن كان حقاً - وبصير معروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ، ويعظم منزلته عندهم ، فلا يسمع حديثاً وحكمة إلاّ ويكون فرحاً بها من حيث أنّه يناسب أن يُنقل في محفل الناس أو يُذكر على رأس المنبر .

وهذا فتنة عظيمة، فمن لا باعث له في الوعظ والحسبة إلا طلب الجاه والمنزلة والتفاخر فهو منافق مطرود عن باب الله ، لأنه باع آجل آخرته واشترى به ثمناً قليلاً من عاجل دنياه ، ولو كان له حظٌ من العلم لعلم إن لذّة الدنيا بالقياس إلى لذّة المعرفة بالله شيءٌ حقيرٌ خسيس .

فمن اشتغل بالأمر والنهي يجب عليه أن يكون فرحُه بحفظ العلوم من حيث عرف بها طريق النجاة وطلب السعادة وطريق سلوك الدين ، ليعمل بها أولاً ، ويهتدب نفسه ، ويحصل له اليقين . ثم إذا فرغ من أمر نفسه اشتغل بغيره ، شكراً لله بأن يقول : « إذا أنعم الله عليّ بهذه النعمة فأقضيها ليشاركني في نفعها إخواني » .

فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والثروة ، فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن يرتاض نفسه ويقوى دينه ويقينه ، ويأمن عن فتنة نفسه ، فعند ذلك يشتغل بإصلاح غيره من وعظ أو قضاء أو تدرّيس يومئذ يرضى

فالمعلوم من حال من صرف أوقاته لنقل الأقوال وحفظ الروايات - وغرضه عرضها على الناس مع عدم إصلاح نفسه بتهديب الأخلاق واقتناء العلوم الحقيقية التي ليست فيها شهرةٌ وتفاخرٌ وكسبٌ منزلة عند الناس - إنه غير معتنٍ بأمر الدين ، ولا ذو اهتمام بتحصيل المنزلة عند الله بطلب المعرفة واليقين ، وتجريد النفس عن شواغل الهوى وشهوات الدنيا . ولهذا ورد أخبار كثيرة في مذمة أمثاله :

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطب به <sup>(١)</sup> : « أيها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون . . . وإن أنصحتكم لنفسه أطوحتكم لربه ، وأغشكم لنفسه أعصاكم لربه » .

مصدرة (شامل)

وعن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، و [علي بن ابراهيم عن أبيه ،

عن ابن محبوب - رفعه - عن [ أمير المؤمنين عليه السلام ] أنه قال <sup>(١)</sup> : « إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين : رجلٌ وكَّله الله إلى نفسه ، فهو جائرٌ عن قصد السبيل ، مشغوف بكلامه بدعة ، قد لهج بالصوم والصلوة . فهو فتنةٌ لمن افتتن به ، ضالٌّ عن هدى من كان قبله ، مُضِلٌّ لمن اقتدى به في حياته وبعد موته ، حَمَّالٌ خطايا غيره ، رهن بخطيئته .

ورجل قمش جهلاً في جهال الناس ، عانَ بأغباش الفتنة ، قد سمَّاه أشباه الناس عالماً ولم يكن فيه يوماً سائماً ، بكَّرَ فاستكثر ، ماقلَّ منه خير مما كثر ، حتى ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده ، كفعله بمن كان قبله ، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هبتاً لها حشواً من ربه <sup>(٢)</sup> ثم قطع [ به ] .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت ، لا يدري أصاب أو أخطأ . لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً ، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره ، وإن أظلم عليه أمرٌ اکتتم به لِمَا يعلم من جهل نفسه ، لكيلا يقال له : « لا يعلم » ثم جسر يقضي . فهو مفتاحُ عشوات ، زكَّابُ شبهات ، خجَّاطُ جهالات ، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعص في العلم بضرر قاطع فيغتم ، يدري الروايات ذرو الريح الهشيم ، تبكي منه الموارديث ، وتصرخ منه الدماء ،

(١) الكافي : باب البدع والرأي والمقائيس : ٥٤/١ . وأورده الرضي في النهج

(الخطبة : ١٧) باختلافات في الألفاظ .

(٢) الكافي : حشواً من دأيه .

ويستحلّ بقضائه الفرج الحرام ، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال (١) .

وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال (٢) : إنّ في النار رجلاً يتأذى أهل النار بريحه . فقيل : « من هو يا رسول الله ؟ » فقال : « عالمٌ لا ينتفع بعلمه » .  
وقال ﷺ (٣) : « مثل الذي يعلم الناس ولا يعمل به كالسراج يضيء الناس ويحرق نفسه » .

وفي الخبر (٢) : « يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار، فيقولون لم دخلتم النار وإنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم ؟ فقالوا : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله » .  
وقيل : « من وعظ بقوله ضاع كلامه . ومن وعظ بفعله نفذت سهامته » وقيل :

يامعشر الوعاظ ياملح البلد \* ما يصلح الملح إذ الملح فسد

وقال الثوري (٤) : « إنّ فتنة الحديث أشدّ من فتنة الأهل والمال والولد . وكيف لا يخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر (ﷺ) لو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً » [٧٤/١٧] .

وكتب رجل (٤) إلى أخ له في الدين : « إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور

(١) جاء بعد هذه الفقرة في الكافي : « لاملح باصدار ما عليه وزد ، ولا هو أهل لما منه فرط ، من ادعائه علم الحق » وفي النهج :

إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً ، ويموتون ضلالاً ، ليس فيهم سلعة أبور من كتاب الله إذا تلي حق تلاوته ، ولا سلعة أنفق يبعأ ولا أعلى ثمناً منه إذا حرف عن مواضعه ، ولا عندهم أنكر من المعروف ، ولا أعرف من المنكر .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٤٩٦/١ .

(٣) الجامع الصغير : ١٥٤/٢ .

(٤) إحياء علوم الدين : ٦١/١ .

علمك بظلمة الذنوب ، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم .  
 وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا : وبأصحاب العلم - فصوركم  
 قيصريّة ، وبيوتكم كسروية ، وأبوابكم طالوتية ، وأنحافكم جالوتية ، ومراكبكم  
 قارونية ، وأوانيتكم فرعونية ، ومذاهبكم شيطانية ، ومآتمكم جاهلية . فأين  
 المحمدية ؟ وأنشد :

وراعى [الشاة] يحمى الذئب عنها \* فكيف إذ الرعاة لها ذئاب

وقال سفيان بن عيينة : « أجهل الناس من ترك العمل بما عليم ، وأعلم الناس  
 من هيل بما يعلم ، وأفضل الناس أخشعهم وأخشاهم لله » . وهذا قولٌ صحيح يحكم  
 بأنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم ، فلا يغرّنك تشدّقه واستطائه وحذاقته وقوته  
 في المناظرة والمجادلة ، فإنه جاهل القلب عليم اللسان . وشره أعظم .

مركز تحقيقات كامبوتر علوم اسلامی  
 فصل

### [ التعرف بعلماء الآخرة ]

إنّ العالم في الحقيقة هو العارف الصوفي المخليص لله دينه عن شوائب أغراض  
 الدنيا وشهواتها ، فإن أردت تحقيق هذا أصور لك مثلاً ينكشف بها للمعتبر فضلُ  
 العالم العارف بصفات نفسه على العالم الظاهري المغرور بكثرة روايته : إذا دخل  
 عالم مجلساً وقعده ، وعين لنفسه مجلساً يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده بمحلّه  
 وعلمه ، فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه ، فانقبض العالم وأظلمت عليه الدنيا ،  
 ولو أمكنه لبطش بالداخل .

فهذا عارضٌ عرض له ، ومرضٌ اعتراه ، وهو لا يظن أنّ هذه علة غامضة  
 ومرض يحتاج إلى المداواة ، ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ، ولو علم منشأه لاشتغل

بمداواته وإتعا منشأ ذلك عدم ممارسته العلوم الحقيقية وعدم اطلاعه على معرفة النفس وأحوالها ومراتبها - فإنها أمّ الفضائل وأصل الحكمة ، ومفتاح سائر المعارف - وجهله بأن هذه نفسٌ ثارت وظهرت بجهلها وتفرّعت لوجود كبرها وبقايا كفرها وأنانيتها برؤية نفسها خيراً من غيرها ، وتكبرها بإظهار ذلك بفعل او قول .

وأما العالم الصوفي الزاهد فلا يميز نفسه بشيء دون المسلمين ، فلا يرى نفسه في مقام يميّزها بمجلس مخصوص مميّز - ولو قدر أن يتلى بمثل هذه الواقعة، وينقبض من تقديم غيره عليه وترفعه يرى حال النفس وظهورها ، ويرى أنّ هذا داءٌ يحتاج فيه إلى الدواء ، وإنه إن استرسل فيه بالإصغاء إلى النفس، صار ذلك بالرسوخ مرضاً مهلكاً . فيرفع في الحال دائه إلى الله ويشكو إليه ظهور نفسه ، ويحسن الإنابة بقطع دابر ظهور النفس ، ويرفع القلب إلى الله مستغيثاً من النفس ، ويشغله في طلب دوائها .

وربما أقبل على من تعدّ فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيراً لذنبه الموجود ، وتداوياً لدائه الحاصل .

فينكشف ويتبين بهذا الفرق بين الرجلين ، وهذا من أوائل علوم الصوفية ومباني أحوالهم . فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم .

وفي وصايا لقمان لابنه : « يا بني لا استطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين أفضل من العلم ، لأنه أدعى إلى العمل ، وما كان أدعى إلى العمل كان أدعى إلى العبودية ، وما كان أدعى إلى العبودية كان أدعى إلى القيام بحق الربوبية وإلى كمال الحفظ من اليقين .

أقول: قد تبين من كلامه إن العلم هو الأوّل والآخر، والفاعل والغاية . وذلك لأن العمل يترشح من العلم ، والعلم هو ثمرة العمل .

والعلماء الأخرويون أدلاء الأمة ، وأعمدة الدين ، وسرج ظلمات الجهالات

الجبليّة ، ونقباء ديوان الإسلام ، ومعادن أحكام الكتاب والسنة ، وأمناء الله في خلقه وأطبّاء العباد من أمراض الجهالات . فهم ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ . وأما غيرهم من علماء الدنيا ، الراغبون إلى المناصب والترقّعات والرياسات فهم عبدة طاغوت الهوى وأولياء الشيطان .

روي عن رسول الله ﷺ إنه قال (١) : « سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتَنْكُرُونَ . فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرَى ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ . وَلَكِنْ مِنْ رَضِيَ وَتَابَعَ أَبَعَدَهُ اللَّهُ » .

وقال سفيان (٢) : « فِي جَهَنَّمَ وَاذِ لَا يَسْكُنُهُ إِلَّا الْقُرَاءُ الزُّوَارُ لِلْمَلُوكِ » .

وقال حذيفة : « إِيَّاكُمْ وَمَوَاقِعُ الْفِتَنِ » . قيل : « وَمَا هُوَ ؟ » قال : « أَبْوَابُ الْأُمَرَاءِ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى الْأَمِيرِ ، فَيُصَدِّقُهُ بِالْكَذِبِ ، وَيَقُولُ مَا لَيْسَ فِيهِ » .

وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم . وكانوا إذا سئلوا عن فتوى أحالوه إلى غيرهم من الصحابة ، وكانوا يردون إليهم في علم الفتاوى والأحكام ، فيعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة ، لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين . إذ قد صادفهم طراوة الوحي المنزل وغمرهم غرير العلم المجمل والمفصل .

روي إنَّ عبدالله بن عمر كان إذا سُئِلَ عن شيء يقول : « سَلُوا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ » وكان عبدالله بن عباس يقول : « سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، لَوْ نَزَلَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى فِتْيَاهُ لَوَسَعَهُمْ » . وكان أنس بن مالك يقول : « سَلُوا مَوْلَانَا الْحَسَنَ ، فَإِنَّهُ قَدْ حَفِظَ وَنَسِيَاهُ » .

(١) المسند : ٢٩٥/٦ . وليس في آخره « أبعده الله » .

(٢) احياء علوم الدين : ٦٨/١ .



وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> : « إنَّ الشيطان ربما سَبَقكم بالعلم »  
 اقلنا : « يا رسول الله - كيف يسبقنا بالعلم ؟ » قال : « يقول : اطلب العلم ولا تعمل ،  
 حتى تعلم . فلا يزال للعلم قائلاً وللعمل مسوّفاً حتى يموت وما عمل » .

## فصل

[ علماء الكشف وعلومهم ]

واعلم إنَّ هذه الآفات ونظائرها إنّما تعترى لعلماء اللسان وأرباب المناظرات  
 والبحوث ، وأصحاب المنقولات وطلاب الفتاوى والحكومات .  
 وأمّا علماء العلوم الكشفية والمعارف الإلهية ، فعلومهم يؤدي إلى الأحوال ،  
 وأحوالهم مستتبع الآداب والأعمال ، لأنهم تأدّبوا بين يدي الله بآداب الروحانيين ،  
 وتخلّفوا بأخلاق الصديقين . فلذلك كان العلم المجبول في قلوبهم منكشفاً عليهم ،  
 فحصروا نفوسهم عن تقاضي جبلاتها ، وقمعوها عن هواها بصريح العلم في كلّ قول  
 وفعل . ولا يصحّ ذلك إلا لمن لطف سرّه وذكرا روحه ، وسلك به إلى المحضور بين  
 يدي الله .

قال بعض أصحاب المعارف في العوارف<sup>(٢)</sup> : « إنّ نفوس العلماء الزاهدين  
 بعد الأخذ عمّا لا بدّ لهم منه في أصل الدين وأساسه من الشرع ، أقبلوا على الله  
 وانقطعوا إليه ، وخلّصت أرواحهم إلى مقام القرب منه ، فأفاضت أرواحهم على  
 قلوبهم أنواراً وتهيّأت بها قلوبهم لإدراك العلوم .  
 فأرواحهم ارتفعت عن حدّ إدراك العلوم الجزئية بعكوفها على العالم الأزلي ،

(١) جاء في إحياء علوم الدين : ٦٤/١ . وفيه « يسوّفكم » بدل : « يسبقكم » .

(٢) عوارف المعارف للسهروردي : الباب الثالث ص ٥٦ من الطبعة الملحقة بإحياء

علوم الدين . وفيه فروق يسيرة .

وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وعاء للعلم ، وقلوبهم بنسبة وجهها الذي يلي النفس صارت أوعية وجودية ، فتألفت العلوم . وتألفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ ، والمعنى بالإنفصال انتقاشها في اللوح المحفوظ لا غير . وانفصال القلوب عن مقام الأرواح لوجود انجذابها إلى النفوس ، فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتألف ، فحصلت العلوم لذلك . وصار العالم الرباني راسخاً في العلم . . . . » .

« . . . (١) قال ابن مسعود : وليس العلم بكثرة الرواية ، إنما العلم الخشية . وقال : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمٍ وَرَوَايَةٍ ، إِنَّمَا يَعْزُبُ عَنْ فِهْمٍ وَدَرَايَةٍ » .

وقال صاحب العوارف أيضاً<sup>(١)</sup> : « علوم الوراثة مستخرجة من علوم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين ، ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه ، فلولم يكن لبن ، لم يكن زبد . ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن ، والمائية في اللبن جسم قائم به روح الدهنية . فالمائية به القوام . قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [٣٠/٢١] و<sup>(٢)</sup> « الشَّيْءُ » يعنى الموجودات كلها . فعلوم الإسلام علوم اللسان ، وعلوم الايمان علوم القلب ، وله مراتب : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين<sup>(٣)</sup> .

وقال أيضاً بعد ما ذكر جملة من تفاصيل علوم النفس<sup>(٣)</sup> : « وهذا كله علوم من ورائها علوم عمل بها وظفر بمقتضاها علماء الآخرة . وحرّم ذلك علماء الدنيا ، الراغبون فيها . وهي علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل إليها إلا بذوق ووجدان ، كالعلم

(١) عوارف المعارف : ٥٧ .

(٢-٢) غير موجود في المصدر والظاهر إنّه من المصنف ، وأورده تلخيصاً لكلام صاحب العوارف .

(٣) عوارف المعارف : ٥٥ . بفروق في اللفظ .

بكيفية حلاوة السكر - لا يحصل بالوصف ، فمن ذاقه عرفه .

وينبتك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء إن العلوم كلها لا يتعدرتحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى ، وربما كان محبة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاقٌ على النفوس ، فجيّلت النفوس على محبة الجاه والرفعة ، حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمّل الكلف ، وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار، وتعذّر الملاذ والشهوات . وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ، ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى، ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى . قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ [٢٨٢/٢] جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم ميسّر من غير ذلك بلاشك .

فعلم فضل علماء الآخرة ، حيث لم يكشف النقاب إلا لاولي الأبواب . وأولو الأبواب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا . قال بعض الفقهاء : « إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلى الزهاد ، لأنهم أعقل الخلق » .

قال سهل بن عبدالله التستري : للعقل ألف اسم [ ولكل اسم منه ألف اسم ] وأول كل اسم منه ترك الدنيا .

\*\*\*

ثم ذكر حكاية لطيفة ، قال <sup>(١)</sup> : « حدثنا فلان ، عن فلان - وذكر السند إلى أبي عبدالله الخواص ، وكان من أصحاب حاتم الأصم - قال : دخلت معه الري ، ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلاً ، يريدون الحج ، وعليهم لباس الصوف ، ليس معهم جراب ولا طعام ، فدخلنا الري ليلة على رجل من التجار متنسك يحب المتشققين فأضافنا تلك الليلة ، فلما كان من الغد قال لحاتم : يا أبا عبد الرحمن - لك

(١) عوارف المعارف : ٥٥ . وجاء أيضاً في حلية الاولياء : ٨٠/٨ بفروق في اللفظ .

حاجة ؟ فإني أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل ؟ فقال حاتم : إن كان لكم فقيهٌ عليلٌ فعيادة المريض لها فضل ، والنظر إلى الفقيه عبادة [ فأنا أيضاً أجيء معك ] - وكان العليل محمد بن مقاتل ، قاضي الري - قال : سِرَّ بنا يا أبا عبد الرحمن .

فجاء إلى الباب ، فاذن بابٌ مشرف حسن . فبقي حاتم متفكيراً يقول : « باب عالمٍ على هذا الحال » ثم أذن لهم فدخلوا . فإذن دار فوراء ، وإذا بزّة وستور وغللمان . فبقي حاتم متفكيراً . ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه ، فإذا هو بفرش وطيشة وإذا هو راقداً عليها وعند رأسه غلام و [ بيده ] مذبة .

فقعد الرازي فسأله وحاتم قائمٌ ، فأومى إليه ابن مقاتل : [ أن أقعد . فقال : لا أقعد .

فقال له ابن مقاتل : [ لعلّ لك حاجة ؟ قال : نعم .

قال : وما هي ؟ قال : مسألة أسألك عنها .

قال : سلني . قال : فقمّ واستوي جالساً حتى أسئلكها .

فأمر غلमानه فأسندوه . فقال له حاتم : علمك هذا - من أين جئت به ؟

قال : الثقةا حدّثوني [ به ] .

قال : عمّن ؟ قال : عن أصحاب رسول الله ﷺ .

قال : ورسول الله من أين جاء به ؟ قال : عن جبرئيل .

قال حاتم : فيما أذاه جبرئيلٌ عن الله إلى رسول الله ، وأذاه رسول الله إلى

أصحابه ، وأذاه أصحابه إلى الثقات وأذاه الثقات إليك ، هل سمعت في العلم من

كان في داره أميرٌ أو منعه أكثر ، كانت له المنزلة عند الله أكثر ؟ قال : لا .

قال : فكيف سمعت ؟ قال : من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة [ وأحبّ

المساكين ، وقدم لآخرفته ] كان له عند الله المنزلة أكثر .

قال حاتم : فأنت بمن اقتديت؟ بالنبي ﷺ وأصحابه ، أم بفرعون ونمرود - أول من بنى بالجص والآجر ؟ ! يا علماء السوء - مثلكم يراه الجاهل ، الطالب للندى ، الراغب فيها ، فيقول : العالم إذا كان على هذا الحال فلا أكون أنا شراً منه .  
 وخرج من عنده . فازداد ابن مقاتل مرضاً . فبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل . فقالوا : « يا حاتم - بقزوين أكثر شيء من هذا » وأشاروا به إلى الطنافسي .

- قال : - فسار إليه متعمداً ، فدخل عليه ، فقال : رحمتك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني أول مبتدئ ديني ومفتاح صلوتي ، كيف أتوضأ للصلاة ؟  
 قال : نعم - وكرامة - يا غلام هات إناء فيه ماء - فأتى به فقعد الطنافسي فتوضأ حاتم ثلاثاً ثلاثاً ، حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعاً . فقال له الطنافسي : « يا هذا - أسرفت » .

فقال له حاتم : « فيماذا أسرفت؟ » قال : « غسلت ذراعيك أربعاً » .

قال حاتم : « ياسبحان الله - أنا في كفة ماء أسرفت . وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف ؟ ! » فعلم الطنافسي إنه أراد به بذلك ، ولم يرد منه التعلم ، فدخل البيت ، ولم يخرج إلى الناس<sup>(١)</sup> وكتب تجار ري وقزوين ماجرى بينهما .

فلما دخل بغداد ، اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له : يا أبا عبد الرحمن - أنت رجل أكن أعجمي ليس بكلمك أحد إلا قطعته .

قال : معي ثلاث خصال ، بهن أظهر على خصمي .

قالوا : أي شيء هي ؟ قال : « أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن إذا أخطأ ،

(١) الإضافة من المصدر .

(٢) المصدر : ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً .

واحفظ نفسي أن لأجهل عليه .»

فبلغ ذلك أحمد بن حنبل ، فجاء إليه فقال : « سبحان الله ما أعقله » . فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا عبد الرحمن - ما السلامة من الدنيا ؟ .  
قال حاتم : يا أبا عبد الله - لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال :  
أن تغفر للقوم جهلهم ، وتمنع جهلك عنهم ، وتبذل لهم شيك ، وتكون من شيئهم  
أيضاً . فإذا كان هذا سلمت . ثم سار إلى المدينة (١) .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [ ٢٨/٣٥ ] ذكر بكلمة  
« إنما » فتنتفي العلم بمن لا يخشى الله ، فلاح لعلماء الآخرة إن الطريق مسدود إلى  
أنصبة المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى . . . فبصفاء التقوى وكمال  
الزهد يصير العبد راسخاً في العلم .

قال الواسطي : « الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب  
الغيب ، وسر السر . فعرفهم ما عرفهم ، وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات  
فانكشف لهم من مدخور الخزائن . . . فنطقوا بالحكم . . . »

. . . وقال الخزاز : « هم الذين كملوا في جميع العلوم ، وعرفوها ، واطلعوا  
على همم الخلائق أجمعين » . وهذا القول من أبي سعيد لا يعني به إن الراسخ في العلم  
ينبغي أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها . . . بل المراد إن المتقي حق التقوى  
والخشية من الله ، صفا باطنه وانجلي مرآة قلبه ، ووقعت له محاذاة بشيء من اللوح  
المحفوظ . فادرك بصفاء الباطن امهات العلوم واصولها ، فيعلم منتهى همم العلماء  
في علومهم وغاية اقدمهم فيها . . . والعلوم الجزئية متجزئة في النفوس بالتعلم

(١) جاء بقية هذه الحكاية في حلية الأولياء : ٨٢/٨ .

والممارسة ، فلا يفنيه علمه الكلي من أن يراجع في الجزئي أهله ، الذين هم أوعيته  
فنفوس هؤلاء امتلأت من الجزئي واشتغلت به ، وانقطعت بالجزئي عن الكلي (١) .  
والعالم الرباني بخلاف ذلك كما سبق ذكره - وكل ميتر لما خلق له .

ف قيل للشبلي - رحمه الله - عند النزاع : « قل : لا إله إلا الله » . فقال :

إنّ بيتاً أنت ساكنه \* غير محتاج إلى السرج



قوله عز اسمه :

وَأْمَتَعَيْنَا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا  
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْغَاشِقِينَ ﴿٤٥﴾

« الصَّبْر » في اللغة منع النفس محابها وكفها عن هواها ، ولا بد للصبر من قوة في الإنسان بها يصبر عن الملتذات ، ويصبر على المعاصي لأن لكل فعل وأثر مبدءاً لامحالة ، ومبدء الأفعال والإنفعالات يستوي عند أهل الحكمة « قوة » . ففي الإنسان قوة تسمى بالصبر ، تسمية للشيء باسم سببه ، كما ان له قوة تسمى بالشهوة ، وهاتان متقابلتان تقابل التضاد - وسيأتي تحقيق التضاد بينهما .

قال سهل [بن] عبد الله : الصبر انتظار الفرج من الله ، وهو أفضل الخدمة وأعلامها وقال بعضهم : الصبر أن تصبر على الصبر بأن لا تطالع فيه الفرج .  
ومن أقسامه الصبر على المعصية ، بكف الصابر نفسه عن الجزع ، ويقال : « فلان قتل صبراً » وهو أن يُنصب للقتل ويُحبس عليه حتى يقتل .  
وفي الحديث<sup>(١)</sup> : « أَقْتَلُوا الْقَاتِلَ ، وَاصْبِرُوا الصَّابِرَ » وذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر ، فأمر بقتل القاتل وحبس الممسك .

والخشوع والخضوع والإخبات نظائر . وضد الخشوع : الاستكبار ، و« خشع الرجل » إذا رمى ببصره إلى الأرض . و« اختشع » إذا طأ رأسه كالتواضع

(١) كنز العمال : كتاب القصاص ، الباب الاول : ١٠/١٥ .



وهو قريب المعنى بالخضوع إلا أن الخضوع في البدن والأعضاء ، والخشوع في الصوت والبصر . قال سبحانه ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [٤٣/٦٨] و﴿خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [١٠٨/٢٠] أي : سكنت .

\* \* \*

واختلف<sup>(١)</sup> في من نزلت الآية ؟ فقومٌ قالوا : المخاطبون هم المؤمنون ، إذ لصلوة لغيرهم ولاصبر يتصور لهم على أمور وعن أمور لم يعرفوا أحكامها عن دين محمد ﷺ .

وهذا ضعيفٌ ، لتعبّد غيرهم بصلوة وصبر في الجملة وإن لم يتعبّدوا بهما على هذه الكيفية ، لأنّ كلّ أحد يعلم بعقله الذي هو حجة الله عليه إن الصبر على ما يجب الصبر عليه حسنٌ ، وإن الصلوة التي هي التواضع والتذلل للمعبود الأول ، والاشتغال بذكره وعرفانه تُريح القلب عن محن الدنيا وآفاتها .

وقوم قالوا : هم اليهود ، وتتناول المسلمين على وجه التأديب .

والأولى أن يكون خطابات القرآن غير مختصة بقوم دون قوم ، ليكون قوائمه كلية عقلية - كما مر - .

فمن خصّص الخطاب باليهود قال : إن حبّ الرياسة والترفعات التي تكون لعلماء الدنيا ، الراغبين في المناصب - كالقضاء والحكومة والإمامة والشيخوخة والوعظ والحسبة وغيرها - كانت تمنعهم عن اتباع النبي ﷺ ، لأنهم خافوا زوال الرياسة إذ اتبعوه ، فأمرهم الله بالاستعانة فقال: ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه في طاعتي واتباع أمري ، وترك ما نهيتكم عنه ، والتسليم لأمري واتباع رسولي محمد ﷺ ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على ما أنتم فيه من ضيق المعاش وفوت الجاه الذي تأخذون الأموال من عوامكم بسببه .

والمروي عن أئمتنا عليهم السلام أن المراد بالصوم الصبر<sup>(١)</sup>. وجاء في الحديث<sup>(٢)</sup>:  
«وهو شهر الصبر» لشهر رمضان ، لأن الصائم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام ،  
فيكون فائدة الاستعانة به أن يذهب بالشهوة وهوى النفس ، فإن سد آفة الشهوة بالجوع  
يوجب سد سائر الآفات ، كآفة الغضب والتكبر وحب الجاه وغيرها إذ الجميع مما  
يتقوى بقوة البدن من الطعام والشراب .

ولذلك ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال<sup>(٣)</sup> : «الصوم وجاء» وقال<sup>(٤)</sup> :  
«سدوا مجاري الشيطان بالجوع» إذ الشيطان مركبه الدم ، كما ورد في قوله صلى الله عليه وآله<sup>(٥)</sup>:  
«إن الشيطان [يجري] من ابن آدم مجرى الدم» ولا شك في أن تقليل الغذاء يوجب  
تقليل الكيموس الصالح للدم ، وبقلة الدم يضعف جنود الشيطان ، كالشهوة والغضب  
والتكبر والرياسة وسائر المهلكات .

وفائدة الاستعانة بالصلوة أن هذه الآفات كلها منشأها الاحتجاب عن عالم النور  
وما عند الله من الخير والسعادة بالانكباب إلى عالم الظلمة والزور ، وعند الاشتغال  
بالصلوة يتلى فيها ما يذكر العهد القديم ، ويرغب إلى ما عند الله ، وبزهد في الدنيا  
وحب الرياسة . قال سبحانه : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [٤٥/٢٩].  
ولأنها تتضمن التواضع والتذلل لله بوضع الجبهة التي أشرف الأعضاء على

(١) الكافي : كتاب الصيام ، الباب الأول : ٦٢/٤ .

(٢) الكافي : باب فضل شهر رمضان : ٦٦/٤ .

(٣) ابن ماجه : كتاب النكاح ، الباب الأول : ٥٩٢/١ . وقال ابن الاثير ( النهاية :

١٥٢/٥) : وجاء أن مرض أنثى الفحل رخصاً شديداً يذهب شهوة الجماع .

(٤) جاء في الاحياء (٢٣٢/١) : «... فضيقوا مجاريه بالجوع» .

(٥) الجامع الصغير : ٨٢/١ .

الأرض ، فيدفع حبّ الجاه والرياسة عن القلب وكان رسول الله ﷺ (١) إذا حزبه أمر من أمور الدنيا يستعين بالصوم والصلاة ، ويقول (٢) : « أرحنا يا بلال » .

\* \* \*

ومن قال : « إن الخطاب بها للمسلمين » قال : المراد به ﴿استعينوا﴾ على تحصيل الآخرة وما تنجز وعده للمؤمنين من الدرجات العالية والمقامات الرفيعة ، أو على مشقة التكليف الدينية ﴿بالصبر﴾ أي بحبس النفس على الطاعات ، وحبسها عن المعاصي والشهوات و﴿الصلوة﴾ لما فيهما من مجامع العبادات القلبية والبدنية من الطهارة البدنية عن الأخبث والأرواث ، والطهارة النفسانية عن نجاسة العقائد الفاسدة ، كالكفر وقصد الرياء ، وستر البدن بالثوب الساتر للسوئتين ، وكفّ النفس عن الأطيبين ، وصرف المال في الطهور والساتر ، والتوجه بالبدن إلى بيت الله ، وبالقلب إلى وجه الله ، والعكوف للعبادة بإخلاص النية وخشوع الجوارح واتباعها وتسخير القوى واستعمالها في سبيل الطاعة ، ومجاهدة جنود الشيطان وأبناء الظلمات في التقرب إلى نور الأنوار ومناجاة الحق بخطابه وقراءة كتابه ، والتدبر في آياته ، وذكر مصير الخلق إليه ورجوعهم إلى دار ثوابه أو دار عقابه ، والإقرار بتوحيده وحقيّة رسوله بالشهادتين والصلوة عليه وآله . فليس في العبادات شيء أفضل من الصلوة لكونها أجمع للحسنات والقربات .

وقال بعضهم : ليس في أفعال القلوب أعظم من الصبر ، ولا في أفعال الجوارح أعظم من الصلوة ، فالأمر بالاستعانة بهما .

وروي عن جعفر الصادق عليه السلام إنه قال (٣) : ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه

(١) المسند (٣٨٨/٥) : « كان رسول الله (ص) إذا حزبه أمر صلى » . وقال ابن الأثير (النهاية - حزب) : أي إذا نزل به مهم ، أو أصابه هم .

(٢) المسند : ٣٦٤/٥ و ٣٧١ .

(٣) المياشي : ٤٣/١ .

غمٌّ من غموم الدنيا أن يتوضأ ، ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما .  
أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ وقوله : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ .

\* \* \*

قيل في إعادة هذا الضمير وجوه :<sup>(١)</sup>

أحدها - وهو قول الأكثرين - : إنه عائد إلى الصلوة لأنها الأقرب ، ولعموم  
جدواها ، وشمول فرضها واستجماعها ضروباً من الصبر ، وتأکید حالها ، وتفخيم  
شأنها .

وثانيها : إنه عائد إليها ظاهراً . والمراد به الإثنان وإن كان الضمير واحداً ،  
ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ كُذَّبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ  
اللَّهِ ﴾ [٣٤/٩] وقوله : ﴿ وَإِذَا زُلْزِلَتْ تَجَارَةٌ أَوْ بَدْعَةٌ إِفْقَاطًا ﴾ [١١/٦٢] وقوله :  
﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ [٦٢/٩] وكقول القائل : « أنت بما عندك وأنا  
بما عندي راضٍ » .

وثالثها : إنه عائد إلى الاستعانة التي يدل عليها قوله ﴿ وَاسْتَعِينُوا ﴾ .

ورابعها : إنه عائد إلى جميع الأمور التي سبق ذكرها مما أمر بها بنو إسرائيل

ونها عنها من قوله : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي عَلَيْكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَعِينُوا ﴾ .

وخامسها : أن يكون عائداً إلى محذوف ، وهو الإجابة للنبي ﷺ - عن الأصم -

أو مؤاخذه النفس بهما ، أو تأدية ما تقدم ، أو تأدية الصلوة ، أو ضروب الصبر عن

المعاصي . وهذه الوجوه الأخيرة ضعيفة ، لأنه لم يسبق لها ذكر .

وربما قيل : إن العرب قد يضمرون الشيء اختصاراً ، ويقتصر فيه على الإيماء

إذا وثق بعلم المخاطب به ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾

مَاتَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرٍهَا مِّنْ دَابَّةٍ ﴿٤٥/٣٥﴾ ولاذِكْرٌ لِلْأَرْضِ . و كقول القائل : « ما عليها أفضل من فلان » يعني الأرض . أو كقوله : « ما بين ساكنيها أعلم من فلان » يعني المدينة .

## فصل

في الكشف عن ماهية الصبر محاذياً لما ذكره بعض

المحققين<sup>(١)</sup>

اعلم إن الصبر منزل من منازل السالكين ، ومقام من مقامات الدين ، وجميع مقامات الصالحين إنما ينتظم من ثلاثة أمور : معارفٌ وأحوالٌ وأعمالٌ . فإن القلب الإنساني بمنزلة مرآة بالقوة . فالأعمال بمنزلة تصفيلها وتنقيتها عن الريون والأخبث والطبائع والكدورات ، والأحوال بمنزلة صفائها ونقاها ومواجهتها للمطلوب ، والمعارف عبارة عن حضور صور الحق المطلوب فيها . فالأعمال تراد للأحوال ، والأحوال تراد للمعارف - هذا نظر المحققين - .

وأما المحجوبين : فزعموا عكس ما ذكرناه ، وهو إن تحصيل العلوم للأحوال ، وثمره الأحوال الأعمال : لما سمعوا إن العلم بدون العمل وبال ، وما ورد في الخبر<sup>(٢)</sup> : « نعوذ بالله من علم لا ينفع » وأمثال ذلك . ولم يعلموا إن المراد منه علوم الأعمال - لا علوم المكاشفات الحاصلة من الأحوال - ولم يتدبروا في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [٩٩/١٥] وقوله ﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ وقوله : « نعوذ بك من أن أقول في العلم بغير علم ، وأن أعمل في الدين بغير يقين » وقوله ﴿ إِنِّي لَعَلِّي ﴾<sup>(٣)</sup> : « قصم ظهري رجلاً : عالمٌ مهتكٌ ، وجاهلٌ متنسكٌ » .

(١) إحياء علوم الدين : كتاب الصبر والشكر : ٦٢/٤ ، بتصرفات وإضافات من المؤلف .

(٢) البحار : ٣٢/٢ . الترغيب والترهيب : ١٠٠/١ .

(٣) مضي في ص

نعم - المعارف هي الأصول ، وهي تورث الأحوال . والأحوال توجب الأعمال . فالمعارف كالأشجار بقواها الأصلية ، كالغاذية والمنمية . والأحوال كالأغصان والألوان . والأعمال كالنتائج والأثمار .

وهكذا النظر في جميع مقامات الدين ومنازل السالكين ، واسم الإيمان قارة يخص بالمعارف ، وقارة يُطلق على الكل لاستلزامها الأحوال والأعمال .

فكذلك الصبر . فإنه لا يتم إلا بمعرفة سابقة ، وبحالة قائمه ، ويعمل لاحق . والصبر على التحقيق عبارة عن الأوليين والعمل كالنتيجة الحاصلة لهما ، بل الانتظام من الأمور الثلاثة حاصل في كل مقام من المقامات الحيوانية أيضاً - كالشهوة والغضب والتكبر والرياسة والعجب وغيرها .

فإن في الشهوة - مثلاً - علمٌ بالمشتهى كالتخيّل ونحوه - هذا بمنزلة المعارف - وفيها رغبة وميل إليه - وهذا من باب الأحوال - وفيها أيضاً حركة كالأكل والجماع - وهي من جملة الأعمال - واللائق باسم الشهوة هما الأولان ، والحركة من النتائج لهما .

وقد مرّت الإشارة إلى مثل هذا في الشكر ، من أن العلم بالمنعم وإنعامه هو أصل الشكر . وأن من علم إنّه يعجز عن الإتيان بشكر نعم الله فقد أدّى غاية الشكر لله فأصل الصبر معرفة ما لأجله الصبر على الشدائد ، ثمّ توطئ النفس على ذلك ، ثمّ حبسها على الآلام وعن الشهوات . قال تعالى مخاطباً لنبيّه : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [١٢٧/١٦] .

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام (١) : « أمر الله تبارك وتعالى أنبيائه ﷺ بالصبر ، وجعل الحفظ الأعلى لرسول الله ﷺ حيث جعل صبره بالله - لابنفسه - فقال : ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ .

وما ذكرنا من الترتيب في باب معاني الصبر - أي : علمه وحاله وعمله - لا يعرفه إلا من عرف الترتيب بين الملائكة والإنس والبهائم ، فإن الصبر من خاصية الإنس ، ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة . أما في البهائم فلنقصانها . وأما في الملائكة فلكمالها .

فالملائكة مخلوقة من عقل بلا شهوة . والبهائم مخلوقة من شهوة بلا عقل . والإنسان بين شهوة وعقل . وقد خلقه الله ذا أطوار كما قال تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [ ٧١ / ١٤ ] ولم يقل : « ذوي أطوار » ليدل على أن انتقال الإنسان في أطواره الذاتية انتقال جوهري وحركة ذاتية معنوية بنفسه في نفسه . وبيانه يفتقر إلى كلام طويل وخوض عميق في التحقيق لا يناسب هذا المقام .

وبالجملة - فقد أعطاه الله قوة له أن ينتقل بها من حدّ البهيمة إلى حدّ الملك ويستوى باعثاً دينياً .

وبيانه : إن البهائم سلّطت عليها الشهوات - كما ذكر - وصارت مسخرة لها ، فلا باعث لها على الحركة والسكون ، إلا الشهوة الداعية لها إلى المشتبهات وليس لها قوة أخرى تصادم قوة الشهوة وتسخرها وتردّها عن مقتضاها ، حتى يستوى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى تلك الشهوة « صبراً » .

وأما الملائكة ، فإنهم جرّدوا للمعرفة والشوق إلى الحضرة الربويّة ، والابتهاج بدرجة القرب منها ، ولم يسّط عليها شهوة صارفة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرّفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف .

وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الحدائث والصبا ناقصاً مثل البهيمة ، لم يخلق فيها إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه في حيوانيته وحيوته الدنيا ، ثم تحدث فيه شهوة اللعب والزينة ، ثم شهوة النكاح على الترتيب ؛ ثم شهوة التفاخر

والتكاثر . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ [٢٠/٥٧] .

وليس له في الإبتداء قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتصادم مقتضياتهما ومطالبهما ، وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ، ولكن الله بفضل وسعة جوده كرم ابن آدم وفضله على كثير ممن خلقه ، ورفع درجته عن درجة البهائم .

فوكل عند تمام شخصه لمقارنة البلوغ ملكين : أحدهما يهديه ، والأخر يقويه فتميز بمعونه الملكين عن البهائم . واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله [ ومعرفة رسوله ] ومعرفة اليوم الآخر ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب والنجاة عن العذاب في الدار الآخرة - وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف - والبهيمة لا معرفة لها ولا هداية لها إلى معرفة العواقب ، بل إلى مقتضى شهوتها في الحال فقط ، فلذلك لا تطلب إلا اللذيد ، وأما الدواء النافع مع كونه كريهاً مضرًا في الحال ، فلا تعرفه ولا تطلبه ، فصار الإنسان يعرف بنور الهداية إن أتباع الشهوات لها معقبات مكروهة في العاقبة .

ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر ، وحبس الشهوة عنها . فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلاً ولكن لا قدرة له على دفعه ، فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه ، فوكل الله به ملكاً آخر يسدده ويقويه بجنود لم تروها ، وأمر هذا الجند بقتال جنود الشهوة ، فتارة يضعف هذا الجند ، وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله عبده . كما إن نور الهداية أيضاً يختلف في الخلق اختلافاً لا يحصر .

فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم باعناً دينياً . ولنسم مطالبة



الشهوات بمقتضاها باعث الهوى وليفهم إن القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى ، والحرب بينهما سجال ، ومعرفة هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من الملائكة ، الناصرين لحزب الله تعالى . ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لاعداء الله .

فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت [حتى] قهره واستمر على مخالفة الشهوة ، فقد نصر حزب الله والتحق بالملائكة . وإن تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإن ترك الأعمال المشتهة عمل يثمرها حال يسمى الصبر . وهو ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى ، وذلك الثبات حال يثمرها المعرفة بالله واليوم الآخر بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة .

فإذا قوى يقينه - أعني المعرفة التي تسمى إيماناً - وعلم بكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله قوي ثبات باعث الدين . وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما يتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين ، المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة ، والإيمان بقبح تبعه الشهوات (١) وسوء عاقبتها .



وهذان الملكان هما المتكفلان يهدين الجندين باذن الله [ تعالى ] وتسخيره إياهما ، وهما من الكرام الكاتبين ، وبهما الاستعانة في العلم والعمل ، والصوم والصلوة . أحدهما ملك الصوم ، لأن بقوته تكف النفس عن الشهوات المفطرات ، والآخر ملك الصلوة ، لأن بهدائه تعرف كيفية الصلوة .

ولذا قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ تنبيهاً على أن

(١) الإحياء : وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات .

الأصل في الصبر والصلوة خشوع القلب و يقينه بالأخرة ، وبالشروع لله ، والرغبة إليه وإلى دار كرامته وجنتته والخوف منه ومن عذابه في دارنقته وسجنه يصبر الإنسان عن الشهوات ، ويقهر عليها ، وبنور معرفته وعلمه بقاء ربه ورجوع الكل إليه يهتدى إلى محاربة الأعداء وقهر الشياطين لينخرط في سلك المقربين .

وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوى، وأن الصلوة أشرف من الصوم - ولهذا ورد عن النبي ﷺ في الصلوة<sup>(١)</sup> : «إنها معراج المؤمن» وفي الصوم<sup>(٢)</sup> : «إنه جنة من النار» . وقال النبي ﷺ<sup>(٣)</sup> : «قرّة عيني في الصلوة» . وقال<sup>(٤)</sup> : «الصوم وجاء» - لم يخف عليك إن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الربوبية ينبغي أن يكون مسلماً له ، فهو إذن صاحب اليمين ، والآخر صاحب الشمال . وعند القيامة يتلاقيان كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا ﴾ [١٧/٥٠] . علوم إسلامية

ثم للبعد طوران في النغلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة . فهو بالنغلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه ، فيكتب عليه إعراضه سيئة ، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية ، فهو به محسن ، فيكتب له حسنة . وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب اليسار ، تارك للاستمداد منه ، فهو به مسيء إليه ، فيكتب له سيئة ، وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيكتب له به حسنة .

وإنما تثبت هذه الحسنات والسيئات بإثباتهما، ولهذا سميا «كرام الكاتبين» . أما الكرام فلكرامتهما وانتفاع العبد بكرمهما وبرهما - والملائكة كلهم كرام بررة -

(١) هذا الحديث على شهرته غير موجود في الجوامع التي بأيدينا .

(٢) الكافي : باب ما جاء في فضل الصيام : ٦٢/٢ .

(٣) الخصال : باب الثلاثة : ١٦٥/١ .

(٤) مضي في : ص ٢٧٩ .

وأما الكاتبين فلائبتهما الحسنات والسيئات .  
 وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سرّ القلب ، ومطوية أيضاً عن سرّ القلب ،  
 حتى لا يطلع عليه في هذا العالم لانغماره في البدن انغمار صحيفة مكتوبة في تراب  
 الأرض واستتارها تحته عن الأبصار ما لم يبرز عنه ، وكذلك صحيفة القلب ينشر يوم  
 القيامة من غبار البدن على البصائر يوم كشف السرائر .

فالملكان وكتبهما وخطهما وصحائفها وجمله ما يتعلق بها من عالم الغيب  
 والملكوت - لامن عالم الشهادة - وشيء من الملكوت لاتدركه الأبصار في هذا  
 العالم ، ثم تنشر الصحائف عن القاب مرتين : مرة في القيامة الصغرى ، ومرة في  
 القيامة الكبرى .

وأعني بالقيامة الصغرى حال الموت ، إذ قال ﷺ (١) : « مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ  
 قِيَامَتُهُ » . وفي هذه القيامة يكون العبد وحده . وعندما يقال : ﴿ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى  
 كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [٩٤/٦] وفيها يقال : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ  
 حَسِيبًا ﴾ [١٤/١٧] .

أما في القيامة الكبرى - الجامعة لكافة الخلق - لا يكون وحده ، بل ربما  
 يحاسب على ملاء من الخلق ورؤوس من الأشهاد . وفيها يساق المتقون إلى الجنة ،  
 والمجرمون إلى النار زمراً - لا آحاداً - وأهوالها أعظم . وسيأتيك بيانها إن شاء الله  
 تعالى .

(١) قال العراقي : «أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت...» (ذيل احياء العلوم :

## فصل

## في تنمية القول في الصبر وأقسامه

اعلم إن الصبر دواءٌ مرّ ، وشربةٌ كريهة ، يجلب إليك كلّ منفعة ، ويدفع عنك كلّ مضرة . فإذا كان هذا الدواء بهذه الصفة ، فالإنسان العاقل يكره النفس على شربه وتجرحه ، ويصبر على مرارته وحِدته ، وهو يقول : « مرارة ساعة ، وراحة سنة » .  
وقيل <sup>(١)</sup> : « لكلّ شيء جوهر ، وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر » .

والصبر جار في الصابر مجرى الأنفاس ، لأنه يحتاج إلى الصبر عن كل منهيّ ومكروه ومذموم ظاهراً وباطناً . ولا يتم ذلك إلا بالعلم .

وقيل <sup>(٢)</sup> : « أشدّ مراتب الصبر وأقسامه كفتّ الباطن عن حديث النفس » وإنما يشتدّ ذلك على من يفرغ له ، بأن يقمع الشهوات الظاهرة ، وآثر العزلة ، وجلس للمراقبة والذكر والفكر . فإن الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب . وهذا لاعلاج له إلا قطع العلائق بالكلية بالفرار عن الأهل والأولاد والرفقاء والأصدقاء . ولا يكفي ذلك أيضاً ما لم يجعل الهموم هتاً واحداً - وهو الله - ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله ، وسائر أبواب معرفة الله ، حتى إذا استولى ذلك على قلبه دَفَع اشتغاله بذلك محادثة الشيطان ووسواسه .

وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيهِ الأوراد <sup>(٣)</sup> المتواصلة والصلوات والأذكار

(١) راجع حوارف المعارف : الباب الستون ، قولهم في الصبر : ٢٣٤ .

(٢) إحياء علوم الدين : ٤ / ٧٦ . بتصرفات من المؤلف .

(٣) الإحياء : فلا ينجيهِ إلا الأوراد .

الظاهرة] المترتبة في كل لحظة ، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور ، فإن التفكير الباطني ومناجاة السرّ مع الله هو الذي يستغرق القلب في الشهود ، دون الايراد الظاهرة .

ولذلك قال : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أي : استعينوا في طلب السادة الحقيقية بالانقطاع عن الخلق - وعن الدواعي الدنيوية والعلائق كلها ، وبالمناجاة بالسرّ مع الله ، وهي روح الصلوة ، كما روي عنه عليه السلام انه قال : <sup>(١)</sup> « المصلّي مناج ربه » .

فبالانقطاع عن العلائق كلها يسلم له الوقت ، ويقع له الفرصة ، فيصفوا القلب وتنشر الفكر ، وتحصل له المناجاة بالمكاملة الحقيقية مع الله ، وحينئذ ينكشف له من أسرار الله وخفايا نوره وحكمته في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على شيء منه في زمان طويل ، لو كان مشغول القلب بالعلائق ، والانتهاه إلى هذا المقام غاية ما يمكن تحصيله بالإكتساب ، وأن ينال بالجهد .

\* \* \*

فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الأحوال والأعمال ، فذلك يجري مجرى الصيد . وهو بحسب الرزق ، والمعول فيه على جذبة من جذبات الحق - فإنها توازي عمل الثقلين - ولا مدخل للعمل والاختيار .

نعم - للاختيار مدخل في أن يتعرّض العبد لتلك الجذبة ، بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا ، فإن المجدوب إلى أسفل السافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين . وكلّ منهوم بالدنيا فهو منجذب إليها . فقطع العلائق الجاذبة عن القلب هو المراد بقوله عليه السلام <sup>(٢)</sup> : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ، ألا - فتعرضوا لها » .

(١) راجع البخاري : ١٤٢/١ . والمسند : ٢٧/٢ .

(٢) الجامع الصغير : ٩٦/١ .

وهو التهيئة لها ، وتنقية أرض القلب عن حشايش التعلقات ، وبيت بذر المعرفة والایمان فيها ، إنتظاراً لرحمة الله ، وتعرضاً لمهاتّ رياح الجود والكرم في الأوقات الشريفة ومظانّ الإجابة واستدراراً لأمطار المكاشفات ، ولطائف مياه المعارف من خزائن الملكوت عند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ، ويوم الجمعة ، وأيام رمضان .

كما ينتظر الزارع الذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ، وبيتّ البذر فيها . إذ كلّ ذلك لا ينفعه إلا بمطر ، ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر ، إلا أنه يثق بفضل الله وتحريكه أسباب السموات للرزق بأمره على من يشاء ، إذ قال : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٢٢/٥١] .



فهذا هو علاج الصبر عن الوسوس والشواغل ، وهو آخر درجات الصبر ، وإنّ الصبر عن العلائق كلّها مقدّم على الصبر عن الخواطر ، وأشدّ العلائق على النفس علقة [رياسة] الخلق وحبّ الجاه فإنّ لذّة الرياسة والإستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء .

قال الغزالي<sup>(١)</sup> : «وكيف لا يكون أعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله [تعالى وهي الربوبية] والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب ، لما فيه من المناسبة للأمر الربوبية ، وعنه العبارة بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [٨٥/١٧] وليس القلب مذموماً على حبه ذلك ، وإنما هو مذهبوم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر ، إذ حسده على كونه من عالم الأمر ، فأضله وأغواه .

وكيف يكون مذموماً عليه ، وهو يطلب سعادة الآخرة ، وليس يطلب الإبقاء

لافناء فيه ، وعزاً لأذلّ فيه ، وأمناً لاخوف [فيه] ، وغناء لا فقر فيه ، وكمالاً لانقضاء فيه . وهذه كلّها من أوصاف الربوبية .

وليس العبد مذموماً على طلب ذلك . . . ولكنه آجل ، وقد خلق الإنسان عجباً راغباً في العاجلة . فجاء الشيطان وتوسّل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه ، فاستغواه بالعاجلة ، وزين له الحاضرة ، وتوسّل إليه بواسطة الحُقم ، فوعده بالغرور في الآخرة ، ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة ، كما قال ﷺ (١) : « والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » فأنخدع المخدول بهذا الغرور ، واشتغل بطلب عزّ الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ [٢٠/٧٥] فالؤمن باليوم الآخر يصبر عن اللذة العاجلة .

قال الجنيد : « المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن ، وهجران الخلق في جنب (٢) الحق شديد ، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد . والصبر مع الله أشدّ » .

فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ، ثم شدة هجران الخلق ، لأنّ المراد به ترك خاطر الجاه والرياسة على الخلق . فأشار إلى أنّ الصبر عنه أشدّ من الصبر من شواغل الدنيا ، ثمّ شدة الصبر مع الله ، لأنّ غلبة نوره يدهش الروح ، ويذيب القلب ، كما تفعل نور الشمس بالأبصار الضعيفة وحرارتها بالجمّد .

قيل : وقف رجل على الشبلي ، فقال : أي الصبر أشدّ على الصابرين ؟ فقال : الصبر في الله تعالى . فقال : لا . فقال : الصبر لله . فقال : لا . فقال : الصبر مع الله . فقال : لا . فنضب الشبلي ، فقال : ويحك أيّ شيء هو ؟

(١) في الجامع الصغير : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من

اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني » : ٩٨/٢ .

(٢) الاحياء : في حب الخلق .

فقال الرجل : الصبر عن الله . فصرخ الشبلي صرخة كاد أن يتلف روحه .  
قال صاحب العوارف (١) : « وعندي في معنى الصبر عن الله وجه ، ولكونه  
من أشد الصبر على الصابرين وجهٌ . وذلك إن الصبر عن الله يكون في أخصّ مقامات  
القرب والمشاهدة ، يرجع العبد عن مولاه استحياة وإجلالا ، وينطبق بصيرته نخجلا  
ودوباناً ، ويتغيّب في مفاوز استكانته وتخفيّه لاحساسه بعظيم أمر التجلي .  
وهذا من أشد الصبر ، لأنه يودّ استدامة هذا الحال تأدية لحقّ الجلال ، والروح  
يودّ استدامة هذا الحال باستلماع نور الجمال (٢) ، وكما إن النفس منازعة في عموم  
حال الصبر ، فالروح في هذا الصبر منازعة ، فاشتدّ الصبر عن الله [تعالى] لذلك .  
وقال أبو الحسن بن سالم : « هم ثلاثة : متصبر ، وصابر ، وصبار . فالمتصبر من  
صبر في الله . فمرة يصبر ، ومرة يجزع . والصابر من صبر في الله ولا يجزع ،  
ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع . وأما الصبار فذلك الذي صبره في  
الله ، والله ، وبالله . فهذا (٣) لو وقع جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجود  
والحقيقة (٤) - لامن جهة الرسم والخليفة » وإشارته في هذا إلى ظهور حكم العلم فيه  
مع ظهور صفة الطبيعة .

## فصل

قوله [تعالى] : **وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْآخِشِينَ**

الفناء في الله بالصبر عن النفس وهواها وجاهها ومآلها . والبقاء بالله بالصلوة  
والمناجاة معه صعب شديد إلا مع خشوع القلب وانكساره وافتقاره وعبوديته

(١) عوارف المعارف : الباب الستون ، قولهم في الصبر : ٢٣٤ .

(٢) المصدر : والروح تود أن تكتحل بصيرتها باستلماع نور الجمال .

(٣-٣) المصدر : فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجود

والحقيقة .



لتصحيح نسبة الإمكان ، وهو قُصارى مجهود العابدين ، فإنّ كلّ سالك طبيعي أو إرادي لو نظرت إليه لو وجدت أنّ بناء انتقاله من حالة إلى حالة أخرى ، وانقلابه من صورة إلى صورة أشرف وأقوى هو ضعف نشأته الأولى وزوال رسوخه ، وشدة فعليته وحصول حالة إمكانية استعدادية شبيهة بالعدم .

فالعناصر مثلاً ما لم تنكسر منها شدة كيميائياتها وتأكد صورها النوعية ، حتّى صار كلّ منها كأنه متوسطة بين أن تكون ، وبين أن لا تكون ، فلم تقبل صورة أخرى أشرف من صورها - وهي صورة الجمادية - .

نمّ من الجماديات ما هو أقوى صورة ، فأبعد من أن ينقلب نباتاً ، كالبواقيت والفلزات وما ينقلب منها نباتاً فهو كالبذور وغيرها التي يستولى عليها الوهن والقصور في صورتها الجمادية ، ويكاد أن يضمحل ويستحيل في مكانها عائدة إلى الفساد لولا عناية الله لها بالإمداد ، ونقلها إلى صورة النبات من حدود الجماد .

وكذا الحال في النطف الصائرة حيواناً وإنساناً ، كلّ ذلك لأجل إمكاناتها التي هي كصورة الخشوع والخضوع لما فوقها ولما يقهرها ويسخرها ، فحركاتها إلى الله ، وتوجهها نحوه تعالى بالاضطرار والافتقار إلى الواحد القهار .

فكذلك الحكم في أفراد الإنسان ، فكلّ من خشع قلبه وخضع لله بالمحبة والانقياد ، وجاوز عن حدّ نفسه وهواه طلباً لمولاه ، انفتح عليه أبواب الرحمة ، وفاضّ عليه أنوار الإلهية ، ووصل إليه خلع الكرامة ، وكلّ من وقف في مقام نفسه وانانيته وطلب هواه ، فهو مطرود عن باب الله ، محجوب عن لقائه بيد سدنة النيران وحجاب القهرمان .

فمن خشع قلبه لله سهل عليه ترك هوى النفس والصبر عن الدنيا وما فيها بالصوم عنها ، كما قيل : « صُمّ عن الدنيا واجعل فطرك الموت » وبالقدوم على الله بالصلوة التي روحها عرفان الحق والتعبّد له ظاهراً وباطناً .

وملاك الأمر كلّه معرفة الله ، ومعرفة النفس ، وحشرها إليه تعالى ، والتصديق بقاء الله ، ولذلك وصف الخاشعين بقوله عز اسمه :

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾

أي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده ، ويتيقنون إنهم يحشرون إلى الله . فالظن ههنا بمعنى العلم ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ ﴾ [٢٠/٦٩] ويؤيده إن في مصحف ابن مسعود « يعلمون » وإن الظن هو الاعتقاد الراجح الذي يقارنه تجويز النقيض ، وذلك يقتضي أن صاحبه غير جازم بيوم القيامة ، وذلك كفر فكيف يمدح الله لهم عليه .

وعلاقة التجوّز إنّه شابه العلم في الرجحان ، ولتضمن معنى التوقع .  
ومن حمل اللفظ على ظاهره وجعل ملاقاته الرب مجازاً عن الموت ، فيما أن يقول : المراد « الذين يظنون الموت في كلّ لحظة فإنهم لا يفارق قلوبهم الخشوع فهم يتبادرون إلى التوبة ، لأنّ خوف الموت من دواعي التوبة » . وإما أن يفسر « ملاقات الرب » بملاقاته نوابه ، وذلك مظنون غير معلوم ، أو يقول : إن المعنى : « يظنون إنهم ملاقوا بذنوبهم » فإنّ الإنسان الخاشع لا وقع لطاعاته عنده ، فيغلب على ظنه إنّه يلقى الله بذنوبه ، فعند ذلك يتسارع إلى التوبة والانبابة والصبر والصلوة .  
وههنا وجه آخر ، وهو إنّ العلم بكيفية المعاد وبأنّ أفراد الإنسان وغيرهم ملاقون ربهم يرجعون إليه بالحقيقة علم شريف غامض لا يحصل لأحد على وجه اليقين إلا للكامل من العرفاء ، وليس لعامة أهل الايمان إلا مرتبة الظنّ به على

سبيل التخيّل والتسليم .

ولأجل غموضه وعلوّ سنكته عن مدارك العقول كرّر ذكره في القرآن ، وكثر المنكرون له في كلّ زمان ، حتّى أنّك ترى كثيراً من العقلاء القائلين بوجود الصانع للعالم وتوحيده منكرين للمعاد وحشر الخلائق إليه تعالى ، فالظنّ بسه حاصل لكلّ مؤمن خاشع لله ، وذلك الظنّ كافٍ في أن يبعث له على الصبر والصلوة وسائر العبادات .

وأما مرتبة علم اليقين بقاء الله والرجوع إليه ، فهو ثمرة العبادات وغاية الصبر والصلوة .

### فصل

[ كلام في رؤيته تعالى ]

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

قال الإمام الرازي في تفسيره <sup>(١)</sup> : استدلت بعض الأصحاب بقوله [ تعالى ] : ﴿مَلَأُوا رُبُّهُمْ﴾ على [ جواز ] رؤية الله .

وقالت المعتزلة : لفظ « اللقاء » لا يفيد الرؤية . والدليل عليه الآية والخبر والعرف :

أما الآية فقوله تعالى : ﴿ فَأَخْبَهُمْ نِقَافًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ [ ٧٧/٩ ] والمنافق لا يرى ربه . وقوله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [ ٦٨/٢٥ ] وقال تعالى في معرض التهديد ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ ﴾ [ ٢٣٢/٢ ] فهذا يتناول المؤمن والكافر . والرؤية لا تثبت للكافر . فعلمنا إنّ اللقاء ليس عبارة من الرؤية . وأما الخبر فقوله صلى الله عليه وآله <sup>(٢)</sup> : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ لِيَقْتَطَعَ بِهَا

(١) تفسير القمّي الرازي : ٤٩٩/١ .

(٢) الجامع الصغير : ١٧٠/٢ بفرق يسير .

مال امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان» وليس المراد «رأى الله» لأن ذلك وصف أهل النار .

وأما العرف فهو كقول المسلمين «من مات لقي الله» ولا يقولون : «رأى الله» وأيضاً : فاللقاء يراد به القرب مثنى يلقي على وجه يزول الحجاب بينهما ، ولذلك يقول إذا حجب عن الأمير : «ما لقيته بعد ذلك» وإن كان قد رآه ، وإذا أذن له في الدخول عليه يقول : «لقيته» وإن كان ضريباً .

ويقال : «لقى فلانٌ جحداً شديداً» و«لقيت من فلان الداهية» و«لقى فلان جماعة» . وكل ذلك يدل على أن اللقاء ليس عبارة عن الرؤية ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَأَلْتَقَى آلْمَاءَ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ ﴾ [١٢/٥٤] .

ثم قال : «قال الأصحاب : «اللقاء» في أصل اللغة عبارة عن وصول أحد الجسمين إلى الآخر بحيث يماسه بسطحه . يقال : «لقى هذا ذاك» إذا ماسه واتصل به ، ولما كانت الملاقة بين الجسمين المذكورين سبباً لحصول الإدراك ، فحيث يمتنع اجراء اللفظ على المماسّة وجب حملُه على الإدراك ، لأنّ اطلاق لفظ السبب على المسبب من أقوى وجوه المجاز ، فثبت إنّه يجب حمل اللقاء على الإدراك . أكثر ما في الباب إنّه ترك هذا المعنى في بعض الصور لدليل يخصّه ، فوجب الإجراء في البواقي على الإدراك وعلى هذا التقدير زالت السؤالات - انتهى كلامه .

\* \* \*

أقول : من أراد أن يقتنص حقائق المعارف الإلهية - خصوصاً العلم بهذه المسئلة الغامضة التي تحيرت فيها مدارك أهل الفكر والنظر ، وعجزت عن إدراكها عقول الأوائل والأواخر إلا من أيده الله بنوره وفتح بصيرته لمشاهدة عالم الآخرة - بوسيلة الألفاظ الوضعية والاطلاقات العرفية ، فالضلال أسرع إليه من الهدى . واعلم يقيناً إنّ من فارق طريق التسليم والقبول والايان بالغيب - كسائر

الضعفاء - وخاض في مثل هذه الأدلة الكلامية في باب معرفة الله ومعرفة لقاء الله يوم الآخرة ، فقد تعرّض لخطر عظيم من سوء العاقبة ، فإنه إذا جاء وقت حضور الموت وكشف الغطاء ظهر عليه بطلان ما اعتقده ، وفساد الأدلة التي لفتها ونسجها كبيت العنكبوت ، واعتمد عليها في حياته تعصباً وجهلاً .

إلا إذا جاوز من حدود معقولة إلى نور المكاشفة الذي يشرق في عالم النبوة [و] الولاية والقرب ، ويقع إشرافه على قلب من توجه بمرآة باطنه إلى باطن النبوة وحاذى بها شطره ، وصحح نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله بأحكام المحبة وسلوك طريق المتابعة له ولآله عليهم السلام ، حتى نال شيئاً مما نالوه ووقف على شيء مما وقفوه ، وشرب من ماء عين اليقين كما شربوه . وحينئذ لاح له أحوال الملكوت وأسرار القيامة ولقاء الله ، ومعنى رجوع الكل ، وذلك هو الكبريت الأحمر والفاروق الأكبر ، لا يقع إلا بيد ملوك الآخرة وسلاطينها ، وليس يحصل للأسراء المحبوسين في عالم الحس والمحسوسات، المقيدين بقيود التعلقات إلا اسم ورسم فالإسم لغوامهم ، والرسم لعلمائهم ، لأنهم المقتصرون على السمعيات والرسوم ، وما يلفقون بأفكارهم منها ، فلذلك أمرهم دائر في هذه المسئلة بين اعتقاد رؤيته تعالى بهذا البصر الدائر في اليوم الآخر ، وبين حمل اللقاء على لقاء الثواب ، وكلّ منهما بمعزل عما هو معلوم أولى الأبواب .

واعلم إنك لو أردت أن تكون عالماً ربانياً مفسراً للكلام الإلهي من دون أن تتعب نفسك وتتداوم على الأمور المقربة للقدس - من الرياضة والخضوع والخشوع والصبر والصلوة ، وتجريد الذهن عن الخواطر وسد أبواب المشاعر، ودوام النظر في الإلهيات - فقد حدثت نفسك بمتنع أو شبيهه بالمتنع .

والناس يجتهدون في طلب أمر باطل أو تحصيل موهوم خيالي غاية الاجتهاد، ويرتكبون الأمور الشاقة وترك المألوفات لا لغرض شريف . فقيبح لطالب الحق أن

يرضى بالعودة ولا يجتهد في السعي إلى ذكر الله ودرك ما عند الله .  
 فإن طلبت واجتهدت لا تلبث زماناً طويلاً إلا ويأتيك بارقة نورانية، ثم  
 تتوالي عليك حتى يصير وروده لك ملكة ، فتعلم إن فيك نوراً شارقاً لذيذا تعلم  
 بإشراقه إن جميع الأشياء متوجهة نحو الأول تعالى توجهاً جليلاً ، سالكة إليه سلوكاً  
 جوهرياً<sup>ذليلاً</sup> . ولها رجوع إليه تعالى كما تكرر ذكره في القرآن وساعده البرهان .  
 وأنت قبل أن يحصل لك الإرتقاء إلى هذا المقام يجب أن تعتقد أن جميع  
 الموجودات بحسب مالها من الكمالات - عقلية كانت أو نفسانية أو طبيعية - طالبة  
 لكمالاتها الثانية ، ومتشبهة بعللها ومبادئها في تحصيل ذلك الكمال بحسب ما يتصور  
 في حق كل منها ويليق به ، وإن لكل نوع من الأنواع المفارقة والأثيرية والعنصرية  
 كمال ما وعشق إلى ذلك الكمال ، وإن تصور فقد ذلك الكمال فشوق إرادي لِماله  
 حيوة ظاهرة ، أو طبيعِي لِماليس له حيوة ظاهرة والكل عند أهل الله حيوان ، فاهم ،  
 عاقل . ولولا عشق العالى لانطمس السافل .

\* \* \*

وإذا ثبت هذا ، وثبت إن لكل موجود غاية في وجوده كما إن له فاعلاً ، وإن  
 لكل فاعل في فعله غرض<sup>١</sup> ولفعله غاية ، ولو كان لكل غاية غاية من غير أن تنتهي إلى  
 غاية الغايات لتسلسل الأمر إلى لانهاية - وهو محال - وبلزم أيضاً بطلان الغاية بالكلية  
 كما لا يخفى - فلا بد أن يكون لجميع الموجودات غاية أخيرة تنتهي إليها الغايات  
 بأسرها ، ولا بد أن يكون عين المبدء الأول للكل وإلزام تعدد الباري ، فإن الغاية  
 الذاتية للشيء يجب أن تكون دائماً مقدماً على وجوده ، وهي نفس ما هو الفاعل  
 بالحقيقة .

وأما التقسيم الذي وقع في كلام الحكماء « وهو إن مألجه الشيء قد يكون  
 في بعض الأمور في نفس الفاعل ، كالفرح والغلبة وقد يكون في بعضها في غير الفاعل

وذلك تارة في القابل مثل آخر الحركات التي تصدر عن فكر او طبيعة كصورة الكرسي في الخشب - وتارة في شيء ثالث - كَمَنْ يَفْعَلُ فِعْلاً ليرضى به فلان ، فيكون رضى فلان غايةً خارجة عن الفاعل والقابل « والتحقق أن هذا التقسيم إنما يجري فيما هو غايةً بالعرض ، وأما الغاية بالذات فلا تكون خارجة عن ذات الفاعل أبداً . فإن من فَعَلَ فِعْلاً ليرضى به فلان إنما غرضه الأصلي حصول راحة او لذة تعود إلى نفسه ، وإلا لما فعله .

فالغاية الذاتية بالحقيقة ما اتصل بالفاعل أو وصل إليه الفاعل ، فإن محصل صورة الكرسي في الخشب بعمل وقاصد رضاء فلان بفعل ، ليس غرضه إلا طلب أو لوية تعود إلى نفسه . وكذا الباني في بناء بيت للاستقرار او للأجرة لا يبينه إلا لحصول غاية أخيرة ، وهي الأولوية العائدة إلى نفسه .

ومما يجب أن تعلم إن في الغاية أشياء ثلاثة :

أحدها الغاية بمعنى ما يجعل الفاعل فاعله ويسمى «علةً غائيةً» وهي علة فاعلية لفاعلية الفاعل . ولاشبهة في تقدمه على الفعل - بل على الفاعل من حيث هو فاعل - وهذا في الفاعل الأول - أي صانع العالم - عين ذاته ، فإن ذاته بعينه فاعل للأشياء وعلة غائية ، لأجل علمه بوجوه الخير ، الذي هو الداعي لايجاد الخير في العالم ، وذلك الداعي هو عين ذاته .

وثانيها الغاية بمعنى ما يترتب على الفعل وينتهي إليه الفعل ترتباً وانتهاء ذاتياً - كصورة الخشب والسيف التي انتهت إليه حركة النجار والسياف .

وثالثها الغاية بمعنى الضروري اللازم لهما هو الغاية الأخيرة من غير أن يتوجه إليه الفعل والحركة ، كالدكنة<sup>(١)</sup> الحاصلة في السيف مثلاً . والذبول والموت من

(١) الدكنة - بضم الدال - لونٌ يضرب إلى السواد .

هذا القبيل ، فإن الحرارة مستولية على البدن للأفاعيل النباتية او الحيوانية لأجل الغايات المطلوبة منها ، فإذا استولت تقلل الرطوبات الغريزية شيئاً فشيئاً لأجل تلك الغايات، فيحصل للمادة الذبول بالعرض. وكذا يطرد على البدن الموت بهذا السبب ، أو لأجل تمامية النفس وانصرافها وتوجهها إلى النشأة الثانية . ويقال لهذا القسم : « غاية إتفاقية » .

وقد تكون الغاية الإتفاقية لشيء غاية ذاتية لشيء آخر ، فلها سبب إتفاقي ، والسبب الإتفاقي - يجوز أن يتأدى إلى غاية ذاتية . وقد يجوز أن لا يتأدى ، مثل الحجر الهابط من الجبل إذا شج ، فربما هبط إلى مهبط ، وربما لم يهبط . فإن وصل إلى غايته الطبيعية فيكون بالقياس إليها سبباً ذاتياً ، وبالقياس إلى الغاية العرضية سبباً إتفاقياً . وأما إذا لم يصل إليها كان بالقياس إلى الغاية الذاتية باطلاً .

والإتفاق من حيث هو إتفاق لا يكون دائماً ولا أكثرية . بل يقع على سبيل الندرة ، لما علمت إن ما هو اتفاق بالقياس إلى سبب ذاتي بالقياس إلى سبب آخر فالأسباب الطبيعية أو الإرادية متقدمة على السبب الإتفاقي - تقدم ما بالذات على ما بالعرض - وجميع الأمور الطبيعية والإتفاقية متوجهة نحو غايات بالذات لا بالعرض ، وإن الاتفاق طار عليها ، وإن الغايات الإتفاقية غايات بالعرض وأما وجودها فهو بالذات ، وله غاية أيضاً بالذات .

ثبت وتحقق إن وجود العالم بأسره ليس على سبيل الإتفاق، وإن كان للإتفاق فيه مدخل ، وذلك بالقياس إلى بعض أفراد العنصرينات ، وحيث لا يعتبر الأسباب المتقتضية المكتنفة ، ولا يقاس إلى الأسباب القصوى للكل وإلى السبب الأول والغاية العظمى وغاية الغايات .

وكذا وجود العالم خير كله ، وقع من فاعل هو خير محض . والشر واقع بالعرض بعلة عرضية منتهية إلى عدم أو نقص أو ذات ناقصة ، كإبليس ونحوه .



فبطل ما حكاه قوم عن انبأ قلس أو ذيمقراطيس من القول بالإتفاق ، وكذا ما قالت الثنوية القائلة بوجود مبدء آخر للشروع بالذات ، وكذا ما زعمته أقوام من أن الباري يفعل الأشياء ويتركها من غير نظام وغاية وداع . فإن ما زعموه يجري مجرى القول بالإتفاق ، أو القدر الذي قالته الثنوية - تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقد ذكر الحكماء في كتبهم إبطال هذه المذاهب الخبيثة ببيانات ودلائل موضحة ، من جملة تلك الدلائل أن البقعة الواحدة إذا سقط فيها حبة برّ ، وحبة شعير ، أنبت البرّ برّاً ، والشعير شعيراً ألبته .

ومنها إن الغايات الصادرة عن الطبائع الأصلية في حال ما يكون غير معوقة كلها كمالات . وإنها إذا تأدت إلى أمور ضارة كان ذلك في الأقل . فلهذا ما يقال : لِمَ لا ينبت الشعير برّاً ؟ ولم لا يتولد شجرة مركبة من تين وزيتون ؟ ولم لم يبق

الأنواع محفوظة على الأكثر .  
مركز بحوث ودراسات إسلامية

ومنها إننا إذا أحسننا بقصور من الطبيعة أعينها [ ظ : نعيمها ] بالصناعة . وإذا طرأ وهن أو آفة أو مرض يعوق الطبيعة عن فعلها . نعالجها بالدواء ، كما يفعل الطبيب معتقداً إنه إذا زال العارض وصلح القابل واشتدت القوة ، توجهت الطبيعة إلى فعلها من الصحة ، وليس للروية والفكر مدخل في حصول الغاية .

فليس إذا عدت الروية ووجب أن لا يكون الطبيعة لفعلها غاية . فإن الروية لا تجعل الفعل ذا غاية ، بل لها مدخل في تعيين الفعل الذي يختاره من بين أفعال يمكن صدورها عنا لكل منها غاية تخصه ، فإن لكل فعل يلزمه غاية بالضرورة لا بفعل فاعل ، وليس الفاعل يجعل الفعل ذا غاية ، بل الغاية مما يجعل الفاعل ذا فعل يفعله لأجل تلك الغاية .

ولو كانت النفس مسلمة من المعارضات لكانت تصدر عنها فعل متشابه على نهج واحد طلباً لما هو كمال لها ، وحال السماويات وملكوته هكذا ، لكونها سليمة عن

المعارضات والقواطع للطريق ، فلا جرم هي مؤدبة إلى غاياتها .  
وقد علمت إن الغاية غير خارجة عن ذات الفاعل ، فيكون الفعل الصادر عن  
فاعله مؤدباً وواصلًا إليه ، متقلباً إليه ، بل منقلباً إياه وقد صار أعلى وأشرف مما كان .  
وكذا الكلام في الغاية ، حيث أن لها غاية أيضاً . والكلام في غاية الغاية  
كالكلام في الغاية ، بل غاية الغاية إذا كان وجودها وجوداً إمكانياً أولى بأن يكون لها  
غاية ، كما أنها أولى بأن يكون لها فاعل . لأن وجودها أقوى وأشرف وأدوم . فكيف  
يكون عبثاً بلا غاية ، أو اتفاقاً ، أو جزافاً ؟ فسلسلة الغايات تنتهي إلى واجب الوجود .  
هذا في غير الإنسان . وأما في الإنسان فقد ينتهي بعض من أفرادها من أدنى  
المراتب إلى أعلى الغايات لكونه مختصاً من بين سائر الأنواع بالاستحالة إلى  
الحالات والتطور في الأطوار والنشآت ، فرجوع الأشياء إلى الباري نحو آخر ،  
ورجوع السالك الإنساني المجذوب إليه نحو آخر .  
وذلك لأن سائر الأشياء - ماسوي الممكن الأشرف والعقل الأول - معنى  
انتهائها ورجوعها إلى الربّ تعالى إما عبارة عن انتهاء مبادئها وغاياتها وأسبابها إليه  
تعالى . فهي راجعة إلى الوسائط ، والوسائط متأدية إلى الممكن الأشرف المتوسط  
بينها وبين سائر الممكنات ، وهو منتهى راجع إليه تعالى دائماً ، لأنه تعالى غاية  
ولا غاية له سواه . وإما عبارة عن معية الحق الأول لكل موجود - معية فيومية -  
لشمول نور وجوده للأشياء .

وأما معنى رجوع العبد وعوده إليه تعالى فهو عبارة عن وصوله إلى الحضرة  
الإلهية بعد طي منازل ومقاماته البعيدة والقريبة ، فمن ابتداء حركته الرجوعية إلى  
وصوله إلى لقاء الله تعالى قد قطع جميع القوس العروجية ، وهي نصف دائرة  
الوجود من المادة الأرضية إلى الحضرة المقدسة ، وهو بازاء النصف النزولي منها ،  
وهو من الحضرة المقدسة الهوية الأولى إلى الهاوية السفلى .

والعجب من بعض الحكماء - كأبي علي وأتباعه - كيف أنكروا على بعض المتقدمين فيما ذهب إليه من القول بأن النفس الإنساني متحد بالعقل الفعال عند الاستكمال . وقد بالغ الشيخ أبو علي في الرد على مقدم المشائين بعد أرسطو المسمى بفرفوروريوس<sup>(١)</sup> - وهو عندي أعظم تلامذة ذلك الحكيم الموحد الرباني لوثاقة قوله ومتانة رأيه وحسن سماعه واهتمامه بكلام معلم القوم بالتوحيد والمعاد ما لم يسمع غيره ولم يهتد به من سواه من شركائه في التعليم والصناعة ، كالإسكندر الافروديسي ، وثامسطيوس ، وغيرهما من شراح كلماته وأسراره ، ونقله كتبه وأسفاره وحفظه علومه وأخباره .

ووجه العجب إنه كيف خفي الحال على مثل أبي علي ومن يحدو حدوه حتى شنعوا على القول باتحاد العقل المنفعل بالعقل الفعال ؟ ! وقد شاهدوا من الإنسان الانتقال في الصور والأحوال .

مرزوقين كالمبيوتر علوم إسلامي

فكان قد أتى عليه شيء من الدهر لم يكن شيئاً إلا القوة والاستعداد ، والحامل لها الهيولى التي هي أحسن المواد ، ثم اكتسى بصورة العنصرية ، بل الأرضية التي هي أظلم الأجساد - فإنها الغالب على مادة بدنه - ثم تصور بصورة المنوية - وهي من أوهن الأشياء وأضعفها - وهكذا تدرج في الاستكمال حتى صار حيواناً سمياً بصيراً ، ثم استكمل وصار قابلاً للاهتمام إلى طريق الحق - إما عارفاً مهتدياً ، وإما جاهلاً ضالاً - كما أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا ﴾ [٣-١/٧٦] .

(١) قال في الفصل العاشر من النمط السابع من الإشارات : وكان لهم رجل يعرف بفرفوروريوس ، عمل في العقل والمقولات كتاباً يتنى عليه المشاؤون ، وهو حنف كاهن . وهم يعلمون من أنفسهم أنهم لا يفهمونه ، ولا فرفوروريوس نفسه . وقد ناقضه من أهل زمانه رجل ، وناقض هو ذلك المناقض بما هو أسقط من الأول .

فَمَنْ جَوَّزَ صَبْرُورَةَ اللَّاشِيءِ - كَالْمَادَّةِ الْأُولَى - شَيْئاً - أَيَّ صُورَةٍ بِنَاءً ، عَلَى مَا هُوَ التَّحْقِيقُ مِنَ الْإِتِّحَادِ بَيْنَ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ الْمَقْوَمَةِ إِيَّاهَا ، اِتِّحَاداً فِي الْوُجُودِ ، وَإِنْ كَانَا مُخْتَلِفِينَ فِي الْمَعْنَى وَالْمَفْهُومِ كَالْإِتِّحَادِ بَيْنَ الْجِنْسِ وَالْفِصْلِ ، لِأَنَّ الْجِنْسَ وَالْفِصْلَ هُمَا عَيْنُ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ بِالذَّاتِ وَغَيْرَهُمَا بِالْإِعْتِبَارِ - وَكَذَا جَوَّزَ صَبْرُورَةَ الْجَمَادِ كَالنُّطْفَةِ حَيَوَاناً ، وَالْحَيَوَانَاتِ جَوْهراً عَاقِلاً بِالْقُوَّةِ . كَيْفَ أَنْكَرَ صَبْرُورَةَ الْعَاقِلِ بِالْقُوَّةِ عَاقِلاً بِالْفِعْلِ؟ أَوْ صَبْرُورَةَ الْعَقْلِ الْمُنْفَعِلِ عَقِلاً فِعْلاً؟ ! فَإِنَّ الْمُبَاطَنَةَ هُنَاكَ لَيْسَتْ بِأَقْلٍ مِنَ الْمُبَاطَنَةِ هِيَهُنَا .

فَإِنْ قَالَ فَائِلٌ إِنَّ الْمَادَّةَ مَاصَرَتْ صُورَةً قَبْلَتَهَا ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ مَبْدِئِ تَكْوِينِهِ فِي الرَّحِمِ عِنْدَ الشَّهْرِ الرَّابِعِ مِنْ حِينِ اسْتِقْرَارِ النُّطْفَةِ فِيهِ إِلَى آخِرِ كَمَالِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْوَلَايَةِ شَيْءٍ وَاحِدٍ بَعِينِهِ فِي الْوُجُودِ وَالْجَوْهَرِيَّةِ بِالذَّاتِ ، وَقَدْ طَرَأَ عَلَيْهِ صِفَاتٌ وَأَعْرَاضٌ حَتَّى لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ أَجْهَلِ النَّاسِ كَأَبِي جَهْلٍ وَأَعْقَلِهِمْ كَمُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَابَرَ مَقْتَضَى عَقْلِهِ وَفِطْرَتِهِ .

بَلِ الْإِنْسَانُ أَبْدَأَ فِي التَّحْوِيلِ إِلَى النُّشَاطِ وَالْأَطْوَارِ ، إِلَى أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ . وَهَذَا عَامٌّ لِكُلِّ أَحَدٍ ، سِوَاهُ أُمَّتٍ حَرَكْتَهُ التَّحْوِيلِيَّةَ فِي الْقَوْسِ الرَّجُوعِيَّةِ - حَتَّى إِذَا وَصَلَ مَنْتَهَاهُ ، وَبَلَغَ إِلَى مَنَاهُ ، وَفَازَ بِلِقَاءِ مَوْلَاهُ - أَوْ قَصَرَ فِي ذَلِكَ فَضَلَ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَهَوَى فِي هَاوِيَةِ الْهَوَى أَوْ نَزَلَ إِلَى أَفْقِ الْبِهَائِمِ ، وَتَرَكَ التَّرْقِيَّ إِلَى أَفْقِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَنَحَانَ فِي الْأَمَانَةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِيهِ ، وَأَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ .

بَلِ هُوَ أَسْوَأُ حَالاً مِنَ الْبَهِيمَةِ ، لِأَنَّهَا تَتَخَلَّصُ بِالمَوْتِ ، وَأَمَّا هُوَ فَلَا يَدَّ لَهُ مِنَ الرَّجُوعِ . لِأَنَّ عِنْدَهُ أَمَانَةً سَتَرْجِعُ إِلَى مَوْدَعِهَا ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَمَانَةُ فِي مَبْدِئِ الْفِطْرَةِ قَبْلَ نَزْوِلِهَا إِلَى الْقَالِبِ مَشْرِقَةً زَاهِرَةً كَالشَّمْسِ ، فَإِذَا هَبَطَتْ إِلَيْهِ وَغَرِبَتْ فِيهِ مَدَّةً سَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا وَسَتَعُودُ إِلَى مَبْدِئِهَا وَبَارِئِهَا - إِمَّا مِظْلَمَةً مَنكَسِفَةً ، وَإِمَّا مَشْرِقَةً زَاهِرَةً .

والمشرفة غير محجوبة عن الحضرة الإلهية . والمظلمة أيضاً راجعة إليه مع الحجب الظلمانية . لما أشرنا إليه إن الأشياء كلها راجعة إليه ، صائرة إليه تعالى بوجه آخر، إذ المرجع والمصير للكل إليه . إلا أن النفوس المجرمة الشقية ناكسة رؤسها عن جهة ربها إلى جهة الهوى والهواية ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [١٢/٣٢] فانقلبت وجوههم إلى أقيمتهم ، وانكسرت رؤسهم من جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ، وذلك حكم الله فيمن حرّمه التوفيق ، وأضله الهوى عن طريق الهدى - نعوذ بالله من سوء العاقبة .

## فصل

في زيادة الاستبصار في تحقيق المصير إلى لقاء الله

مركز تحقيق تكاملية في دار القرار

اعلم إنّه كما أفادنا النظر في الوجود وعلته إثبات فاعل أول ، كذلك أفادنا فيه إلى إثبات غاية أخيرة له ويجب أن يكون تلك بعينها مافرضناه فاعلا ، إذ الغاية مايجعل الفاعل فاعلاً ويكمله إذا كان مما يعتربه قصوراً أو نقص .

وأما الفاعل التام الذي فوق الكل ووراء الورداء فليس له كمال منتظر يبلغ ، بل الأشياء مما يصير به تامة كاملاً ، إذ به تمام كل شيء ، وكمال كل ذي كمال ، فما سواه ناقص بذاته ، كامل به .

فإنّه هو الأول الذي لا أول له ، وهو الآخر الذي لا آخر له ، ليس كمثله شيء لأنه أصل الوجود ، ومنه ابتداء الأمر ، وإليه ينساق الوجود ، وهو العلة الفاعلية للوجود ، والعلة الغائية له .

فإن قيل : كيف يكون ماهو العلة الفاعلية علة غائية ، والعلة الفاعلية قبل

الشيء لينبعث منه الشيء ، والعلّة الغائية يجب أن تكون متأخرة الوجود عن الشيء ليستتبعها الشيء ؟

فالجواب إنّ العلة الغائية - إن تأملت - فهي في الحقيقة عين العلة الفاعلية دائماً - لافي هذا الموضوع خاصة - فإن الجائع إذا أكل ليشبع ، فإنما أكل ليشبع لأنه تخيل الشبع ، فحاول أن يستكمل له وجود الشبع ، فيصير من حد التخيل إلى حد العين . فهو من حيث إنه شعبان تخيلاً هو الذي يأكل ليصير شعبان وجوداً ، فالشعبان تخيلاً هو العلة الفاعلية ، والشعبان وجوداً هو الغاية .

فالأكل صادر من الشبع ، ومصدر للشبع ، فالشبع هو الذي كان علة فاعلية للأكل ، وعلة غائية له ، ولكن باعتبارين مختلفين ، فهو باعتبار الوجود العلمي فاعل ، وباعتبار الوجود العيني غاية .

والأمر فيما نحن فيه على عكس ذلك بوجه . فإن الله عزوجل حيث أنبأنا عن غاية وجود العالم ، قال : « كُنْتُ كُنْزاً مَخْفِيّاً ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرِفَ ، فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِأَعْرِفَ » . فدلنا على أن غاية وجود العالم هو الله معروفاً ، فهو موجوداً علة فاعلية للعالم ، وهو مشهوداً علة غائية .

فهذا وجه من تحقيق هذا الكلام ، وهينها وجه آخر أدق من هذا ، فغاية الوجود هي لقاء الله عزوجل ، لذلك بنى العالم ، ولأجله نظم النظام ، وإلى ذلك ينساق الوجود . و﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُتَّهِنِينَ﴾ [٤٢/٥٣] .

## تتمة

[ غاية سير الأشقياء والسعداء ]

واعلم إنّ ههنا غايات وهمية مجعولة للاوهام زيتت لطوائف من الناس فهم سالكون إليها في لبس وعماية من غير بصيرة ولادراية ، وهم كل الناس ، إلا عباد الله المخلصين .

واعلم إن هؤلاء الطوائف ليسوا بمحلّ نظر وليّ الوجود ، ولا يعبا الله بهم ، فإنهم مع وليّ الوجود في شقاق بعيد ، فإنهم متوجّهون إلى غير ما وجّه الله إليه الوجود ونظّم له النظام ، فهم في شقّ والوجود في شقّ ، فهم ليسوا بعباد الله ، ولا الله مولاهم وسيدهم ، وإنما أولياؤهم ماتولوا إليه من الهوى والشهوات ﴿ قُلْ مَا يَتَّبِعُونَ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [٧٧/٢٥] وإذ لما هم عليه من الهوى نظام جزئيّ وهميّ، فله لامحالة وليّ وهو شيطان من الطواغيت. فإن شئت سمّهم عبدة الهوى ، وإن شئت سمّهم عبدة الطواغيت - فقد نزل بكلّ ذلك القرآن .

فمن تولّى الله وأحبّ لقاءه وجرى على [ ما ] أجرى عليه النظام الحقيقي ، تولاهم وهو يتولّى الصالحين . ومن تعدّى ذلك فطغى وتولّى الطواغيت ، واتبع الهوى - ولكلّ نوع من الهوى طاغوت - ولأه الله ماتولاه ، فشحّص لكلّ معبوده ووجه إليه .

مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

وإنك لتعلم إنّ النظمات الوهميّة والغايات الجزئيّة تضمحلّ ولا تبقى حتى هلك هذه الدار وانتقل الأمر إلى الواحد القهار ، فمن كان وليّه الطاغوت - والطاغوت من جوهر هذه النشأة الدنيويّة - فكلما أمّنت هذه النشأة في العدم والدثور ازداد الطاغوت في الاضمحلال .

فطاغوت الإنسان من حين مات الإنسان يأخذ متحرّكاً في العدم ، والإنسان يتبعه، لأن الله تعالى يوليّ كلّاً ماتولاه . وهذا منه عدل فيذهب به الطاغوت ممعناً في وروده العدم ، متقلّباً به في الدركات حتى يحلّه دار البوار - لا يموت فيها ولا يحيى . لا يموت ، لأنّ ذلك عند خراب الدنيا بالكلّيّة ، وإذا خربت فتح الله خزائن الحيوة ، وأفاض بكلّ النور ، ومسح به البريّة مسحة التحمّ بها وجودهم التحاماً لا يداخلهم الفساد بعد ذلك . ولا يحيى لأنّه استقبل بوجهه الطاغوت ، والطاغوت عدمٌ وباطل ، والمسحة النوريّة الوجوديّة إنما تأتيه من وراء ظهره ، وإنما تأتيه من

قَبِلَ الْوَجْهَ عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ اسْتَقْبَلُوا اللَّهَ بِوُجُوهِهِمْ

فإذا حلّ دار البوار اشتعل فيه النار ، وأحاط به سراقها . لأنّ نار النيران قد خلّقتها عزّوجلّ وأسكنها دار البوار . وهي نار الله الموقدة التي تطلّع على الأفتدة ، والعذاب الأكبر للذي قدم من ذنوبه العذاب الأدنى - فافهم ماتلوناه عليك فإنّه لباب المعرفة .

[ نتائج ماضى من التحقيق ]

وبما حقّق به المقام وفسر به الكلام انفسح احتجاج المجسّمة بهذه الآية على تجسّم الإله - تعالى عن ذلك من أنّ الرجوع إلى غير الجسم محال .

واضحلّ أيضاً احتجاج التناسخية بها من أنّ الرجوع إلى شيء يقتضي السابقة إليه ، فدلّ على كون النفوس قديمة في عالم الروحانيات ، إذ قد علمت إنّ هذا الرجوع رجوعٌ معنويّ بعد تطوّر النفس في الأطوار ، وطىّ مراتب الأكوان في النشآت الطبيعية والحسية والخيالية والوهمية، والعقلية . وإنّ هذا الرجوع رجوعٌ غائيّ وحكم السابقة فيه على محاذاة حكم اللاحقية .

غاية الأمر إنّ للنفس نحواً من الحصول سابقاً - ولو باعتبار صورتها العقلية أو العلمية أو الاسمية كما عليه العرفاء - وأين هذا من التناسخ ، وبينهما من الفرق كما بين الأرض والسماء والظلمة والضياء . فظهر فساد قول المجسّمة والتناسخية .

وظهر أيضاً ضلال الثنوية ، لما علمت إنّ توجّه الأشياء إلى ما هو الخير الحقيقي .

وقد علمت أيضاً فساد رأي القائلين بالبخت والإتفاق . وظهرك أيضاً كذب الطباعية والدهرية من أوساخ البرية القائلين بأن ليس لطبايع الأنواع كالأفلاك والعناصر ومافيهما غاية أخرى يؤدّي إليها .



ولما دريت امتناع « تكوّن الأشياء عنه تعالى حاصل من غير داع وغاية هي عين الفاعل الأول » علمت فساد رأي الأشاعرة النافين للداعي والحكمة .  
وعلمت أيضاً بطلان رأي <sup>المعتزلة</sup> الأثباتهم الداعي له تعالى في فعله أمراً مغائراً لذاته ،  
كذات الوقت ، او الأصلح بحال العبد أو مايجري مجراهما ، وذهلوا عن أنّ ذلك  
يؤدّي إلى القول بنقصانه تعالى في ذاته عما هو الأولي له ، والأليق به ، واستكمال  
بالممكن - تعالى عن ذلك علواً كبيراً -

\* \* \*

فبقى أن يكون المذهب المنصور هو الذي عليه أهل الله وأهل اليقين ،  
المتتمون إلى أهل بيت الولاية والعصمة سلام الله عليهم أجمعين .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

قوله جلّ اسمه :

يٰۤاَيُّهَا اِسْرَآءِيْلُ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيْ الَّتِيْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ  
وَ اِنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَي الْعٰلَمِيْنَ ﴿٤٧﴾

إن الله تعالى قد كرّر الخطاب معهم وأعاد هذا الكلام عليهم مرّة أخرى توكيداً للحجّة وتفصيلاً بعد الإجمال لأنه أوقع في النفوس، وتذكيراً لتذكرة لنعمة التفضيل الذي هو أجلّ النعم على الخصوص ، وتحذيراً من نوك اتباع محمد ﷺ .  
قال القفال (١) : النِعْمَةُ - بِكسْرِ النون - صِفَةُ الْمُنْعَمِ . أي ما ينعم به الرجل على صاحبه . قال [تعالى] : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا ﴾ [٢٢/٢٦] - وَأَمَّا النِّعْمَةُ - بفتح [النون] - فهو بمعنى ما ينعم به في العيش . قال تعالى : ﴿ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ [٢٧/٤٤] .

وقوله : ﴿ اِنِّي فَضَّلْتُكُمْ ﴾ منصوب المحل عطفاً على ﴿ نِعْمَتِي ﴾ أي اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم على العالمين .

\* \* \*

ولا يلزم أن يكونوا أفضل من محمد ﷺ لوجوه :  
أحدها ما ذكر في الكشاف (١) : « إن المراد به التفضيل على الجسم الغفير من الناس ، كقوله تعالى : ﴿ بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعٰلَمِيْنَ ﴾ [٢١/٢١] وكما تقول : « رأيتُ عالماً

(١) تفسير القمى الرازي : ٥٠١/١ .

(٢) الكشاف : ٢١٤/١ .

من الناس» والمراد منه الكثرة - لا الكلّ .

واعترض عليه في التفسير الكبير<sup>(١)</sup> بأنّ هذا ضعيف ، لأنّ لفظ «العالم» مشتقّ من العلم ، وهو الدليل ، فكلّ ما كان دليلاً على الله أو كان عالماً فكان من العالم . وهذا تحقيق قول المتكلمين : «إنّ العالم كلّ موجود سوى الله» وعلى هذا لا يمكن تخصيص لفظ [العالم] ببعض المحدثات .

**أقول :** وهذا غير وارد ، إذ ليس مراد الزمخشري أنّ مدلول لفظ «العالم» حقيقةً مختصّةً ببعض المحدثات ، بل إنّّه يريد به كثير من العالم مجازاً ، أو بحسب العرف الطاري .

وثانيها مقاله ابن عباس<sup>(٢)</sup> : أنّه أراد به عالمي زمانهم ، لأنّ امتنا أفضل الأمم بالاجماع ، كما أنّ نبيّنا أفضل الأنبياء . وبدليل قوله [تعالى] : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [١١٠/٣] *مكتبة تكميل علوم إسلامي*

وثالثها أنّ المراد تفضيلهم في أشياء مخصوصة ، وهو إنزال المنّ والسلوى وما أرسل الله فيهم من الرسل ، وأنزل عليهم من الكتب - إلى غير ذلك من النعم العظيمة - كتخريق فرعون ، والآيات الكثيرة التي يسهل معها الاستدلال ، ويهون بها المشاق . وتفضيل الله إياهم في أشياء مخصوصة لا يوجب أن يكونوا أفضل الناس على الإطلاق .

وهي هنا وجه آخر لا يبعد القول به : وهو إنّ هذا التفضيل من جملة النعم العامّة عليهم وعلى غيرهم من أفراد نوعهم والتي جاء من بعد النعم الخاصّة لهم ، فيكون إشارة إلى فضيلة البشرية كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾

(١) تفسير الثخرازي : ٥٠٠/١ .

(٢) مجمع البيان : ١٠٢/١ .

[٧٠ / ١٧] غاية الأمر ان كان المراد من العالمين غير الملائكة والأشخاص الكريمة العلوية ليكون على وفاق قوله : ﴿ كَثِيرٌ مِمَّنْ خَلَقْنَا ﴾ .

واعلم إنه قال في التفسير الكبير <sup>(١)</sup> : إن قوله : ﴿ وَأَنْتَ فَضَّلْتَكُمَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ يدل على أن رعاية الأصلح لاتجب على الله تعالى - لافي الدنيا ، ولافي الدين - لأن قوله : ﴿ وَأَنْتَ فَضَّلْتَكُمَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ يتناول جميع نعم الدنيا والدين فذلك التفضيل إن كان واجباً لم يجز جعله منة عليهم ، لأن من أدى واجباً فلامنة له على أحد . وإن لم يكن واجباً مع أنه قد خصص البعض بذلك دون البعض - فهذا يدل على أن رعاية الأصلح غير واجبة - لافي الدنيا ، ولافي الدين .

أقول : فيه نظر - لأن الوجوب من وجه لاينافي علمه من وجه آخر .

ثم إنا لانسلم ان المؤدي للواجب إلى أحد لايجوز له المنة على المؤدي إليه . فإن الأب يجب عليه تأديب الولد وتفقته وكسوته ورعاية أحواله ، ومع ذلك لو من عليه بها لم يكن هذا قبيحاً منه . وكذا المعلم لأحد في المعارف الإلهية لو من على من خرج بهدايته من ظلمة الضلالة وعنه الحيرة وجهنم الجهالة إلى نور الهدى وبصيرة اليقين وجنة العرفان ، لكانت المنة له عليه عظيمة .

على أن الحق في هذه المسئلة ماذهب إليه المحققون ، من أن الأشياء إنما يجب بايجاب الله تعالى ، لان الأشياء وجبت عليها ، أو أوجبت شيئاً آخر عليها .

قوله جلّ اسمه :

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ  
مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

قرء أهل مكة والبصرة ﴿لاتقبل﴾ بالباء ، والباقون بالياء .

لما بين سبحانه نعمه العظام عليهم أنذرهم في كفرانهم بيوم القيامة . واتقوا  
عبارة عن اتقاء ما يكون فيه من الشدائد والأهوال ، وإلا فنفس اليوم لا يتقى . كيف  
ولا بد أن يردّه أهل الجنة والنار جميعاً ، ولكن ليس انتصابه انتصاب الظروف ، بل  
انتصاب المفعول به ، لأنّ معناه « اتقوا هذا اليوم واحذروه » وليس معناه « اتقوا  
في اليوم » لأنّ يوم القيامة لا يؤمر فيه باتقاء شيء ، بل إنما يؤمر في غيره باتقائه أو  
اتقاء ما يقع فيه .

و « الجزاء » عند أهل اللغة المكافأة والمقابلة . يقال : « جزى بجزى جزاء »  
و « جازاه مجازاة » ومنه الحديث انه قال ﷺ لأبي بردة (١) في الجذعة التي أمره  
أن يضحى بها : « ولا تجزي عن أحد بعدك » وقال ﷺ : « البقرة تجزي عن سبعة »  
أي : تقضي وتكفي . فقوله : ﴿ لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ﴾ أي لا تقضي عنها

شيئاً من الحقوق - فيكون مفعولاً به - أو شيئاً من الجزاء - فيكون نصبه على المصدرية .

وقرىء : « ولا تجزيء » من « أجزء عنه » إذا أغنى عنه ، فعلى هذا لا يكون إلا مصدرأ بمعنى شيئاً من الأجزاء . وقرء أبو السرار القنوي « لاتجزى نسمة عن نسمة شيئاً » (١) .

وتنكير الجزاء والجازي والمجزى عنه للتعميم والإقناط الكلي عن غير الله . والجملة منصوبة المحل صفة لـ « يوماً » والعائد فيها محذوف ، تقديره : « لاتجزى فيه نفس » ومنهم من لم يجوز حذف الضمير المجرور ، لأنك لاتقول « هذا رجلٌ قصدتُ » أو « هذه واد سكنتُ » وأنت تريد « إليه » أو « فيها » . فقال : اتسع فيه فأجرى مجرى المفعول به ، فحذف عنه الجار ، ثم حذف الضمير كما حذف في قوله : فما أدري غيرهم ثناءً \* وطول العهد ، أم مال أصابوا ؟

و« الشفاعة » أن يستوجب [ أحد ] لأحد شيئاً أو يطلب له ، وهي بمعنى الوسيلة والوصلة ، والقربة . وأصلها من « الشفع » الذي هو ضد « الوثر » كأن المشفوع كان فرداً ، فجعله الشفيح شفعاً بضم نفسه إليه .

والضمير في ﴿ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا ﴾ راجع إلى النفس الثانية العاصية أي : لوجامت بشفاعة شفيح لا يقبل منها . ويجوز عودة إلى الأولى أي : لوشفعت لها لم تقبل شفاعتها ، كما لاتجزى عنها شيئاً .

و« العَدْل » هيئنا : الفدية . وقيل : البدل . والفرق بين العَدْل والعِدْل إنَّ العَدْل هو مثل الشيء من جنسه ، والعِدْل هو بدل الشيء . وقد يكون من غير جنسه . قال سبحانه : ﴿ أَوْ عِدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [٩٥/٥] وأصله التسوية سميت به الفدية لأنها سويت بالمفدى .

ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ [٤٧/٣٩] وقوله تعالى : ﴿ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم﴾ [٣٦/٥] وقوله : ﴿ان الذين كفروا وماثوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملة الارض ذهاباً ولو افتدى به﴾ [٩١/٣] وقوله تعالى : ﴿وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ [٧٠/٦] .

و«النصرة» هي المعونة، وقيل: النصره أخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر. قال القفال : والنصر يراد به المعونة ، وفيه معنى الإغاثة . يقول العرب : « أرض منصوره » اي : ممطورة . والتبث ينصر البلاد إذا أبتها، فكانه أغات أهلها . ويستى الإنتقام نصره وانتصاراً . قال تعالى : ﴿ونصرناه من أقوم﴾ [٧٧/٢١] قالوا معناه : فانتقمنا له .

فقوله : ﴿لا ينصرون﴾ يحتمل هذه الوجوه . فإنهم يوم القيامة لا يغاثون ، وإذا عذبوا لم يجدوا من ينتقم لهم من الله . وبالجملة - النصر يتضمن دفع الشدائد ، فأخبر تعالى إنه لا دافع هناك عن عذابه .

والضمير في ﴿لا ينصرون﴾ لما دلت عليه النفس الثانية ، لكونها نكرة واقعة في سياق النفي يعنى النفوس الكثيرة . وتذكيره لأنها بمعنى العباد والاناسي .

## فصل

[ حث الآية على العمل ]

اعلم إنه تعالى وصف يوم القيامة بأشد الشدائد وأعظم الأحوال ، وذلك لأنه إذا وقعت على أحد واقعة او دفع إلى كربة وحاولت أعوانه وأصدقائه دفاع ذلك

عنه ، بدأت بما في نفوسها الأبيّة من مقتضى الحميّة ، وذبت عنه كما يذبّ الوالد عن ولده بغاية قوته . فإن رأى من لاطاقة له بممانعته عادّ بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة فحاول بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة ، فإن لم يغب عنه الحالتان من الخشونة والمعونة لم يبق بعده إلاّ فداء الشيء بمثله من جنسه او يبدله من غير جنسه . فإن لم تغن هذه الثلاثة تعلل بما يرجوه من نصر الناصرين أو انتقام المنتقمين ، فأخبر تعالى إنّ لابغني في الآخرة شيء من هذه الأمور عن المجرمين .

ففي هذه الآية أعظم تحذير للإنسان عن المعاصي ، وأقوى ترغيب له في التوبة والتلافي ، لأنه إذا تصوّر أنّه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنّه لا خلاص له إلاّ بالطاعة .

والآية وإن كانت في بني اسرائيل فهي بحسب المعنى نعمّ المكلفين كلّهم ، لأنّ الأوصاف المذكورة فيها هي التي يوصف بها اليوم ، فيعمّ كلّ من يحضر في ذلك اليوم .

## فصلٌ مشرقِيٌّ

واعلم إنّ البيان الكشفي للسبب اللّمي والسرّ العقلي في إثبات هذه الأوصاف والأحكام ليوم الآخرة إنّ المؤثر على قسمين ، الأوّل أن يكون تأثيره بمشاركة الوضع ومصادفة المادة بعضها بعضاً . والثاني أن لا يكون تأثيره كذلك ، بل بمجرد الذات ، والذي يؤثر في الشيء بالذات - لا بمشاركة المواد والأوضاع - إمّا السبب الفاعلي أو الغائي أو الصوري لأنه لا تأثير للسبب المادي بالافتضاء والايجاب ، إذ ليس شأنها إلاّ القبول والانفعال .

إذا تقرّر هذا فجميع هذه الأمور المعدودة في الآية - من المكافأة ، والشفاعة ، والفدية ، والنصرة - هي من التأثيرات التي وقعت بين الأشخاص المتشاركين في



الأوضاع والأمكنة ، فيؤثر فيهم هذه الأسباب المعدّة ، ولهم أيضاً جهة القبول والانفعال من جهة المادّة المنفصلة التي يؤثر فيها كلّ شيء .

وأما الآخرة ففيها هذه الأسباب والأنساب منقطعة ، والذي يكون هناك معه المهمّات ويطلب منه الاقتراحات - أعني الباري جلّ ذكره - لا يؤثّر فيه شيء ولا يتفعل عن شيء ، لأنّه القاهر على كلّ شيء . فالمؤثر هناك في شيء منحصر في سبب صوريّ للشيء أو فاعليّ له أو غائيّ له .

فالصورة كالايمان والكفر والخلق الحسن والخلق الردي . وأما الفاعل فهو الله بلا واسطة أو بواسطة بعض عباده المقرّبين ، الذين هم بأمره يفعلون ، لأنهم من عالم الأمر ويفعلون ما يؤمرون . وأما الغاية فهو الله بالحقيقة أو ما ينعكس من نور جماله لمن يعجز عن إدراكه ، والعلة الصورية معلولة للفاعل والغاية ، لأنها العلة المباشرة ، وهما علتان مفارقتان .

فجميع اللذات الروحانية - كلقاء الله ومجاورة مقرّبيه - والجسمانية - كالجنة والمحور والقصور والأنهار والأشجار وغيرها - متسببة عن الله تعالى بواسطة صورة الايمان والإحسان . وجميع الآلام الروحانية والجسمانية - كالإحتجاب عن الرب تعالى وملكوته ، والتعذب بالجحيم والزقوم والعقارب والحيات وغيرها - متسببة عنها بواسطة صورة الكفر والإساءة .

فلا سبب ولا نسب هناك إلّا ما ذكرناه ، ولا وسيلة هناك لأحد عنده ولا شفيع ولا ظهير ولا معاون ولا نصير ، لعدم انفعاله وتأثره عن الغير . ولا مكافي له ولا ممانع ولا مدافع ولا منتقم منه ، إذ لا مساوي له في القوّة ، إذ لا واجب الوجود غيره ، والوجود يفيض منه ويطرّش على غيره فكيف يساويه في القوّة أو يزيد عليه حتى يدافعه أو ينتقم منه ، بل هو الغالب على أمره ، والقاهر فوق عباده .

وبالجملة - لا وسيلة لأحد من أحد في أمر ولا رابطة بين أحد وأحد إلّا بالروابط

الذاتية . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [١٩/٨٢]  
وقال : ﴿ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾  
[٣٣/٣١] .

### ثم هيهنا سؤالان :

أحدهما إن الباري - جل شأنه - كما أنه موجد الآخرة وما فيها كذلك موجد الدنيا وما فيها ، فما وجه إن الوسائط والأسباب هيهنا موجودة مؤثرة ، والإنسان ينتفع بها في جلب الملاذ ودفع المضار، وفي الآخرة لا تأثير لها ولا وجود للوسائط؟  
وثانيهما إن النصوص دالة على أن الشفاعة ثابتة للملائكة والأنبياء والكاملين من أهل الإيمان ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ [٧/٤٠] .

وبالجملة <sup>(١)</sup> - الأمة مجتمعة على أن لمحمد ﷺ شفاعة مقبولة في الآخرة ، وإن اختلفوا في كيفية . فعند المحققين هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقه من مذنب المؤمن . وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين . وهي ثابتة عندنا للنبي ﷺ ولأصحابه المتجيبين وللأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحى المؤمنين والملائكة وينجى الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين .

ويؤيده الخبر الذي تلقاه الأمة بالقبول ، وهو قوله ﷺ <sup>(٢)</sup> : « ادخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » وما جاء في روايات أصحابنا - رضي الله عنهم -

(١) مجمع البيان : ١٠٣/١ .

(٢) راجع الحديث بألفاظه المختلفة في كنز العمال : ٦٢٨/١٤ .

مرفوعاً ، إلى النبي ﷺ إنه قال<sup>(١)</sup> : « اشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَشْفَعُ ، وَيَشْفَعُ عَلِيٌّ فَيَشْفَعُ وَيَشْفَعُ أَهْلَ بَيْتِي فَيَشْفَعُونَ . وَإِنَّ أَدْنَى الْمُؤْمِنِينَ شَفَاعَةَ لِيَشْفَعُ فِي أَرْبَعِينَ مِنْ إِخْوَانِهِ كُلِّ قَدِ اسْتَوْجِبَ النَّارَ » .

وفي الحديث عنه ﷺ إنه قال<sup>(٢)</sup> : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ » .

وقال ﷺ<sup>(٣)</sup> : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفَتَامِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلعَصْبَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ ، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ » .

وعن أبي جعفر عليه السلام<sup>(٤)</sup> - في باب فضيلة النكاح - : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : تَزَوَّجُوا ، فَإِنِّي مَكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَمَمِ غَدَاً فِي الْقِيَامَةِ ، حَتَّى أَنْ السَّقَطُ تَجِيءُ مَحْبَبَتِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : لَا حَتَّى يَدْخُلَ أَبَوَايَ »  
فهذه النصوص تنافي الآيات الدالة على نفى الشفاعة والنصرة وما يجري مجراهما ، كما في مثل قوله : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ فإنه نكرة في سياق النفي ، فيعم جميع أقسام الشفاعة . وقوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴾ يدل على نفى النصر . وقوله تعالى ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [٢٥٢/٢] تقتضي نفى الشفاعة بالكلية .

\* \* \*

والجواب عن الأول إن الدار الدنيا واقعة في آخر منازل الوجود ، فإن

(١) مجمع البيان : ١٠٤/١ .

(٢) المستدرک للحاکم : کتاب الايمان : ٧٠/١ .

(٣) ترمذی : ٦٢٧/٤ - المسند : ٢٠/٣ - ٦٣ .

(٤) جانت الرواية في الفقيه (باب فضل التزويج : ٣٨٣/٣) ومعاني الأخبار (باب

معنى المحبطين : ٢٩١) عن أبي عبدالله (ع) .

الوجود نزل إلى جوهر ماديّ ينفعل عن كلّ مؤثر يصادفه لكونه محض القوّة والاستعداد ، ومنه تنشأ الحركات والاستحالات ، وهي حالةٌ بين صرافة القوّة ومُحوضة [ الفعل ] .

فمبدء الحوادث في هذا العالم هي الهولوى والحركة ، فإنّ الهولوى بأوضاعها المستفادة من الحركة تحدث فيها من المبدء الجواد والوسائط الوجودية موجودات حادثة في أزمنة معينة ، وتحصل منها سلسلة عرضية من المتجدّات الزمانية والمكانية وأما الدار الآخرة فهي أقرب إلى الله من هذه الدار ، وما فيها من الموجودات - وإن كان جسمانية الحقيقة - لكنّها أشبه بالصورة بحسب وجودها منها بالمادة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [٩٥/١٩] وقوله : ﴿ وَثَرِيَّةٌ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [٨٠/١٩] لأن ملائكة الموت قد توقفتها ونزعت أرواحها وصورها عن هذه القوالب المادية .

ولهذه الأرواح في النشأة [الثانية] قوالب مناسبة لأرواحها في الدوام والتجدد ولا يؤثر فيها تأثيرٌ غريب . بل أرواح ذلك العالم يؤثر في أشباحها بالابلام والتنميم بحسب ما كسبت وحصلت في الدنيا لنفوسها من صور الأخلاق وهيئات الملكات الحسنة النورانية ، أو القبيحة الظلمانية .

فكل ما يصل من اللذات والآلام إلى كلّ أحد ، فهو إنّما يصل إليه من نفسه بوسيلة ذاته من جهة العلل الذاتية ، لامن جهة الأسباب العرضية والعلل الإتفاقية الكونية ، لكونها منقطعة مسلوقة يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ أَنْ أَلْقُوهُ لِيهِ جَمِيعًا وَإِنْ أَلَّهُ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [١٦٥-١٦٦/٢] وقوله : ﴿ فَلَا تَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [١٠١/٢٣] .

وقد تكرّر وتكثّر في القرآن ذكر هذا المعنى والتنبيه عليه ، كقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ ﴾ [٣٧-٣٤/٨٠] وقوله : ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٩٠/٢٧] و قوله : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ \* وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٣٨/٣٧] [٣٩- وقوله : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [١٦/٥٢] وقوله : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَإِنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يَرَى ﴾ [٤٠-٣٩/٥٣] وقوله : ﴿ قَالِ يَوْمَ لَا نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا نُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٥٤/٣٦] وقوله : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٤٣/٧] إلى غير ذلك من الآيات .

وفي الحديث عن النبي ﷺ <sup>(١)</sup> : « إنما هي أعمالكم تُردّ عليكم » .

كلّ ذلك إعلام وإشعار بأنّ الثواب والعقاب في القيامة بنفس الأخلاق والصفات التي ترسّخت أصولها في القلب بواسطة تكرّر الأعمال والأفعال الواقعة في الدنيا من أفراد الناس ، وتبيّن كيفيّة تجسّم الأعمال في الآخرة عند تفسير بعض الآيات المشيرة إلى أحوال البعث .



وأما الجواب عن الثاني إنّ جميع ماورد في باب الشفاعة يوم القيامة يرجع إلى أسباب ذاتية وأمور داخلية .

فإنّ معنى كون الرسول ﷺ شفيعاً إنّ الإيمان بحقيقته والإعتراف برسائه يوجب هيئة في النفس ، بها يستحقّ لنور الرحمة والنجاة من عذاب النار ، والمؤثر في الشفاعة صورة النبي ، الحاصلة في النفس العارفة به صلوات الله عليه وآله وليست أمراً منفصلاً عن ذات المؤمن ، وكذا الحال في سائر الشفعاء والاخلاء يوم الدين . والمنفي في هذه الآية وفي غيرها - كقوله تعالى : ﴿ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾

(١) جاء في مسلم (كتاب البرّ والصلة : ١٦/١٣٣) : « إنما هي أعمالكم أحصياها لكم »

[٢٥٤/٢] وقوله « ولاشفيح ولاحميم »<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللَّهَ يَغْفِرَ لِقَلْبِهِ سَلِيمًا﴾ [٨٨-٨٩/٢٦] وقوله : ﴿الْأَخْيَالُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ - [٦٧/٤٣] عن الدار الآخرة من الشفاعة وما يشبهها غير الثابت منها في الآيات والأخبار بالمعنى والحقيقة ، لأن المنفي منها أمور خارجية ، والثابت منها أمور داخلية من باب الصور المشهورة للإنسان في عالم الباطن .

فإن القيامة حضورها في داخل حجب السماوات والأرض وباطنها ، لافي ظهرها وخارجها ، ورؤية الأشياء هناك كرؤية الصور والألوان في باطن المرآة من جهة صقالة وجهها ورؤية الأشياء ههنا كرؤية الصور والألوان على ظهر المرآة .

وبالجملة - الأسباب العرضية والاتفاقية مسلوقة في القيامة ، والأسباب الذاتية الداخلية ثابتة . فالآيات والأخبار الدالة على نفي الشفاعة والوسيلة والقرابة وغيرها إنما تحمل على نفي ما هو منها من قبيل القسم الأول ، والتي تدل على إثباتها تحمل على إثبات ما هو منها من قبيل القسم الثاني .

فمن قبيل الأول ما في قوله تعالى ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [١٨/٤٠] وقوله : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [٢٧٠/٢] وقوله : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [٤٨/٧٤] ومن قبيل الثاني المستثنى الواقع في قوله تعالى : ﴿ يُدَبَّرُ الْأَمْرَ مِمَّنْ شَفِيعَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [٣/١٠] .

فالنفي متعلق بما هو من قبيل الأول . والاستثناء بما هو من قبيل الثاني . وكذا قوله : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادْتَنِي ﴾ [٢٨/٢١] وقوله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [٢٥٥/٢] فإن لفظ « الإذن » أينما وقع في القرآن كان إشارة إلى السبب الفاعلي الذاتي - دون العرضي الجسماني - فافهم واستقم .

(١) الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [١٨/٤٠]

## فصل

[ الخلود في النار ، والخلاص منها ]

استدلّت المعتزلة <sup>(١)</sup> القائلون بخلود مرتكب الكبيرة - ولو مرة واحدة - في النار بهذه الآية على انكار الشفاعة بوجوه ثلاثة :

أحدها بقوله : ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ ولو أثرت الشفاعة في إسقاط العقاب لكان قد أجزت نفس عن نفس شيئاً .

والثاني بقوله : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ لكونها نكرة في سياق النفي ، فيعمّ كما مرّ .

والثالث ﴿وَلَأَنَّهُمْ يَتَنَبَّهُونَ﴾ إذ الشفاعة ضربٌ من النصرة ، ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص .

وأجيب بوجهين : أحدهما إن اليهود كانوا يزعمون أن آبائهم يشفعون لهم فالآية نزلت فيهم . لا يقال : العبرة بعموم الحكم ، لا بخصوص السبب . لأننا نقول : خصوص السبب ممّا له مدخل في احتمال التخصيص ، وذلك كاف في سند المنع . والثاني إن الآية وإن كان ظاهرها العموم إلا أنها قابلة للتخصيص .

\* \* \*

واعلم إن مسألة اثبات الوعيد لأهل الكبائر إذا لم يتوبوا موضع خلاف لأهل القبلة . فالمعتزلة والخوارج قاطعون بوعيدهم مؤبداً . وطائفة قاطعون بوعيدهم منقطعاً - لا مؤبداً - وهو قول البشر المريسي والخالدي .

وذهب بعضهم بأنه لا وعيد لهم . وينسب إلى مقاتل بن سليمان المفسر ، وإليه

(١) تفسير الفخر الرازي : ٥٠٤/١ .

ذهب بعض المرجئة .

والذي عليه أصحابنا الإمامية ، والمنقول عن أئمتنا عليهم السلام ، وعليه رأي أكثر الصحابة والتابعين والصوفية ، ووافقهم الأشاعرة في إثبات العفو عن بعض العصاة . والقطع بأن الله يعفو عن بعض السيئات ، وإن لم يتب عنها ، وأنه إذا عذب أحداً من أصحاب الكبائر ، فلا يعذبه أبداً . لكننا نتوقف في حق البعض المعفوة عنه ، والبعض المعذب على التعمين .

وقال بعض ضلال المتفلسفة: إن الأرواح - وإن تكثرت بقبايح أعمال الأشباح إلا أنها بعد المفارقة ورجوع العناصر إلى أصلها تصير إلى حظائر القدس ولا يزاحمها شيء من نتائج الأعمال إلا أياماً معدودة بقدر فطام الأرواح عن لبان التمتع الحيوانية . ثم يتخلص من العذاب ويرجع إلى حسن المآب .

ومنهم من زعم إن استيفاء الذات الحسية يقلل التعلقات الدنيوية ، ويسهل خروج الروح إلى عالمه العلوي .

وطائفة من المتصوفة زعموا إن السالك إذا بلغ حد المعرفة التامة لم يضره الماضي .

وكل هذه الثلاثة خيال فاسد ومتاع كاسد، وإنها قول [من] لم يجرب نفسه ، ولم يعرف مكر الله فأمن منه ، ولم يجد من نفسه أنها كيف تتدنس بالأخلاق الدميمة البهيمية والسبعية ، وكيف تتطهر وتتصفي بالأخلاق الحميدة الروحانية الملكية ، فقد تصدء مرآة القلب بحيث لا يبقى فيه شيء من الصفاء الفطرية ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ فلا يجلوها إلا مرور الديمور وكرور الأعصار وقد ينضم الكفر إلى تلك الأخلاق بأن يتأدى رسوخ الصفات الظلمانية إلى حيث يزول عن القلب قابلية نور الإيمان والمعرفة ، فيبقى خالداً مخلداً في النار في ويل طويل وزفير وعويل - نعوذ بالله من الحور ﴿ الكور ﴾ .



واعلم إنه يمكن أن يتمحل للقول الأول من هذه الثلاثة وجهٌ يندفع به فسادُه وهو إن المراد بالأرواح مرتبةٌ غير النفوس التي هي مورد المقت والعذاب، وموضع الآلام والأسقام . فإن الروح إذا أريد به جوهرٌ قدسيٌّ من عالم الأمر له تعلقٌ بالنفوس البشرية فهو سعيد في الدنيا والآخرة .

وقد وقعت الإشارة إلى هذا المعنى فيما سبق من أن نسبة الروح الحيواني إلى الروح النطقي كنسبة الدابة إلى راكبها ، وأن التي قامت الحدود بها وتحسن بالمقتل والضرب هي النفس الحساسة ، وإن النفس الناطقة على شرفها مع عالمها في سعادتها دائمة .

وقد سبقت أيضاً الرواية عن النبي ﷺ<sup>(١)</sup> إنه قامت لجنازة يهوديٍّ فقيل له : «إنها جنازة يهوديٍّ» فقال ﷺ: «أليست نفساً؟» أراد ﷺ بها نفسه الناطقة ، فقام تعظيماً لشرفها ومكانتها لأنها منفوخة من روح الله ، فهي من عالم القدس والطهارة لا يكدرها شيء من الأرجاس . بل إن من النفس الحيوانية محل الشقاء في الدنيا والآخرة وهي في الإنسان باقية بعد البدن ، محشورة في الآخرة - كما أقيم عليه البرهان ، وهو من العرشيات المختصة بهذا العبد عناية من الله .

\* \* \*

وأما ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة « من أن عصاة المؤمنين لا يعذبون ، وإنما النار للكفار » تمسكاً بالآيات<sup>الذات</sup> على اختصاص العذاب بالكفار مثل قوله [ تعالى ] : ﴿ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [٤٨/٢٠] وقوله : ﴿ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٢٧/١٦] فجوابه إن المراد من العذاب ما هو على وجه الخلود . وكذا المراد من الخزي والسوء .

وأما تمتكهم بمثل قوله ﷺ<sup>(١)</sup> : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » . وفي رواية : « وَجِبَ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ »<sup>(٢)</sup> فهو ضعيف ، لأنه إنما ينفي خلود النار - لا الدخول فيها واعلم إن الإيمان إذا كان حقيقياً بالغاً إلى حد علم اليقين يمكن القول بعدم دخول صاحبه في النار ، ولكن قل ما يحصل هذا المقام لأحد إلا مع اجتنابه عن الكبيرة ، وذلك لكونه متوقفاً على صفاء كامل في القلب وتجرّد بالغ عن أغراض النفس ولذاتها الحيوانية .

والذي يدلّ على أن الإيمان القوي يمنع صاحبه عن دخول النار ، ما جاء عن رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup> إنه يقال يوم القيامة : « اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الإيمان ، ونصف مثقال ، وربع مثقال ، وشعيرة ، وذرة » كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان ، وأن هذه المقادير لا يمنع دخول النار . وفي مفهومه ان مَنْ كان إيمانه يربد على مثقال فإنه لا يدخل النار . وان من في قلبه ذرة من الإيمان لا يستحقّ الخلود في النار - وإن دخلها - .

ولاختفاء في أن درجات الإيمان مختلفة في القوة والنورية ، كالتفاوت بين الأنوار المحسوسة في الإضاءة والإشراق ، فصحّ أن يقال إيمان واحد من الناس - كالنبي والولي - لو وزن مع إيمان سائر الخلائق لرجح . كما يصحّ أن يقال : « لو وزن نور الشمس بنور السرج كلّها لرجح » فإيمان آحاد العوام نوره كنور السراج ، وإيمان الأولياء والصدّيقين كنور القمر ونور النجوم ، وإيمان الأنبياء كنور الشمس . وإليه الإشارة في قوله ﷺ<sup>(٤)</sup> « ايس شيءٌ خيراً من ألف مثله إلا الإنسان » إشارة إلى تفضيل قلب المؤمن العارف على غيره من العوام .

(١) كنز العمال : كتاب الإيمان ، فضل الشهادتين : ٦١/١ .

(٢) جاء ما يقرب منه في ابن ماجه : باب في الإيمان : ٢٣/١ .

## فصل

[ أدلة المعتزلة على قولهم بالخلود وجواباتها ]

وأما المعتزلة فاستدلوا بالعمومات الواردة في وعيد الفساق ، وبالآيات الدالة على الخلود المتناولة للكافر وغيره ، كقوله [ تعالى ] : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾ [١٤/٤] وليس المراد تعدي جميع الحدود بارتكاب المعاصي كلها تركاً وإتياناً ، فإنه محال لما بين البعض من التضاد ، كاليهودية والنصرانية والمجوسية . فيحمل على مورد الآية من حدود المواريث .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [٩٣/٤] وقوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [٢٠/٣٢] ومثل هذا مسوق للتأييد ونفي الخروج .

ومثل قوله : ﴿ إِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ يَصْلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ [١٤-١٦/٨٢] وعدم الغيبة عن النار خلوداً فيها .

وقوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٨١/٢] وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ [١٠/٤] .

وبالعمومات الدالة على نفي الشفاعة ، كقوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [١٨/٤٠] والظالم هو الآتي بالظلم ، وذلك بعم الكافر وغيره . وقوله تعالى : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [٢٥٤/٢] وقوله : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [٢٧٠/٢] ولو كان الرسول ﷺ شافعياً من أمته ، لكان ناصرهم لهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادْتُمْ ﴾ [٢٨/٢١] والفاسق ليس

بمرتضى عند الله ، وإذا لم يشفع الملائكة فكذا الأنبياء - إذ لا قائل بالفرق .

وقوله : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [٤٨/٧٤] وبقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ [٧/٤٠] ولو كانت الشفاعة حاصلة للفاسق لم يكن لتقييدها بالتوبة ومتابعة السبيل معنى .

وبالأخبار الدالة على الوعيد ، كقوله ﷺ<sup>(١)</sup> : « مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَتُبْ عَنْهَا ، لَمْ يَشْرَبْ فِي الْآخِرَةِ » وقوله ﷺ<sup>(٢)</sup> : « مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مَعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

وقوله ﷺ<sup>(٣)</sup> : « الَّذِي يَشْرَبُ فِي آتِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرَجُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ » . وقوله ﷺ<sup>(٤)</sup> : « لَا يُغْفِرُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ رَجُلٌ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ » .

وقوله ﷺ<sup>(٥)</sup> : « يَا كَعْبُ بْنُ عَجْرَةَ - أَعْيذك بالله من إِمَارَةِ السَّفَاءِ . إِنَّهُ سَيَكُونُ أَمْرًا مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ ، وَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَلَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ ، وَلَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ الْحَوْضَ - الْحَدِيثُ - يَا كَعْبُ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتْ مِنْ حَرَامٍ » .

وعن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup> : « لِأَلْفَيْنِ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى

(١) البخاري : كتاب الاشرية : ١٣٥/٧ « حرماها » بدل : لم يشربها .

(٢) البخاري : كتاب الديات : ١٦/٩ .

(٣) البخاري : كتاب الاشرية (١٤٦/٧) : الذي يشرب في آتية الفضة .

(٤) المستدرک للحاكم (١٤٧/١) : . . . إلا أدخله الله النار .

(٥) جاء الشطر الأول في المستدرک للحاكم (٧٩/١) وجاء بالفاظ أخر في الترمذي :

باب ما ذكر في فضل الصلوة : ٥١٣/٢ .

(٦) راجع البخاري ٩٠/٤٠ .

رقيبته شاة لها ثغاء، يقول : يا رسول الله [أغثنى]. فأقول : لا أمليك لك من الله شيئاً .  
قد بلغتك .

وعنه ، قال عليه السلام (١) : ثلاث أنا خصيئهم (٢) يوم القيامة ، ومن كنت خصيئته  
خصيئته : رجل أعطى لي (٣) ثم غدر . ورجل باع حراً فأكل ثمنه . ورجل استأجر  
أجيراً فاستوفى منه ولم يوف أجرته .

\* \* \*

فهذه وجوه متمسكهم في القطع بالوعيد ونفي الشفاعة ، والجواب عنها  
بالمنع من أن هذه الصيغ للعموم ، بدليل صحة ادخال « الكل » أو « البعض » عليها .  
نحو : « كل من دخل داري فله كذا » أو « بعض من دخل داري فله كذا » ولا يلزم منه  
تكرير ولا تناقض . ولأن الأكثر قد يورد بلفظ « الكل » .

وبعد تسليم كون الصيغ للعموم فاحتمال المخصصات قائم ، فإن العموم غير  
مراد في الآية الأولى ، للقطع بخروج النائب وأصحاب الصغائر ، وصاحب الكبيرة  
الغير المنصوصة - إذا أتى بطاعات يزيد ثوابها على عقوباته - فليكن مرتكب الكبيرة  
من المؤمنين أيضاً خارجاً بما سيحيى من الآيات والأدلة .

وبالجملة - فالعصام المخرج منه البعض لا يفيد القطع وفاقاً ، ولو سلم فنابته  
الدلالة على استحقاق العذاب المؤبد لأعلى الوقوع - كما هو المتنازع فيه - لجواز  
الخروج بالعفو .

ويجاب عن الآية الثانية بأن معنى **﴿متعمداً﴾** مستحلاً قتله - على ما ذكره  
ابن عباس - والتعمد على الحقيقة إنما يكون من المستحل . أو بأن التعليق بالوصف

(١) ابن ماجه : كتاب الرهون ، باب أجر الاجراء : ٨١٦/٢ .

(٢) ابن ماجه والمسند : ... خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه .

(٣) ابن ماجه والمسند . أعطى بي .

مشعر بالحيثية التعليلية ، فيختص بمن قتل المؤمن لايمانه . أو بأن « الخلود » ، وإن كان ظاهراً في الدوام ، فالمراد هنا المكث الطويل - جمعاً بين الأدلة .

لا يقال : « الخلود » حقيقة في التأيد ، لتبادر الفهم إليه . ولقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [٣٤/٢١] . ولأنه يؤكد بلفظ التأيد ، مثل ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [٢٣/٧٢] وتأكيده الشيء تقوية لمدلوله . ولأن العمومات المقرونة بالخلود متناولة للكفار ، والمراد في حقهم التأيد بالإتفاق . وكذا في حق الفساق ، لثلاً يلزم إرادة المعنى المشترك ، أو المعنى الحقيقي والمجازي معاً .

لأننا نقول : لا كلام في أن المتبادر إلى الفهم عند الإطلاق ، والشائع في الاستعمال هو الدوام ، لكن قد يستعمل في المكث الطويل كـ « سجن مغلّد » و « حبس مغلّد » فيكون محتملاً . على أن في جعله لمطلق المكث الطويل نفيًا

للمجاز والاشتراك ، فيكون أولى . *مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي*  
ثم إن المكث الطويل - سواء جعل معنى حقيقياً أو مجازياً أعم من أن يكون مع دوام - كما في حق الكفار - أو انقطاع - كما في حق الفساق - فلامحذور في ارادتهما جميعاً . وحينئذ فلا نسلم أن التأيد تأكيد - بل تقييد - ولو سلم ، فالمراد تأكيد لطول المكث . إذ قد يقال : « حبس مؤبد » و « وقف مؤبد » .

ويجاب - عن الثالثة بأنها في حق الكافرين المنكرين للحشر ، بقريضة قوله : ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكذَّبُونَ ﴾ [٢٠/٣٢] مع ما في دلالتها على الخلود من المناقشة ، لجواز أن يخرجوا عند عدم إرادتهم الخروج باليأس أو الذهول - أو نحو ذلك .

وعن الرابعة - بعد تسليم إفادتها النفي عن كل فرد ، ودلالتها على دوام عدم النية - إنها مختصة بالكفار . جمعاً بين الأدلة .

وكذا الخامسة والسادسة - حملاً للمحدود على حدود الإسلام ، وإلحاطة

الخطيئة علي غلبتها بحيث لا يبقى معها الايمان . هذا مع ما في الخلود من الاحتمال وعلى هذا القياس الجواب عن سائر أدلتهم النقلية على وجه التفصيل .

\* \* \*

وللمعتزلة أيضاً أدلة عقلية على ثبوت مذهبهم :

منها : إن الفاسق لو دخل الجنة لكان باستحقاق - لامتناع دخول غير المستحق كالكافر - واللازم منتفياً لبطلان الاستحقاق بالإحباط أو الموازنة .

والجواب بمنع المقدمتين ، وبطلان الإحباط والموازنة .

ومنها : إنه لو انقطع عذاب الفاسق ، لانقطع عذاب الكافر قياساً عليه بجامع تناهي المعصية .

والجواب - على تقدير عليّة التناهي - بمنع تناهي الكفر قدراً ، ومنع اعتبار القياس في مقابلة النص في الاعتقادات .

ومنها : إن الوعيد بالعقاب الدائم لطفٌ بالعباد - لكونه أزجر عن المعاصي فإن منهم من لا يكثرث بالعذاب المنقطع عند الميل إلى المستلذات - ثم لا بد من تحقيق الوعيد تصديقاً للخبر وصوناً للقول عن التبديل .

والجواب بمنع انحصار اللطف في وعيد الدوام ، فإن من يكثرث باللبث في الجحيم أحقأباً ، فلا يستكثر الخلود فيها عقاباً ، وإذ قد كان كل وعيد لطفاً ، ولا شيء من الوعيد لطفاً للكل ، فليكن لطف الخلود في النار مختصاً بالكفار ، وكفى بوعيد النيران - بل وعد الجنان - لطفاً ومزجراً لأهل الايمان .

## فصل

[ احتجاجات القاطعين بعدم خلود أهل الكبار ]

وأما القاطعون بنفي العقاب عن أهل الكبار فاحتجوا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَوْلَهُ <sup>قوله</sup> (ص) : ﴿ إِنَّ الْخِزْيَ أَلْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٢٧/١٦] ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [٥٣/٣٩] ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظَلْمِهِمْ ﴾ [٦/١٣] ﴿ لَا يَصْلِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى \* الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [١٦-١٥/٩٢] .  
وبالعمومات الواردة في الوعد ، مثل : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ - الْآيَةَ ﴾ [٤/٢] حكم بالفلاح على كل من آمن .  
وعورض بعمومات الوعد .

مركز فيصل للتحقيق والدراسات الإسلامية

[ احتجاجات القائلين بعفو بعض العصاة ]

وأما القاطعون بثبوت العفو في حق البعض ، والتوقف في حق البعض ، وهم أصحابنا رضوان الله عليهم ، وأهل السنة فقد تمسكوا بنحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [٤٨/٤] وبقوله عز من قائل حكاية عن عيسى : ﴿ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادَكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [١١٨/٥] .

وظاهر أن هذه الشفاعة وردت في حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة ، إذ لو كان كافراً لا يلبق الشفاعة في حقه لنبي ، ولو كان صاحب صغيرة ، أو تائباً عن الكبيرة ، لم يجز منه تعالى عذابه عقلاً . وإذا صححت الشفاعة لعيسى عليه السلام صح القول بها في حق محمد عليه السلام بالضرورة .



وبقوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٣٦/١٤] بمثل البيان المذكور .

ومما يؤكد دلالة هاتين الآيتين على هذا المطلب ما روي إن النبي صلى الله عليه وسلم تلى قول إبراهيم : ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وقول عيسى : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ﴾ ثم رفع يديه وقال : « اللهم - أمتي ، أمتي » وبكى . فقال الله : « يا جبرئيل - اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله : « ما يبكيك ؟ » فأتاه جبرئيل عليه السلام ، فسأله . فأخبره رسول [الله] صلى الله عليه وسلم - قال : - فقال الله : « يا جبرئيل - اذهب إلى محمد ، فقل : إنا سنرضيك في أمك ، ولانسؤك » - رواه مسلم في صحيحه (١) .

ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا \* وَنَسُوقَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا \* لَأَيُّكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [٨٧-٨٥/١٩] أي المجرمون لا يستحقون أن يشفع لهم إلا إذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهداً ، فكل من اتخذ عهداً عنده وجب دخوله في الآية ، وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهد التوحيد والإسلام ، فوجب أن يكون داخلياً . وأما اليهود فنترك العمل بها في حقه لضرورة الإجماع .

ومن ذلك قوله تعالى في صفة الملائكة : ﴿ لَأَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [٢٨/٢١] بيانه إن صاحب الكبيرة يرتضى عند الله من حيث إيمانه وتوحيده ، وكل من هو مرتضى عنده بحسب هذا الوصف صدق عليه إنه مرتضى عنده ، لأن مفهوم المطلق جزء مفهوم المقيد ، فمتى صدق المقيد صدق المطلق ، فثبت أن المؤمن الفاسق مرتضى عند الله ، فهو داخل في شفاعة الملائكة ، ومن دخل في شفاعتهم دخل في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ لا قائل بالفرق .

لا يقال : إن الفاسق ليس بمرتضى من حيث فسقه ، وإذا لم يكن مرتضى من

وجه لم يكن مرتضى ، فوجب أن لا يكون أهلاً للشفاة بالبيان المذكور .  
 لأننا نقول : قد تقرر في العلوم العقلية إن المهمتين لا تتناقضان ، فقولنا :  
 « الفاسق مرتضى » لا يناقض قولنا : « إنه ليس بمرتضى » لجواز أن يكون مرتضى  
 من وجه ، غير مرتضى من وجه آخر . فثبت إنه مرتضى بحسب إسلامه ثبت  
 كونه مرتضى ، وإذا كان المستثنى مجرد كون أحد مرتضى فوجب دخوله تحت  
 المستثنى وخروجه عن المستثنى منه ، فثبت إنه من أهل الشفاة - وهو المطلوب .  
 ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ ﴾ [٦/١٣]  
 وروى<sup>(١)</sup> إن النبي ﷺ لم يزل يسئل في امته حتى [قبل] له : « أما ترضى وقد أنزلت  
 عليك هذه الآية : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ ﴾ وفي تفسير قوله :  
 ﴿ وَلَسَوْفَ يَعْطَبُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [٥/٩٣] قال : « لا يرضى محمد ﷺ وأحد من  
 أمته في النار » .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

وكان أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ يقول<sup>(٢)</sup> : أنتم أهل العراق  
 تقولون : أرجى آية في كتاب الله عزوجل قوله : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى  
 أَنْفُسِهِمْ - الآية ﴾ ونحن أهل البيت نقول : أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى :  
 ﴿ وَلَسَوْفَ يَعْطَبُكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ .

وأما الأخبار : فقد روي عنه ﷺ إنه قال<sup>(٣)</sup> : « أمتي أمة مرحومة لا عذاب  
 عليها في الآخرة ، عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن . وإذا كان يوم القيامة رفع  
 إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب ، فقيل : هذا فداؤك من النار » .

٦٣٦/١٤

(١) قال العراقي (ذيل الاحياء : ١٤٧/٤) : لم أجده بهذا اللفظ . ورواه في لئز العمال

(٢) الدر المنثور : ٣٦١/٦ . وفي مجمع البيان في ذيل الآية نسبة إلى محمد بن

علي الحنيفة .

(٣) جاء الشطر الأول في الجامع الصغير : ٦٥/١ .

وفي الخبر <sup>(١)</sup> : « لو لم يذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ليغفر لهم » وفي لفظ آخر : « لذهب بهم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم ، إنه هو الغفور الرحيم » .  
وفي الخبر <sup>(١)</sup> : « لو لم تذبوا لخشيت عليكم ما هو شرٌّ من الذنوب »  
قيل : « ما هو » ؟ قال : « العجب » .

وقال <sup>(٢)</sup> : « والذي نفسي بيده لله أرحمُ بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » .

وفي الخبر : « ليغفرنَّ الله يومَ القيامة مغفرةً ماخطرت قط على قلب أحد ، حتى أن إبليس ليتناول رجاء أن يصيبه » .

وفي الحديث الطويل <sup>(٣)</sup> : إن الأعرابي قال : يا رسول الله من يلي حسنات الخلق ؟ فقال : [الله] تبارك وتعالى . قال : هو بنفسه ؟ قال : نعم .  
فتبسّم الأعرابي ، فقال <sup>(٤)</sup> : ممّ ضحكك يا أعرابي ؟ فقال : إن الكريم إذا قدر عفى ، وإذا حاسب سامح . فقال <sup>(٥)</sup> : صدق . ألا - ولا كريم أكرم من الله ، هو أكرم الأكرمين - ثم قال : - فته الأعرابي .

وفي الخبر المشهور <sup>(٤)</sup> : إن الله كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق : « إن رحمتي تغلب غضبي » .

وفي الحديث <sup>(٥)</sup> : « من كان آخر كلامه « لا إله إلا الله » لم تمسه النار .  
و <sup>(٦)</sup> « من لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار » .

(١) جاء ما يقرب منه في الجامع الصغير: ١٣١/٢ والدر المنثور: ٣٣٢/٥ .

(٢) مضي في ص: ٢٠٧ .

(٣) جاء الحديث في الإحياء (٤/١٤٩) وقال العراقي في تخريجه: « لم أجد له أصلاً » .

(٤) المسند: ٤٣٣/٢ .

(٥) الجامع الصغير ١٧٩/٢ : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة .

(٦) الجامع الصغير ١٨١/٢ : من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة .

وفي خبر آخر<sup>(١)</sup> : « لو علم الكافر سعة رحمة الله ما آيس من جنته أحد » .  
ولما تلى [رسول الله] ﷺ<sup>(٢)</sup> : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ - الآية﴾ فقال :  
« أتدرون أي يوم هذا ؟ يوم يقال لأدم : قم فابعث نصيب النار من ذريتك .  
فقيل : « من كم ؟ » قال : « من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار ،  
وواحداً إلى الجنة »<sup>(٣)</sup> .

- قال : - فأيس القوم وجعلوا يكون يومهم وتعطلوا عن الأشغال والعمل ،  
فخرج عليهم رسول الله وقال : « مالكم لاتعملون ؟ » قالوا : « ومن يشتغل  
بالعمل بعد ما حدثتنا بهذا ؟ » قال : « كم أنتم في الأمم ؟ أين يأجوج ومأجوج  
- أم لا يحصيها إلا الله تعالى - ؟ إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد  
الثور الأسود ، وكالرقمة في ذراع الدابة » .

وفي رواية أبي سعيد ، عن النبي ﷺ<sup>(٤)</sup> : « ثم تضرب الجسر على  
جهنم وتحل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم . . . فيمر المؤمن كطرفه العين ،  
وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل والركاب . فناج مسلم ، ومخدوش

(١) احياء العلوم : ١٥٠ / ٤ .

(٢) جاء بألفاظ مختلفة : راجع الدر المنثور : ٣٤٣ / ٤ .

(٣) وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري ، قالوا يا رسول الله وأيتنا ذلك الواحد ؟  
قال : ابشروا إن منكم رجلاً ، من يأجوج ومأجوج ألفاً . ثم قال : والذي نفسي بيده أرجو  
أن تكونوا ربح أهل الجنة . فكبرنا ذلك . فقال أرجوا ان تكونوا ثلث أهل الجنة .  
فكبرنا . قال : أرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة . فكبرنا . فقال : ما أنتم في الناس الا  
كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود - منه ره .

(٤) مسلم : كتاب الايمان : ٢٩ / ٣ . وفيه اضافات وفروق . وراجع أيضاً البخاري :

مرسل ومكدوس<sup>(١)</sup> في نار جهنم . حتى إذا خلع المؤمنون من النار .  
فوالذي نفسي بيده<sup>(٢)</sup> ما من أحد منكم بأشدّ مناشدة في الحقّ وقد تبين لكم  
من المؤمنين<sup>(٣)</sup> لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا  
يصومون معنا ويصلّون ويحجّون . فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم  
على النار . فيخرجون خلقاً كثيراً .

ثمّ يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول : ارجعوا ، فمن  
وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقاً كثيراً . ثمّ يقول :  
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقاً  
كثيراً . ثمّ يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه .  
فيخرجون خلقاً كثيراً .

ثمّ يقولون . ربنا لم نذر فيها خيراً . . . فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع  
النبیون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين . فيقبض قبضة من النار ،  
فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قطّ ، قد عادوا حمماً ، فيلقينهم في نهر في أفواه  
الجنة - يقال له : نهر الحيوّة - فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . . .  
فيخرجون كاللؤلؤ ، في رقابهم الخواتم . فيقول أهل الجنة : هؤلاء عُتقاء الرحمن ،  
أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولاخير قدموه .

ومما رواه الثقات بروايات مختلفة أخصرها لفظاً ، إنه قال ﷺ<sup>(٤)</sup> : « إذا كان  
يوم القيامة ما ج الناس بعضهم في بعض . فيأتون آدم ، فيقولون : اشفع إلى ربك .  
فيقول : لست لها ، ولكن عليكم إبراهيم عليه السلام فإنه خليل الرحمن . فيأتون إبراهيم

(١) كدست الخيل : ركب بعضها بعضاً . ونقله بعض الرواة بالشين المعجمة : مكدوش  
وكدشه كدشاً : ساقه .

(٢-٢) مسلم : ما منكم من أحد بأشدّ مناشدة لله في استنصاء الحق من المؤمنين . . .

(٣) مسلم : كتاب الايمان ، الشفاعة : ٦٢ / ٣ وفيه فروق يسيرة .

﴿إِنِّي﴾ ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى ﴿إِنِّي﴾ ، فإنه كلم الله . فيأتون موسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسى ﴿إِنِّي﴾ فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى ﴿إِنِّي﴾ فيقول : لست لها . ولكن عليكم بمحمد ﴿إِنِّي﴾ .

فيأتونني ، فأقول : أنا لها . فاستأذن علي ربي ، فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمدته بها لاتحضرني الآن . فأحمدته بتلك المحامد ، وأخر له ساجداً . فيقال : يا محمد - ارفع رأسك وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأقول : يارب أمي ، أمي .

فيقال : انطلق ، فاخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان . فانطلق ، فأفعل . ثم أعود فأحمدته بتلك المحامد ، ثم أخرج له ساجداً . فيقال : يا محمد - ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأقول : يارب - أمي ، أمي . فيقال : انطلق وأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان .

فانطلق ، فأفعل . ثم أعود فأحمدته بتلك المحامد ، ثم أخرج له ساجداً . فيقال : يا محمد - ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأقول : يارب أمي ، أمي . فيقال : انطلق وأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان ، فاخرجه من النار .

فانطلق فأفعل ، ثم أعود إليه الرابعة ، فأحمدته بتلك المحامد ، ثم أخرج له ساجداً ، فيقال : يا محمد - ارفع رأسك ، وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأقول : يارب - ائذن لي فيمن قال « لا إله إلا الله » قال : ليس ذلك لك . ولكن - وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي - لا أخرجن منها من قال : « لا إله إلا الله » . إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على ثبوت الشفاعة من النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ، وثبوت العفو منه تعالى أكثر منها ، وهي أكثر من أن تحصى .

## فصل

[ توجيهات المعتزلة للنصوص ]

إنّ المعتزلة <sup>(١)</sup> - القاطعين بنفي العفو والشفاعة - ذكروا في آيات الرجاء وأحاديث الشفاعة تمحلات شديدة وتعتقات عنيفة ، وقيدوا الحكم في كثير من الآيات باشتراط التوبة ، وقالوا : في هذا الحديث ونظائره من أحاديث يوم القيامة وجوهاً من الأيراد :

منها إنّ هذه الأخبار أخبار طويلة جداً ، فلا يمكن ضبطها بلفظ الرسول ﷺ . فالظاهر إنّ الراوي إنّما رواها بلفظ نفسه ، وعلى هذا التقدير لا يكون شيء منها حجة ومنها أنّها مشتملة على التشبيه وذلك باطل ، فيتطرق بسببه التهمة إليها . ومنها أنّها وردت على خلاف ظاهر القرآن ، وذلك أيضاً مما يطرق التهمة إليها .

ومنها أنّها خبرٌ عن واقعة عظيمة تتوقّر الدواعي على نقلها ، فلو كان صحيحاً لوجب بلوغه حدّ التواتر ، وحيث لم يكن كذلك تطرقت التهمة إليها . ومنها أنّ الإعتقاد على خبر الواحد الذي لا يفيد إلا الظنّ في المسائل العلميّة غير جائز ، وهذه المسئلة علميّة لا يعوّل فيها على الظنّ .

والجواب عن هذه المطاعن بأنّ كل واحد من هذه الأخبار ، وإن كان مروياً بالآحاد ، ولكن القدر المشترك بين مجموعها - لأنّها كثيرة - فهو متواتر المعنى ، فيكون حجة علميّة .

\* \* \*

وذكروا أيضاً<sup>(١)</sup> في استدلال القاطعين بثبوت الشفاعة بقوله ﷺ :  
 « ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي » وجوهاً من الاشكال :  
 أحدها إنه خبر واحد على مضادة القرآن ، فإنا بيننا أنّ كثيراً من الآيات يدلّ  
 على نفي هذه الشفاعة ، وخبر الواحد إذا ورد على خلاف القرآن وجب ردّه .  
 وثانيها إنه يدلّ على أنّ شفاعته ليست إلا لأهل الكبائر ، وهذا غير جائز ، لأنّه  
 يقتضي حرمان أهل الثواب عن هذا النصيب .

وثالثها إنّ المراد الاستفهام الإنكاري ، كقوله تعالى حكاية عن الخليل :  
 ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ [٧٧/٦] أي : « أهذا ربّي ؟ » فالمراد : ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر  
 من أمّتي ؟

ورابعها إنّ لفظ الكبيرة غير مختصّ بالمعصية ، بل يتناول الشفاعة كما قال  
 تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ . فعمل المراد منه أهل الطاعات الكبيرة .  
 وخامسها أنّه يصدق عليهم بعد التوبة أنّهم من أصحاب الكبائر - لأنّ صدق  
 المشتق لا يقتضي دوام الاتصاف بمبده الاشتقاق ، فنحن نحمل الخبر على أهل  
 المعاصي الكبيرة بعد التوبة ، ويكون تأثير الشفاعة في أن يتفضل الله عليهم بما انحبط  
 من ثواب طاعاتهم المتقدمة على فسوقهم هذه وجوه أجوبتهم وكلها تعسفات .

[ وجوه أخرى في تأييد مسألة الشفاعة ]

واعلم إنّ هبهنا وجوهاً أخرى نقلية وعقلية يمكن التمسك بها لهذا المطلب :  
 الأوّل : إنّ الآيات والأخبار الدالة على أنّ المؤمنين يدخلون الجنة البتّة  
 كثيرة ، وليس ذلك قبل دخول النار إن كان ، فتعيّن أن يكون إمّا بعده ، وهو مسألة  
 انقطاع العذاب أو بدونه ، وهو مسألة العفو التام كقوله : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ



مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧/٩٩﴾ [٧/٩٩] و ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [٤٠/٤٠] .

وكقوله **﴿الذَّالِمِينَ﴾** : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » وما يجري مجراه .

وبالجملة إذا دلت الآيات والأخبار على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق  
بينهما ، فإما أن يصل العبد إلى دار الثواب ، ثم إلى دار العقاب - وهو باطل بالاجماع -  
أو يصل إليه العقاب ، ثم ينقل إلى دار الثواب ويبقى مخلداً - وهو المطلوب ههنا .

الثاني : النصوص المشعرة بالخروج من النار ، كقوله : ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ  
تَخَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [١٢٨/٦] فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز  
وكقول النبي **﴿صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾** (١) : « يخرج من النار قوم بعد ما امتحشوا وصاروا فحماً  
وحمياً ، فينبئون كما ينبت الحبة في حميل السيل » .

الثالث : إن من وأظب على الإيمان والعمل الصالح مائة سنة ، وصدّ عنه في  
أثناء ذلك أو بعده جريمة واحدة ، كشرب جرعة من الخمر ، فلا يحسن من الحكيم  
أن يعذبه أبد الآباد ، ولو لم يكن هذا ظلماً فلا ظلم ، أو لم يستحق بهذا ذماً ، فلا ذم  
الرابع : إن المعصية متناهية زماناً - وهو ظاهر - وقدرأ - لما يوجد من  
معصية أشد منها - فجزاؤها يجب أن يكون متناهياً ، بخلاف الكفر فإنه لا يتناهى  
قدرأ ، وإن تنامى زمانه .

الخامس : إن صاحب الكبيرة أتى بما هو أفضل الخيرات - وهو الإيمان -  
ولم يأت بما هو أقبح القبائح - وهو الكفر - فلا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي .  
ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي : « إلهي إذا كان توحيد ساعة يهدم كفر  
سبعين سنة فتوحيد سبعين سنة كيف لا يهدم معصية سنة ؟ إلهي لِمَا كَانَ الْكُفْرَ لَا يَنْفَعُ  
مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الطَّاعَاتِ ، كَانَ مُقْتَضِي الْعَدْلِ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَضُرُّ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَعَاصِي » .

وأما التمسك بأنّ « الخلود في النار أشدّ العذاب ، وقد جعل جزاء لأشدّ الجنائيات - وهو الكفر - فلا يصح جعله جزاء لما هو دونه كالمعاصي » فهو ضعيف - إذ ربما يدفع بتفاوت مراتب العذاب في الشدة ، وإن لم يتفاوت في عدم الانقطاع .

## فصل

[ سرّ الخلود في النار ]

واعلم إنّ تكرّر المعاصي إذا تآدى إلى رسوخ ملكات سبعية أو بهيمية أظلمت مرآة القلب بها ومنعت عن قبول نور الرحمة الإلهية أو نور الشفاعة النبوية أمكن القول بأنّ صاحب هذه الكبيرة مخلّد في النار .  
وهذا هو المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ [٨١/٢] أي : صارت ملكة راسخة تصورت نفسه في القيامة بصورة حيوان غلبت عليه تلك الصفة فحشرت نفسه بصورة القردة والخنازير .  
وكذا صدور بعض المعاصي - ولو مرة - كقتل المؤمن متعمداً كاشف عن كون مرتكبه غير معني بشأن الدين ، ولا معتقد بأمر الآخرة .

## فصل

في سرّ معنى الشفاعة

إنّ نسبة إفاضة نور الوجود والرحمة إلى نور الأنوار - جلّت عظمتها - كنسبة إفاضة النور المحسوس على وجه الأرض إلى الشمس . والقوابل <sup>ظ: القوابل</sup> كالقوابل ، فهو سبحانه تامّ الفيض ، عامّ الجود ، فحبث لا يحصل ، فإتما لا يحصل لعدم القابلية .  
فكما إنّ النور الحسّي الوارد من الشمس على سطوح الأجسام قد يكون

استقامياً ، وقد يكون انعكاسياً - الأول كوجه ظاهر الأرض في النهار . والثاني كداخل البيوت إذا انعكس شعاع الشمس إليه من سطح الماء أو الحائط الصقيل ، أو كوجه الأرض في الليل إذا كان البدر موجوداً ، فإن نور القمر من نور الشمس وقع فيه وانعكس منه على وجه الأرض - فكذلك فيض الرحمة الإلهية يقع على قوالب الماهيات استقامياً وانعكاسياً .

فإن من الجائز أن لا يكون الشيء مستعداً لقبول فيض الوجود عن واجب الوجود لبعد مناسبه في ذاته ، إلا أنه يكون مستعداً لقبول ذلك الفيض من شيء كان قبله عن الواجب جلّ ذكره ، فيكون ذلك الشيء كالمتموسط بين الواجب تعالى وبين ذلك الشيء الأول . فأرواح الأنبياء عليهم السلام كالوسائط بين نور الأنوار وبين أرواح العوام من المخلوق في وصول نور الرحمة إلى الأرواح العامية ، وهذا معنى الشفاعة .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

فالإيمان بشفاعة الأنبياء لأمرهم واجب ، لأنها - كما علمت - نورٌ يشرق من الحضرة الإلهية على جواهر النبوة ، وينتشر منها إلى كل جوهر استحكمت علاقة مناسبتها مع جوهر النبوة لشدة المحبة والمناجاة ، وكثرة المواظبة على السنن ، وكثرة الذكر له بالصلوة عليه . وجوهر النبوة هو بعينه جوهر الروح القدس الإلهي المسمى عند الفلاسفة بالعقل الفعال .

فكما إنّ المناسبات الوضعية بين المنير بالذات ، والواسطة ، والمستنير بها تقتضي الاختصاص بانعكاس النور الحسي - كما إذا وقع نور الشمس على الطست من الماء ، وينعكس منه إلى موضع مخصوص من حائط البيت - لا على غيره - لمناسبة بينه وبين الماء في الوضع ، وتلك المناسبة مسلوقة عن سائر أجزاء الحائط ، وذلك الموضع هو الذي إذا خرج منه خطٌ إلى ظاهر سطح الماء وحصلت بينه وبين ذلك السطح زاوية ، هي بعينها مساوية لزاوية حصلت من الخط الخارج من

موقع ذلك الخطّ إلى قرص الشمس وذلك السطح - فكذلك المناسبة المعنوية إذا حصلت بين روح من الأرواح البشرية وبين جوهر النبوة وتقتضي حصول فيض الرحمة بواسطة ذلك الجوهـر .

فمن استولى عليه التوحيد والعرفان فقد تأكّدت مناسبة مع الحضرة الإلهية وأشرق عليه النور من غير واسطة ، ومن استولى [عليه] السنن والإقتداء بالرسول ﷺ وأهل بيت النبوة والولاية ﷺ ومحبتهم ، ولم يترسخ قدمه في ملاحظة الوحدة لم يستحکم مناسبة إلا مع الواسطة ، فافتقر إلى واسطة في اقتباس النور. كما يفتقر الحائط الذي ليس بمكشوف للشمس إلى واسطة الماء المكشوف للشمس إلى مثل هذا .

فهذا هو سرّ الشفاعة - والكلام وإن كان في صورة التمثيل، لكنّه مما أقيم عليه البرهان ، ولا شبهة فيه لأهل اليقين والعرفان .

قوله جلّ اسمه :

وَإِذْ نَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ  
يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ  
وَإِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَبَلَاءً مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمًا ﴿٤٦﴾



لما قدم تعالى ذكر نعمته على بني إسرائيل إجمالاً في قوله ﴿اذكروا نعمتي﴾  
أَلَيْسَ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴿﴾ بيّن بعد ذلك تفصيل تلك النعم ليكون أوقع في التذكير  
وأبلغ في الحجّة عطفاً عليه ، كأنه قال : « اذكروا نعمتي ، واذكروا إذ أنجيناكم ،  
وإذ فرقنا بكم البحر » كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة في قوله : ﴿وَمَلَائِكِهِ  
[ وَرَسُولِهِ ] وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴿﴾ [٩٨/٢] .

والإنجاء والتنجية بمعنى واحد وهو التخليص . ولهذا قرئ : ﴿وَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾  
ويقال للمكان المرتفع : « نَجْوَةٌ » لأنّ الصائر إليه ينجو من كثير من المضارّ ، ولأنّ  
المكان العالي بائنٌ مما انحطّ عنه ، فكأنّه متخلّص منه . وربما يفرق بينهما بأنّ  
الإنجاء [ يستعمل في الخلاص قبل وقوعه في المهلكة ، و ]<sup>(١)</sup> التنجية يستعمل في  
الخلاص بعد وقوعه في المهلكة .

(١) الإضافة من تفسير مجمع البيان : ١٠٤/١ .

وفي الكشاف<sup>(١)</sup> : « أصل « آل » أهل . ولذلك يصغر بأهبل - أبذل هاؤه ألقاً - ونخصّ استعماله بأهل الخطر والشأن كالملوك وأشباههم . ولا يقال : آل الأسكاف والحجام . »

وحكى الكسائي<sup>(٢)</sup> : « أويل » فزعموا أنّها أبدلت ، كما قالوا : « هيهات » و« إيهات » . وقيل : « لا - بل هو أصلٌ بنفسه » . وقال علي بن عيسى<sup>(٣)</sup> : « الأهل أعم من الآل . يقال : أهل الكوفة . وأهل البلد . وأهل العلم . ولا يقال : آل الكوفة . وآل البلد . وآل العلم » . قال أبو عبيدة : « سمعت أعرابياً فصيحاً يقول : آل مكة آل الله . فقلنا : ماتعني بذلك ؟ قال : أليسوا مسلمين ؟ المسلمون آل الله » . وقال ابن دريد : « آل كل شيء شخصه . وآل الرجل أهله وقرابته » . والظاهر إنّ الآل مأخوذ من الأول - وهو الرجوع - فكلّ من يؤول إلى أحد بنسب أو قرابة جسمانية أو معنوية فهو آله . وأهله : كلّ من يضمّه بيته .

قال بعض الأفاضل : « آل النبي كلّ من يؤول إليه . وهم قسمان : الأول من يؤول إليه مآلاً صورياً جسمانياً ، كأولاده ومن يحذو حذوهم من أقاربه الصوريين ، الذين يحرم عليهم الصدقة . والثاني من يؤول إليه مآلاً معنوياً روحانياً ، وهم أولاده الروحانيون من العلماء الراسخين والأولياء الكاملين ، سواء سبقوا بالزمان اولحقوه . ولا شك أنّ النسبة الثانية أكد من الأولى ، وإذا اجتمعت النسبتان كان نوراً على نور ، كما في الأئمة المشهورين من العترة الطاهرة - صلوات الله عليهم أجمعين - . »

وكما حرم على الأولاد الصوريين الصدقة الصورية ، حرم على الأولاد

(١) الكشاف : ٢١٣/١ .

(٢) مجمع البيان : ١٠٤/١ .

(٣) تفسير الفخر الرازي : ٥١٤/١ .

المعنويين الصدقة المعنوية ، أعني تقليد الغير في العلوم والمعارف هـ - انتهى كلامه تلخيصاً .

وآل الخيمة : عمده . وآل السفينة : ألواحها . وآل الجبل : أطرافه ونواحيه .  
و فرعون : اسم لملك العمالقة . كما يقال لملك الروم : قيصر ، ولملك  
الفرس : كسرى ، ولملك الترك : خاقان ، ولملك اليمن : تبسح . فهو على هذا  
بمعنى الصفة . ولعتوهم اشتق منه «تفرعن الرجل» إذا عتى . ويقال لهم : الفراعنة .  
وقيل : إن اسم فرعون : مصعب بن ريان . وقيل : هو ابنه . واسمه : وليد بن  
مصعب عن بقايا عاد . وفرعون يوسف : ريان وكان بينهما أكثر من أربع مائة سنة .  
وقال وهب : « انتهى واحد » وهو غير صحيح . وذكر ابن منبه : إن أهل الكتابين  
قالوا : اسمه قابوس . وكان من القبط ، وربما ينسب إلى العلم ويسمى « افلاطون  
القبط » . وقال ابن اسحق : هو من أشد الفراعنة .

﴿ يَسْؤَمُونَكُمْ ﴾ أي يغنونكم . من سأمه خسفاً إذا أولاه ظلماً . وأصله من  
السوم وهو الذهب إلى طلب السلعة .

﴿ سَوْءَ الْعَذَابِ ﴾ : أفظعه ، فإنه يقبح بالقياس إلى سائره ، وهو مصدر «ساء»  
يسوء . ونصبه على المفعول . والجملة حال من الضمير في ﴿ أَنْجَيْنَاكُمْ ﴾ أو من  
﴿ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ لأن فيها ضمير كل منهما .

\* \* \*

واختلف أهل التفسير في العذاب الذي نَجَّيَهُم اللهُ تعالى منه<sup>(١)</sup> ، فقال بعضهم :  
ما ذكر في الآية - وهو قوله : ﴿ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ بياناً  
لـ ﴿ يَسْؤَمُونَكُمْ ﴾ ولهذا لم يعطف .

وقال بعضهم : إنه جعلهم خولا وخداماً ، وجعلهم في أعماله أصنافاً . فصنف

كانوا يخدمونه ، وصنف يحرثون له ، وصنف يزرعون له ، ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية . وكانوا مع ذلك يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويدل عليه قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ يَسُومُونَكُمْ سِوَى الْعَذَابِ وَيُدَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [١٤/٦] فعطفه على ذلك دلالة على التغاير. والمعنى: « يقتلون أبناءكم ويستبقون بناتكم » أي يدعونهن أحياء ليستعبدن وينكحونهن على وجه الاسترقاق - وهذا أشد من الذبح .

وإنما لم يقل : « بناتكم » لأنه سماهن بالاسم الذي يؤول حالهن إليه .  
وقيل : إنما قال ﴿ نِسَاءَكُمْ ﴾ على التغليب ، فإنهم كانوا يستبقون الصغار والكبار منهن .  
وقرىء يذبحون - بالتخفيف - .

وقيل : أراد بقوله : ﴿ يَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ الرجال البالغين دون الأطفال ، ليكون في مقابلة النساء لأنهن البالغات وذلك لأنهم الذين يخاف منهم الخروج والتجمع دون الاطفال .

وأكثر المفسرين على أن المراد بالاية الاطفال - دون الرجال - وهو أولى بوجوه من التأييد : لحمل اللفظ على ظاهره . وللشهرة . ولتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ، ولحاجة فرعون وقومه إليهم في صنائعهم الشاقة الصعبة - قال السدي : كان قد جعلهم في الأعمال القذرة الصعبة ، ككنس المبرز ، وعمل الطين ، ونحت الجبال - ولأنه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى عليه السلام في التابوت حال صغره معنى .

وأما وجه مقابلة الأبناء مع النساء فقد مرّت الإشارة إليه ، وهي إن البنات لما لم يقتلن ووصلن إلى حدّ النساء صحّ عليهنّ إطلاق النساء حقيقة ومجازاً باعتبار ما يؤلن . وأما البنين فلما قتلوا حال الطفولية ولم يبلغوا لم يصح إطلاق الرجال عليهم - لافي الحال ولا بحسب المال .



## فصل

[ سبب قتل الأبناء ، وسره ]

لابد في قتل الأبناء من سبب صوريّ داع لفرعون عليه - لأنه كان من العقلاء  
والعاقل لا يختار شيئاً إلا لمرجح باعتقاده - ومن سبب حكيم، فإن الله تعالى لا يقضي  
بقتل طائفة إلا لحكمة :

أما الأول فذكروا فيه وجوها :

الأول: إن فرعون رأى في المنام كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت  
على بيوت مصر، فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل . فهالته ذلك ودعا  
السحرة والكهنة ، فسألهم عن رؤياه . فقالوا : إنه يولد في بني إسرائيل غلام يكون  
على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك . فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في  
بني إسرائيل - عن السدي .

الثاني قول ابن عباس : إنه وقع إلى فرعون وتبعته ما كان الله وعد إبراهيم أن  
يجعل في ذريته أنبياء ملوكاً . فخافوا وانفقت كلمتهم على إعداد رجال معهم  
الشفار يطوفون في بني إسرائيل ، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه . فلما رأوا أنّ  
كبارهم يموتون وصغارهم يذبحون فخافوا الفناء، فحينئذ لا يجدون من يباشر الأعمال  
الشاقة، فصاروا يقتلون عاماً دون عام . فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها  
فترك . وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها .

الثالث إن المنجمين أخبروا فرعون بذلك ، وعينوا له السنة ، فلماذا كان  
يقتل أبنائهم في تلك السنة .

وخير هذه الأقوال أوسطها ، لأن الذي يستفاد من علم التعبير وعلم النجوم لا يكون أمراً مفصلاً ، وإلا قدح في كون الإخبار عن الغيب معجزاً . بل يكون أمراً مجملاً تخمينياً . والظاهر من حال الرجل العاقل أن لا يقدم على مثل هذا الأمر العظيم بسببه .

فإن قيل : إن فرعون - مع كفره - كيف أقدم على هذا الأمر بسبب إخبار إبراهيم عليه السلام ؟

يقال : لعله كان عارفاً بالله وبصدق رسّله ، إلا أنه كان كافراً - كفر الجحود والعناد - أو كان شاكاً في دينه ، مجوّزاً لصدق ذلك ، فعمل ما فعل احتباطاً .

\* \* \*

وأما الثاني فقد أشار بعض أصحاب الكشف والمعرفة إلى هذه اللّمة بقوله في الفصّ الموسوي من كتابه المسمّى *بفصوص الحكيم* <sup>(١)</sup> : « حكمة قتل الأبناء من أجل موسى عليه السلام ليعود إليه بالإمداد حيوة كل من قتل من أجله ، لأنه قتل على أنه موسى - وما تمّ جهل - فلا بدّ أن تعود حيوته إلى موسى ، أعني حيوة المقتول من أجله ، وهي حيوة طاهرة على الفطرة لم تدنسها الأغراض النفسية ، بل هي على فطرة « بلي » فكان موسى مجموع حيوة من قتل على أنه هو ، فكل ما كان مهيباً لذلك المقتول مما كان استعداد روحه له كان في موسى عليه السلام ، وهذا اختصاص إلهي بموسى لم يكن لأحد قبله » - انتهى كلامه - .

واعلم إن أرواح الكمل من الأنبياء والأولياء كلبية - لا بمعنى إنها مفهومات كلبية - بل بمعنى إن كلّاً منها مع شخصيته ووحده له مقام جمعي يجمع شؤونات الأفراد ، لقوة وجوده وكماله وتمامه ، فالوجود كلما قرب إلى الوحدة الجمعية الإلهية صار أكثر حبيطةً وأجمع أعداداً ، كما إن الإنسان الواحد له نفسٌ واحدة

جامعة لجميع القوى النباتية والحيوانية ، وذلك لأن وجودها أعلى مرتبة من وجود النفوس النباتية والحيوانية ، فيحيط بها ويستحفظها ويستخدمها . وكذلك حال أرواح الأنبياء بالقياس إلى أرواح أممهم .

فإذا وقع في العالم وباء أو موتان أو قتل عام ، يحدث عند ذلك شخص عظيم من عظماء النبوة ، أو الملك ، أو الحكمة ، لرجوع قوى نفوسهم إلى قوة نفس واحدة ، كما إذا وقع فساد في بعض القوى الحساسة والمحركة في الإنسان ، يرجع قوته إلى ما سواه من القوى بالإمداد والجمعية ، بل الوجود كله من عين واحدة - يجمع تارة وينتشر أخرى - .

فهذه هي الحكمة [التي] ذكروها في هذا المقام . قال الشيخ العطار :

صد هزاران طفل سر بيريدہ شد \* تاكليم الله صاحب ديدہ شد

مركز تحقيق كتاب *البرهان* \* *الموسوي*

قال بعض المحققين <sup>(١)</sup> : « اعلم إن التعيّنات اللاحقة للوجود بعضها كلية كالتعيّنات الأولى اللاحقة للوجود بحسب الفطرة الأولى ، وهي التي يتعيّن بها أسماء الله الحسنى أولاً ، سواء كانت جنسية او نوعية ، وبعضها شخصية كتعيّنات الطبائع النوعية الواقعة بحسب الفطرة الثانية في عالم الحركات ، وهي التي منشأها اختلاف العوارض والاستعدادات اللاحقة للاعداد من جهة استعداد المواد .

والتعيّنات الأولى تقتضي في عالم الأرواح حقائق روحانية مجردة وطبائع كلية ، وأولها وأقدمها التعيّن الأول ، المسمّى بالعقل الأول ، وأم الكتاب والقلم الأعلى ، والنور المحمّدي ، لقوله عنه <sup>(٢)</sup> : « أول ما خلق الله العقل »

(١) الظاهر ان الكلام مأخوذ مما قاله عبدالرزاق القاساني شارح الفصوص في شرح

القص الموسوي .

(٢) الفقيه : ٢٦٥/٤ : أول خلق خلقه الله تعالى العقل .

وقوله <sup>(١)</sup> ﴿قُلْ﴾ : « أول ما خلق الله نوري » .

وهو يتفصل بحسب التعينات والتنزلات الأولية الروحانية إلى العقول السماوية والأرواح العلوية والكروبيين وأرواح الكمل من الأنبياء والأولياء <sup>(٢)</sup> .  
فالعقل الأول تعيين كلي يشمل جميع هذه التعينات التي كل منها أيضاً كلي بالإضافة إلى مادونها ، ويمدّها ويفيظ عليها النور والحياة ، وقياس إحاطته الوجودية لتلك العقول والأرواح الكلية كقياس الإحاطة العمومية لجنس الأجناس بالنسبة إلى سائر الأجناس والأنواع التي تحته .

وقد علمت إنّ الكلية في هذا المقام تستعمل بمعنى آخر ، فلا تخلط ولا تختلط ، فإنّ الأرواح المتعينة بالتعينات الكلية السماوية من المجردات العقلية والنفوس الملكية والفلكية ، والأرواح النبوية ، ممدّات ومفيضات لما تحتها من الأرواح الجزئية المتعينة بالتعينات البشرية وحاكمة عليها ، وسائسة لها سياسة الأنبياء <sup>(٣)</sup> أممها . فنفس الأمم بالنسبة إليها كالقوى الجسمانية والفسانيّة بالنسبة إلى أرواحنا المدبّرة لأبداننا .

وإذا تقرّر هذا فنقول : أرواح الأنبياء هي المتعينة بالتعينات الكلية في الصفّ الأول ، وأرواح أممهم - بل كثير من الملائكة والأرواح والنفوس الفلكية - كالقوى والأعوان والمخدم بالنسبة إليهم . ومن هذا يعرف سجود الملائكة لآدم أبي البشر <sup>(٤)</sup> ، وسرّ طاعة الجن والإنس لسليمان <sup>(٥)</sup> ، وسرّ إمداد الملائكة لمحمّد <sup>(٦)</sup> في قوله : ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ﴾ [١٢٤/٣]  
فعلى هذا كانت الأبناء الذين قتلوا في زمان ولادة موسى <sup>(٧)</sup> هي الأرواح التي كانت تحت حيلة روح موسى <sup>(٨)</sup> وفي حكم أمته وأعوانه وخدمه .

فلما أراد الله تعالى إظهار آيات الكلمة الموسوية ومعجزاتها وحكمها

وأحكامها قدر الأسباب العلوية والسفلية من الأوضاع الفلكية والحركات العلوية المعدة للمواد السفلية والامتزاجات العنصرية ، وكان علماء القبط وحكمائهم أخبروا فرعون وقومه أنه يولد في هذا الزمان مولود من بني إسرائيل يكون هلاك فرعون وذهاب ملكه على يده . فأمر فرعون بقتل كل من يولد في هذا الزمان من الأبناء حذراً مما قضى الله تعالى وقدر ، ولم يعلم أن لامرئ لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

فكان ذلك سبباً لاجتماع تلك الأرواح في عالمها وانضمامها إلى روح موسى وعدم تفريقها وانبثائها عنه بالتملق البدني ، فيتقوى بهم ويجتمع فيه خواصهم . وكل ذلك اختصاص من الله لموسى ، فما ولد موسى إلا وهو مجموع أرواح كثيرة باتصال تلك الأرواح متوجهة إليه بمحبتها ونوريتها ، خادمة له ، ولهذا كان محبوباً إلى كل من يراه ، لنوريته ، بتشعشع أنوار تلك الأرواح منه « - انتهى كلامه .

مركز تحقيق كتب توير علوم إسلامي

أقول : ولا يتوهم أحد إن المراد من هذا الكلام أن أرواح المواليد المقتولين انتقل بعد القتل ، وصارت بعينها مجتمعة في عالم الأرواح ، وحصل من اجتماعها روح موسى عليه السلام - كما يوهمه ظاهر الكلام - فإن ذلك ليس بصحيح ، إذ الأرواح ليست كالأجسام - تقبل الافتراق والاجتماع - وأيضاً انتقالها من أبدانهم إلى بدن موسى عليه السلام يقتضي التناسخ ، وهو مستحيل عندنا .

بل الغرض إن القوة النورية الفائضة من الله تعالى بوساطة الأسباب العلوية المنبسطة على المواد العنصرية في كل زمان كأنها مبلغ واحد قوة وشدة ، لا كمية ومقداراً .

وهذه القوة إذا صادفت قوا بل كثيرة واستعدادات مختلفة متفتنة انصرفت بإذن [الله] إليها ، وتفرقت تفرقاً معنوياً - حسب تفریق المواد الصالحة لها ، وإذا بطالت المواد الكبيرة ، ورجعت قواها وأرواحها الجزئية إلى عالمها ومرجعها ، ثم حصل

في الوجود قابل صالح لفيضان تلك القوة النورية الوجودية ، انصرفت بكلبيتها إليه فصارت القوة الفائضة كأنها مجموع تلك القوى والأرواح ، لانها هي هي بعينها من حيث هوياتها المتعينة الشخصية - وإلا لزم التناسخ كما علمت .

## فصل<sup>٥</sup>

قوله [ تعالى ] وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

﴿بلاء﴾ أي محنة ، إن أشير بـ «ذلكم» إلى صنيعهم من قتل الأبناء واستحياء النساء ، لما في كل منهما من المحنة العظيمة . أو نعمة ، إن أشير به إلى الإنجاء من الله .

وأصل البلاء الاختبار ، لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة ، وتارة بالمنحة ، أطلق على كليهما . فالمراد من ﴿بلاء من ربكم﴾ إما بتسليط فرعون وقومه عليكم . وإما ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم بإيحاء الله إليه للإنجاء . و ﴿عظيم﴾ صفة بلاء .

\* \* \*

وقيل : في هذه الآية تنبيه بليغ للعبد المؤمن على أن ما يصيبه من خير أو شر فهو إختبار من الله تعالى ، فعليه بالقيام بالشكر على مساره وبالصبر على مضاره ، ليكون من خير المختبرين ، وحاله أحسن الحسين وإياه والغرور بالمسار، والشكاية من المضار ليكون شرّ المختبرين ، وحاله أقبح القبيحين .

قوله عز اسمه :

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ

وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

هذا هو النعمة الثانية من الله على بني إسرائيل، المذكورة في هذا الموضع .  
قوله : ﴿فَرَقْنَا﴾ أي فلقناه وفصلنا بين أبعاضه حتى حصلت فيه مسالك لكم  
إذ الفرق هو الفصل بين شيئين إذا كانت بينهما فرجة ، والفرق : الطائفة من كل شيء  
ومن الماء إذا تفرق بعضه عن بعض ، فكل طائفة من ذلك فرق . ومنه قوله [تعالى] :  
﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [٦٣/٢٦] وقرئ : إذ فرقنا - بالتشديد - قال  
ابن جني : فرقنا أشد تفريقاً من فرقنا . فمعناه : شققنا بكم البحر ، لأن المسالك  
كانت اثنتا عشرة على عدد الأسباط .

وقوله : ﴿بِكُمْ﴾ الباء إما للسببية الفاعلية ، أي حصلت فيه فرق ، ومسالك  
بسلوكم فيه كما يُفرق بين الشيتين بما توسط بينهما أو الغائبة ، أي بسبب إنجائكم  
ولأجله . أو للملابسة ، ويكون في موضع الحال ، أي فرقناه متلبساً بكم ، كقول  
الشاعر (١) : « تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالتَّرِيَا » أي : تدوسها ونحن راكبوها .

(١) ديوان المتنبي بشرح اليازجي : ٢٠٠ .

كأن خيولنا كانت قديماً \* تسقى في قحوفهم الحلبيا

فمرت غير نافرة عليهم \* تدوس بنا الجماجم والتريا

القحوف جمع لحف . وهو العظم الذي فوق الدماغ . والتريب : عظم الصدر .

والنجاة : ضد الغرق ، كما أنها ضدّ الهلاك . و « أغرق في الأمر » إذا جاوز الحدّ فيه .

والمراد من ﴿ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ هو وقومه ، فاختصر للدلالة الكلام عليه ، لأنّ الغرض مبنئاً على إهلاك فرعون وقومه ، كقولك : « دخل جيش الأمير » . ويكون الظاهر أنّه معهم . ويجوز أن يراد بآل فرعون شخصه ، كقوله تعالى : ﴿ آل موسى وآل هرون ﴾ [٢٤٨/٢] يعني موسى وهرون .

وقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ أي تشاهدون غرقهم ، وإطباق البحر عليهم . وهذا أبلغ في الشماتة وإظهار المعجزة ، أو انفلاق البحر عن طرُق يابسة مذلّة . وقيل : جُثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل . وقيل : معناه ينظر بعضكم بعضاً ، بحدوث الكوى والروازن في فرق البحر . وقيل معناه : وانتم بمشهد ومنظر منهم ، حتى لو انظرتهم إليهم لأمكنكم ذلك . وهو قول الزجاج .

ولا يخفى ضعفه ، إذ لم يكن لأصحاب موسى عليه السلام ما يشغلهم عن الرؤية ، فإنهم قد جاوزوا البحر وأقوال المفسرين متظاهرة على أنهم رأوا انفراق البحر والنظام أمواجه بآل فرعون حتى غرقوا ، فلا وجه للعدول عن الظاهر .

### [ قصة غرق فرعون ]

والقصة - كما روي عن ابن عباس <sup>(١)</sup> - : إن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر . فسرى بهم ليلاً ، فأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث . وكان موسى في ستمائة ألف وعشرين ألفاً . فلما عاينهم فرعون قال : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ \* وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ \* وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ [٥٤/٢٦-٥٦]



فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم بريح<sup>(١)</sup> دواب فرعون فقالوا: « يا موسى ﴿ اَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ هذا البحر أماننا ، وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه .

فقال موسى ﷺ : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ [ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ] ﴾ [ ١٢٩/٧ ] فقال له يوشع بن نون : « بِمِ أَمْرَتِ ؟ قال : « أَمْرَتُ أَنْ أُضْرِبَ بِعَصَايَ الْبَحْرَ » قال : « إضرب » .

وكان الله تعالى أوحى إلى البحر « أن أطع موسى إذا ضربك » قال : فبات البحر أفكلاً - أي رعدة - لا يدري في أي جوانبه يضربه . فضرب بعصاه البحر فانفلق . وظهر اثنا عشر طريقاً ، لكل سبط منهم طريق .

فقالوا : « إِنَّا لَنَسْلُكُ طَرِيقاً نَدِيّاً » فأرسل الله ريح الصباح حتى جفقت الطريق ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً ﴾ [ ٧٧/٢٠ ] فجزوا فيه .

فلما أخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض « مالنا لانرى أصحابنا » ؟ فقالوا لموسى : « أين أصحابنا » ؟ فقال : « في طريق مثل طريقكم » فقالوا : « لانرضى حتى نراهم » فقال موسى ﷺ : « اللّهُمَّ اعْنِي عَلَىٰ أَخْلَاقِهِمُ السَّيِّئَةَ » . فأوحى الله إليه أن أشر بعصاك هكذا وهكذا - يميناً وشمالاً - فأشار بعصاه يميناً وشمالاً ، فظهر كالكوي ينظر منها بعضهم إلى بعض .

فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر - وكان على فرسي حصان أدهم - فهاب دخول الماء ، تمثل له جبرئيل على فرس أنثى وديق<sup>(٢)</sup> ، وتفحّم البحر . فلما رآها الحصان تفحّم خلفها ، ثم تفحّم قوم فرعون ، فلما خرج آخر من كان مع موسى من

(١) مجمع البيان : « برهج دواب فرعون » والرهج : ماثير من الغبار .

(٢) ودقت ذات الحافر : أرادت الفحل ، فهي وديق .

البحر ودخل [آخر] مَنْ كان مع فرعون البحر أطبق الله عليهم الماء ففرقوا جميعاً ،  
ونجا موسى ومن معه .

## فصل

اعلم إن هذه القصة قد تضمنت نعماً كثيرة دنيوية ودينية ، والدينية في حق  
قوم موسى وقوم محمد صلى الله عليهما وآلهما .

### أما الدنيوية لهم :

فمنها نجاتهم عن الفرق ، وإهلاك عدوهم وقومهم .  
ومنها اختصاصهم بهذه المعجزة الباهرة ، والكرامة الظاهرة .  
ومنها استيصال عدوهم من جهتهم . وأصل الخلاص من مثل هذا البلاء نعمة  
عظيمة ، فكيف إذا قورن بالإكرام العظيم وإهلاك العدو .  
ومنها أن أورتهم أرضهم وديارهم وتعتهم وأموالهم .  
ومنها إنه كما غرق العدو وهلك غرق آله جميعاً وهلكوا ، وإلا لكان الخوف  
بعد باقياً من حيث انهم ربما اجتمعوا واحتالوا بحيلة وقع منها الضرر بهؤلاء ، ولكن  
لما أهلكهم الله جميعاً فقد حسم مادة الخوف بالكلية .  
ومنها إنه وقع ذلك بمحضر من الأولياء والأعداء جميعاً ، حتى لا يخفى على  
أحد منهم ، وهذا يوجب ابتهاجاً عظيماً ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾  
- إلى غير ذلك من النعم الدنيوية .

### وأما النعم الدينية في حق قوم موسى عليه السلام :

فمنها إنهم لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة حصل لهم العلم الضروري على  
وجود الصانع الحكيم ، وعلى صدق موسى عليه السلام ، وزالت عنهم الشكوك ، فكانت  
تعالى رفع عنهم كلفة النظر الدقيق والاستدلال الشاق . ومنها إنهم لما عاينوا ذلك

لزمهم الانقياد والطاعة لموسى عليه السلام وقبول قوله ، ولهم في ذلك سعادة الدارين .  
ومنها إنهم عرفوا إن الأمور كلها جارية على قضاء الله وقدره ، فإنه لا عزة في  
الدنيا أكمل من عزة فرعون ، ولا شدة أشد مما كانت لبني اسرائيل ، ثم الله تعالى  
قلّب الأمر في ساعة واحدة ، فجعل العزيز ذليلاً ، والذليل عزيزاً ، وذلك يوجب  
انقطاع القلب عما سوى الله ، والاقبال بالكلية إلى خدمته وطاعته والتوكل عليه .

وأما النعم الحاصلة لهذه الأمة المرحومة منها فكثيرة :

أحدها إنها جاءت حجة لنا على أهل الكتاب ، لأنه كان معلوماً من حال نبينا  
إنه كان أمياً لم يقرأ ولم يكتب . فإذا أخبرهم بما لا يعلم إلا من الكتب علموا إنه  
أخبر عن الوحي ، فصار دينه حقاً .

وثانيها إننا إذا تصوّرنا ما جرى لهم وعليهم من هذه الأمور العظيمة علمنا إن  
من أطاع الله فقد سعد في الدنيا والآخرة ، ومن خالفه فقد استحق غضب الله عليه في  
الدنيا والآخرة ، فصار ذلك مقرباً لنا من الطاعة ومبتعداً عن المعصية .

وثالثها إن أمة موسى عليه السلام مع هذه المعجزات الباهرة والكرامات المحسوسة  
الظاهرة خالفوه في أمور حتى قالوا له : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلِهَةٌ ﴾ [١٣٨/٧]  
وأما هذه الأمة فمع كون معجزتهم هي القرآن الذي خفي اعجازه ولا يظهر إلا بالنظر  
الدقيق انقادوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل الأحكام ، وما خالفوه في شيء ألبتة ، وهذا يدل على  
أنهم أفضل من أمة موسى عليه السلام .

وبهذا <sup>(١)</sup> يخرج الجواب عن إشكال ربما خطر بالبال ، وهو أن يقال : كيف  
لم يعط الله تعالى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما أعطى موسى عليه السلام من الآيات الباهرات ، لتكون  
الحجة أظهر ، والشبهة أسقط ؟

لأننا نجيب بأن الله أعطى كل نبي معجزة مناسبة لقومه وعلى حسب صلاح

حالهم ، فنصب الأعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح أمة موسى عليه السلام ، وقد كان في قومه من قفاظة القلب وبلادة النفس و كلاله الحدس ما لم يمكنهم معه الاستدلال بالآيات الخفية والبراهين العقلية . ألا ترى إنهم لما عبروا النهر وأنوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا - بعد ما شاهدوا من هذه الآيات - : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [١٣٨/٧] .

وكان في العرب والعجم من أمة نبينا ﷺ من جودة القريحة وحدة الفطنة وذكاء الذهن ما كان يمكنهم معه الاستدلال بالفكر واقتناص الحقائق بالنظر الدقيق ، والتفطن بما يحتاج فيه إلى التأويل <sup>(١)</sup> والتدبر ، والاستضاءة بنور العقل الفعال في ملاحظة الآيات ، فجاءت آياتهم مشاكلة لقرائحهم المتوقدة ، ومجانسة لأذهانهم من الدقة والحدة .

على أن في جميعها من الحجة الظاهرة ، والبينة الزاهرة ما ينفي خلاج الشك عن قلب الناظر المستبين ، ويفضي به إلى فضاء العلم اليقين ، ويوضح له مناهج الصدق ، ويولج موالجه الحق ، وما يستوي الأعمى والبصير . ولا يبتك مثل خبير .

## فصل

وهي هنا سؤال آخر : وهو إن فرعون - كما هو المشهور - كان من أهل الفكر والبحث ، وقد لقب بـ « أفلاطون القبط » فلما شاهد قلق البحر - وكان من العقلاء - فلا بد وأن يعلم إن ذلك من فعل الله ، ومن فعل عالم قادر لما يشاء ، مخالف لسائر القادرين ، فكيف بقي على الكفر مع ذلك ؟

وأجيب بأنه كان عارفاً بربه ، إلا أنه كان كافراً على سبيل الجحود والعتاد . وزد بأنه إذا عرف ذلك بقلبه فكيف استجاز تورط نفسه في الهلاك

واقتمح البحر؟!!

وأجيب <sup>(١)</sup> بأن حبّ الشيء بمعنى ويصمّ ، فحبّه للجاء والتلبس حمّله على اقتحام تلك المهلكة .

وهذا الجواب ليس بشيء . والأولى أن يقال : إنّ اقتحام البحر لم يكن باختياره ، بل وقع ذلك باقتحام حصانه الذي ركبه ، كما مرّ في القصة . أو يقال : إنّه لم يجزم بهلاك نفسه عند دخوله في البحر حتى إذا أدركه الغرق ، ولهذا قال عند الغرق : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ [٩٠/١٠] .

### [ ايمان فرعون مقبول ، أم لا ؟ ]

واعلم إنّه للعلماء خلاف في أن ايمان فرعون حين موته مقبول أم لا ؟ فذهب بعض المحققين على الأول ، والأكثر على الثاني - كما هو المشهور .

وقال الشيخ العربي في الباب [السابع] والستون ومائة من الفتوحات <sup>(٢)</sup> : « لما حال الغرق بينه وبين أطماعه ، لجأ إلى ما كان مستتراً في باطنه من الذلّة والافتقار . . . فقال : آمَنْتُ بِالَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ [وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ] <sup>(٣)</sup> كما قالت السحرة ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿ [٤٧/٢٦-٤٨] وقوله : ﴿ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ خطابٌ منه للحقّ ، لعلمه إنّه تعالى يسمعه ويراه ، فخاطبه الحقّ بلسان العتب ، وأسمعه ﴿ الْآنَ ﴾ أظهرت ما كنت تعلمه ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ في اتباعك . وما قال : ﴿ وَأَنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ فهي كلمة بشرى له عرفنا بها لئرجو رحمته مع إسرائفنا وإجرامنا ، ثمّ قال ﴿ فَالْيَوْمَ

(١) تفسير الفخر الرازي : ٥٢٠/١ .

(٢) الفتوحات المكية : ٢٧٦/٢ ، ملخصاً .

(٣) آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ [٩٠/١٠] .

نَنْجِيكَ بِبَيْدَتِكَ ﴿ فبشره قبل قبض روحه ﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةٌ ﴾ يعني : لتكون النجاة لمن يأتي بعدك انه علامة .

وليس في الآية إن بأس الآخرة لا يرتفع ، ولأن إيمانه لم يقبل وإنما في الآية ان بأس الدنيا لا يرتفع عن نزل به إذ آمن في حال رؤيته إلا قوم يونس . فقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنْجِيكَ بِبَيْدَتِكَ ﴾ إذ العذاب لا يتعلق بظاهرك (١) ، وقد أريت الخلق نجاة من العذاب ، فكان ابتداء الفرق عذاباً ، فصار الموت فيه شهادة خالصة بربه (٢) ، لم تتخللها معصية ، فقبضت على أفضل عمل ، وهو التلطف بالايان - كل ذلك - حتى لا يقنط أحد من رحمة الله . والأعمال بالخواتيم . فلم يزل الايمان بالله يجون في باطنه ، وقد حال الطابع الإلهي الذاتي في الخلق بين الكبرياء واللطائف الإنسانية ، فلم يدخلها قط كبرياء .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [٨٩/٤٠] فكلام محقق في غاية الوضوح ، فإن النافع هو الله ، فما نفعهم إلا الله .

وقوله : ﴿ سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ [٨٥/٤٠] يعني الايمان عند رؤية البأس الغير المعتاد . وقد قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [١٥/١٣] فغاية هذا الايمان أن يكون كرهاً ، وقد أضافه الحق إليه . والكرامة محلها القلب ، والايمان محلّه القلب . والله لا يأخذ العباد بالأعمال الشاقة عليه من حيث ما يجده من المشقة فيها ، بل يضاعف له فيها الأجر . وأما في هذا الموطن ، فالمشقة فيه بعيدة ، بل جاء طوعاً في ايمانه ، وما عاش بعد ذلك كما قال في راكب البحر عند ارتجاجه ﴿ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا آيَاهُ ﴾ [٦٧/١٧] فنجاهم ، فلو قبضهم عند نجاتهم لماتوا موحدين وقد حصلت لهم النجاة ، فقبض فرعون

(١) المصدر : لا يتعلق الا بظاهرك .

(٢) المصدر : بريئة .

ولم يؤخر في أجله في حال إيمانه لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الدعوى .  
 وأما قوله [تعالى]: ﴿ فَأوردَهُمُ النَّارَ ﴾ [٩٨/١١] فما فيه نصٌّ أنه يدخلها معهم ، بل قال: ﴿ ادْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [٤٦/٤٠] ولم يقل : « ادخلوا فرعون وآله » ورحمة الله أوسع من أن لا يقبل إيمان المضطر إذا دعاه ، وأي اضطراب أعظم من اضطراب فرعون حال الفرق ، والله يقول : ﴿ آمَنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [٦٢/٢٧] وهذا آمن بالله خالصاً ، وما دعاه في البقاء في الحياة الدنيا خوفاً من العوارض ، أو بحال بينه وبين هذا الإخلاص ، فرجع جانب لقاء الله على البقاء بالتلفظ بالإيمان ، وجعل ذلك الفرق نكال الآخرة والأولى فلم يكن عذابه أكثر من غم الماء الأجاج وقبضه على أحسن صفة .

بهذا يعطى ظاهر اللفظ . وهذا معنى قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴾ [٢٦/٧٩] يعني في أخذه نكال الآخرة والأولى ، وقدّم ذكر الآخرة ليعلم إن ذلك العذاب - أي الفرق - نكال الآخرة ، وهذا هو الفضل العظيم « انتهى كلامه :  
 ويفوح من هذا الكلام رائحة الصدق ، وقد صدر من مشكوة التحقيق وموضع القرب والولاية .

### تنبيه

قد ذكر ههنا أشكال وهو إن فلق البحر بضرب عصا من موسى عليه السلام والدلالة على وجود الصانع وقدرته كالأمر الضروري ، فكيف يجوز فعله في زمان التكليف ؟

والجواب أما على طريقة الأشاعرة فظاهر . وأما على طريقة المعتزلة : فقد أجاب الكمبي بأن عامة بني إسرائيل كانت بعيدة العهد عن الفطنة والذكاء ، ممنونة بالبلاد والفظاظة وقصور الفهم . فلا جرم احتاجوا في التنبؤ على حقيقة الإيمان بالله ورسله على معاينة الآيات العظام ، كفلق البحر ورفع الطور فوهم وإحياء الموتى .

ألا ترى إنهم مع ذلك لم يقنعوا بهذه الدلائل الباهرة ، فتارة قالوا: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [١٣٨/٧] وتارة قالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ [٥٥/٢] وأخرى ﴿اتَّخِذُوا الْعِجْلَ﴾ [١٥٣/٤] إلها لهم . وأخرى ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [٦١/٢] كل ذلك لغلبة الكثافة على طبائعهم ، والنشأة على بصائرهم ، والطبع والرّين على قلوبهم .

وأما هذه الأمة فلذّكاه عقولهم وصفاء قلوبهم كانوا على خلاف ذلك ، فلا جرم وقع الاختصار معهم على الآيات الدقيقة والمعجزات العقلية .

وأما على طريقتنا فنقول : ليس في فلق البحر وقلب العصاء حيّة وما يجري مجراهما زيادة على الدلالة على صدق موسى عليه السلام في جميع ما يدعيه من إثبات الإله الحقّ وادّعاء النبوة وغير ذلك بالدليل العقلي ، وأما كون ذلك من الضروريات التي لا حاجة معها إلى البرهان النبر العقلي فغير مسلم ، كيف وقد ثبت في علم الميزان « إن المحسوس - بما هو محسوس - لا يكون كاسباً لشيء ولا مؤدّباً إلى مطلوب » فليس في المحسوس حدّ لشيء ، ولا برهان على شيء ، كما ليس له حدّ ولا عليه برهان وهذا أمرٌ محقّق عند أئمة الحكمة والتحقيق ، ولذا قال بعض: «الدين الحاصل بالمعجزة دين اللثام » وحاشا المؤمن المتيقّن أن يكون بناء إيمانه ويقينه على رؤية المعجزة الفعلية من الرسول . بل بناء ذلك على البرهان العقلي ، أو الشهود الباطني الذي لا يعتربه وضمة شكّ وشوب ريب . وأما انفلاق البحر وغيره فعمّا للشبهة فيه مجالٌ - كما لا يخفي على أهل البحث - .

ثم إن العلم الضروري والكشف الحاصل للإنسان يوم القيامة نحو آخر من العلم لم يحصل مثله من انفلاق البحر وغيره ، لأن ذلك مما يحصل برؤية الأسباب والعلل . ومشاهدتها وظهور الأسباب بأعيانها ليس مثل العلم بها من جهة آثارها .



قوله جلّ اسمه :

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً

ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾

الوَعْدُ ، والموْعِدُ ، [ والوَعِيدُ ] والعِدَّةُ ، والموْعِدَةُ مصادر . والفعل يتعدى إلى مفعولين ، ويجوز الاقتصار على أحدهما . والمفعول الثاني فيه إما ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ أو المقْدَرُ ، وهو أن يعطيه الله التوراة ونحو ذلك ، لأنه لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ، ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه ، وعد الله موسى أن ينزل عليهم التوراة .

و ﴿ وَعَدْنَا ﴾ قراءة أهل البصرة وأبي جعفر ، وقرأ الباقون ﴿ وَاعْدْنَا ﴾ بالألف . وكذا في الأعراف وطه .

أما حجة من قرء بغير الألف فواضح ، لأن الوعد كان من الله ، والمواعدة لا تكون إلا من الجانبين . وأما حجة الباقين فوجوه :

أحدها إن الوعد وإن كان من الله ، فقبوله كان من موسى <sup>عليه السلام</sup> ، وقبول الوعد يشبه فعل الوعد . وهذا كما يطلق أهل الميزان <sup>[النقيض]</sup> لكل واحدة من القضيتين اللتين أحدهما سلب للأخرى ، مع أن نقيض الشيء رفعه ، فيكون السالبة نقيضاً للموجبة - دون العكس - إلا أنه أطلق عليهما المتناقضتان باعتبار أن أحدهما رفع ، والأخرى مرتفعة به ، ففيها أيضاً معنى الرفع في الجملة ، وبهذا القدر صح إطلاق المتناقضتين عليهما وإن لم يصح إطلاق النقيضين على كل منهما بانفراده ، وكذا الحكم في

الزوجين والمنتيمين ، حيث أنّ لكل منهما مدخلا في الزوجية والتهيؤ .  
وثانيها إنّ لا يبعد أن يكون الأدمي يَعِدُ الله تعالى ، بمعنى إنّ يعاهد الله .  
وثالثها إنّ الله تعالى وعده الوحي ، وهو وَعَدَ الله المعجىء للميقات إلى الطور  
وهذا أقوى . والقرائتان جميعاً قويتان .

و ﴿مُوسَى﴾ اسمٌ مركَّبٌ من اسمين بلغة القبط ، فد «مُو» هو الماء .  
و «سى» الشجر <sup>(١)</sup> . سمي بذلك لأنّ التابوت الذي كان جعلت أمّ موسى إياه فيه  
- حين خافت من فرعون ، وألقته في البحر ، فدفعته الأمواج بين أشجار عند بيت  
فرعون - فوجدته [ظ : وجدته] جوارى آسية امرأة فرعون عند الماء والشجر ، وقد  
خرجن ليغتسلن بذلك المكان ، فسُمي <sup>عليه السلام</sup> باسم المكان الذي وجد فيه ، وهو الماء  
والشجر .

وهذا أصحّ الأقوال <sup>(٢)</sup> . وفيه وجهان آخران مقدوحان : أحدهما أنّ وزنه  
«فعلِي» ، والميم فيه أصلية من «ماس، يميس، موصاً» إذا تبختر في مشيه . وكان <sup>عليه السلام</sup>  
كذلك . وثانيهما أنّ وزنه مُفَعَلٌ ، من «أوسيت الشجرة» إذا أخذت ماعليها من  
الورق . فكأنه سمي بذلك لصلعه .

ووجه انتقادهما أنّ بني إسرائيل والقبط ما كانوا يتكلمون بلغة العرب، وأيضاً  
إنّ هذا الاسم عَلَمٌ ، والعلم لا يفيد معنى غير الذات الشخصية .

وهو عليه السلام موسى بن عمران بن بصهر بن قاهث <sup>(٣)</sup> بن لاوي بن يعقوب

(١) راجع المعرب للجواليقي : ٣٠٢ . والتعليق عليه من محقق الكتاب . والاقوال

منقولة من تفسير الفخر الرازي : ٥٢١/١ .

(٢) وقريب منه أيضاً ماجاء في التوراة (الخروج ، باب ١٠/٢) : وسمتها موسى لأنها

قال : أخذتها من الماء .

(٣) كذا في مجمع البيان . وجاء في تفسير الفخر الرازي (٥٢١/١) وعرائس المجالس

للشلمى : قاهث .

ابن إسحق بن إبراهيم - صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين - .  
وانتصاب ﴿أربعين﴾ إما بالظرفية ، أو على أنه مفعول ثان . والثاني أولى ،  
لأن الوعد ليس فيها كلها ، كما في جواب «كم» ولا في بعضها كما في جواب «متى»  
بل يقضي الأربعين ، فيكون انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثاني ، فالتقدير: وعدنا  
موسى انقضاء أربعين ليلة . أو تمام أربعين ليلة - على حذف المضاف ، كقولهم :  
« أربعين يوماً منذ خرج فلان » أي : تمام الأربعين .  
و﴿ليلة﴾ منتصبة على التمييز للعدد الأربعين ، وهو شهر ذي القعدة وعشر  
ذي الحجة .

ويحتمل أن يكون المراد إنه تعالى وعد موسى قبل هذا الأربعين أن يجيء  
إلى الموعد - أي الطور - بعد انقضاء هذا الأربعين ، حتى تنزل عليه التوراة ،  
ويحتمل أن يكون المراد إنه أمر بأن يجيء إليه هذا الأربعين ، ووعد بأنه ينزل بعد  
ذلك التوراة ، وهذا الثاني هو المؤيد بالأخبار .  
وعبر عنها بالليالي ، لأنها غرر الشهور ، فإن أول كل شهر إنما يبين بليته الذي  
يظهر فيه هلاله . وقيل : لأن الظلمة سابقة على النور - وفيه تأمل .

## فصل

[ كانت المواعدة ثلاثين ليلة أو أربعين ؟ ]

واعلم إن قوله تعالى هيئنا يدل أن المواعدة كانت من أول الأمر على الأربعين  
وفي الأعراف حيث قال : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَاتَّمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ [١٤٢/٧]  
يفيد إن المواعدة كانت أولاً على ثلاثين ليلة ، ثم بعد ذلك واعدّه بعشر ، فلا بد في  
التوفيق بينهما من نكتة .

قال الحسن : ليس المراد<sup>إن</sup> واعدّه كان ثلاثين ليلة ، ثم بعد ذلك واعدّه بعشر ،

لكنه وعده أربعين ليلة جميعاً ، وهو كقوله تعالى ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْكَ عَشْرَةَ كَامِلَةً ﴾ [١٩٦/٢] .

هذا ما في التفسير . وذكر بعض العلماء انه روي ان موسى ﷺ وعد بني اسرائيل - وهم بمصر - ان الله تعالى اذا اهلك عدوهم فرعون وقومه واستنقذهم من أيديهم ، يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان الحلال والحرام ، والحدود والأحكام فلما فعل ذلك وأهلك فرعون سئل موسى ربه الكتاب . فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوماً - وهو ذو القعدة - .

ولم يكن صوم موسى ﷺ ترك الطعام في النهار وأكله بالليل . بل طوى الثلاثين من غير أكل . فلما تمت ثلاثون ليلة أنكر خلوف فمه . فتسوك بعود خرنوب فقالت الملائكة : « كتنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك » فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذي الحجة . وقال له : « أما علمت إن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك » ؟<sup>(١)</sup>

\* \* \*

واعلم إنه قد حصل لموسى ﷺ في هذه المدة المضروبة له من الله استعداد المكاملة له مع الله بواسطة انقطاعه عن الطعام والشراب ، واجتنابه عن اللذات والشواغل الحسية .

وكذلك استفادة العلوم الدنيوية والمعارف الإلهية ، وهي ضرب من المكاملة - لأن حقيقة التكلم إظهار ما يدل على المعاني الغائبة عن الحواس ، سواء كان بخلق الألفاظ ، أو بإفاضة صور الحقائق على النفس - لا تحصل إلا بتخلية المدارك والحواس عن الاشتغال بشواغل الدنيا وأغراضها ، وتخلية الجوف عن الطعام ، ومنع اللسان عن الكلام إلا بذكر الله ، وعدم اشتغال القلب بما سوى الحق ، فإن

(١) عرائس المجالس للثعلبي: ١٧٧ ، عوارف المعارف: ١٢١ .

جميع ذلك مما يعدّ النفس الشريفة الزكية للمكالمة الحقيقية مع الله تعالى، وإفاضة صور الحقائق عليها .

ولا يختصّ ذلك بمدة دون أخرى . غير أنّ تعيين الأربعين والحكمة في ذلك لا يظّلع عليه إلا الأنبياء والكمّل من الأولياء عليهم السلام .

وذكر بعض العرفاء <sup>(١)</sup> نكتة لطيفة في بيان ذلك وهي : « إنّ الله سبحانه لما أراد تكوين آدم عليه السلام من التراب ، قدّر التخمير بهذا القدر من العدد ، كما وردت « ختمت طينة آدم بيده أربعين صباحاً » فكان آدم عليه السلام لما كان مستصلحاً لعمارة الدارين لكونه مركباً من جوهرين : أحدهما ملكوتي أخروي وهو روحه ، والآخر ملكي دنيوي وهو قلبه ، فأراد الله منه عمارة الدنيا وعمارة الجنة ، فكوّنه من التراب تكويناً يناسب عالم الحكمة والشهادة أولاً ، ويناسب عالم الغيب والرحمة ثانياً . وما كانت عمارة النشأة الأولى تتأتى منه إلا ويكون خلقته من أجزاء أرضية وقوى سفلية ، بحسب قانون الحكمة . فمن التراب كوّنه ، وأربعين صباحاً خمر طينته ، وأودع فيه بحسب كلّ تخمير مرتبة من القوى والآلات ، وطبقة من التجسم والأعضاء والأدوات ، يوجب كلّ مرتبة وطبقة منها نوعاً من البعد عن الحضرة الإلهية في القوس النزولية .

فاحتجب عن عالم القدس والوحدة بالتوجه إلى عمارة الدنيا وزينة التركيب لبُعده بالتخمير أربعين صباحاً بأربعين حجاباً من الحضرة الإلهية ، كلّ حجاب معنى مودع فيه يصلح لعمارة الدنيا وزينتها ، من القوى النفسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية . ويتعوق به عن مراتب القرب .

ولو لم يتعوق الآدمي بهذه الحجب والكثائف عن عالم القدس ومواطن القرب ماتعمرت الدنيا . فمنشأ بعده عن مقام القرب لعمارة ( بعمارة - ن ) الدنيا ،

(١) عوارف المعارف للسهروردي : الباب السادس والعشرين : ١٢١ .

وفي ذلك من لطائف صنّع الله والحكمة ما لا يخفى .

فبالتبثّل إلى طاعة الله ، والإقبال إليه ، والرجوع عن أمر المعاش ، وما يتعلّق بالدنيا كلّ يوم يخرج عن حجاب من هذه الحُجُب ، ويتخذ منزلاً في القُرب في القوس العروجية من الحضرة الإلهية - التي هي مجمع العلوم ، ومنبع المكاشفات ومصدر الحقائق - فإذا تمّت الأربعون زالت الحُجُب بالكلية ، وانصبت إلى قلبه أنهار العلوم والمعارف انصباباً .

ففي كلّ يوم بإخلاصه في العمل لله تعالى يكشف له طبقة من طبقات الحُجُب الجسميّة والأغشبية الظلمانية والنشأة الترابيّة الطبيعيّة ، ويزول عنه طور من الأطوار الكونيّة الخلقية المبعّدة له عن الله ، ويظهر عليه ساطان النشأة الأخراويّة ، إلى أن ينكشف باستعمال الأربعين أربعين طبقة من أطباق حجاب وأطوار بعده عن الله ، واشتغاله بعمارة الدنيا ، ولذلك ورد في الحديث : « من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة » .

فهذا أصل يستفاد منه سرّ تعيين الأربعين في الخلوة والرياضة - والعلم عند الله

### عقدة وحلّ

[ الغرض من تعمير الدنيا ]

ولعلك تقول : إنّ الحكمة في تعلق الروح الإنساني بهذا القالب الكثيف لو كانت لمصلحة تعود إلى الكائنات الأرضية لكان يلزم منها استخدام العالي للسافل . وأيضاً في تباعد الروح الإنساني عن عالم القدس والقرب إلى عالم الظلمة والكُدورة والعاهسات ضرب من التعذيب له ، والتخريج عما فطر له من الروح والراحة . فأيّ فائدة في تعذيب أشرف الجواهر الحيوانية ، لأجل صلاح سائر المركبات الحيوانية والنباتية والمعدنية ؟ !

وهذا الإشكال ممّا لا يخلو الجواب عنه عن صعوبة ، لتوقّفه على تحقيق مهية

الإنسان ومعرفة أطواره ونشأته ، وذلك متعلق بعلوم كثيرة من علوم المكاشفات . وقد مرّت إشارة إلى سرنزول الروح الإنساني إلى هذا العالم فيما سبق عند قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

والذي نذكره هنا في دفع هذا الإشكال هو أنّ المراد بتكوين الإنسان عامراً لهذه النشأة وزينة للكائنات هو تعميره على وجه تعود فائدة التعمير إليه ، فإنّ الإنسان الكامل ذو أجزاء كثيرة وأطوار متعدّدة ، له بحسب كل قوّة منها كماله وتمامية لا تحصل إلّا بها ، وليس الغرض من خلافته في الأرض وتعميره للدنيا إلّا تبقية شخصه ونوعه وتكميل ذاته على وجه يصير مظهراً للأسماء الإلهية ، وجامعاً للحقائق الكونية والأسرار الربوبية ، خليفة لله في الأرض والسماء ، وزينة للنشأة الباقية بعد الأولى .

وأما تكون سائر الأكوان - من النبات والحيوان بسببه فهو إمّا لأجل انتفاعه بها واستخدامه لها - كما دلّ عليه قوله في حق الجميع : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [٢٩/٢] وقوله تعالى في باب الأنعام والدواب : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ \* وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [٧١/٣٦-٧٢] وقوله في باب النباتات : ﴿ يَنْبِثْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [١١/١٦] وقال في باب المعادن والجمادات : ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ الْأَجْبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ ﴾ [٨١/١٦] وغير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المطلب .

وإمّا لأجل أن لا يكون ضائعاً مهملاً ما بقي من فضالة مادة الإنسان وكتائف طينته التي صرفت لطائفه في تخمير قلبه ، فكما إنّ البناء يستعمل الخشب في غرضه فما فضل لا يضيعه ، بل يتخذة قسماً وخللاً وغير ذلك ، فكذلك الغاية القصوى في

إيجاد هذا العالم وتمامه خَلْقَةَ الإنسان الذي من شأنه أن يعرج بالعلم والتقوى إلى جوار الله وملكوته .

وأما تكون سائر المكوّنات ، فكلّما يفوت حقّ كلّ عنصر ومادّة ، ويصل إلى كلّ مخلوق من الخير والسعادة قدرًا يليق به ، وشرح هذا المقام ممّا يطول .

### فصل

قوله [تعالى] : **ثُمَّ آتَيْنَاهُمُ الْعِجْلَ**

أي : آتَيْنَاهُمُ إلهًا ومعبودًا ، لأنّ بمجرد فعلهم لتصويره لا يكونون ظالمين ، لأنّ فعل التصوير ليس بمحظور ، وإنّما هو مكروه عند أكثر الفقهاء . وأما الخبر الذي روي <sup>(١)</sup> «إنّه عليه وآله الصلوة والسلام لعن المصوّرين» فالمراد من شبه الله بخلقه ، أو اعتقد أنّه صورة جسمانية .

وقوله ﴿مَنْ بَعْدَهُ﴾ أي : من بعد خروج موسى وعييته ، أو من بعد وعد الله إياكم بالتوراة ، أو من بعد غرق فرعون وهلاك قومه ، أو من بعد ما رأيتم من الآيات الباهرات .

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ في اتخاذكم العجل مبدودًا وإصراركم على ارتكاب الباطل ومتابعة الهوى والظلمات .

\* \* \*

روي عن ابن عباس - رضي الله عنه - <sup>(٢)</sup> : كان السامري رجلاً اسمه موسى ابن ظفر - وقيل : اسمه «ميحاً» - وكان من قوم يعبدون البقر ، فكان حبّ عبادة البقر في نفسه ، وقد كان أظهر الإسلام في بني إسرائيل ، فلما قصد موسى إلى ربه وخلف هرون في بني إسرائيل ، قال هرون لقومه : «قد حملتم أوزاراً من زينة القوم»

(١) البخاري : كتاب اليهود ، باب موكل الربا : ٧٧/٣ .

(٢) مجمع البيان : ١٠٩/١ . الدر المنثور : ٣٠٥/٤ .



— أي آل فرعون — « فتطهروا منها ، فإنها نجس » يعني : إنهم استعاروا من القبط حلياً واستبدوا بها ، فقال هرون : « طهروا أنفسكم منها فإنها نجسة » وأوقد لهم ناراً فقال : « اقدفوا ما كان معكم فيها » فيجعلون ( ظ : فجعلوا ) يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة والحلي ، فيقدفون فيها .

وكان السامري رأى أثر فرس جبرئيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أقبل إلى النار ، فقال لهرون : « يا نبي الله الذي مافي يدي » ؟ قال : « نعم » وهو لا يدري مافي يده . ويطن أنه مما يجيء به غيره من الحلي والأمتعة . فقدف فيها وقال : « كُنْ عَجْلاً جَسَداً لَهُ خُور » فكان البلاء والفتنة .

فقال : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ فمكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط .

قال ابن عباس : « فكان البلاء والفتنة » لم يزد على هذا . وقال الحسن : « صار العجل لحماً ودماً » . وقال غيره : « لا يجوز ذلك ، لأنه من معجزات الأنبياء » . ومن وافق الحسن قال : « إن القبضة من أثر الملك ، وكان الله قد أجرى العادة بأنها إذا طرحت على أي صورة كانت حيتت ، فليس ذلك بمعجزة ، إذ سبيل السامري فيه سبيل غيره » ومن لم يجز انقلابه حباً تأول الخوار على أن السامري صاغ عَجْلاً وجعل فيه خروفاً يدخله الريح فيخرج منها صوت كالخوار ، ودعاهم إلى عبادته ، فأجابوه وعبدوه — كذا عن الجبائي .

## تذكرة

[ السامري والعجل ]

ذكر بعض العلماء (١) ان هذه الواقعة على الوجه المنقول مما يأبى العقل عن

اذعانها ، لأن كل عاقل يعلم ببديهة عقله إن الصنم المتخذ من الذهب الذي لا يتحرك ولا يحس ولا يعقل يستحيل أن يكون إلهاً في السموات والأرض ، وهب أنه ظهر منه خواراً ، ولكن هذا القدر لا يصلح أن يكون شبهة في قلب أحد من العقلاء في كونه إلهاً .

ولا يمكن تصحيح هذه الواقعة إلا على وجه ، وهو إن السامري ألقى إلى القوم إن موسى إنما قدر على ما أتى به لأنه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية ، فإنا أتخذ لكم طلسماً مثل طلسمه ، وروج عليهم ذلك بأن جعله بحيث يخرج عنه صوت عجيب ، فأطمعهم في أن يصيروا مثل موسى عليه السلام في الإتيان بالخوارق ، ولعل القوم كانوا مجسمة وحلولية ، فجوزوا حلول الإله في بعض الأجسام .

وذكر العارف المحقق محيي الدين الأعرابي في فصوص الحكم (١) : « إن من خصائص الأرواح أنها لا تطلق شيئاً إلا حسي ذلك الشيء وسرت الحياة فيه ، ولهذا قبض السامري قبضة من أثر الرسول الذي هو جبرئيل عليه السلام - وهو الروح - .

وكان السامري عالماً بهذا الأمر ، فلما عرف أنه جبرئيل ، عرف أن الحياة قد سرت فيما وطئ عليه ، فقبض قبضة من أثر الرسول - (٢) بالضاد والصاد ، أي : بملء يده ، أو بأطراف أصابعه (٣) - فنبذها في العجل ، فخار العجل ، إذ صوت البقر إنما هو خوار ، ولو أقامه صورة أخرى ، لنسب إليها اسم الصوت الذي لتلك الصورة ، كالرغاء للإبل ، والثواج للكباش ، واليغار للشياة ، والكلام أو النطق للإنسان (٤) . فذلك القدر من الحياة (٤) يسمى « لاهوتاً » و « الناسوت » هو المحل القائم به ذلك الروح - انتهى .

(١) فصوص الحكم : الفص العيسوي ، ١٣٨ .

(٢-٢) المصدر : بالصاد أو بالضاد ، أي بملء أو بأطراف أصابعه .

(٣) المصدر : والصوت للإنسان أو النطق أو الكلام .

(٤) المصدر . فذلك القدر من الحياة السارية في الأشياء يسمى . . .

تبصرة<sup>٥</sup>

[ بماذا نعرف الرسول ؟ ]

اعلم إن طريق الايمان بالله ورسله وآياته عند العرفاء وأرباب اليقين ليس مما يحصل بالنظر في المعجزة وخرق العادة الواقع من الرسل ، فإنني قد آمنت بصدق نبينا محمد ﷺ في جميع ما أتى به ، وبصدق موسى ﷺ ، لا بشق القمر وقلب العصا حية ، بل بإعلامات إلهية والهوامت ربانية في القلب التي لا يتطرق إليها شائبة شك وريب ، ولا يعتربه وصمة شبهة وعيب .

وهي موزونة مع ذلك بميزان صحيح العيار من موازين القسط ليوم الحساب الذي وضعه الله من السماء العقلية في أرض القلب الإنساني ، الموضوع تحت سماء العقل المرفوع ، وأمر باقامته - كما دل عليه قوله [تعالى] : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ \* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ \* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ \* وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [١٠-٧/٥٥] .

وقد أقيمت هذا الميزان الصحيح كما أمر الله به ووزنت به جميع المعارف الإلهية ، بل أحوال المعاد ، وسرّ حشر الأجساد ، وعذاب أهل الفجور ، وثواب أهل الطاعة ، فوجدت جميعها مطابقة لما في هذا القرآن الذي هو تنزيل من الله العزيز المتأن ، ولما في الأحاديث الواردة من النبي وآله ﷺ ، وتيقنت أن جميع ما صحّ عن رسول الله وآله ﷺ حق وصدق .

وأما طريق النظر في المعجزة فذلك مما يتطرق إليه التباس كثير ، فلا يوثق به كل الوثوق بل من بنى إيمانه على قلب العصا ثعباناً يكفر بخوار عجل السامري ، فإن التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جداً ، والعالم الذي هو عالم العصمة والطهارة عن الخبط والغلط ، هو عالم القلب ، وأما عالم البدن فالخطأ والتباس فيه كثير .

وأكثر الناس اعتمادهم على ما يدركه الحواس، وعكوفهم على ما ينتمي إلى  
الأوضاع الحسية، ولهذا يفلطون كثيراً، ولو لم يكن لهم قائد يقتدون به يسلك  
بهم كمن يقود الأعمى في الليل المظلم، وإلا يقعون في الحميم، ويسلكون طريق  
الجحيم، وهؤلاء طائفة لا يعرفون الحق إلا بالرجال.

وأما العرفاء الإلهيون فهم يعرفون أهل الحق بالحق، كما قاله أمير المؤمنين  
وإمام العارفين عليه السلام: « لا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله » فكانت  
معرفة العارفين المحققين بصدق النبي صلى الله عليه وآله ضرورة، كعرفتك إذا رأيت رجلاً  
عربياً يدعى الفقه ويناظر في مسألة من مسائل الفقه، ويحسن في البحث عنه، ويأتي  
بالفقه الصحيح الصريح، فإنك لا تتماهى في أنه فقيه، وبقينك الحاصل بفقهه من  
مناظرته أوضح من اليقين الحاصل به لو قلب ألف عصا ثعباناً، لأن ذلك يتطرق  
فيه احتمال السحر والطمس والتلبيس بغيره، ويحصل به إيمان ضعيف هو إيمان  
العوام والمتكلمين، فأما إيمان الناظرين من مشكوة الملكوت، فلا يتطرق إليه تلك  
الاحتمالات، وهذا النحو من العلم والإيمان إنما يحصل بتعليم من الله ومن جبرئيل  
بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله.

وهذا أوضح من الاعتقاد الذي يحصل من النص أو بالمعجزة، فإن ثلاثة أنفس  
لو ادعوا عندك أنهم يحفظون القرآن، فقلت: « ما برهانكم »؟ فقال أحدهم:  
إنه نص علي الكسائي أستاذ المقرئين. أو نص علي أستاذي فلان وأستاذي نص  
علي، فكان الكسائي نص علي. وقال الثاني: برهاني أنني أقلب العصا حية  
- وقد قلب العصا حية - وقال الثالث: برهاني أن أقرأ القرآن بين يديك من خير  
مصحف - وقرء - فليت شعري أي هذه البراهين أوضح؟ وقلبك بأيتها أشد تصديقاً؟  
لاشك أنك بالذي قرء القرآن، فهو غاية البرهان، وبه يحصل غاية الإيمان إذ  
لا يخالج فيه ريب.

أما نصرٌ استأذنه عليه ، ونصرٌ الكسائي على أستاذه ، فيتصور أن يقع فيه أغاليط ، سيما عند طول الأزمنة وبعُد الأسفار . وأما قلب العصاحية : ففعلٌ ذلك لحيلة وشعبذة ، وإن لم يكن كذلك فغايبته أنه فعلٌ أمراً عجيباً ، ومن أين يلزم أن من قدر على فعلٍ عجيب ينبغي أن يكون حافظاً للقرآن ؟ !

### تنبيه

[ ذكر نكات تلمح إليها الآية ]

اعلم - أيها العاقل الفهيم - إن في هذه الآية تحذيراً بليغاً من التقليد والجهل بالدلائل والبراهين ، فإن أولئك القوم لو عرفوا الله بالخُجج الواضحة والشواهد الباطنة معرفة تامة لما وقعوا في شبهة السامري .  
وفيها أيضاً دلالة على أن أمة محمد ﷺ خير الأمم ، لأن أولئك اليهود مع أنهم شاهدوا تلك المعجزات الباهرة اغتروا بهذه الشبهة الركيكة ، وأما هذه الأمة فإنهم مع حاجتهم في معرفة إعجاز القرآن إلى الأدلة الدقيقة لم يفتروا بالشبهات القويّة ، وذلك يدلّ على أن هذه الأمة أكمل عقلاً وأزكى خاطراً ، وأشدّ تعمقاً في الحق من غيرهم .

وفيها أيضاً تسلية لرسول الله ﷺ مما كان يشاهد من مشركي مكة والمنافقين وأمر له بالصبر على مخالفتهم ، كما صبر موسى ﷺ في هذه الواقعة المنكرة من قومه ، وقد نخلصهم ﷺ من فرعون ، وأزاهم المعجزات القويّة ، فاغترّوا بهذه الشبهة الركيكة .

وفيها أيضاً دلالة على مذمة الاقتداء بالأسلاف والآباء من غير بصيرة ، فإن أشدّ الناس مجادلة مع رسول الله ﷺ وعداوة للذين آمنوا هم اليهود ، وكانوا

يتفاخرون بأسلافهم ويلتزمون دين أشياخهم وآبائهم ، فكأته تعالى قال : « هؤلاء  
 إنما يتفاخرون بأسلافهم ويقتدون على آثارهم . ثم إن أسلافهم كانوا في البلادة  
 وسخافة العقل والغباوة إلى هذا الحد ، فكيف من يقتدي بهم ويقتفي آثارهم ؟ »  
 وفيها أيضاً تنبيهٌ يستفاد من قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ على أن ضرر الكفر  
 والمعاصي لا يعود إلا إلى صاحبه ، لأنهم ما استفادوا بذلك إلا أنهم ظلموا أنفسهم  
 وحرفوها عن جوار الله ودار كرامته إلى الهاوية ودار الهوان والعذاب ، وذلك يدل  
 على أن جلال الله منزّه عن الاستكمال بطاعة العباد والانتقاص بمعصيتهم .



قوله تعالى :

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾

العَفْوُ ، والصفح ، والمغفرة ، والتجاوز نظائر. قال [ابن] الأنباري: ﴿عَفَى اللهُ عَنْكَ﴾ [١٣/٩] معناه : مَحَى اللهُ عَنْكَ . مأخوذ من قولهم : « عَفَتَ الرِّيحُ الأثر » إذا دَرَسَتْه ومَحَتْه . فعَفَى اللهُ مَحَوهُ الذنوبَ عن العبد .  
والظاهر إن المراد من قوله : ﴿عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ تركنا معاجلتكم بالعقاب في الدنيا ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ اتخاذكم العِجَلِ إليها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي : تعرفون الله ورسوله . فإن تمام الشكر بأفضل أجزائه ، وهو المعرفة .

لَمَّا وَقَعَتْ إِلَيْهِ الإِشَارَةُ سَابِقًا مِنْ أَنَّ كُلَّ مَقَامٍ مِنْ مَقَامَاتِ الدِّينِ يَنْتَظِمُ بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ - : العلم ، وهو أعلاها ، والحال ، وهو أوسطها . والعمل ، وهو أدناها . فالشكر لله عبارة عن اعتقاد كونه خالقاً ورازقاً للعباد ومنعماً عليهم في الدنيا والآخرة بواسطة الملائكة والأنبياء . ويلزم ذلك الاعتقاد الفرح بذكر الله ومعرفته وحب لقاءه وخلوص القلب عن الالتفات بغير الله وتصفيته عن كلِّ خاطر ردي ، ويلزمه أيضاً العمل بالأركان والجوارح بقدر ما يتيسر ويُطاق .

واسم « الشُّكْرِ » تارة يقع على الثلاثة ، وتارة يخصُّ بالأول - نظراً إلى سرِّه وروحه وباطنه - وتارة يخصُّ بالآخر - نظراً إلى ظاهره المكشوف للحسن . كما إن اسم الإيمان تارة يقع على الاعتقاد بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب

والرسل والأئمة عليهم السلام ، مع الاقرار باللسان ، والعمل بالأركان . وتارة يقع على نفس الاعتقاد الصحيح ، وهو النور الباقي للمؤمن إلى يوم القيامة ، يسعى بين يديه وعن يمينه .

وقالت المعتزلة - ومنهم صاحب الكشاف - : « معنى قوله : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أي : خفونا لكم بسبب إتيانكم بالتوبة التي هي قتلكم أنفسكم » . وفيه بحث من وجهين :

الأول : إن قبول التوبة واجب عقلاً . وأداء الواجب لا يكون إنعاماً . فلو كان المراد ذلك فلا يحسن عده في معرض الإنعام والإمتنان . والآية مسوقة في تعديد نعم الله على بني إسرائيل .

والثاني : إن العفو إسم لاسقاط العقاب عن المستحق ، فأما إسقاط ما يجب إسقاطه فلا يسمى عفواً . فعلم إن ذلك المعنى الذي حملوا الآية عليه ضعيف عقلاً ولفظاً .

### تنبيه

اعلم إن هذه الآية دالة على بطلان قول المعتزلة أن « لا عفو عن الكبائر » إذ لا كبيرة أكبر من اتخاذ العجل إلهاً ، وإذا ثبت أنه سبحانه عفى عن كفر قوم موسى عليه السلام ولم يؤاخذهم على شركهم ، فبأن يعفو عن فسق أمة محمد عليه السلام كان أحق وأحرى .

### تنبيه آخر

قد دلت الآية أيضاً على أن الله تعالى لم يرد من العباد إلا الخير والطاعة ، ولا يريد منهم الشرّ والمعصيان . فإنه تعالى لما بيّن إنه إنما عفى عنهم ولم يؤاخذهم لكي يشكروا ، فلم يرد منهم في هذا العفو إلا الشكر ، وهو أعظم الطاعات .



وأما ما ذكره صاحب التفسير الكبير من قوله <sup>(١)</sup> : « لو أراد الله منهم الشكر لأراد ذلك إما بشرط أن يصل للشاكر داعية الشكر ، أو لا بهذا الشرط . والأول باطل ، لأن تلك الداعية إن كانت من فعل العبد لافتقر هذه الداعية إلى داعية أخرى ، والكلام فيها عائد . وإن كانت من الله فحيث خلق الله الداعي حصل الشكر لامحالة . وحيث لم يخلق استحال حصول الشكر منه من غير هذه الداعية . والثاني أيضاً باطل ، وإلا فقد أراد منه المحال ، لأن حصول الفعل بدون الداعي محال ، وطلب المحال محالٌ على أصولهم » .

فمندفعٌ ، لأننا نختار أن حصول الشكر من العبد بالاختيار مشروط بحصول الداعية فيه - سواء كانت بالاختيار ، فيستدعي داعية أخرى ، أو بالاضطرار ، فيكون من فعل الحق ، وعلى أي الوجهين ينتهي بالأخيرة إلى حصول داعية ليست هي من فعل العبد ، بل من فعل الله الحاصل في العبد اضطراراً . وقد مرّ مراراً إن اختيار العبد ينتهي آخر الأمر إلى ما هو حاصل فيه بالاضطرار فإن علم الإنسان وداعيته مخلوقان لله بالاتفاق ، والنزاع ليس إلا في ترتب هذه الأمور وافتقار بعضها إلى بعض أو في عدم الترتيب . فإن الأشاعر ومن يحذو حذوهم أنكروا حكمة الله في هذا الترتيب ، ونفوا القول بالعلّة والمعلول ، ولهذا أسندوا القبائح والشور كلها إلى الله أولاً وبالذات - تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

### حكمة قرآنية

[ معنى « لعل » في القرآن ]

اعلم إن في لفظة « لعل » - وهي من كلمات الترجي والإمكان - إشارةً بليغة إلى أن فعل الشكر إنما يحصل من العبد باختياره ، فإن أفعال العباد من جهة نسبتها

(١) تفسير الفخر الرازي: ٥٢٤/١ ملخصاً .

إلى مبادئها القريبة واقعة باختياره على سبيل الاحتمال والامكان . ومن جهة نسبتها إلى السبب الأول ومبادئها البعيدة - من قضاء الله وقدره وعلمه وقدرته - واقعة من العبد على سبيل البتّ والوجوب .

ففعل العبد من جهة وقوعه باختياره بحكم عليه بـ « القدر والتفويض » - أي : بكونه واقعاً بقدرتنا ، مفوضة إلينا - ومن جهة وقوعه بمشيئة الله وقضائه وقدره ، والوسائط المترتبة المستندة - على ترتيبها في سلسلة العلل والمعلولات - إلى الله ، يحكم عليه بـ « الجبر » كما سبق .

فلفظة « لعل » كلما جاءت في القرآن فهي بحسب الاعتبار الأول ، وهو وقوع الأمور من أسبابها القريبة .

### فصل

#### [ الفرق بين الحمد والشكر ]

اعلم إنّ العلماء فرّقوا بين الحمد والشكر ومعناهما وحكمهما ، وملخص الفرق المستفاد من أقوالهم : إنّ الحمد من أشباه الأذكار كالتسبيح والتهليل ، فيكون من المساعي الظاهرة ، والشكر من أشباه النيّات والأخلاق ، كالصبر والتفويض والرضا . فيكون من المساعي الباطنة ، لأنّ الشكر يقابل الكفران . والحمد يقابل اللوم . ولأنّ الحمد أعمّ وأكثر ، والشكر أخصّ وأقل . كما قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [١٣/٣٤] فثبت أنّهما معنيان متميّزان .

ثمّ الحمد - كما هو المشهور من كلام الجمهور - هو الثناء على أحد بالفعل الجميل . وأمّا الشكر فقد تكلموا في معناه وأكثروا القول فيه :

فمن ابن عباس أنّه قال : « هو الطاعة بجميع الجوارح لربّ العالمين في السرّ والعلانية » . وهذا كما اشتهر على ألسنة الجمهور : « أنّه عبارة عن صرف العبد جميع ما أنعمه الله فيما خلّق لأجله » وإلى نحوه ذهب بعض المشايخ ، فقال :

« أنه أداء الطاعات في الظاهر والباطن » .

وقال بعضهم : « اجتناب المعاصي ظاهراً وباطناً » . وقال غيره : « الاحتباس عن اختيار معاصي الله » . أي : تحترس على قلبك ولسانك وأركانك، حتى لاتعصي الله بشيء من هذه الثلاثة .

وقال آخر : « الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمته ، على حد يمنعه من جفاء المنعم وكفرانه » . ولو قيل : « تعظيم المحسن على مقابلة إحسانه » ليصح أن يكون من الله الشكر للعبد المحسن .

\* \* \*

### فإن قلت : فما موضع الشكر؟

فاعلم إن موضعه النعم الدينية والدينية مطلقاً . وأما الشدائد والمصائب الدنيوية في النفس ، أو الأهل ، أو المال ، فقال بعضهم : لا يلزم العبد الشكر عليها ، وإنما يجب عليها الصبر . وأما الشكر فهو على النعمة خاصة .

وقال بعضهم : لاشدة إلا وفي جنبها نعم الله . فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة به ، دون نفس الشدة .

وقال بعضهم - وهو الأولى - : إن شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها ، لأن تلك الشدائد نعم بالحقيقة ، لأنها تعرض للعبد بمنافع عظيمة ، ومثوبات جزيلة وأعواض كريمة في العاقبة تتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدائد . مثال ذلك من يسقيك دواء كريهاً مرّاً للداء الشديد ، فيؤدي ذلك إلى صحة النفس وصفوة العيش فيكون إيلاجه إيالك بمرارة الدواء مئة بالغة بالحقيقة ، وإن كان في صورة مكروهة .

فالحاصل من هذا الكلام رجوع إلى أن البلية والشدّة يجب الشكر عليها من حيث أنها نعمة ، لأنها توجبها لامن حيث انها بليّة وآفة ، فلاشكر على الشرور والأعداء - من حيث انها شرور وأعداء .

هذا هو التحقيق ، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ<sup>(١)</sup> : « الحمد لله على كل حال » .

\* \* \*

ثم إن النعمة قسمان : دنيوية ، ودينية :

فالدنيوية ضربان : نفع ، ودفع . فنعمة النفع - وهي المصالح والمنافع -

ضربان : الخليفة السوية في سلامتها وعافيتها ، وما سلامة البدن موقوفة عليها من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وغيرها من فوائدها . وأما نعمة الدفع فهي أن صرف عنك المفسد والمضار . وهي ضربان أحدهما في النفس بأن سلمك من زمانتها وسائر آفاتنا وعللها . والثاني دفع ما يلحقك من ضرر من أنواع العوائق أو يقصدك بسوء من إنس أو جنّ أو سباع أو هوامّ أو نحوها .

وأما النعم الدينية فضربان : نعمة التوفيق ونعمة العصمة ، فنعمة التوفيق

أن وفقك الله أولاً للإسلام ، ثم الطاعة ، ونعمة العصمة أن يمسك أولاً عن الكفر والشرك ، ثم عن البدعة والضلالة ، ثم عن سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحيط به إلا السيد الحكيم السدي أنعم عليك كما قال جلّ جلاله ﴿ وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لِأَتْحْصُوهَا ﴾ [٣٤/١٤] .

## فصلٌ عرشي

اعلم إن تحقيق الشكر والعلم بكيفية حصوله من الإنسان يستدعي معرفة أصول عظيمة عقلية ، ومسائل شريفة علمية ، منها معرفة النفس الإنسانية ، وهي أم الفضائل ومفتاح العلوم الحقيقية ، ولندكر ههنا استقصاء يسيراً مما وجدناه من كتب العرفاء ،

(١) الكافي : كتاب الايمان والكفر ، باب الشكر ، ٩٧/٢ : كان رسول الله (ص)

إذا ورد عليه أمر يسره قال : « الحمد لله على هذه النعمة » . وإذا ورد عليه أمر يفتّم به قال :

« الحمد لله على كل حال » .

لما فيه من عظيم الجدوى<sup>(١)</sup>.

فنقول : قد علمت سابقاً إن الشكر من جملة مقامات السالكين ، ومنزلٌ من منازل أهل الدين ، وكلّ مقام ومنزل لهم ينتظم من علم وحال وعمل . العلم هو الأصل ، فيورث الحال ، والحال يورث العمل .

أمّا العلم هبهنا فهو معرفة المنعم وإنعامه . وأمّا الحال فيه فهو الابتهاج الحاصل فيه بإنعامه وأمّا العمل فيه فهو القيام بما هو مؤدّر إلى مقصود للمنعم وغاية إنعامه . ويتعلّق ذلك العمل بالقلب والجوارح واللسان . ولا بدّ من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر .

### فالأصل الأوّل العلم :

وهو متعلّق بثلاثة أمور : بعين النعمة ، ووجه كونها نعمة في حقّه ، وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتمّ الإنعام ، وبصدور الإنعام منه عليه ، فإنه لا بدّ من منعم ومنعم عليه يصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة .

فهذه الأمور لا بدّ من معرفتها في حقّ غير الله ، فأما في حقّ الله فلا يتمّ إلاّ بأن يعرف أنّ النعم كلّها منه ، وهو المنعم بالحقيقة ، والوسائط مسخّرون من جهته ، فهذه المعرفة هي معرفة أن « لا مؤثّر في الوجود إلاّ الله » وهو توحيد الأفعال . وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد في الذات الواجبية ، إذ دخل هذا التوحيد والتقديس فيها ، بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان والتقديس .

ثمّ إذا عرف ذاتاً مقدّسة عن النقائص الإمكانية - فضلاً عن المثالب المادية والمكانية - فيعرف أنّه لا مقدّس إلاّ واحد ، وما عداه غير مقدّس - وهو التوحيد . ثمّ يعلم إنّ كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط ، والكلّ نعمة

(١) إحياء علوم الدين : كتاب الشكر ، الركن الأول ، ٨١/٤ .

منه ، فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة - أي بعد المعرفتين الأولى - فينطوي فيها مع التقديس والتوحيد : كمال القدرة والانفراد بالفعل .

وعن هذا عبر رسول الله ﷺ حيث قال <sup>(١)</sup> : « مَنْ قَالَ « سُبْحَانَ اللَّهِ » فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ . وَمَنْ قَالَ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَلَهُ عَشْرُونَ . وَمَنْ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » فَلَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً .

وقال ﷺ <sup>(٢)</sup> : أفضل الذكر « لا إله إلا الله » وأفضل الدعاء « الحمد لله » .

وقال ﷺ <sup>(٣)</sup> : ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد .

ولا تظنّ أنّ هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب . فـ « سبحان الله » كلمة تدلّ على التقديس ، و « لا إله إلا الله » كلمة تدلّ على التوحيد . و « الحمد لله » على معرفة النعمة من الواحد الحقّ . فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أنوار الإيمان واليقين .

واعلم إنّ تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأفعال ، فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى المنعم عليه لوزيره أو وكيله دخلاً في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشارك به في النعمة ، فلا يرى النعمة من الملك من كلّ وجه ، بل منه بوجه ، ومن غيره بوجه . فيتوزّع فرحه عليهما . فلا يكون موحداً في حق الملك .

نعم لا ينقص عن توحيده في حق الملك و كمال شكره [ أن يرى ] النعمة

(١) في المستدرک للحاکم (٥١٢/١) : «... إذا قال العبد « سبحان الله » كتب الله

له عشرين حسنة... وإذا قال : « لا إله إلا الله » فيمثل ذلك . وإذا قال « الحمد لله ربّ العالمين » من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة... » راجع أيضاً : المسند : ٣٠٢/٢ .

(٢) الجامع الصغير : ٤٩/٢ .

(٣) قال العراقي (ذيل احياء العلوم : ٨٢/٤) : لم أجده مرفوعاً ، وإنما رواه ابن

أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي : يقال : إن الحمد أكثر الكلام تضييفاً .

الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه ، وبالكاغد الذي كتب عليه ، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما ، لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما - بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك . وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن أيضاً مضطربان من جهة الملك في الايصال، وانه لو رُدَّ الأمر إليهما ولم يكن من جهة الملك أمر حتم وقضاء جزم لما سلما .

فإذا عرف ذلك كان نظره [إلى] الخازن والوكيل كنظره إلى القلم والكاغد ، فلا يورث شركاً في توحيدِهِ من إضافة النعمة إلى الملك .

فكذلك من عرف الله وعرف أفعاله علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخراتٌ بأمره - كالقلم مثلاً في يد الكاتب - وان الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها ، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليه ، شاء [ت] أو أبت اي في حصول الداعي - كالخازن المضطرب الذي لا يجد سبيلاً إلى مخالفة الملك ، لو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده .

فكل من وصل إليك نعمة الله [تعالى] على يده فهو مضطرب، إذ سلط الله عليه الإرادة ، وهبج عليه الدواعي ، وألقى في قلبه ان خيره في الدنيا والآخرة هو أن يعطيك ما أعطاك . وبعد خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلاً إلى تركه ، فهو إذن إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك - ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك . فالمنعم عليك بالحقيقة هو الذي سخّره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرباً إلى الايصال إليك .

فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله ، وعرفت فعله ، وكنت موحداً ، و قدرت على شكره ، بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكراً ، ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته : « الهي خلقت آدمَ يسدك ، وإذا سويته فنفخت فيه من روحي و فعلت ، وفعلت ، فكيف شكرك ؟ » فقال : « علم ان ذلك مني ، فكانت معرفته شاكراً

فإذن لاشكرَ إلا بأن تعرف أنّ الكل منه ، فإن خالَجك ريبٌ في هذا لم تكن عارفاً إلا بالنعمة - لا بالمنعم - فلا تفرح بالمنعم وحده ، بل بغيره . فبقدر نقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح ، وبنقصان فرحك وابتهاجك بالمنعم ينقص عملك . فهذا بيان هذا الاصل .

### الأصل الثاني :

الحال المستثمر من أصل المعرفة ، وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخشوع والتواضع ، وهذا أيضاً شكر في نفسه ، كما أنّ المعرفة شكر ، ولكن إنّما يكون شكراً إذا كان جامعاً لشروط :

أحدها أن يكون فرحك بالمنعم - لا بالنعمة ، ولا بالإنعام - ومثاله : أنّ الملك إذا أنعم بفرس على إنسان ، تصور فرجه بالفرس من ثلاثة أوجه : أحدها أن يفرح به من حيث إنّه فرس ، وإنّه مال يُنتفع به ، ومركوبٌ يوافق غرضه وإنّه جوادٌ نفيس ولو وجدته في صحراء وأخذه لكان فرحُه مثل هذا الفرح .

الثاني أن يفرح به من حيث أنّه يستدل به على عناية الملك وشفقته عليه ، حتى أنّه لو وجدته في صحراء لم يفرح به أصلاً ، لاستغنائاه عنه اولاستحقاقه بالإضافة إلى ما هو مطلوبه من نيل المحلّ في قلب الملك .

الثالث أن يفرح به ليركبه ويخرج به في خدمة الملك لينال بخدمته رتبة القرب عنه ، ويرتقي إلي درجة الوزارة من حيث أنّه لم يقنع بأن يكون محلّه في قلب الملك أن يعطيه فرساً ، ولا يكتفى بهذا القدر من العناية بل هو طالب لأن لا ينعم الملك على أحد إلا بواسطته ، ثمّ إنّه لا يريد من الوزارة الوزارة أيضاً ، بل مشاهدة الملك والقرب منه ، حتى أنّه لو خبّر بين الوزارة دون القرب ، وبين القرب دون الوزارة لاختار القرب .



فهذه ثلاث درجات : فالأول لا يدخل فيه معنى الشكر أصلاً ، لأنَّ نظرَ صاحبه مقصودٌ على الفرس لا بمعطى الفرس - فهذا حال كلِّ من فرح بنعمة من حيث أنها لذیذة وموافقة لغرضه ، فهو بعيدٌ من معنى الشكر .

والداخل <sup>(١)</sup> في معنى الشكر من حيث أنه فرح بالمنعم ، ولكن لا من حيث ذاته ، بل من حيث معرفة عنايته التي يستحقه على الإنعام في المستقبل ، وهذا حال الصالحين ، الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاءاً لثوابه .

وإنما الشكر التام في الفرح الثالث ، وهو أن يكون فرح العبد بنعم الله من حيث أنه يقدر بها على التوسل إلى القرب منه ، والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة الآخرة ومُعينة عليها . ويحزن بكلِّ نعمة تُلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدّه عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذیذة .

ولذلك قال الشبلي : « الشكر رؤية المنعم - لارؤية النعمة » وقال الخواص « شكر العامة على المطعم والملبس ، وشكر الخاصة على واردات القلوب » .

وهذه رتبة لا يدركها كلُّ من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج و مدركات الحواس ، ونحلا عن لذة القلب ، فإن القلب - أعني الروح - لا يلتذ في حال الصحة والسلامة إلا بذكر الله تعالى ومعرفة ولفاته ، وإنما يلتذ من غيره إذا مرض بسوء العادات كما يستلذ بعض الناس بأكل الطين ، وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ، ويستحلي الأشياء المرّة ، فإذاً هذه شرائط الفرح بنعمة الله .

## الأصل الثالث :

وهو العمل . وصرف الجوارح وسائر النعم في المصارف التي خلقها الله وأنعمها لأجلها ، وذلك لأمرين ، أحدهما لدوام النعمة . والثاني لحصول الزيادة . فأما دوام النعمة فلأن الشكر قيد المنعم ، به تدوم وتبقى ، وبتركه تزول وتحول ولما علمت ان كل نعمة - بل كل عين أو صفة أو قوة - فهي مخلوقة لأجل غاية وفائدة هي مصرفها ، فإذا صرفت في مصارفها دامت ، وإلا زالت . كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [١١/١٣] .

وقال : ﴿ فَكَفَرْتُمْ بِنِعْمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ﴾ [١١٢/١٦] وقوله : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ﴾ [٤/١٤٧] وفي الحديث انه قال ﷺ : « إن النعم أو ابد كأو ابد الوحوش ، فقيّدوها بالشكر » .

وأما الزيادة فلأن الشكر لما كان قيد النعمة فهو يشم الزيادة ، وصرف الشيء في مصرفه الطبيعي يوجب اشتداده وازدياده كما قال تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [٧/١٤] وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [١٧/٤٧] ألا ترى ان السيد الحكيم إذا رأى العبد قد قام بحق نعمة يمنّ عليه بأخرى ويراه أهلاً لها، وإلا فيقطع عنه ذلك؟

## تذييل

فإن قلت : هل لنا أن نشكر الخلق على إحسانهم إلينا للنعم الواصلة إلينا من الله بأيديهم - وقد ذكر ان الوسائط مسخرون ولا تأثير لهم في الإفادة أصلاً - ؟ قلنا : نعم - تأديباً بأدب الله وأدب رسوله ﷺ ، فإن شكر المحسن على الإحسان والدعاء له من شعار الصالحين وأخلاق العارفين ، وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيدهم في الأفعال ، وقطعهم النظر عن الأغيار في التأثير والآثار ورؤيتهم النعم كلها من المنعم الجبار ، فإنهم يفعلون ذلك اقتداء برسول الله ﷺ

كما ورد في كثير من الأحاديث والأخبار .

وبيان ذلك إن الناس على ثلاثة أقسام :

فالعامة حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء . والصوفيون السالكون في الإبتداء حجبوا بالله عن الخلق ورأوا الأشياء من الله ، حيث طالعوا ناصية التوحيد وخرقوا الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيد ، فلم يشبثوا للخلق منعا ولا عطاء .

وأما الكمل من العلماء الإلهيين فحيث ارتقوا إلى ذروة التوحيد شكروا الخلق بعد شكر الحق ، وأثبتوا لهم وجوداً وتأثيراً في المنع والعطاء ، بعد أن رأوا وشاهدوا السبب الأول أولاً .

وذلك لسعة علمهم وقوة معرفتهم بحيث يسع علمهم للجانبين ، ولا يحجب نظرهم بأحد من الخلق والحق عن الآخر ، فلا يحجبهم الخلق عن الحق كمامة المسلمين الساكنين في مقام التسليم ، ولا يحجبهم الحق عن الخلق كأرباب الإرادة والمبتدئين من السالكين ، بل شاهدوا الحكمة والترتيب ونفوذ نور الحقيقة في مطاوي الممكنات ومكامن الماهيات ، فيشكرون الخلق لأنهم الوسائط والأسباب . روي عن رسول الله ﷺ أنه قال (١) : « أول ما يدعي إلى الجنة الحمدون ، الذين يحمدون الله في السراء والضراء » وقال ﷺ : « من عطس أو تجشئ فقال : « الحمد لله على كل حال » رفعه الله بها عنه سبعين داء أهونها الجذام . وقال ﷺ (٢) : « ما من عبد ينعم عليه نعمة فحمد الله إلا كان الحمد أفضل منها » .

فقوله ﷺ : « كان الحمد أفضل منها » يحتمل أنه رضى الحق بها شكراً ، ويحتمل أن الحمد أفضل منها نعمة ، فيكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التي حمد

(١) جاء في الترغيب والترهيب بفرق يسير : ٢٤٤/٣ .

(٢) جاء في الترغيب والترهيب بفرق يسير : ٢٤٥/٣ .

عليها ، فإذا شكروا المنعم الأول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ، ويدعون .  
وعنه عليه السلام انه إذا أفطر عند قوم قال<sup>(١)</sup> : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ، ونزلت عليكم السكينة والوقار » وعنه عليه السلام : « من قال لأخيه : « جزاك الله حيراً » فقد أبلغ في الثناء » .



(١) في الجامع الصغير (٥١/١) : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة .

(٢) جاء ما يقرب منه في الترمذي : آخر أبواب كتاب البر : ٤ / ٣٨٠ .

قوله جلّ اسمه :

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾

هذا هو النعمة الرابعة عليهم من الله [ تعالى ]

[ الفرقان والقرآن ]

والفرقان في اللغة مصدر فرقت بين الشيئين فرقاً وفرقناً ، يطلق على ما به يحصل الفرقان ، والمراد به ههنا إما نفس التورية باعتبار كونه فارقاً بين الحقّ والباطل ، أو شيئاً داخلياً فيه أو خارجاً عنه .

فالأوّل قول ابن عباس . وإنما صحّ العطف لتغاير اللفظين بل لتغاير المفهومين فإنّ مفهوم « الكتاب » يغائر مفهوم « الفارق » فهو كقولك : « رأيت الغيث والليث » تريد الرجل الجامع بين الجود والشجاعة ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَحُرُونَهُ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا ﴾ [ ٤٨ / ٢١ ] يعنى الجامع بين هذه الأوصاف .

والثاني يكون إشارة إلى بعض مافي التورية ، كبيان أصول الدين وفروعه .  
وأما الثالث ، فقيل : إنّ المراد به انفراق البحر الذي أتاه موسى عليه السلام .  
وقيل : الفرق الحاصل بين أهل الحقّ - وهم موسى وأصحابه المؤمنون - وبين أهل الباطل - وهم فرعون وأصحابه الكافرون - وذلك بأشياء كثيرة منها نجاة هؤلاء ، وغرق هؤلاء - هذا بحسب الظاهر . وأما بحسب الباطن فهؤلاء نجوا من غرق

بحر الطبيعة التي هي بحر مسجور ، فخلصوا من عذاب نيرانها في القيامة ، وهؤلاء غرقوا فيها واحترقوا بنار جهنم في القيامة ، وقد قال سبحانه (١) : « هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي » وهذا الفرق المعنوي بعينه حاصلٌ إلى الآن بين المحققين والمبطلين ، مشهود لأرباب الشهود الباطني .

وقيل : الشرع الفارق بين الحلال والحرام .

وقيل : النصر الذي فرق بينهم وبين عدوهم ، كقوله : ﴿ يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾

[٤١/٨] يربد يوم بدر .

وقيل : إن المراد بالفرقان : القرآن . ويكون تقديره : « وآتينا موسى

التورية ، وآتينا محمداً الفرقان ، لكي تهتدوا به يا أهل الكتاب » . وهو قول الفراء وقطرب وتعلب . وهذا تعسفٌ شديد ، لأن فيه حمل القرآن على مثل هذا المجاز من غير ضرورة ، مع أنه تعالى أخبر أنه آتى موسى الفرقان (٢) .

إشارة

[ الفرقان والقرآن عند أهل الله ]

وهي هنا دقيقة أخرى لأهل الله في معنى الفرقان والتمييز بينه وبين معنى القرآن،

وهو أن للنفس الناطقة ضربين من العلوم الإلهية :

أحدهما ما يقال له : « العلم الإجمالي ، والقضائي والعقلاني » ويسمى عند قوم

من الحكماء بـ «العقل البسيط» ويتصف به العقل الفعال ، وهو من صفات المقرّبين ،

ومن الملائكة المقدّسين ، والأنبياء والأولياء الكاملين .

وثانيهما ما يقال له : « العلم التفصيلي ، والقدرّي والنفساني » ويتصف به العقل

(١) مضي في الجزء الثاني : ص ٢٦٤ .

(٢) مجمع البيان : ١١١/١ .

المنفعل ، وهو من صفات المتفكرين في الآفاق والأنفس .  
 فإذا تقرّر هذا فنقول ، إنّ القرآن عند أهل الله خاصّة - وهم أهل القرآن -  
 عبارة عن العقل البسيط ، والعلم الإجمالي . والفرقان عندهم عبارة عن العلوم  
 الإنفعالية التفصيلية الحاصلة من ذلك العقل البسيط ، فذلك العقل القرآني مبدء  
 لحصول الصور العلميّة الفكريّة للنفس .

إذا علمت هذا فاعلم أنّ الله خصّص نبيّنا حبيب الله ﷺ من بين سائر الأنبياء  
 ﷺ بإنزال القرآن والفرقان جميعاً ، ولهذا وصف ما أنزل الله عليه بهما جميعاً ، كما أنّه  
 ﷺ اختصّ من بينهم بإنزال الكلام وتنزيل الكتاب جميعاً ، والمنزل على سائر  
 الأنبياء ﷺ فرقان فقط وليس بقرآن ، كما أنّ المنزل عليهم كتاب فقط وليس بكلام .  
 ومن هذا الوجه يعلم فضيلة هذه الأمة على سائر الأمم ، لأنّ فائدة الإنزال  
 والتنزيل ترجع إلى الأمم ، فيقدر فضيلة الكتاب يعلم فضيلة المنزل عليهم ، فتستفاد  
 من هذا البيان أنّه يوجد في هذه الأمة جماعة تكون درجتهم درجة إدراك العقل البسيط  
 القرآني ، وأنّه لم يوجد هذه الدرجة في سائر الأمم ، بل في أنبيائهم خاصّة ، وإلا  
 لكان كتابهم المنزل عليهم من مثل هذا القرآن ، وليس كذلك .

\*\*\*

وقد مرّ الفرق أيضاً بين كلام الله وكتابه من أنّ الكلام من عالم الأمر ،  
 والكتاب من عالم الخلق . ومن أنّ الكلام منزل على قلب حبيب الله ﷺ بالحق ،  
 وكتب سائر الأنبياء ﷺ نازلة عليهم في الألواح والصحف ، وبين الإنزالين بونٌ بعيد  
 وفرقٌ عظيم .

وقد ذكرنا أيضاً فرقاً آخر بين الكلام والكتاب بأنّ أحدهما يكون صفة  
 نفسانيّة وخلقاً ، والآخر يكون فعلاً وأثراً مبائناً ، وكذلك العقل البسيط الإجمالي

القرآني صفة ذاتية للعالم به ، بل ربما يكون عين العالم . وأما الصور والعلوم التفصيلية فهي من قبيل الآثار والأفعال بالقياس إلى العقل الكامل الفعال . فلهذا كان القرآن خلق نبينا ﷺ كما هو المروي<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي يتدبر الكتاب والتفكر في آياته .



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي



قوله جلّ اسمه :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ

يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ

بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ

عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

هذا هو الإنعام الخامس من الله لهم ، وذلك لأنه نبّتهم على عظيم ذنبهم ، ثم نبّتهم على طريق تخلصهم (التخلص - ن) عن عذاب يوم القيامة ، وذلك من أعظم النعم في الدين ، ثم إنّه تاب عليهم قبل فنائهم بالكلية ، فكان ذلك نعمة في حقّ الباقين .  
يعني : اذكروا يا أهل الكتاب ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ الذين عبدوا العجل عند رجوعه من الوعد الذي وعده ربه : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي نقصتم أنفسكم الثواب الواجب بالإقامة على عهد موسى ﷺ ، أو أضرتكم بها حيث وضعتم العبادة غير موضعها ﴿ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ ﴾ إلها .

والمفعول الثاني محذوفٌ لدلالة القرينة عليه ، فإنّ الظلم إما بمعنى النقص أو الإضرار الذي ليس بمستحق ولا فيه نفع ، ولا رفع مفسدة لا علماً ولا ظناً ، فلما عبدوا العجل فقد نقصوا أنفسهم عن تمام الإنسانية ، فإنّ الإنسان إذا كفر بالله انسلخ

عن الفطرة وانخرط في سلك البهائم والحشرات . أو كانوا أضروا بأنفسهم لأن لا ضرر أعظم مما يؤدي إلى عذاب الأبد ، ولذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٣/٣١] .

﴿ فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ أي ارجعوا وأنبيوا إلى خالقكم بالطاعة والتوحيد . والفرق بين «الباري» و «الخالق» ان البارئ هو المبدع المحدث ، والخالق هو المقدر الناقل من صورة إلى صورة ، ومن حال إلى حال . وأصل التركيب في اللغة لخلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التفصي ، كقولكم : «بريء المريض من مرضه ، والمديون من دينه» أو على سبيل الإنشاء ، كقوله : «برء الله آدم من الطين»

\* \* \*

سؤال : لم اخترت هذا المقام بذكر هذا الاسم دون غيره من الأسماء الحسنی؟  
جواب : لأن البارئ هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت لقوله تعالى : ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾ [٣/٦٧] ومتميزاً بعبادته من بعض بصور متباينة وأشكال مختلفة، فكان فيه تفریح لهم بما وقع منهم من ترك عبادة العالم الخبير الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال والصور المختلفة وأبرياء من التفاوت إلى عبادة البقرة التي هي مثل في الغباوة والبلادة - وفي أمثال العرب : «أبلد من ثور» - حتى هرضوا أنفسهم لسخط الله .

\* \* \*

قوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ تمييزاً لتوبتكم، إما بترك الشهوات واللذات وإمارة القوى الحيوانية بمنعها عن دواعيها - كما قيل : « من لم يعذب نفسه لم ينعمها، ومن لم يقتلها لم يحيها » وفي كلام بعض أعظم الحكماء : « مُتَّ بِالْإِرَادَةِ تَحْيِي بِالطَّبِيعَةِ » وفي الحديث النبوي على قائله وآله أشرف سلام الله : « مَوْتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا » وروي انه قال أيضاً : « من أراد أن ينظر إلى ميّت يمشي فليُنظر إلى » - أو بالبيع<sup>(١)</sup> ،

(١) يَخَّعْ نَفْسَهُ : نَهَكَهَا وَكَادَ يَهْلِكُهَا مِنْ غَضَبٍ أَوْ غَمٍ .

أو يقتل بعضهم بعضاً - فإن الأقوال فيه مختلفة .

وقال قوم من المفسرين - كالقاضي عبد الجبار وغيره - : لا يجوز أن يراد به قتل كل من التائبين نفسه ، واحتجوا عليه بوجهين (١) :

أحدهما إنهم ماقتلوا أنفسهم بأيديهم ولو كانوا مأمورين به لعصوا بتركه .  
وثانيهما إن القتل اسم لنقص البنية بفعل مزهقي للروح في الحال ، وأما ما يؤدي إلى الزهوق وقتاً آخر فإنما سمي قتلاً على سبيل المجاز . فإذا كان كذلك فلا يجوز من الله الأمر بقتل الإنسان نفسه ، لأن الأوامر الإلهية والتكاليف الشرعية إنما وقعت لمصلحة للمكلف به في المستقبل ، ولا يتصور وجودها بعد عدمه .

وفي هذه المقدمات مواضع نظر، على أن المصلحة لا يجب أن يعود إليه ، بل ربما تعود مصلحة قتله لنفسه إلى غيره بأن ينتفع به ذلك الغير، ثم الله يوصل العوض العظيم إليه . ثم على تقدير عودها إليه لا يلزم أن يكون في الدنيا بل يكون في العقبى . سلمنا إنه يلزم عودها إليه في الدنيا . لكن لم لا يجوز أن يكون علمه بكونه مأموراً بهذا القتل وامتثاله للأمر مصلحة له في هذا الآن ، أو الزمان القليل ؟ كما أنه لو أمر بأن يقتل نفسه غداً فإن علمه بذلك يصير داعياً له إلى ترك المعاصي من ذلك الزمان إلى ورود الغد، فالوجه الأول أقوى ، ولهذا حوّل عليه المفسرون .



فعلی هذا يجب صرف الآية عن ظاهرها إما إلى ما ذكرنا أولاً ، أو إلى غيره وهو إثنان :

أحدهما أن يقال : أمر سبحانه التائبين أن يقتل بعضهم بعضاً وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبیر ومجاهد وغيرهم (٢) وهذا كقوله سبحانه : ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا

(١) تفسير الفخر الرازي : ٥٢٧/١ .

(٢) مجمع البيان : ١١٣/١ .

فَسَلَّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ ﴿ [ ٦١/٢٤ ] أي ليسلم بعضكم على بعض . وكقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [ ٢٩/٤ ] ومعناه لا يقتل بعضكم بعضاً .

ونحقيق ذلك إنَّ المؤمنين كنفس واحدة بخلاف غيرهم من الكفار والمنافقين فإنهم ذو آراء متناقضة ومذاهب متخالفة وأخلاق متشتتة بعضها بهيمية ، وبعضها سبعية ، وبعضها شيطانية . ولذلك حشروا إلى صور مختلفة بحسب ما غلب واستولى على نفوسهم من الأخلاق كما هو معلوم من مباحث علم المعاد . أمّا نفوس أهل الإيمان والتوحيد فقد ثبت في موضعه أنها تتصل بعالم القدس .

ومذهب بعض أئمة الحكمة والتوحيد من الأقدمين إنَّ النفس العارفة العاقلة عند خروجها عن القوة إلى الفعل في باب العاقلة والمعقولة تتحد بروح القدس المسمى عندهم بالعقل الفعال ، فعلى هذا صحَّ القول بأنها كنفس واحدة .

وكذا على مذهب أفلاطون ومن وافقه من عظماء الحكماء في باب إنَّ لكل نوع صورة مفارقة في عالم الأرواح العالمة هي حقيقة ذلك النوع وتمامه ، وهي جوهر واحد قائم عند الله مائل بين يديه . ومع وحدته هو تمام كل واحد من أفراد ذلك النوع ، وكذلك لنوع الإنسان وأفراده صورة واحدة في عالم الربوبية هي تمام جوهر الإنسانية وإنَّ أفراد الناس إذا لم ينسلخوا عن الفطرة الإنسانية بالكفر ونحوه يكونون متحدين في تمام حقيقتهم وكمال وجودهم العقلي الباطني بجوهر قدسي واحد ، هو نفس حقيقة الجميع ، وكان هذه النفوس البشرية أجزاء لذلك الجوهر ، لأنه الأصل . وهذه هي الفروع الصادرة منه ، العائدة إليه عند تمامها وكمالها .

وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [ ١/٤ ] وقوله : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعُنْكُمْ إِلَّا كُنُفٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [ ٢٨/٣١ ] ولذا قيل في قوله : ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [ ١١/٤٩ ] أي اخوانكم من المؤمنين . وفي قوله : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [ ١٢/٢٤ ]

أي بأمثالهم من المؤمنين .

ثم قال المفسرون القائلون بهذا القول : إن أولئك التائبين برزوا صنفين فيضرب بعضهم بعضاً إلى الليل .

وثانيهما إن الله أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبد وأمر التائبين أن يسلموا للقتل ، وهذا أقرب هذين الوجهين .

وعن ابن إسحق والجبائي إن معنى ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ استسلموا للقتل . فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على وجه التوسع .

\* \* \*

واعلم إن الروايات مختلفة في باب المأمورين بالقتل ، ففي بعضها (١) إن موسى عليه السلام أمرهم أن يقوموا صنفين ، فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم ، وجاء هرون بإثني عشر ألفاً ممن لم يعبد العجل ، ومعهم الشفار والمرهفة ، وكانوا يقتلونهم ، فلما قتلوا سبعين ألفاً تاب الله على الباقين ، وجعل قتل الماضين شهادة لهم .

وفي بعضها إن السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا ممن عبد العجل سبعين ألفاً ، فماتحروا حتى قتلوا ثلاثة أيام - ذكره محمد بن إسحق . وفي بعضها (٢) - وهي رواية كلبى - : لما أمرهم موسى عليه السلام أجابوا ، فأخذ عليهم المواثيق ليصبروا على القتل ، فأصبحوا مجتمعين كل قبيلة عليحدة .

فأتاهم هرون بالإثني عشر ألفاً الذين ما عبدوا العجل ، وبأيديهم السيوف وقال التائبون : إن هؤلاء إخوانكم قد أتوكم شاهرين السيوف ، فاتقوا الله واصبروا ، فلعن الله رجلاً قام من مجلسه ، أو مدّ طرفه إليهم ، أو اتقاهم بيد أو رجل ، يقولون « آمين » فجعلوا يقتلونهم إلى المساء ، وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان :

(١) مجمع البيان : ١١٣/١ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٥٢٨/١ .

« البقية ، البقية - يا إلهنا » فأوحى تعالى إليه : « قد غفرتُ لمن قُتل . وتبتُ على مَنْ بقى » قالوا : وكان القتلُ سبعين ألفاً .

وفي بعضها : إن بنى إسرائيل كانوا قسمين : منهم من عبد العجل ، ومنهم من لم يعبده ، ولكن لم يُنكر على مَنْ عبده ، فأمر مَنْ لم يشتغل بالإنكار يقتل من اشتغل بالعبادة .

وفي الكشف وغيره <sup>(١)</sup> : روي إن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجازّه وقريبه ، فلم يمكنهم المضيّ لأمر الله ، فأرسل الله ضباباً وسحابة سوداء لا يتهاصرون تحتها ، وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ، فقتلوا إلى المساء ، حتى دعا موسى وهرون ، فقالا : « يارب هلكت بنو إسرائيل ، البقية البقية » فانكشفت السحابة ونزلت التوبة ، وسقطت الشفار من أيديهم .

وقوله : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ حِينْدَ بَارِئِكُمْ ﴾ أي : فعل التوبة ، أو القتل من حيث كونه طهارة عن الشرك ، أو وصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمديّة - خيرٌ لكم عند خالقكم ، فإن حالتهم كانت دائرة بين ضرر الدنيا ونعيم الآخرة أبداً ، وبين التمتع في الدنيا أياماً قليلة ، والعذاب في الآخرة أبداً ، وضرر الدنيا أولى بالتحمل ، لأنه متناه من ضرر الآخرة ، لأنه غير متناه ونعيم الآخرة أولى بالإنثار من نعيم الدنيا لأنه دائم وهذا منقطع . ولأن الموت واقع لامحالة ، فليس في تحمّل القتل إلاّ تقديم أمر ضروري الوقوع لامحالة ، وفي عدم تحمّله تأخير ، وأما النجاة من العقاب الدائم والفوز بالثواب الدائم ، فهو سعادة لأعظم منها .

وقوله : ﴿ قَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : قبل توبتكم .  
واعلم إنّه قد تقرّر عند أهل المعرفة والشهود وثبت بالأخبار المتكثّرة

المتظافرة أنّ الإنسان كلما قرّب من الحقّ قرّب هو تعالى منه ، وكلّما رجع إلى الله رجع إليه . وفي الحديث الإلهي : « من قرب إليّ شبراً قربت إليه ذراعاً ، ومن قرب إليّ ذراعاً قربت إليه باعاً » .

قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ أي قابل التوبة عن عباده مرّة بعد أخرى ، كثير العطفة عليهم ، يمحو السيئات ويغفر الخطيئات .



قوله جلّ اسمه :

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ  
جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾  
ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

هذا هو الإنعام السادس عليهم من جهة مكافأتهم على ما قالوا في الدنيا بالصاعقة

ثم إحيائهم بعد الموت ليتوبوا ، ولأهل التفسير في هذه القضية قولان : (١)

الأول : إن هذه القضية كانت واقعة بعد أن كلف الله عبدة العجل بالقتل .

قال محمد بن إسحق : لما رجع موسى عليه السلام من الطور إلى قومه ورأى ما هم فيه من عبادة العجل وقال لأخيه والسامري ما قال ، وحرق العجل والقاه في البحر ، اختار من قومه سبعين رجلاً ، فلما خرجوا إلى الطور قالوا لموسى عليه السلام : « سل ربك حتى يسمعنا كلامه » . فسئل موسى عليه السلام ذلك فأجابه الله إليه ، فلما دنا إلى الجبل وقع عليه عمودٌ من الغمام وتفتش الجبل كله ذلك ، ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه . فقال للقوم أدخلوا وضوا . وكان موسى عليه السلام متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد منهم النظر إليه وسمعوا كلام الله مع موسى عليه السلام ، يقول له : « إفعل كذا ، ولا تفعل كذا » فلما تم الكلام انكشف عن موسى عليه السلام الغمام الذي دخل فيه فقال القوم بعد ذلك ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فأخذتهم



الصاعقة ، وماتوا جميعاً وقام موسى عليه السلام رافعاً يديه إلى السماء يدعو ويقول : إلهي اخترت من بنى إسرائيل سبعين رجلاً ليكونوا شهودي لقبول توبتهم ، فأرجع إليهم وليس معي واحد، فما الذي يقولون في ؟ أفلم يزل مشتغلاً بالدعاء حتى رد الله إليهم أرواحهم . فطلب توبة بنى إسرائيل من عبادة العجل . فقال : « لا ، إلا أن يقتلوا أنفسهم »  
**القول الثاني :** إن هذه الواقعة كانت بعد القتل .

قال السدي : ولما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل بأن قتلوا أنفسهم أمر الله تعالى أن يأتيه موسى عليه السلام في ناس من بنى إسرائيل يعتذرون إليه من عبادتهم العجل ، فاختار موسى سبعين رجلاً ، فلما أتوا الطور قالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فأخذتهم الصاعقة وماتوا ، فقام موسى عليه السلام يبكي ويقول : « يساربت ماذا أقول لبني إسرائيل ؟ فإنني أمرتهم بالقتل ثم اخترت من بقيتهم هؤلاء ، فلما رجعت إليهم ولا يكون معي منهم أحد ماذا أقول لهم ؟ » فأوحى الله إلى موسى « إن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل إلهاً » . فقال موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتِكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [١٥٥/٧-١٥٦] ثم إنه تعالى أحياهم فقاموا ونظر كل واحد منهم إلى الآخر كيف - يحييه الله تعالى ، قالوا : يا موسى إنك لا تسئل الله شيئاً إلا أعطاك ، فادعه لنجعلنا أنبياء - فدعا موسى عليه السلام بذلك . فأجاب الله بذلك .  
واعلم أن كل واحد من القولين محتملٌ ولا ترجيح لأحدهما على الآخر .

قال صاحب الكبير : <sup>(١)</sup> « وليس في الآية ما يدل على أن الذين سئلوا الرؤية هم المتخذوا العجل إلهاً أو غيرهم » .

أقول : وجدنا في التفسير المنسوب إلى مولانا حسن بن علي العسكري رحمته الله ما يدل على الثاني <sup>(٢)</sup> لأنه فيه أن معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي : « فليقتل

(١) القصر الرازي : ٥٣١/١ .

(٢) راجع التفسير المنسوب إلى أبي محمد العسكري (ع) : ١٢٠ - طبعة طهران الحجرية .

بعضكم بعضاً . فقتل من لم يعبد العجل من عبده» فظهر أنّ المقتولين هم العابدون للعجل . فالسائلون للرؤية غيرهم .

وفي التفسير المذكور أيضاً<sup>(١)</sup> : « إنّ القوم كانوا ستمائة ألف ، كلهم قتلوا إلا اثني عشر ألفاً ، وهم الذين لم يعبدوا العجل » .

وقوله : ﴿ جَهْرَةٌ ﴾ أي : عياناً . قال صاحب الكشاف<sup>(٢)</sup> : « هي مصدر من قولك : « جهر » بالقراءة وبالدهاء » كأنّ الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية ، والذي يرى بالقلب مخافت بها . وانصابتها على المصدرية ، لأنها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس . أو على الحال بمعنى « ذوي جهرة » وقرىء « جهرة » - بفتح الهاء - وهي إما مصدر كـ « الغلبة » وإما جمع « جاهر » . وقال القفال<sup>(٣)</sup> : أصل الجهرة من الظهور . يقال : « جهرت الشيء » إذا كشفته ، و« جهرت البشر » إذا كان ماؤها يغطي بالطين فنيقته حتى ظهر الماء . ويقال : « صوت جهير » و« رجل جهوري الصوت » إذا كان صوته عالياً . وإنما قالوا ﴿ جَهْرَةٌ ﴾ لثلاث توهم أنّ المراد بالرؤية العلم والتخيل ، كما يراه النائم .

وفي هذا المقام موضع أبحاث عقلية :

الأول : إنّ بعض المتكلمين من أصحابنا الإمامية - رضوان الله عليهم - وسائر المعتزلة استدلوا بقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ ﴾ على امتناع الرؤية عليه . تقريره أنّها لو كانت جائزة فكانوا التمسوا أمراً مجوّزا ، فوجب أن لا ينزل عليهم العذاب ، كما لم ينزل بهم العقوبة لما التمسوا النقل من طعام إلى طعام .

(١) المصدر المذكور : ١٢١ .

(٢) الكشاف : ٢١٦/١ .

(٣) تفسير الفخر الرازي : ٥٣١/١ .

وقال بعضهم <sup>(١)</sup> : ما ذكر الله سؤال الرؤية في كتابه إلا وقد استعظمه منها هذه الآية . ومنها قوله : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ - الآية - [١٥٣/٤] ومنها قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴾ [٢١/٢٥] فالرؤية لو كانت جائزة لما كان سائله مستحقاً للصاعقة ، ظالماً ومستكبراً في نفسه وعاتياً عتواً كبيراً . فدلّت الآيات على أنّ رؤية الله مستنعة على عباده .

ولقائل أن يقول : لانسلم دلالتها على امتناع الرؤية ، وليس كل عقوبة وجب أن يكون واردة على طلب أمر محال في ذاته ، فربما كان سبب العقوبة كونهم ادعوا لنفسهم منصباً عالياً يستحيل حصوله لهم لانحطاط درجاتهم عن استحسان ذلك غاية الانحطاط ، وإن كان الأمر في نفسه ممكناً .

ولأنه لما تمت الدلائل الباهرة والمعجزات الجليلة على صدق المدعى كان طلب دليل آخر زائداً تمتاً ولجأ ، والمعصية اللجوج يستوجب العقاب والعذاب . ولأنه يجوز أن يعلم الله في زجر المخلوق عن طلب الرؤية مصلحة مهمته ، كما علم أن في إنزال الكتاب من السماء وإنزال الملائكة منها عليهم مفسدة عظيمة ، لاجرم زجرهم عن ذلك واستنكره ، ولغير ذلك من الوجوه .

واستدل بعض المجوزين للرؤية بأن الله قد أجرى إنزال الكتاب من السماء مجرى الرؤية في كون كل منهما عتواً ، فكما أن إنزال الكتاب أمر ممكن في نفسه فكذا الرؤية . ومن هذا القبيل استدلال بعضهم على إمكانها بأن الله علّق رؤيته على استقرار الجبل في قوله : ﴿ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [١٤٣/٧] من أن استقرار الجبل أمر ممكن في نفسه ، والمتعلق على الممكن ممكن ، فإن المحال لا علاقة له

(١) هو أبو الحسين البصري كما في تفسير القمى الرازي : ٥٣١/١ .

بشيء ، فتكون رؤية الله جائزة .

والجواب أنّ إنزال الكتاب على وجه افتراحه أمرٌ محال لما حَقَّق في العلوم الحقيقية من كيفية نزول الكلام والكتاب ، وقد سبق في المفاتيح ما يوضح ذلك لاهل البصيرة (١) . وكذا نقول استقرار الجبل حين التجلي أمر محال .

وأما الذي أجاب به بعضهم (٢) « من أنّ الظاهر يقتضي كون كل واحد من نزول الكتاب والرؤية ممتنعاً ، لكن ترك العمل به في إنزال الكتاب فيبقى معمولاً به في الرؤية » ففي غاية السخافة كما لا يخفى ، لأنّ ما أقام دليلاً على أنّ الاستعظام لا يتحقّق إلا إذا كان المطلوب ممتنعاً ، وإنّما وقع التعويل على ضرب الأمثلة والمثال لا يفتنح به في هذا الباب ، والعمل بالظاهر إنّما يصح - حيث يصح - في الأحكام الفرعية - دون العقائد الأصلية .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

### البحث الثاني :

إنّ الرؤية - على أيّ وجه كانت - هل هي ممكنة للعباد ؟ أم هي ممتنعة ؟ . اعلم أنّ أكثر الناس يتنازعون في مسألة لا يعرفون بعد موضوعها ولا محمولها ، فقبل تحرير محل النزاع يخاصم بعضهم بعضاً ، ويكفر بعضهم بعضاً . وهذه المسئلة من هذا القبيل ، فإنّ الواجب أولاً على كلّ مسلم أن يعرف ربّه ويعرف نفسه ، ثمّ يتكلّم في هذا المقام .

وهذان العِلّمان من العلوم الغامضة التي لا يتيسّر إلا بجهد جَهِيد وخوض شديد ، مع ذهن صاف وصدر منشرح ، وقلب منور مشتل في الصدر كالمصباح في القنديل . وأكثر الناس غلاظ الطباع قساة القلوب . فاذا من حصل له علم بماهية

(١) راجع المفتاح الأول من كتاب مفاتيح الغيب للمصنف قده .

(٢) هو أبو العسین البصری كما في تفسير القمّر الرازي : ٥٣٢/١ .

نفسه وعرف ربّه بصفاته اللاتفة به - من العلم ، والقدرة والإرادة ، والحيوة ، وغير ذلك - وعرف الصفات على وجه تصحّ نسبتها إلى الذات الإلهية ، وعلم تنزيه الله عن النقائص والعيوب والنشبهات؛ ثمّ علم معنى الرؤية إذا نسبت إلى الحقّ ومعنى الرؤية إذا نسبت إلى المخلّق ، فحينئذ لم يبق له مجال شك ، ولا يسع لأحدٍ محل خصومة وخلاف في هذه المسئلة .

قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ [ ١٨٩/٢ ] والقوم تركوا وصية ربّهم ، واستدلّوا على هذا المطلب الشريف الشامخ الإلهي بالممل بالظاهر من الوقائع والحكايات والأمثال المشهورة ، وهذا بعينه إتيان البيت من ظهره وسطحه . ولذلك علومهم وكمالاتهم دائماً ظاهرة سطحية ، وهم المسمّون عند أهل المعرفة الحقّة بالظاهريين وعلماء القشر .

فإذا تقررت هذه المقدمات فنقول : رؤية الله تعالى إمّا أن يراد بها رؤيته بهذه الآلة المخصوصة ، أو بعين القلب . وكلّ منها إمّا أن يتعلّق بذاته تعالى من حيث ذاته أو بمظهر خاص من المظاهر . فهذه أربعة أقسام بحسب الإحتمال العقلي قبل إقامة البرهان .

أما الأوّل - وهو أن يرى الإنسان بهذه الباصرة الدائرة ذاته الأحديّة ، فلاشبهة لذي بضاعة علمية في أنّ ذلك من الممتنعات ، لأنّ الإحساس بالشياء حالة وضعية للجوهر الحاسّ بالقياس إلى المحسوس الوضعي ، فنرض ما لاوضع له ولاجهة له محسوساً ، كفرض ما لاجهة له في جهة ، أو ما لاوضع له ذا وضع ، وهذا فرض أمرين متناقضين ، فيكون المفروض - بل الفرض - محالاً .

وأما الثاني - وهو أن يرى بهذا البصر الجسماني مظهراً من مظاهر ذاته ، ومجلّى ومثالاً للحقّ تعالى ، سواء علم كونه مثلاً ومظهراً له ، أو لم يعلم - فهذا أمر

جائز ، بل واقع ، لقوله ﷺ<sup>(١)</sup> : « مَنْ رَأَى فَقَد رَأَى الْحَقَّ » . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [١٠/٤٨] وقوله ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [٤/٨٠] .

وأما معنى كون الشيء مثلاً ومظهراً له تعالى - فيحتاج تحقيقه إلى علوم كثيرة باطنية ليس ههنا موضع بيانها - وسنشير إلى لمعة منها .

وأما القسم الثالث - هو أن يرى بعين القلب مظهراً مثالياً . ولا ينفك هذه الرؤية من العلم بكون المظهر مثلاً له تعالى ، فهذا مما لا يمكن وقوعه من العبد في الدنيا .

وأما ما روي عن النبي ﷺ أو عن غيره « أنه رأى في صورة كذا وكذا » فذلك لظهور سلطان الآخرة وتجرّد الروح عن الدنيا وما فيها ، فإنّ للنفس في ذاتها سمعاً وبصراً وبدأً ورجلاً ، وجميع الحواسّ والجوارح المستورة عن مشاعر هذا العالم ، وهذه الحواسّ والقشور حجب وأغشية ظلمانية على تلك الحواسّ والقوى والأعضاء وهي المقبورة المحشورة من المخلق عند قيام الساعة .

وأما القسم الرابع - وهو أن يرى بالعين الباطنة ذات الله تعالى - فهذا مختصّ بالعلماء الراسخين ، سيّما الأنبياء والأولياء منهم ﷺ - سواء كانوا في الدنيا أو ارتحلوا إلى الآخرة ، فإنّ هذه رؤية بحقائق الإيمان لا بجوارح الأبدان .

والدليل على هذا ما رواه محمد بن يعقوب الكليني في الكافي<sup>(٢)</sup> ، ومحمد بن عليّ بن بابويه القميّ في كتاب التوحيد<sup>(٣)</sup> - طاب ثراهما - عن أبي عبد الله جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال : « جاء جبرئيل إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، فقال :

(١) راجع ماسأتي في الصفحة ٤١٣ .

(٢) الكافي : باب ما جاء في ابطال الرؤية : ٩٨/١ .

(٣) التوحيد : باب ما جاء في الرؤية : ١٠٩ .

يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟ قال : فقال : ويحك<sup>(١)</sup> ما كنت أهد رباً لم أره ؟ قال : وكيف الرؤية ؟ قال : ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار . ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان .»

والذي يدل أيضاً على تحقيق رؤية الله بالمعنى الثاني أو الرابع في الدنيا ، ماروي محمد بن علي بن بابويه عليه الرحمة في كتاب التوحيد<sup>(٢)</sup> مسنداً عن أبي بصير ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن الله عز وجل ، هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم ، وقد رأوه قبل يوم القيامة ؟ فقلت : متى ؟ قال : حين قال<sup>(٣)</sup> : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ : وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لِيُرَوْنَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : أَلَسْتُ تَرَاهُ فِي وَقْتِكَ هَذَا ؟ قَالَ أَبُو بَصِيرٍ : جَعَلْتُ فِدَاكَ فَأَحَدْتُ بِهَذَا عَنْكَ ؟ فَقَالَ : لَا . لَأَنَّكَ إِذَا حَدَّثْتَ بِهِ فَأَنْكَرَهُ مِنْكَرٌ جَاهِلٌ بِمَعْنَى مَا تَقُولُهُ ثُمَّ قَدَّرَ أَنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهُ كَفَرٍ ، وَلَيْسَتْ الرَّوْيَةُ بِالْقَلْبِ كَالرَّوْيَةُ بِالْعَيْنِ ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُهُ الْمَشْبَهُونَ وَالْمَلْحَدُونَ .

### البحث الثالث :

في معنى كون الشيء مثلاً ومظهراً لأمر :

اعلم إن الله منزّه عن المثل ، إذ لا ماهية له والمماثل للشيء هو المساوي له في النوع . ولأن كل ما سواه ممكن الوجود في ذاته مستفيد الوجود منه تعالى ، والبرهان قائم على أن أفراد ماهية واحدة لا يمكن كون بعضها علّة ، وبعضها معلولاً . ولكن لا ينزّه عن المثل وهو عبارة عن أمر إذا عرف ، عرف الممثل له .

(١) المصدرين : ويلك .

(٢) التوحيد : باب ما جاء في الرؤية : ١١٧ .

(٣) المصدر : حين قال لهم ...

وإذا شوهد ، شوهد. وذلك لأجل رابطة وجوديه بينهما، فإن من رأى صورة رسول الله ﷺ فقد رأى حقيقته المقدسة ، فإن الشيطان لا يتمثل به ، كما ورد في الحديث<sup>(١)</sup> عنه ﷺ . وليس المعني أن من رآه رأى شخصه الذي مات ودُفن في روضة المدينة ، لاستحالة خروج شخصه الجسماني من القبر وحضوره في مواضع كثيرة غير محصورة في لحظة واحدة ، إذ ربما رآه ألف نائم في أمكنة مختلفة بصور مختلفة في العظم والصغر ، والشيب والشباب ، وغير ذلك في وقت واحد ، ووجود جسم واحد في مكانين - فضلاً عن الأمكنة الكثيرة - مستحيل ، ومن جوز ذلك فقد خرج عن حد العقل الإنساني ، ودخل في حدود البهيمية .

فقد علم إن المراد من رؤيته في المنام رؤية حقيقته المقدسة التي هي حامل جوهر النبوة ، وحامل الرسالة ، في صورة مثالية بصدق عليها إنها هي هو بعينه ﷺ . كما أن من رأى زيدا فقد رأى الحقيقة الإنسانية ، التي هي ماهية كلية عقلية توجد في عالم العقل وفي كل شخص إنساني ، فتوجد تلك الحقيقة الواحدة في أماكن متعددة وأزمنة متخالفة ، وتتحد بأشخاص غير متناهية ، فتكون عين تلك الأشخاص بوجه ، وغيرها بوجه لأنها ليست من حيث هي متكّمة ، ولا متحيّزة ، ولا مشكّلة ولا ملوّنة ، ولا في أين ، ولا في زمان . ومع ذلك فهي موجودة بعين وجودات هذه الأشخاص كلّها، متحدة بها مع اتّصاف الأشخاص بهذه الصفات الكونية والتضادّ الواقع بينها ، كالسواد والبياض والحرارة والبرودة والعلم ، والجهل ، وغير ذلك . والسبب في هذا أن نحو وحدة الحقيقة الكلية نحو آخر من الوحدة ، وكذا وجودها ضرب آخر من الوجود ، فلها سعة وجودية بها تسع هذه الوجودات الشخصية العدد مع عدم حاجتها في ذاتها إلى شيء منها .

(١) في الجامع الصغير : (١٧١/٢) : « من رأى في المنام فقد رأى ، فإن الشيطان

لا يتمثل بي . » وأيضاً : « من رأى الحق ، فإن الشيطان لا يترايا بي . »



فعلى هذا القياس الحقيقة النبوية ، لأن حقيقة النبي ﷺ حقيقة مقدسة شريفة ، وله مقام كلي مع الله لا يسعه أحد - لأمك مقرب ولانبي مرسل - كما ورد من قوله ﷺ : « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » - والذي كان له وقتاً صار له مقاماً ، إذ الفرق بين الوقت والمقام في عرف أهل الله كالفرق بين الحال والملكة النفسانيين في عرف أهل النظر . فذات النبي ﷺ مع الله ألبتة ، ولكن توجد مع ذلك في مظاهره ومجالي بحيث من رأى مثال حقيقته فقد رآه بالحقيقة - لا بالمجاز - .

وكذلك ذات الله تعالى منزّه عن الشكل والصورة ، ولكن ينتهي تعريفه للعبد بواسطة مثال محسوس إلى حيث يصلح أن يكون مثلاً لجماله الحقيقي الذي لا شكل ولا صورة ولا لون له ، ويكون ذلك المثال صادقاً حقاً ، واسطة في المعرفة . فيقول الرائي النائم : « رأيت الله في المنام » لا بمعنى أنه رأى ذاته الأحادية مجردة عن الأشباح والأمثلة . بل بمعنى أنه رأى مثال ذاته - والمثال غير المثل .

### وهم وإزالة

ولعلك تقول : إذا أمكنت رؤية الله بضرب مثال ، فلماذا لمّا طلب موسى ﷺ الرؤية لقومه أخذتهم الصاعقة ؟ ولماذا طلب لنفسه قال : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ١٢ . فهلاً أظهر له - أو لهم - مثلاً صادقاً يروونه شاهدين ؟ .

فنقول : إن الرؤية المثالية له تعالى على أنحاء متفاضلة ، وفي عوالم متفاوتة في القرب والبعد منه تعالى ، فربّ مثال بالنسبة إلى مثال آخر كالحقيقة بالنسبة إلى مثال . ألا ترى إن حقيقة جبرئيل حقيقة عقلية ، وكان جبرئيل قد يتمثل أحياناً في هذا العالم بصورة شخص أعرابي ، وكثيراً ما كان متمثلاً بصورة دحية الكلبي ، وكان رجلاً حسن الوجه ، وقد يتمثل له ﷺ في عالم آخر بصورة هي بالحقيقة صورته وقد

طبق الخافقين ، وذلك انه سئله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته ، فواعده ذلك سحراً<sup>(١)</sup> ، فطلع جبرئيل ، فسد الأفق إلى المغرب .

والمشهور انه رآه بصورته الحقيقية مرتين ، مرة ما ذكرنا . ومرة أخرى عند سدره المنتهى كما دلّ عليه قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَىٰ \* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾ [٥٣/١٣-١٥] وكان ما يراه غالباً في صورة الأدمي . فإذا تقرّر هذا فنقول : أما الذي طلبه موسى ﷺ من رؤية الله فهو رؤية لا يمكن تحقيقها إلا بالصعق والإندكاك والموت وما يجري مجراه . ولذلك وقع النهي والعقاب لأن ذلك لا يمكن بهذا العين البالية الدائرة .

## فصل

[ في معنى الصاعقة ]

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

قد اختلفوا في معنى «الصاعقة» : هل هي بمعنى الموت ؟ أو الشيء الذي هو

سبب الموت ؟

فالقول الأول - وهو انها هي الموت - قاله الحسن وقتادة ، محتجّين بقوله

تعالى . ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [٣٩/٦٨] .

وحجّة القائل بالثاني ما وقع في سورة الأعراف : ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾

[٧/١٥٥] وهذا أولى لوجوه :

أحدهما قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ لامتناع كونهم ناظرين حين تحقق

الموت . وثانيها قوله تعالى في حق موسى ﷺ : ﴿ فَخَرَّ مُوسَىٰ صَبِيحًا ﴾ [٧/١٤٣]

والإتفاق حاصل على أنه لم يمت حينئذ ، ولأنه قال : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ و « الإفاقة »

(١) كذا . والظاهر انه : « بحراه » راجع مجمع البيان في تفسير قوله تعالى « وهو بالأفق

تكون عن النشي - لاعت الموت - وثالثها ان الصاعقة هي التي توجب الصعق ، فلو فرض كون معنى الصعق هو الموت ، فهي سبب الموت .

ولا يبعد القول بأنهم لما طلبوا الرؤية ، أخذهم شبه النشي والسقوط ، وكانوا ينظرون بعيون قلوبهم جمال الله في عالم آخر مثالي ، ثم بعثهم الله بدعاء موسى عليه السلام عن هذا الصعق الشبيه بالموت ، ولفظ « الموت » ومرادفه قد يطلق على مثل هذه الحالة من النوم وغيره ، كما في قوله [ تعالى ] : ﴿ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ [ ٦٠/٦ ] وكقوله تعالى في حق عيسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [ ٥٥/٣ ] وكذا لفظ « البعث » يطلق على مقابل هذا المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [ ٦٠/٦ ] وكقوله في أصحاب الكهف : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاَهُمْ لِنَلْعَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ﴾ [ ١٨/١٢ ] .

مركز تحقيق كامبوتر علوم إسلامي

ثم القائلون بأن الصاعقة المراد بها ماهي سبب الموت اختلفوا في أنها أيش كانت هي ؟

فمنهم من قال : « إنها نار وقعت من السماء فأحرقتهم » . ومنهم من قال : « إنه أرسل الله جنوداً سمعوا بحسبها ، فخرّوا صعقين مبتهين يوماً وليلة » .

ولقائل أن يقول : الإنسان إذا مات قطع تعلق النفس عن بدنه وفسد البدن عن صلاحية تعلقها . فإذا فرض إحيائه كان ذلك بتعلق النفس مرة أخرى ببدن في هذا العالم . فكان ذلك نسخاً والتناسخ محال ، بخلاف الحشر - فإنه في عالم آخر ؟

والجواب : ان التناسخ إنما يلزم لو تعلقت النفس من بدن إلى آخر مبائن في هذا العالم - كما ذكرت - ولكن البدن إذا كان واحداً ، وكان التعلق متعدداً فلا يلزم ذلك . ولعل الأبدان - فيما نحن فيه - لم تفسد بالكلية ، ولم تخرج عن صلوح تعلق النفس بها .

## فصل

قوله : [ تعالى ] : ثم بعثناكم

قال صاحب الكبير<sup>(١)</sup> : « فإن قلت : هل دخل موسى عليه السلام في هذا الكلام ؟ قلت : لا . لأنه خطاب مشافهة ، فلا يلزم تناوله لموسى عليه السلام . ولأنه لو تناوله أيضاً لوجب تخصيصه بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ لأن لفظة « الإفاقة » لا تستعمل في الموت . »

أقول : قضية صعب موسى عليه السلام غير هذه القضية ، فلا يجب هذا التخصيص . ولا يلزم بطلان قول من قال كابن قتيبة : « إن موسى قد مات » .



وقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لفظ « الشكر » يتناول جميع الطاعات والتكاليف ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾ [١٣/٣٤] فالمراد بعثتكم بعد الموت لتتمكنوا من فعل الطاعات، والتلافي لما صدر عنكم من السيئات .

\* \* \*

وفي الكبير<sup>(٢)</sup> : « فإن قيل : كيف يجوز أن يكلفهم الله وقد أماتهم ، ولو جاز ذلك فلم يجوز أن يكلف أهل الآخرة إذا بعثهم بعد الموت ؟ »

قلنا : الذي يمنع من تكليفهم في الآخرة ليس هو الإمامة ثم الإحياء . وإنما يمنع من ذلك لأنه قد اضطرب يوم القيامة إلى معرفته ومعرفة ما في الجنة من اللذات وما في النار من الآلام . وبعد العلم الضروري فلا تكليف ، فإذا كان المانع هو ذلك فلم يمتنع التكليف في حقهم ، ويكون موتهم ثم الإحياء بمنزلة النوم أو الإغماء . »

١) تفسير الفخر الرازي : ٥٣٣/١ .

٢) تفسير الفخر الرازي : ٥٣٣/١ .

قوله تعالى :

وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ

وَأَلْسَلَوْنِي كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

هذا هو الإنعام السابع لبني إسرائيل، وقد ذكره الله ههنا وفي سورة الأعراف بهذه الألفاظ .

والإِظلال من الظلَّة . وهي الغمامة والسترة نظائر .

و﴿ الْغَمَام ﴾ السحاب ، والقطعة منها غَمَامَةٌ . وإنما سمي غماماً لأنه يغمِّم السماء ، أي : يسترها . وكل ماستر شيئاً فقد غمَّه ، والغَمَّة : الغطاء على القلب ، من الغَمِّ . و« فلان في غَمَّة من أمره » إذا لم يهتد له .

و﴿ الْمَنَّاء ﴾ أصله الإحسان إلى من لا يستثيبه ، والاسم : المنَّة .

و﴿ السَّلَوِي ﴾ طائر كالسماني . قال الأنخفش : هو للواحد والجمع كالِدِفْلَى<sup>(١)</sup> . وقيل : واحدة « سلواة » .

والمعنى : جعلنا لكم الغمام ظلة وسترة تقيكم حرَّ الشمس في التيه ، وأنزلنا عليكم المنَّ - وهو الترنجيبين - وبعثنا إليكم السلوى .

روي أنه سخر الله لهم السحاب ، يسير بسيرهم ، يظلمهم من الشمس ، وينزل

(١) شجرة مرة يقال لها بالفارسية : خر زهره .

بالليل عمود من نار يسرون في ضوءه ، وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى .  
﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ ﴾ وهو الترنجيبين ، وكان ينزل عليهم مثل الثلج من  
طلوع الشمس لكل إنسان صاع ، ويعث الجنوب فتحشر عليهم السلوى - وهي  
السماني - فيذبح الرجل منها ما يكفيه .

قال الطبرسي<sup>(١)</sup> في مجمع البيان<sup>(١)</sup> « المنّ فيه وجوه :  
أحدها : أنه المنّ الذي يعرفه الناس ، يسقط على الشجر - عن ابن عباس .  
وثانيها : أنه شيء كالصمغ ، كان يقع على الأشجار ، طعمه كالشهد والعسل  
- عن مجاهد .

وثالثها : أنه كالخبز المرقق - عن وهب .  
ورابعها : أنه جميع النعم التي آتاهم الله مما منّ الله تعالى به عليهم مما لا تعب  
فيه ولا نصب .

والسلوى ، قيل : وهو السماني . وقيل هو طائر أبيض يشبه السماني - عن ابن  
عباس .

قوله : ﴿ كُلُوا ﴾ على إرادة القول .  
﴿ وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ بأن كفروا هذه النعم . يعني : فظلموا بأن كفروا هذه النعم ،  
وما ظلمونا . فوقع الاختصار لدلالة الكلام على هذا الحذف . وهذا دليل على أنّ الله  
لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه ، وإنّما تعود منفعة الطاعة إلى  
المطيع ، ومضرة المعصية إلى العاصي .

• • •

وكيفية قصتهم<sup>(١)</sup> أنه لما ابتلاههم الله بآتيه إذ قالوا لموسى عليه السلام : ﴿ اذْهَبْ  
أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [٥/٢٤] حين أمرهم بالسير إلى بيت المقدس

وحرب العمالقة ، فوقعوا في التيه ، فصاروا كلما ساروا تاهوا في قدر خمسة فراسخ أو ستة ، فكلما أصبحوا ساروا غادين ، فأمسوا فإذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدّة ، وبقوا فيها أربعين سنة ، وفي التيه توفى موسى وهرون عليهما السلام ثم خرج يوشع بن نون ، ولما حصلوا في التيه ندموا على ما فعلوا ، فألطف الله تعالى لهم بالغمام لما شكوا حرّ الشمس .

ومما روى أصحابنا الإمامية<sup>(١)</sup> في هذه القصة عن الصادق عليه السلام أنه كان ينزل عليهم المنّ من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فمتنّ نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه ، فلذلك يكره النوم في هذا الوقت .

وعن ابن جريح<sup>(٢)</sup> : وكان الرجل منهم إن أخذ من المنّ والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسّد، إلا يوم الجمعة ، فإنه لم يفسد إذا أخذوا منها ليوم الجمعة والسبت ، لأنهم لا يأتهم يوم السبت .

وكانوا يخبزونه مثل القرصّة ، فيوجد لهم طعم كالشهد المعجون بالسمن ، وكان إذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوبٌ يطول بطوله كالجلد<sup>(٣)</sup> .

وفي هذه القصة أسرار عجيبة ، وما أشبه حال قوم موسى عليه السلام في التيه بحال البقر والغنم - والله أعلم .

(١) بحار الانوار : باب ٩ من قصص موسى : ١٨٢/١٣ .

(٢) كذا . والظاهر انه محرف « ابن جريح » كما في مجمع البيان . راجع أيضاً الدر

المشور : ٧١/١ .

(٣) مجمع البيان : ١١٧/١ .

## قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ  
فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ مَجَدًّا وَقُولُوا  
حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

هذا هو الإنعام الثامن ، فإن الآية معطوفة على الآيات المتقدمة المذكورة فيها  
النعم المتقدمة التي آخرها تظليل النعم عليهم ، وإنزال المن والسلوى . فاردف  
بنعمة أخروية .

\* \* \*

والدخول، والولوج، والافتحام نظائر. إلا أن الافتحام دخول على صموية .  
والقرية والبلدة والمدينة نظائر .  
والسجود : الانحناء الشديد .

و « حِطَّةٌ » مصدر ، ك « ردة » و « جدة » . وهي خبر مبتدأ محذوف . أي  
سؤالنا حطة الذنوب . وأصله النصب بمعنى حطّ عنا ذنوبنا حطة ، وإنما رفعت  
لتعطي معنى الثبات ، كقوله تعالى : ﴿ فَصَبِّرْ جَمِيلًا ﴾ [١٢/١٨] وقيل معناه : أمرنا  
حطة . أي : أن نحطّ هذه القرية ونستقرّ فيها .

قال صاحب الكشاف : والأجود أن تكون تنصب بلضمار فعلها ، وينتصب  
محل ذلك المضمرب - ﴿ قُولُوا ﴾ .



والغفران والصفح والعمو نظائر . والغفر في اللغة : الستر . يقال : « غفر الله له غفراناً » أي : ستر الله على ذنوبه . والخطيئة والزلة والمعصية نظائر .  
 والمنحسين : الفاعل للاحسان ، او للحسن . يقال : « أحسن إلى غيره » و « أحسن في فعله » . والفرق بينهما إن الأول لا يقال إلا في النفع بخلاف الثاني ، وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعو إليه العقل . وضده القبيح ، وهو الفعل الذي يزجر عنه العقل .

## فصل

[ القرية التي أمروا بدخولها ]

اختلف المفسرون في أن المراد من هذه القرية أي قرية ؟ (١) فالأكثر على أنها بيت المقدس . ويؤيده قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [ ٢١/٥ ] ولا شك أن المراد منهما واحد .  
 وعن ابن عباس وابن زيد: إنها « أريحا » وهي قرية قرب بيت المقدس ، وكان فيها بقايا من قوم عاد ، وهم العمالقة ، رأسهم عوج بن عنق .  
 وقيل : إنها نفس مصر .

واعترض على الأول بأن الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ يقتضي التعقيب ، فوجب أن يكون هذا التبديل وقع منهم عقيب هذا الأمر في حياة موسى عليه السلام (٢) .

والجواب بأنه ليس في الآية ما يدل على أن هذا القول من الله وقع على لسان موسى عليه السلام ، أو على لسان يوشع ، وإذا حملنا على لسان يوشع زال الإشكال .

\*\*\*

(١) تفسير القمى الرازي : ٥٣٤/١ . مجمع البيان : ١١٨/١ .

(٢) لكن موسى (ع) مات في أرض النيه ولم يدخل بيت المقدس .

وقوله ﴿كُلُوا﴾ أمر بإباحة . أي : كلوا منها أنتي شتم ﴿رَغَدًا﴾ أي :  
موسعاً عليكم ، مستمتعين بما شتم من طعام القرية بعد المنّ والسلوى .

\* \* \*

وأما قوله : ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ فهو أمر تكليف حتم . ومن ههنا يعلم أنه قوله :  
﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ أيضاً أمر تكليف لأن دخول الباب مشروط به ، وما لا يتم  
الواجب إلا به فهو واجب . وأيضاً قوله تعالى في المائدة : ﴿يَأْقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ  
الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [٢١/٥] يدل على الوجوب . ولا شك أن المراد من  
الدخول في الآيتين واحد .

قوله تعالى : ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ اختلفوا في الباب على وجوه :  
فمن ابن عباس والضحاك ومجاهد وقادة : أنه باب يدعى « باب حطة » من بيت  
المقدس . وحكى الاصمعي<sup>(١)</sup> عن بعضهم أنه عنى بالباب جهة من جهات القرية  
ومدخلها إليها .

واختلفوا في المراد بالسجود . فقال الحسن : أراد به نفس السجود الذي  
هو وضع الجبهة على الأرض . وهو بعيد ، لمعنى الحالفة فيه ، فيمتنع الدخول  
حين السجود .

وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : أن المراد هو الركوع . لأن الباب  
كان صغيراً يحتاج فيه للانحناء للولوج . وهذا أيضاً بعيد لعدم الحاجة فيه إلى  
الأمر<sup>(٢)</sup> .

والأقرب أن المراد الخضوع ، لأنه لما امتنع حمله على حقيقة السجود فيجب

(١) في تفسير الفخر الرازي ١/٥٣٤ : الاصم .

(٢) لأنه عند كون الباب صغيراً كان الداخل مضطراً إلى الركوع .

حملهُ على التواضع ، لأنهم إذا أخذوا في الخضوع تائبين ، والتائب من الذنب لا يخلو عن خشوع واستكانة .

\* \* \*

وأما قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فالوجه فيه إن التوبة صفة قلبية ، فلا يطلع عليها الغير . وهي وإن كانت تتم من غير حاجة فيها إلى قول - كما في الأخرس - لكن لأجل أن يعرف الغير عدوله من الفسق إلى التوبة ، ولإزالة التهمة عن نفسه يحتاج فيها إلى القول، ألا ترى أن من كان معروفاً بمذهب باطل، ثم استبصر وعدل إلى الحق ، فإنه لزمه أن يعرف إخوانه الذين عرفوه بالخطأ عدوله عنه ، لزوال التهمة ولعودهم إلى موالاته بعد مُعاداته ، ولنصرة الحق وتقويته في إظهار شعائر الدين ، فلاجل ذلك أمروا بأن يدخلوا الباب خاضعين بقلوبهم ، ذاكرين بلسانهم ، حتى يكونوا جامعين بين عمل الجنان بالندم ، وعمل الأركان بالخضوع أو الانحناء ، وعمل اللسان بالاستغفار - وهذا أجود الوجوه .

وعن الأصم : إن هذه اللفظة من أفاظ أهل الكتاب ، لا يعرف معناها [ظ: معناها] في العربية .

وعن أبي مسلم الإصفهاني معناه : أمرنا حِطَّةً . أي نحط في هذه القرية ونستقر فيها . وزيفه القاضي بأن قوله : ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ يدل على أن الغفران متعلق به ، ولو كان الوجه ما ذكره لم يكن للمغفرة تعلق بقولهم حِطَّةً . وفيه ما لا يخفى .

## فصل

هل كان التكليف بالتوبة متعلقاً بذكر هذه اللفظة ؟  
أم مطلق قول دال على الندم والخضوع ؟

فالمروي عن ابن عباس أنهم كانوا مأمورين بهذه اللفظة بعينها ، وهو محتمل ،  
لكنه بعيد من وجوه :

أما أولاً فلأن هذه اللفظة عربية ، وأما ثانياً فلأنهم كانوا مأمورين بالتوبة  
والخضوع ، والمقصود حاصل بغير هذه اللفظة . وأما ثالثاً فلأن التوبة تحط  
الذنوب - سواء قيل هذا اللفظ ، أم لا - فذكره بعينه لأفائدة فيه .

وروي عن ابن عباس أيضاً : أمروا أن يقولوا : « هذا الأمر حق » .

وقال عكرمة : أمروا أن يقولوا : « لا إله إلا الله » لأنها تحط الذنوب . وبالجملة

كل ما يحط الذنوب فصح أن يترجم عنه بـ « حطة » .

وروي عن الباقر عليه السلام أنه قال : « نحن باب حطتكم » <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

قوله [ تعالى ] : ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : من كان محسناً منكم كانت

كلمة الاستغفار له زيادة في ثوابه ، ومن كان مسيئاً كانت له مغفرة لذنوبه .

وقيل : سنزيدهم على ما يستحقونه من الثواب تفضلاً ، كقوله تعالى : ﴿ لِيُوقِيَهُمْ

أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ [٣٥/٣٠] وكقوله : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

وَزِيَادَةٌ ﴾ [١٠/٢٦] .

وقيل : المراد به أن يزيدهم الإحسان على ما سلف من الإحسان بإنزال المنّ والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك ، فإن الزيادة الموعودة يمكن أن تكون من منافع الدنيا ، كما يمكن أن تكون من منافع الآخرة .

### فصل

القراءة في ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ مختلفة . فقرأ ابن المبارك <sup>(١)</sup> بالنون وكسر الفاء . ونافع بالياء وفتحها . والباقون من أهل المدينة بالتاء وضمها وفتح الفاء . والحسن وقتادة وأبو حيوه بالياء وضمها وفتح الفاء .

قال القفال <sup>(٢)</sup> : والمعنى في القراءات كلها واحدة ، لأن الخطيئة إذا غفرتها الله فقد غفرت ، وإذا غفرت فقد غفرتها الله . والفعل إذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث . كقوله [تعالى] ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾ [٦٧/١١] و : أخذت الذين .

### فصل

لأهل الإشارة أن يأولوا الآية : أدخلوا أيها السالكون إلى المنازل والمقامات حسب تطورات النفوس وتقلبات القلوب هذه الأرض المقدسة التي هي عالم القدس والملكويت يقدم الصدق واليقين في العلم والعمل ، وتكثروا من طيبات الأغذية العلمية والأرزاق المعنوية . وادخلوها من بابها الذي هو الحقيقة الإنسانية ، والإنسان المعنوي . فإنه لا يسكن الدخول إلى ذلك العالم القدسي الإلهي إلا بالولوج في هذا

(١) كذا . وفي تفسير الفخر الرازي ٥٣٦/١ : ابن المنادي .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٥٣٦/١ .

الباب الذي باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب . مخبتين ساجدين لله ، محبتين لجماله ، فائين في جلاله عن هذه الانانية ، قائلين : « حطَّ يا إلهي عنا أوزارنا ، ونحِّ عنا وساوس نفوسنا الحيوانية ، واغفر لنا ذنوبَ وجوداتنا وجرائم قوانا المجرمة الظلمانية بنور تقديسك وتطهيرك » .

ويؤيد هذا التأويل ماورد من طريق أهل بيت النبي عليه وعليهم السلام أنهم قالوا (١) : « نحن باب حطتكم » وقوله ﷺ (٢) : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » وروي أيضاً عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال (٣) : « مثل الله علي الباب مثال محمد ﷺ وعلي عليه السلام وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال ، ويجتدوا على أنفسهم العهد القديم من موالاتهما » .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامی

(١) مضي آنفاً .

(٢) راجع مصادر الحديث في ملحقات إحقاق الحق : ٥/٤٦٩-٥٠١ .

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (ع) : ١٢٣ .

قوله تعالى :

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى

الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

قيل : الرجز - بكسر الراء - : العذاب في لغة أهل الحجاز، وهو غير الرجس .  
لأن الرجس : التنن (١) . وقال الزجاج : « ان الرجز والرجس معناهما واحد (٢) »  
والظاهر ان الرجز قد يجيء بمعنى العذاب ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا وَقَعَ  
عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ [١٣٤/٧] يعني : العقوبة . وكذا قوله : ﴿لَئِن كَشَفْنَا عَنْكَ الرِّجْزَ﴾  
[ ١٣٤/٧ ] وقد يجيء بمعنى الرجس ، كما في قوله : ﴿ وَيُنْهَبُ عَنْكُم رِّجْزَ  
الشَّيْطَانِ ﴾ [١١/٨] وهو نجاسة معنوية . كما ان التوبة طهارة قلبية . والرجس في  
الأصل ما يعاف عنه .

والمعنى خالفوا الأمر وبدلوا ما امروا به من التوبة والاستغفار ، فلم يفعلوا  
ولم يقولوا قولاً دالاً على التوبة طلباً لما اشتهوا من أغراض الدنيا ودواعي النفس  
والهوى . فقالوا غير ذلك ، فاستحقوا العذاب . فأنزلنا عليهم العقوبة من السماء  
بظلمهم وفسقهم .

(١) مجمع البيان : ١١٩/١ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٥٣٧/١ .

ومن ههنا علم انّ المأمور به لم يكن لفظاً بعينه ، وهو لفظ « الحطة » فجاؤوا بلفظ آخر ، وذلك لأنه لو فرض أنّهم جاؤوا بلفظ آخر فيريد هذا المعنى مستقلاً بمعنى ما أمروا به لم يستحقوا المؤاخظة والعذاب ، ولم يكونوا ظالمين بوضع لفظ في غير موضعه . كما لو قالوا مكان لفظ « حطة » : « نستغفرك ونتوبُ إليك » أو : « اللهم اغفر لنا ذنوبنا واعرّف عنا سيئاتنا » وما يجري مجراه .

واختلف في ذلك الغير ، فقيل : إنهم قالوا بالسريانية : « هطاسمقاتا »<sup>(١)</sup> . في تفسير مولا الحسن بن علي العسكري عليه السلام : إنهم دخلوها مستقبليها بأستاهم وقالوا : « هيطاسمقاتا »<sup>(٢)</sup> أي حنطة حمراء نتقوتها أحب إلينا من هذا الفعل وهذا الأمر .

وقيل : قالوا : « حنطة » تجاهلاً واستهزاء .

وقيل : كانوا قد أمروا أن يدخلوا الباب سجداً ، وقد صغر لهم الباب توطئة لذلك ، فدخلوه راجعين على أستاهم ، فخالقوا في القول والدخول جميعاً<sup>(٣)</sup> .

### وهيم

ومن الناس من يحتجّ بهذه الآية على وجوب التوقيف في الأدعية الواردة ، وعدم تبديلها بلفظ آخر .

والجواب : إنهم إنّما استحقوا العذاب لتبديلهم القول إلى قول آخر مضاف له في المعنى ، فمن بدل لفظاً بلفظ آخر مع بقاء المعنى لم يظهر من هذه الآية استحقاؤه للذم .

(١) في مجمع البيان : « قالوا بالسريانية : هاطاسمقاتا ، وقال بعضهم : هطاسمقاتا » وفي تهذيب اللغة ٤/١٦٣ : « حطة سمقاتا » .

(٢) في المطبوعة من التفسير (١٢٣) وكذا في نسخة مخطوطة : « هطاسمقاتا » .

(٣) مجمع البيان : ١١٩/١ .



## فصل

واعلم ان هيهنا سوالات :

الأول : لِمَ قال في سورة البقرة : ﴿إِذَا قُلْنَا﴾ وقال في الأعراف (٣) : ﴿وَإِذْ قَبِلَ لَهُمْ﴾ ؟

الثاني : لِمَ قال هيهنا : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا﴾ وفي الأعراف : ﴿اسْكُنُوا﴾ ؟

الثالث : لِمَ قال هيهنا ﴿فَكُلُوا﴾ بالفاء ، وفي الأعراف : ﴿وَكُلُوا﴾ بالواو ؟

والرابع : لِمَ قال هيهنا : ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ وفي الأعراف : ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ

خَطِيئَاتِكُمْ﴾ ؟

والخامس : لِمَ ذكر قوله : ﴿رَغَدًا﴾ هيهنا ، وحذفه في الأعراف ؟

السادس : لِمَ ذكر هيهنا ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ وفي الأعراف

قدم المؤخر ؟

السابع : لِمَ قال هيهنا : ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ مع الواو . وفي الأعراف

بدونها ؟

الثامن : قال في الأعراف : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا﴾ وهيهنا

بدون لفظ ﴿مِنْهُمْ﴾ (٣) فما الفائدة في هذه الزيادة ؟

(١) تفسير الفخر الرازي : ٥٣٩/١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٦١ و ١٦٢ : وإذ قبل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا

منها رغداً حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين

فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا

يظلمون .

(٣) كان في النسخ كذا : « قال هيهنا : فبدل الذين ظلموا منهم قولا . وفي الأعراف

بدون لفظ منهم . . . » والصحيح ما أثبتناه .

التاسع : لِمَ قَالَ هِيهَنَا ﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ وَفِي الْأَعْرَافِ :  
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ ؟

العاشر : لِمَ قَالَ هِيهَنَا : ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ وَفِي الْأَعْرَافِ : ﴿ بِمَا كَانُوا  
يَظْلِمُونَ ﴾ ؟

والجواب عن الأول : ان الله تعالى صرح في أول القرآن بأن قائل هذا القول هو الله إزالة للإبهام ، ولأنه ذكر في أول الكلام : ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ فالمناسب بهذا المقام أن يقول : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ وَأَمَّا فِي الْأَعْرَافِ فلا يبقى إبهام هناك بعد التصريح المقدم .

وعن الثاني : ان الدخول مقدم على السكون ولا بد منه ، فذكر « الدخول » في السورة المتقدمة و « السكون » في المتأخرة .

وعن الثالث : ان كل فعل عطف على شيء وكان الفعل بمنزلة الجزاء وذلك الشيء بمنزلة الشرط عطف بالفاء دون الواو ، وأما إذا لم يكن مشروطاً به فعطف بالواو . ولما كان الأكل منها هيهنا قبل الدخول فيها مشروطاً بحدوثه وبعده غير مشروط بحدوثه - بل بالكون فيها - لاجرم للإشعار بالمعنيين تارة عطف بالفاء ، وتارة بالواو . كما في قوله تعالى : ﴿ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا ﴾ فَإِنَّهُ عَطَفَ فِي الْبَقْرَةِ [ ٣٥/٢ ] بِالْوَاوِ ، وَفِي الْأَعْرَافِ [ ١٩/٧ ] بِالْفَاءِ . فَإِنَّ « أَسْكُنْ » قَدْ يُقَالُ لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْ دَاراً فَيَرَادُ مِنْهُ الدَّخُولُ ، وَيُقَالُ لِمَنْ دَخَلَ فَيَرَادُ مِنْهُ اللِّزُومُ وَالْبَقَاءُ .

وعن الرابع : ان الخطايا جمع الكثرة - دون الخطيئات لأنها جمع السلامة - ففي البقرة لما أضاف القول إلى نفسه قرن به ما يناسب جودته وكرمه (١) .

وعن الخامس : مثل ما ذكرناه .

وعن السادس : ان الواو للجمع المطلق ، والمخاطبون بحتمل أن يكون

(١) وهو غفران الخطايا الكثيرة .

بعضهم مذنبين وبعضهم غير مذنبين ، والمذنب لابد وأن يكون اشتغاله بحطّ الذنب مقدماً على اشتغاله بالعبادة ، لأنّ التخلية مقدّمة على التحلية ، فلاجرم كلّف المذنبين أن يقولوا أولاً : « حطّة » ثمّ يدخلوا الباب سجداً . وأمّا غير المذنب ، فالأولى به أن يشغل بالعبادة ساجداً لله أولاً ، ويقول « حطّة » ثانياً . فلما احتل كونه أولئك المخاطبين على هذين النوعين لاجرم ذكر حكم كل منهما في سورة أخرى .

وعن السابع : إن ههنا أمران التوبة والعبادة - أعني مفادي لفظتي السجدة والحطّة - وذكر بازائهما جزاءان : المغفرة والزيادة . فقوله : ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ بازاء التوبة التي هي الحطّة . وقوله : ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ بازاء العبادة التي هي السجدة . فترك الواو يفيد كون كل واحد من الجزاءين متوزعاً على واحد من الشرطين كما في الأعراف ، وإيرادها يفيد كون المجموع جزاءً واحداً لمجموع الفعلين .

وعن الثامن : إنّ في الأعراف لماً وقع في أول القصة ما يدلّ على التخصيص والتبويض ، حيث قال : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْهتُونَ ﴾ [١٥٩/٧] فعلم إنّ منهم من هو على هذه الصفة . فلما عدّ صنوف إنعامه عليهم وأوامره لهم قال في آخر القصة : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ فذكر لفظ « من » التبويض . كما ذكره في أول القصة ، ليكون الآخر مطابقاً للأول ، فيكون الهادون من أمة موسى <sup>عليه السلام</sup> غير الظالمين منهم . وههنا لم يذكر في الآيات السابقة ما يدلّ على التخصيص ، ولم يذكر إلاّ الأمة الجائرة ، فلاحاجة إلى هذا التبويض .

وعن التاسع : إنّ الإنزال يفيد حدوثه في أول الأمر دفعة ، والإرسال يفيد الدوام والاستمرار ، ويشير إلى الإستيلاء عليهم والسلطنة الموجبة لاستيصالهم بالأخرة <sup>(١)</sup> .

(١) لم يذكر الجواب عن السؤال العاشر ، وجاء في تفسير الفخر الرازي (١/٥٣٩) في الجواب عنه « انه تعالى لما بيّن في سورة البقرة كون ذلك الظلم فسقاً اكتمى بلفظ الظلم في سورة الأعراف لاجل ما تقدّم في سورة البقرة » .

قوله جلّ اسمه

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ  
الْحَجَرَ فَأَنْفَجَرْتَ مِنْهُ أُنثَاءً عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنثَىٰ  
مَشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ ﴿٥٠﴾

الاستسقاء : طلب الشقيا . ويقال : « سَقَيْتُهُ وَأَسْقَيْتُهُ » بمعنى . وقيل : أسقَيْتُهُ :  
دلته على الماء .  
مركز تحقيق كامپيوٲر علوم اسلامی

وَعَصَىٰ وَعَصَوَانٌ وَثَلَاثُ أَعْصَىٰ . وجمعه عِصِيّ - بكسر العين والصاد، وتشديد  
الياء - .

والانفجار : الانشقاق . والانبجاس أضيق منه .

والعَيْنُ : من الأسماء المشتركة ، ويمكن أن يكون استعمالها في بعض المعاني  
على سبيل المجاز والتشبيه . فالعَيْنُ في الحيوان مشبّهة بالعين فسي الماء في خروج  
الدمع منها كمخروج الماء . وبالعين في الشمس في خروج الشعاع منها .

والأناس جمع لا واحد له من لفظه .

﴿ وَلَا تَعَثُّوا ﴾ اي : لا تفسدوا ولا تطفوا .

وقرىء : اثنا عشرة - بكسر الشين وفتحها - وهما لغتان ، أولهما لغة أهل

الحجاز . لكن القرء السبعة بأجمعهم على إسكان الشين لأنه أخف .

والمعنى أذكروا نعمة أخرى أنعمها الله عليكم مضافة إلى النعم السابقة . وهي النعمة التاسعة منه تعالى على بني إسرائيل جامعة للنشأتين . أما الدنيا فلشدة حاجتهم إلى الماء عند الظمأ في التيه ، وأما الآخرة فلكونها من أظهر الدلائل على وجود صانع عليم حكيم رؤوف رحيم ، وعلى صدق نبيهم موسى عليه السلام .

﴿ إِذَا أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ أي : سئل الله أن يسقى قومَه ماء ، وذلك في الحال التي تاهوا في التيه ، فشكوا إلى الله الظمأ ، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر ، وهو عصاه المعروف ، وكان من آس الجنة دفعه إليه شعيب ، وكان آدم عليه السلام حمله من الجنة معه إلى الأرض ، وكان طوله عشرة أذرع على طول موسى ، وله شعبتان تتقدآن في الظلمة نوراً ، وبه ضرب البحر فانفلق ، وهو الذي صار ثعباناً <sup>(١)</sup> واللام في الحجر إما للعهد والإشارة إلى حجر معلوم ، إذ روي أنه حجرٌ طورىٌّ حمله معه ، وكان مرتعاً له أربعة أوجه تنبع من كل وجه ثلاثة أعين ، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى ذلك السبط ، وكانوا ستمائة ألف ، وسعة المعسكر إثني عشر ميلاً <sup>(٢)</sup> . وكانوا لا يرتحلون منقلة إلا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان الذي كان به منهم في المنزل الأول <sup>(٣)</sup> .

وقيل : أمهطه آدم عليه السلام من الجنة فتوارثوه حتى وقع إلى شعيب عليه السلام ، فدفعه إلى موسى عليه السلام مع العصا .

وقيل : هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ، إذ رموه بالأدرة ، ففرّبه فقال جبرئيل : يقول الله تعالى : « ارفع هذا الحجر ، فإن لي فيه قدرة ، ولك فيه معجزة » فحمله في مخلاته <sup>(٤)</sup> .

(١) مجمع البيان : ١٢٠/١ .

(٢) الكشاف : ٢١٨/١ . مجمع البيان : ١٢١/١ .

(٣) مجمع البيان : ١٢١/١ .

(٤) الكشاف : ٢١٨/١ .

وإقما للجنس أي : اضرب الشيء الذي يقال له الحجر . وعن الحسن : لم يؤمر أن يضرب حجراً بعينه - قال : - وهذا أظهر في الحجّة ، وأبين في القدرة . وروي أنهم قالوا : «كيف بنا لو أفضينا إلى أرض ليست فيها حجارة» فحمل حجراً في مخلاته ، فحيث ما نزلوا ألقاه . وقيل : كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها ، فيببس . فقالوا : لو فقد موسى عصاه مئناً عطشاً . فأوحى الله إليه : «لاتفرع الحجارة وكلّمها تطمك» (١) .

واختلفوا في صفته . قيل : كان من رخام . وكان ذراعاً في ذراع . وقيل : مثل رأس الإنسان .

وقوله : ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ الفاء متعلّقة بمحذوف . أي : فاضرب فانفجرت . أو : فان ضربت فانفجرت (٢) . كما في قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ وهي على هذا التقدير فاء فصيحة .

ولامنافة بين قوله : ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ هنا ، وبين قوله : ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ في سورة الأعراف [ ١٦٠/٧ ] لأنّ الإنبجاس هو ضرب من الانفجار ، إلّا أنّه أقلّ . وقيل : إنّهُ لا يمتنع أن يكون أول ما يضرب عليه العصا كان ينبجس الماء ، ثمّ يكثر حتى يصير انفجاراً . وقيل : كان ينبجس عند الحاجة ، وينفجر عند الحاجة . وقيل : كان ينبجس عند الحمل وينفجر عند الوضع (٣) .

وقوله : ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ أي : علّم كلّ سبط وكلّ فريق منهم موضع شربهم . وإنّما علموا ذلك لأنّه كان بازاء كلّ عين جدول لسبط من الأسباط .

(١) الكشاف : ٢١٨ .

(٢) في الكشاف : (٢١٨/١) : فان ضربت فقد انفجرت .

(٣) مجمع البيان : ١٢١/١ .

ولا يبعد كون كلّ جدول منقسماً إلى جداول صغار حسب تعدّد الطوائف والفرق الداخلة تحت كلّ سبط . وكون كلّ إنسان مأموراً بأن لا يشرب إلّا من جدول معيّن ، لتلا يقع بينهم التشاح والنزاع .

وأما إضافة المشرب إليهم فإنه لما كان الماء مباح الأصل وقد عُيّن لكلّ سبط وطائفة مآظهم من الشقّ الذي يليه ، والجدول الذي يخصّه صار ذلك كالمملك . فصحت الإضافة إليهم .

وقوله تعالى : ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ على إرادة القول . أي : قلنا لهم ، أو قال موسى لهم . وفي الكلام حذف . أي : « كَلُوا مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى وَاشْرَبُوا مِنْ مَاءِ الْعَيْونِ » . أو المراد : « كَلُوا مَا يَتكوّنُ مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْأَغذية ، وما ينبت من الأرض من جهة سقي الماء » فإنه لما أنعم الله عليهم بإخراج العيون وجري المياه فقد أنعم عليهم بالمأكل الحاصلة منها .

وهذه الآية حجة للمعتزلة على أن الرزق هو الحلال ، لأن الأمر بالأكل من الرزق وقع من الله . وهذا الأمر إن لم يكن للوجوب ، فلا أقلّ للاباحة . فلو تحقق رزق حرام ، لزم كونه مباحاً وحراماً . وهذا غير جائز .

وقوله : ﴿ لَا تَعْمُوا ﴾ أي : لا تتمادوا ولا تعتدوا حال أفسادكم . لأن العثمى ليس إلّا الفساد .

## فصل

### في البحث العقليّ

لقال أن يقول : كيف ينفجر ذلك الماء الكثير من ذلك الحجر الصغير ؟  
والجواب : إنّ الله قادرٌ على جميع الممكنات ، وذلك من آيات الله الباهرة .  
والأعاجيب الظاهرة ، الدالة على صدق أنبيائه ورسوله ﷺ ، لكونها معجزة لهم لوقوعها عند سؤالهم . فيظهر منها أشدّ ظهور أنّه هو المنشئ للأشياء ، الفاعل لما

يشاء . الذي يتدأّل له الصعاب ، ويتسبّب له الأسباب ، فلا عجب من ظهور أمور غريبة في بعض الأزمنة دالة على بدائع صنعه وغرائب حكمته وصدق أنبيائه .  
ومثل هذا الأمر الغريب بل أغرب وأعجب منه قد وقّع من نبينا ﷺ في بعض الغزوات وقد ضاق بهم الماء ، فوضع يده في مبخضة ففاض الماء بين أصابعه حتى استكفوا (١) .

وإنما قلنا هذه المعجزة أعظم غرابة من معجزة موسى ﷺ لأنّ نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة بخلاف نبوعه من الأصابع .  
فمن أنكر أمثال ذلك من الملاحدة والدهريّة الذين ما عرفوا الصانع العالم بالكليات والجزئيات ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فالكلام معهم إنّما يكون في أصل اثبات الصانع وعلمه وقدرته وشمول علمه لجميع المعلومات وسعة قدرته لجميع المقدورات ، ولا معنى للتشاغل معهم في الفروع بعد ما خالفوا في الأصول .

\* \* \*

بقي الكلام في إمكان هذا الأمر ، إذ المحال لا يكون مقدوراً ، لأنّه لاشيئية ولا ذات له حتى يكون مقدوراً . فنقول :

ههنا أربعة شقوق: أحدها وجود ذلك الماء العظيم مع عظمه في باطن الحجر والثاني وجوده فيه مع تداخل أجزائه بعضها في بعض . والثالث تكوّنه فيه شيئاً فشيئاً وخروجه منه على التدرّج . والرابع تكوّنه لامن أسباب طبيعية ومدد جسماني ، بل من أسباب نفسانية وتصوّرات وهمية . والشقّان الأوليان باطلان ، والأخيران جائزان .

أمّا بطلان الشقّ الأول - وهو كون ذلك الماء مع عظمه مستكناً في ذلك الحجر ، ثم ظهر خارجاً عنه - فلأنّ الظرف الصغير لا يحوي الجسم العظيم ،



لاستلزامه أن لا يكون الكلّ أعظم من جزئه . وهو محال .  
 وأمّا بطلان كونه موجوداً فيه على نحو التداخل فلدلائل [ ظ : فللدلائل ]  
 الدالة على استحالة التداخل ، سيّما على وجه التضاعف .  
 وأمّا إمكان الشقّ الثالث فلأنّ مادّة العناصر قابلة لأن يتكوّن منها الصور الغير  
 المتناهية على التعاقب ، فيجوز أن يستحيل بعض أجزاء الحجر ماء أو ينقلب الهواء  
 المجاور له إلى الماء بعد نفوذه إليه من المسامات الضيّقة ، كما يجتمع قطرات الماء  
 على الطاس المكبوب على الجمد بسبب انقلاب الهواء إليه ، بحيث كلّما يزال عن  
 ظهر الإناء ينزل ويجري بدله لأجل برودة الإناء .

وأما إمكان الشقّ الرابع فلما بيّن في موضعه من تأثيرات النفوس القويّة في  
 مادّة الكائنات بتصويرها آية صورة أرادوا لامن أسباب طبيعة واستعداد مادي ، بل  
 بمجرد إنشاء إختراعيّ يبرز من مكنن الغيب إلى عالم الشهادة - كما بيّن وحقق في  
 مسائل النبوات - .

ومن اعتبر أحوال نفسه وبدنه هانّ عليه دفع هذا الاستبعاد ، فإنّ من شأن مادّة  
 بدننا وعالمنا الصغير أن يحدث ويتكون فيها الحوادث الكونيّة من وجهين :  
 أحدهما على مجرى الأمور الطبيعيّة ، فيتكوّن فيه أمر من قبل أسباب على  
 نحو الإعداد في مادّة قبل مادّة .

وثانيهما على سياق آخر غير مجرى الطبيعة ، بل من جهة فاعليّة وتصوير  
 نفسانيّ تؤثر في مادّة البدن . كالغضب الشديد . وهو هيئة نفسانيّة تؤثر في تسخين  
 البدن وتحليل الرطوبات ، وربما يحرق الأخلاط . وكالخوف فإنّه برودة في الأعضاء  
 وربما تبطل بسببه الحرارة الفريزيّة ، وكالشهوة فإنّها تحدث ريجاً وماءاً - لاعتناء  
 طبيعيّ وانتفاخ طبيعيّ . فعلى هذا قياس نفس العالم الكبير عند بدنه .

فإن قلت : كيف يكون الشقّ الأوّل - وهو وجود الجسم العظيم في المكان الصغير ممتنعاً غير مقدور، وقد روى محمد بن علي بن بابويه القمي - ره - في كتاب التوحيد<sup>(١)</sup> - بسنده المتصل - : أنه جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال : « هل يقدر ربك أن يجعل السموات والأرض وما بينهما في بيضة ؟ » قال : « نعم . وفي أصغر من البيضة . قد جعلها كلها في عينك ، وهي أقلّ من البيضة . لأنك إذا فتحتها غابت السماء والأرض وما بينهما ، ولو شاء لأعماك »<sup>(٢)</sup> .

وروى أيضاً محمد بن يعقوب الكليني - ره - حديثاً آخر مثله عن أبي عبد الله عليه السلام ، عند سؤال عبد الله الديباني عن ذلك<sup>(٣)</sup> .

قلت : لامنافة بين ما ذكرنا وبين المرويّ عنهما عليهما السلام ، فإن كون الأجسام في المشاعر والمرائي نحو آخر من الوجود ، والذي حكمنا بامتناعه هو وجود العظيم في الصغير في نشأة . فإن وجود الأجسام المرئية في آلة النفس وجود إدراكي يختصّ ظهورها به للمدرك لها دون غيره ، بخلاف وجود الأجسام في موادّها الكونيّة .

وتحقيق هذا المقام يفتقر إلى تحقيق معرفة النفس وأحوالها ، وكيفية علم النفس بالأشياء الخارجة عن ذاتها . ومن أمّن في كيفية الإبصار - سيّما على الوجه الذي حقّقناه موافقاً للشواهد السمعيّة من الكتاب والسنة ومحققاً لمسئلة المعاد وحشر الأجساد - لقضى آخر العجب من ظهور قدرة الله وعجائب صنعه عليه ، وسيأتي ذكره عند كلامنا في تفسير آيات المعاد .

والذي يدلّ على صحة ما حملنا الرواية المذكورة عليه مارواه ابن بابويه أيضاً في الكتاب المذكور<sup>(٤)</sup> مستنداً عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام :

(١) التوحيد : باب القدرة - ١٣٠ .

(٢) المصدر : لأصماك عنها .

(٣) الكافي باب حدوث العالم واثبات المحدث : ٧٩ / ١ .

(٤) التوحيد : باب القدرة - ١٣٠ .

« هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أويكبر البيضة ؟ »  
 فقال عليه السلام : « ان الله تبارك وتعالى لا ينسب الى العجز ، والذي سئلتني لا يكون . »  
 فهذا الحديث صريح في أن الذي سئله ذلك القائل ممتنع بالذات غير مقدور  
 ولا كائن . فلولم يكن معنى الرواية الأولى مأولناها إليه لكان بين الروايتين تدافع ،  
 وجلت أحاديث أئمتنا عليهم السلام أن يكون بعضها يناقض بعضاً ، لعصمتهم عن الخطأ .  
 وروي أيضاً فيه <sup>(١)</sup> مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : جاء رجل إلى أمير  
 المؤمنين عليه السلام فقال : « أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا يصغر الأرض ولا يكبر  
 البيضة ؟ » فقال له : « ويليك . إن الله لا يوصف بالعجز . ومن أقدروا من يطفأ الأرض  
 ويعظم البيضة . »

فدلّت هذه الرواية على أن دخول العظيم في الصغير في نشأة الدنيا لا يمكن  
 إلا بأن يصغر العظيم بالتكاثف ، ويعظم الصغير بالتخلخل ، وأن تصغير الأرض إلى  
 حدّ يكون مقدارها أقل من البيضة ، أو تعظيم البيضة إلى حدّ يكون مقداره أكبر من  
 الأرض . غاية القدرة .

### تنوير فيه تنبيه

ليس للمتفلسف أن يمنع تكوّن الماء من ذلك الحجر في مقدار من الزمان  
 متعاقباً بعد ما يرى أن الأرض لها مقدارٌ معيّن ممسوح بمساحة معلومة العدد بالذراعات  
 والذي يتكوّن من الأرض على التعاقب من أفراد الإنسان وغيره من الحيوانات  
 والنباتات لا يمكن حصرها وعدّها ، سيّما على مذهبه من قديم العالم ، وتسرد الأنواع  
 المتوالدة ، وعدم تناهي أفرادها في الجانبين . فلان نسبة لما يتكوّن من الحجر إلى  
 الحجر في جنب ما يتكوّن من الأرض إلى الأرض .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّ مَا يَتَكَوَّنُ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَوَالِدِ الثَّلَاثَةِ فَإِنَّهَا تَعُودُ جَسْتَهَا وَأَجْسَادَهَا إِلَيْهَا إِذَا اسْتَحَالَتْ تَرَاباً ، فَلَا يَنْقُصُ مِقْدَارُهَا .  
 قُلْنَا : وَهَيْهَنَا أَيْضاً مِثْلَ مَا ذَكَرْتَ عَلَى طَرِيقِ الْأُولَى .  
 تَعَمُّدٌ :

ذَكَرَ فِي التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ (١) وَجُوهٌ دَلَالَةٌ ذَلِكَ الْإِنْفِجَارِ عَلَى الْإِعْجَازِ :  
 أَحَدُهَا : نَفْسُ ظَهْوَرِ الْمَاءِ مِنَ الصَّمَاءِ .  
 وَثَانِيهَا : خُرُوجُ الْمَاءِ الْعَظِيمِ مِنَ الْحَبْرِ الصَّغِيرِ .  
 وَثَالِثُهَا : خُرُوجُهُ بِقَدْرِ حَاجَتِهِمْ .  
 وَرَابِعُهَا : خُرُوجُهُ عِنْدَ ضَرْبِ الْعَصَا .  
 وَخَامِسُهَا : انْقِطَاعُهُ عِنْدَ الْاسْتِغْنَاءِ .  
 فَالْكَلِّ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَائِلِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَتَصَدِيقِ رَسَلِهِ ﷺ .

قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ  
وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ  
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ  
الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَاءً  
سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ  
مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ  
النَّبِيَّيْنَ بغيرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١١﴾

قرأ أهل المدينة [ النبيين ] بالهمزة ، والباقون بغير الهمزة .

والطعام : ما يتغذى به . والطعم - بضم الطاء - : الأكل . والطعم من الكيفيات  
المحسوسة بحاسة الذوق ، والمراد من تلك الكيفيات المسماة بالمحسوسات هي  
الموجودة في الخارج . وأما التي وجدت منها في المشاعر من صورها المطابقة  
لها فهي بحسب ذلك الوجود الصوري ليست عندنا داخلة في هذا الجنس - بل في  
جنس الكيفيات النفسانية كالشهوة والغضب ، والإرادة والكراهة ، والعلم والجهل .  
وفي ذلك سر المعاد وحشر الأجساد ، فإن لهذه الموجودات وأشكالها

ومقاديرها وألوانها وطعومها وروائحها وأصواتها وجوداً في عالم النفس غير هذا الوجود المادي الدنيوي الدائر الفاسد .

\* \* \*

والدُعَاء أصله النداء . ويستعمل في قول القائل لمن فوقه : « افعل كذا » .  
والإنبات : إخراج النبات ، لكن الله لا يباشر هذا الفعل الدنيي إلا باستخدام بعض الملائكة الأرضية ، بعد استخدامه للملائكة السماوية .

والبَقْل : ما ينبت في الربيع من الخضراوات التي ليس لها ساق . يقال : « بَقَلت الأرض » و « أبَقَلت » وهما لغتان فصيحتان .

و« القِثَاء » فيها لغتان : ضم القاف وكسرها . والثاني أجود لأنه لغة القرآن .  
وقرىء في الشواذ بالضم .

والقُوم : الحنطة - عن ابن عباس وقتادة والسدي . وهو المروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام <sup>(١)</sup> وقال الفراء والأزهري : هو الحنطة والخبز . قال العرب : « قوموا لنا » اي : اخبزوا لنا . وقال قوم : هو الحبوب التي تُخبز . وقال الكسائي : هو الثوم :  
أبدل «ثاؤه» «فاء» . قال الفراء : هذا أشبه بما ذكره بعده من البصل . وقال الزجاج :  
وهذا بعيد ، لأنه لا يعرف « الثوم » بمعنى « القوم » .

قال الطبرسي - ر - « وهو ضعيف . لأنه قد روي في الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس : وثومها » .

وفيه نظر . لأن الذي روي من قراءة « ثومها » بدل « قومها » لا يدل على كونها مترادفين قطعاً .

وقوله : ﴿ أدني ﴾ أي أقرب وأدون . فيكون من الدنو ، ويجوز أن يكون من الدنائة بمعنى الخسة .

والمِصْر : البلد العظيم . وأصله الحد بين الشيبين ، وقد يراد به العلم .

وتنوينه وصرفه لسكون الوسط . أو على تأويل البلد . وقيل : أصله : مصيرائيم - بالياءين فترَّب .

﴿ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ ﴾ أي : فرضت ووضعت وألزموها ، كما في قولهم : ضَرَبَ الإمامُ الجزيةَ على أهل النعمة ، وضَرَبَ الأميرُ على الرعية الخراج . و« المَسْكَنَةُ » مصدر المسكين ، وهي الفاقة والحاجة .

﴿ وَيَأْوُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي انصرفوا ورجعوا . أو استواوا . من قولك : « بَاءَ فلان بفلان » إذا كان حقيقاً بأن يقتل به لمساواته له ومكافاته . أي صاروا أحقَّاء بغضبه . و« بَاءَ » لا يستعمل إلا في الشرِّ .

والنبي من « النبا » بمعنى الخبر ، أو من « نبا » بمعنى ارتفع أو منقول من « النبي » بمعنى الطريق . والكلمة مناسبة لمعناه العرفي . وهو إنسان مبعوث من الله إلى عباده . فالنبي ﷺ منخبر عن الله ، مرتفع عنده . وهو طريق إلى وصول الحق ورضوانه .

\* \* \*

والمعنى : وإذ قال أسلافكم : يا بني إسرائيل - بعد ما أنعم عليهم من النعم والإحسان التي منها المن والسلوى وهما من الأطعمة اللذيذة، قالوا من سوء الاختيار وكفران النعمة - : يا موسى لن نصبر على طعام واحد - أي مارزقوا في التيه - وهما وإن كانا اثنين ، لكن وحدتهما عبارة عن عدم تبدلها واختلافهما كقولهم : « مائدة الأمير واحدة » أي : لا تختلف ألوانها ، وإن كانت ألوانها كثيرة . ولذلك سُمِّوا . أو المراد أنهما ضرب واحد ، فإنهما معاً من طعام أهل التلذذ والمترفين . ونحن قوم فلاحون أهل زراعة ، ولا نريد إلا ما ألقناه .

﴿ فَادْعَ لَنَا ﴾ أي : فاسئَل ربك لأجلنا ﴿ يَخْرِج ﴾ أي : يوجد ويظهر ، مما تنبت الأرض من الخضراوات .

فقال تعالى - أو قال موسى عليه السلام : ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ مِنْكُمْ بِالَّذِي هُوَ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ وَمَنْ يَأْتِكُمْ بِهِ فَلْيُلَاحِظْ إِلَيْكُمْ وَلَا يَرْجِعْ﴾ .  
 قدراً : وأسهل وجوداً ، بالذي هو خير منه وأعلى قدراً ، وأعز وجوداً ؟ - يريد :  
 أتستدهون الأدون بدلاً من الأفضل : - اهبطوا مصرأ من الأمصار . وقريء بضم الباء  
 أي : انحدروا إليه من التيه . يقال : «هبط الوادي» إذا نزل و«هبط منه» إذا خرج .  
 وبلاد التيه ما بين بيت المقدس إلى قنسرين ، وهي إثني عشر فرسخاً في ثمانية  
 فرسخ .

ويحتمل أن يراد به العلم ، وإنما وقع منصرفاً مع اجتماع السببين - التعريف  
 والتأنيث - مع سكون وسطه<sup>(١)</sup> . كقوله : نوحاً ولوطاً - وفيهما العجمة والتعريف .  
 فإن أريد به البلد فما فيه لإسبب واحد .

وفي مصحف عبدالله ، وقرء به الأعمش<sup>(٢)</sup> : «اهبطوا مصر» بغير تنوين .

كقوله : ﴿وَادْخُلُوا مِصْرَ﴾ [٩٩/١٢] .  
 مركز تحقيق كالمؤيد علوم إسلامي

• • •

واختلفوا في قوله : ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ فروي عن ابن مسعود وأبي بن كعب  
 ترك التنوين ، وقال الحسن : «الف» في مصرأ زيادةً من الكاتب<sup>(٣)</sup> . فحينئذ تكون  
 معرفة - فيجب أن يحمل على ما هو المخصص بهذا الاسم ، وهو البلد المعروف الذي  
 كان فيه فرعون .

وأما الذين قرءوا بالتنوين فقد اختلفوا . فمنهم من قال : البلد الذي كان فيه  
 فرعون ، وانصرافه لما مرّ وقال الآخرون : أي بلد كان . فإن السدي سألتهم من هذه  
 الأمور يوجد في الأمصار

(١) الظاهر ان الأصح : « لسكون وسطه » كما في تفسير الفخر الرازي .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٥٤٥/١ .

(٣) تفسير الفخر الرازي : « من الكتاب » .



## إشارة

## [ قَرَبُ أَحْوَالِ الْقَوْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ]

قد تقرّر أنّ الغذاء شبيه بالمتنّدي ، ومن ههنا أيضا يعلم مع القرّائين الأخر-  
 كعبادتهم العجّل ، وكونهم أربعين سنة في الصحراء ، وكون أبدانهم قابلة لأن  
 يفرض منها أجزاءها بالمقاريض من غير أن يجرح لضخامة أبدانهم ، وكون أثوابهم  
 كالجلود كانت تزيد بزيادة قدهم ، وغير ذلك - إنّ قوم بني إسرائيل كانت خارجة  
 في المزاج عن عرض المزاج الإنساني الذي نشأ في مابعد زمانهم ، وكانت طبائهم  
 قريبة الشبه من طبائع الأنعام ، وأغذيتهم كأغذيتها مما تنبت الأرض من قشور  
 أغذية وكثافتها ونخالتها ، كاللّف والتبن ، لا من لُبّوها ولطافتها كالحبوب والأدهان  
 والدسومات والحلاوات التي يختصّ بالتنّدي بها الإنسان دون غيره من الحيوان .  
 ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى في تشبيههم بالحمّار: ﴿مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا آثَرَهُمْ﴾  
 ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴿ [٥/٦٢] .

## فصل

واختلف في سؤالهم هذا : هل كان معصية ؟ فقيل : لم يكن معصية ، لأنّ  
 الأوّل كان مباحاً ، فسألوا تبديله بمباح آخر . وقيل : بل كان معصية لأنهم لم يرضوا  
 بما اختاره الله لهم ، ولذلك ذمهم . وهذا أوجه .  
 وربما رُحج الأوّل بأنّه لو كان السؤال معصية لكانت الإجابة إليه معصية ،  
 وهي غير جائزة على الأنبياء ﷺ .  
 والجواب : لا نسلم أنّ موسى ﷺ دعا ربه لإجابة مسؤلهم عنه . بل لما  
 أبوا شيئاً اختار الله لهم أعطاهم عاجل ما سألوا ، كما في قوله : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
 حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [٢٠/٤٢] .

ثم اختلف في الأمر في قوله : ﴿ اهبطوا ﴾ للوجوب ، أو للندب ، أو للتخيير؟ والظاهر أنه للتخيير والإباحة . يعني : إذا لم تصبروا على ما هو خير لكم اهبطوا مصرأ فإن ما سألتهم يوجد في الأمصار .

أما قوله : ﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ ﴾ أي : صارت محيطة بهم ، مشتملة عليهم ، كالتبّة المضروبة على جماعة . أو لزمتهم ضربة لازم ، كما يضرب الطين على الحائط ، فيلزمه . ولأجل هذا يكون اليهود أذلاء صاغرين ، أهل مسكنة وخسة . إما في الحقيقة ، وإما لتفاقرهم وتصاغرهم خيفة أن يضاعف عليهم الجزية .

ومن العلماء من عدّ هذا من معجزات نبينا ﷺ ، لأنه أخبر من ضرب الذلّة والمسكنة عليهم ، ووقع الأمر على طبق ما أخبره ، فكان هذا إخباراً عن الغيب ، فيكون معجزاً .

وأما الاستدلال بهذه الآية على فضيلة الأغنياء على الفقراء ، - لأنه تعالى ذمهم على الفقر - فغير موثّق ، لأن المراد به خسة الذات وفقر القلب وهو ان النفس . لأن كثيراً يوجد في اليهود مياسير وتمعولين ، ولكن لا يوجد يهودي غني القلب مترفع النفس . قال النبي ﷺ (١) : « الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ » .

وقوله ﴿ وَبَاغُوا بِغَضَبِ مَنْ أَلَّهِ ﴾ أي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله ، قد نزل بهم العذاب ، ووجب عليهم الغضب ، ونحلّ بهم السخط ، لكونهم أحقّاء بذلك ، فبدل الله اليهود بالعزّ ذلاً ، وبالنعمة بؤساً ، وبالرضاء عنهم غضباً عليهم جزاء بما كفروا بآياته ، وقتلوا أنبياءه ﷺ . وكفرهم بآيات الله عبارة عن جحودهم حجج الله وبيّناته وانكارهم لما رأوا من الدلائل الباهرة ، والشواهد الظاهرة .

وقيل أراد بـ « آيات الله » مافي التورية والإنجيل والقرآن .

(١) الجامع الصغير (٢/١٣٥) : ليس الغنى عن كثرة العرش ، ولكن الغنى غنى

وقيل : آيات الله صفة محمد ﷺ .

وقوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أي : بغير جرم كزكريا ويحيى

وغيرهما .

## فصل

في هذه الآية سوالات :

أحدها : لِمَ وقع تقييد القتل بكونه بغير الحق ، وقتل النبي لا يكون إلا بغير

الحق ؟

والجواب من وجهين : الأول أن هذا خرج مخرج الصفة اللازمة إشعاراً

باللزوم ، كما في قوله [تعالى] : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ ﴾ [١١٧/٢٣]

ومعناه : أن ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان . وأمثاله كثيرة في كلام العرب .

والثاني : أن الإتيان بالباطل قد يكون الاتي به اعتقده حقاً لشبهة وقعت له في

قلبه ، وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلاً . ولا شك أن هذا القسم أقبح .

وثانيها : قوله : ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾ داخل تحته قتل الأنبياء ، فلم أهاد كرامة أخرى ؟

والجواب : إن الكفر بآيات الله معناه هو الجهل بها ، والجحود والإنكار لها ،

فلا يدخل تحته قتل الأنبياء .

وثالثها : كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الأنبياء ؟

والجواب : إنما جاز ذلك لينال أنبياء الله من رفيع الدرجات وسنى المقامات

ماليئالونه بغير القتل ، وليس ذلك بخذلان لهم . كما أن التخلية بين المؤمنين

والأولياء وبين قاتليهم ليست بخذلان لهم .

ورابعها : أن الحق وقع مرفأ في هذه الآية وبغير التعريف في آل عمران -

وهو قوله [تعالى] : ﴿ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾ [٢١/٣] ؟

والجواب : إنَّ الحقَّ المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ، كما في قوله ﷺ (١) « لا يحلّ دم امرء مسلم إلّا بإحدى معان ثلاثة : كفر بعد إيمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حقّ » . فالحقّ المذكور بلام التعريف إشارة إلى هذا . وأمّا الحقّ المنكر غيره . ففيه تأكيد . أي : لم يكن هناك حقٌّ ، لا هذا المعروف بين المسلمين ولا غيره أصلاً .

### فصل

وأمّا قوله ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ أي : ذلك الغضب وضرب الذلّة والمسكنة لأجل عصيانهم واعتدائهم في السبت .  
وقيل : المراد اعتدائهم في قتل الأنبياء فهو تأكيد لتكرير الشيء بغير لفظه الأول ، وهو كقول الرجل لعبدته - وقد احتمل منه ذنباً سابقاً فعاقبه عند آخرها - : « هذا بما عصيتني ، وهذا بما خالفت أمري ، وهذا بما تجرئت عليّ وهذا بكذا » فيعدّ عليه ذنوبه المختلفة ، أو يعدّ عليه ذنوبه بألفاظ مختلفة تبكيتاً .  
ومعنى الاعتداء هبنا : الظلم والتجاوز عن الحقّ إلى الباطل .

### فكّة:

واعلم أنّ درجات المعصية متفاوتة ، أقواها الكفر بالله وبعده الكفر برسوله وأنبيائه ، وبعدهما الظلم من أحد على نفسه ، وبعدهما الظلم على غيره .  
فاعلم أنّه لما ذكر سبحانه إنزال العقوبة بهم ، بين سبب ذلك ، فبدأ أولاً بما فعلوه في حقّ الله ، وهو جهلهم بآياته ، وكفرانهم لنعمة . ثمّ ثنّاه بما يتاوه في العظم وهو قتل الأنبياء . ثمّ ثلّثه بما كان يصدر منهم من المعاصي التي تخصّهم - ثمّ ربّع ذلك بما يصدر منهم - من المعاصي المتعدّية إلى الغير مثل الاعتداء في السبت وغيره - وذلك في غاية حسن الترتيب .

قوله جلّ اسمه :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِئِينَ مَنْ  
ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

﴿ هَادُوا ﴾ بضم الدال . وقرئ بالفتح .  
والقراءة المعروفة في ﴿ الصَّابِئِينَ ﴾ وكذا ﴿ الصَّابِثُونَ ﴾ بإثبات الهمزة  
في كل القرآن . وعن نافع والزهري بترك الهمزة . وعن أبي جعفر بيئين خالصتين  
فيهما . وترك الهمزة يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون من « صبا ، يصبو » أي :  
مال إلى الشيء . والآخر : قلب الهمزة ياء .

واختصار الهمزة أولى ، لأنه قراءة الأكثر ، ولأنه أقرب إلى معنى التفسير ،  
لأن أهل العلم قالوا : الصابي هو الخارج من دين إلى دين لم يشرع له ، فمن قرأ  
بغير الهمزة فيحمل على قلب الهمزة .

واختلف في اشتقاق اسم « اليهود » . فقيل : هو من « اليهود » أي : التوبة  
لتوبتهم من عبادة العجل . وقيل : إنما سموا بذلك لانتسابهم إلى « يهودا » أكبر  
أولاد يعقوب . وقيل لأنهم هادوا - أي : مالوا - عن دين الإسلام . وقيل : لأنهم  
يتهودون - أي يتحرّكون - عند قراءة التوراة ، ويقولون : « إن السموات والأرض

تحرّكت حين آتى الله موسى عليه السلام التوراة . واليهود اسم جمع واحد هم «يهودي» كالزنج والزنجي .

و ﴿النَّصَارَى﴾ جمع نصران ، كسكران وسكاري . ومؤنثه : « نصرانة » والياء [ في نصراني ] <sup>(١)</sup> للمبالغة . واختلفوا في اشتقاقه . فمن ابن عباس : هو من « ناصرة » قرية كان يسكنها عيسى عليه السلام . وقيل : إنما سموا بذلك لقوله عليه السلام : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [٥٢/٣] .

و ﴿الصَّابِثُونَ﴾ جمع الصابي . وهو من انتقل من دين إلى دين آخر . قال أبو علي [ قال أبو زيد ] <sup>(٢)</sup> : صبأ الرجل في دينه يصبو صبوءاً إذا كان صابئاً . وصبأ ناب الصبي ، يصبأ صبأ : إذا طلع . وصبأت عليهم إذا طلعت عليهم وطرأت مثله . فمعنى الصابي التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره ، كما أن الصابيء على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها ، لأنهم تركوا دين التوحيد إلى عبادة روحانيات النجوم وملائكة السموات ، أو تعظيمها وجعلها وسائل وشغعاء لهم إلى الله . وقال قتادة <sup>(٣)</sup> : وهم قوم معروفون ، ولهم مذهب يتفردون به ، ومن دينهم عبادة النجوم ، وهم يقرؤون بالصانع وبالمعاد ، وبعض الأنبياء . وقال مجاهد والحسن : الصابثون بين اليهود والمجوس لادين لهم . وقال السدي : هم طائفة من أهل الكتاب يقرءون الزبور . وقال الخليل : هم قوم دينهم شبيه بدين النصاري ، إلا أن قبلتهم نحو مهبط الجنوب حيال منتصف النهار ، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام .

وعامة الفقهاء يجيزون أخذ الجزية منهم ، وعند أصحابنا الإمامية لا يجوز ذلك لأنهم لا كتاب لهم .

(١) الإضافة من الكشاف : ٢١٩/١ .

(٢) الإضافة من مجمع البيان : ١٢٦/١ .

(٣) مجمع البيان : ١٢٦/١ .

## المعنى :

واعلم ان من عادة الله الرحيم بعباده إذا ذكر وعيدا عقبه بضده لئلا يئس عباده من رحمته ، وإذا ذكر آية رجاء عقبها بآية الخوف لئلا يأمن عباده من مكر الله . فبهينا لما ذكر أحوال كفر أهل الكتاب وما نزل بهم من العقوبة أنخبر بما وعد للمؤمنين من كل طائفة من الثواب الجزيل والأجر العظيم ، دالاً على أنه سبحانه كما يجازي المسيء باسائه يكافئ المحسن بإحسانه ، كما قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [٣١/٥٣] فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .

واختلفوا في المراد منهم <sup>(١)</sup> . فقال قوم : هم الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ، ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يتصبأوا ، وانظروا خروج محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل هم طلاب الدين ، منهم : حبيب النجار ، وقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، والبراء الشني ، وأبو ذر الفقاري ، وسلمان الفارسي ، وبحيرا الراهب ، ووفد النجاشي . آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبثته . فمنهم من أدركه وتابعه ، ومنهم من لم يدركه .

وقيل : مؤمنوا الأمم الماضية . وقيل : هم المؤمنون من هذه الأمة .

وقال السدي : هو سلمان الفارسي وأصحابه النصاري ، الذين كانوا [ ظ : كان ] قد تنصروا على أيديهم قبل مبث الرسول ، وكانوا قد أنخروه بأنه سيبعث ، وانهم يؤمنون به إن أدركوه .

وسبب هذه الإختلاف قوله تعالى في آخر الآية : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ﴾ فإن ذلك يقتضي ان المراد من الايمان في أول الآية غير المراد به في آخرها  
ونظير هذا قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ﴾ [١٣٦/٤] .

والأجود أن يكون معنى الايمان في الأوّل الايمان الظاهري المعروف بين الأمة ، ومعناه في الثاني هو الايمان الحقيقي الذي هو عبارة عن عرفان الله بوحديته وصفاته الإلهية وأفعاله المحكمة ، وعرقان اليوم الآخر ، وحقيقته رجوع الأشياء إليه ، وحشر الإنسان إلى الدار الآخرة - كل ذلك على وجه اليقين والتحقيق .

وهذا أمر في غاية العزّة والشرف ، وقلّ من المعروفين بالايمن من تصوّر هذه الأشياء ، تصوّراً حقيقياً ، أو بوجه خاصّ رسمي . والقرآن مشحون بالإشعار بما ذكرناه ، كقوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [ ١٠٦/١٢ ] وقوله : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [ ١٠٣/١٢ ] وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا ﴾ [ ١٣٦/٤ ] .

فالايمن الحقيقي غير الايمان الظاهري المجازي . فعلى هذا لاجابة إلى حمل قوله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ على غير طائفة أهل هذه الملة الإسلامية ، بل هذه الأقوال لو ذكرت في قوله : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ لكان أولى بأن يقال : من الذين هم مؤمنوا بني إسرائيل ، ومن هم مؤمنوا قوم عيسى عليه السلام ، ومن مؤمنوا جماعة الصابئين ومن المؤمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء الطوائف ، سواء كانوا في سابق الزمان قبل ظهور الإسلام ، أو في عهد الإسلام . ولكن الايمان بهذا المعنى الحقيقي أمر باطني لا يعرف الموصوف به إلا الله وأنبيائه وأوليائه عليهم السلام .

ويؤيد هذا التفسير قول سفيان الثوري ، حيث نقل صاحب الكبير عنه (١) : أنه تعالى لما ذكر في أول هذه السورة طريقة المنافقين ، ثمّ طريقه اليهود . فالمراد من قوله : [ تعالى ] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هم الذين يؤمنون باللسان دون القلب ، وهم المنافقون . فذكر المنافقين ، ثمّ اليهود والنصارى والصابئين . فكأنه تعالى قال : « أولئك المبطلون كلّ من أتى منهم بالايمن الحقيقي صار من الفائزين عند الله



بالأجر العظيم» .

ومن ههنا يعلم إن المقصود الأصلي من بعثة الأنبياء وإنزال الكتب هو الإيمان بالمبدء والمعاد ، مع العمل الصالح ، حتى لو فرض أحد لم يكن يرى نبياً من الأنبياء ولم يصل إليه خبره ، أو كان في أزمته الفترات ، وهو مع هذا عالم بالله واليوم الآخر ، عامل بالعمل الصالح ، لكان من السعداء الناجين .

وروي عن ابن عباس <sup>(١)</sup> أن هذه منسوخة بقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [٨٥/٣] . وهذا بعيد لأن النسخ لا يجوز أن يرد على الخبر الذي هو متضمن للوعد . وإنما يجوز دخوله في الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها وتبديلها بتغيير المصلحة ، فالأولى أن يمنع صحة هذا النقل عن ابن عباس .

وذهب بعضهم إلى أن حكم الآية ثابت . والمراد بها : إن الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين إذا آمنوا بعد النفاق ، وأسلموا بعد العناد كان لهم أجرهم عند ربهم ، كما آمن في أول استدعائه إلى الإيمان من غير نفاق ولا عناد ، لأن قوماً من المسلمين قالوا : « إن من أسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه أنقص ، وأجره أقل » فأخبر الله بهذه الآية أنهم سواء في الأجر والثواب .

## فصل ٥

قوله : ﴿ بِاللهِ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ آمِنُوا ﴾ أي : آمِنُوا بتوحيد الله وعلمه وقدرته وسائر صفاته الكمالية ، وصفاته التقديسية وعدله وحكمته .

وقوله : ﴿ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أي : بيوم القيامة والبعث والنشور والحساب والكتاب والجنة والنار ، وقوله : ﴿ عَمَلٍ صَالِحاً ﴾ أي : عمل مابيه يصلح لدخول الجنة والقرب من الله من الطاعات والمبادات . وإنما لم يذكر ترك المعاصي لأن

تركها من جملة الأعمال الصالحة .

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: جزاؤهم معدّ وموجود لهم . وهذا يدلّ على أنّ الأجر والثواب من النتائج اللازمة والغايات التابعة للإيمان والعمل الصالح ، كما أنّ الألم والعقاب من لوازم الكفر والمعاصي .

وقوله : ﴿لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ماضى تفسيره . وقيل معناه : لاخوف عليهم فيما قدّموا ، ولاهم يحزنون على ما خلفوا . وقيل : لاخوف عليهم في العقبى ، ولاهم يحزنون على فوات الدنيا .

## فصل [ ماهو الايمان ؟ ]

اعلم انّ هذه الآية دالة على أنّ الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب ، لأنّه تعالى قال : ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ثمّ عطف عليه بقوله : ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ والعطف يدل على المغايرة . ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفصل فقد ترك الظاهر بلا حجة ، وكلّ موضع يذكر فيه أمر ثمّ يذكر فيه ما يدخل تحته فهو محمولٌ على التوسّع والمجاز . مثل قوله تعالى : ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ [٦٨/٥٥] وقوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ وغيرهما [٧/٣٣] ولو لم يحمل على المجاز لقلنا : انه ليس بداخل في الأوّل .

واعلم أنّ من اعتبر في الايمان عمل الأركان كأنه رأى أنّ الايمان من لوازمه غالباً اتيان العمل الصالح ، أو أراد بالايمان الايمان الظاهري ، فمن ادعى الايمان وترك الصلوة والزكوة والحجّ وغيرها فلا يعدونه من جملة المؤمنين لكن الايمان الحقيقي يمكن أن يتحقّق بدون العمل ، كمن استبصر وتنور قلبه بنور العرفان وقضى نجهه مقارناً بإيمانه ، فهو مؤمنٌ عند الله حقاً .

قوله جلّ اسمه :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا  
مِائَةَ آيَاتِنَا مِن قُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

« الميثاق » مفعال من الوثيقة إما يمين أو بعهد أو غير ذلك في الوثائق [ ظ : من الوثائق ] كالعقل والفطرة .  
« الطور » في اللغة : الجبل . وقيل : اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس . وهذا هو الأقرب ، لأنّ لام التعريف حملة على معهود عرف كونه مسمّى بهذا الاسم . والمعهود هو الجبل الذي وقعت المناجاة فوقه ، فقد يجوز أن ينقله الله إلى حيث هم ، فجعله فوقهم وإن كان بعيداً منهم ، لأنّ القادر على أن يجعل الجبل فوق الهواء قادر على قلبه ونقله من موضع بعيد إليهم . وسيجيء إعادة الكلام في تحقيق هذا المرام .

وقال ابن عباس : أمر الله جبلاً من جبال فلسطين ، فانقلع من أصله حتى قام فوقهم كالظلّة ، وكان المعسكر فرسخاً في فرسخ (١) .

و ﴿ القُوَّة ﴾ ههنا بمعنى القدرة . وهي في الأصل يقال لبدء التغيّر في شيء آخر من حيث هو آخر . سواء كان فعلاً أو إنفعالاً . وقد يقال لما به يمكن أن يصدر

عن الشيء فعل أو انفعال وأن لا يصدر . وهي بهذا المعنى يقابل الفعل بمعنى الحصول والتحقق . وقد يفسال لما به يكون الشيء غير متأثر عن مقاوم ، ويقابله الضعف والوهن . والقوة الفعلية إذا كانت مع شعور وإرادة تسمى قدرة ، وهي المراد ههنا .  
واعلم إن أكثر المتكلمين على أنه ليست قدرة إلا لما من شأنه الطرفين : الفعل والتترك . وأما الفاعل الذي يدوم فعله - وإن كان بمشيئته - فهم لا يسمونه قادراً والحق خلافه . فإن من فعل بمشيئة وإرادة فيصدق عليه أنه لو لم يشأ لم يفعل ، سواء اتفق عدم المشيئة ، أو لم يتفق . لأن صدق الشرطية لا يتوقف على تحقق طرفيها<sup>(١)</sup> .  
واعلم أن القوة الفعلية قد يكون مبدء الوجود ، وقد يكون مبدء التغير ، والإلهيون من الحكماء إنما يعنون بالفاعل مبدء الوجود ، والطبيعيون يعنون به مبدء التحريك . والأحقّ باسم الفاعل من يطرد العدم بالكلية عن الشيء بالكلية ، وما هو إلا الواحد الذي بقوته أخرج الأشياء من اللبس المطلق إلى الأيس . وأبدع الأشياء من غير مثال . وأما الذي جعله الله واسطة للتهيؤات والاستعدادات ، فالأولى أن لا يسمّى بالفاعل ، لكن بالمجرّك والسائق وما يجري مجراهما .

#### المعنى :

ثمّ عاد إلى خطاب بني إسرائيل بذكر إنعامه عليهم . وهذا هو الإنعام العاشر من الإنعامات الواقعة عليهم . فقال : اذكروا ﴿ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ أي : عهدكم . والمفسرون اختلفوا في المراد من هذا الميثاق ماهو ؟ فذكروا وجوهاً :  
الأول أنه ما أودع في العقول وارتكز في الفطر من الدلائل على وجود الصانع وقدرته وحكمته وما نصّب لهم من الحجج الواضحة ، والبراهين الساطعة على ذلك وعلى صدق الأنبياء والرسل عليهم السلام . وهذا النوع من الميثاق أقوى الموثيق والمعهود ،

(١) راجع تفصيل الكلام في الأسفار الأدبية : الموقف الرابع من السفر الثالث ٦/٣٠٧

لأنها لا تحتمل الخلف والنقص والتبدل بوجه ألبتة .

والثاني ان المراد به الذي أخذه الله على النبيين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ الآية [٨١/٣] .

الثالث : ما روي عن عبدالله بن عوف بن أسلم<sup>(١)</sup> ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالألواح قال لهم : « ان فيها كتاب الله وحكمته ، فخذوها » قالوا : « لن نأخذ بقولك حتى نرى الله جهرة فيقول : هذا كتابي » فأخذتهم الصاعقة فماتوا . ثم أحياهم ، ثم قال لهم بعد ذلك : « خذوا كتاب الله » فأبوا . فرفع فوقهم الطور وقيل لهم : « خذوا الكتاب والأطرحناه عليكم » فأخذوه .

فرفع الطور هو الميثاق . وذلك لكون رفعه آية باهرة عجيبة توجب الانقياد من التكذيب إلى التصديق . ومن الشك إلى اليقين . فأقرؤا لموسى عليه السلام لأجله . مضافاً إلى سائر الآيات . بالتصديق ، والله بالعبودية والطاعة ، واعطوا العهد والميثاق أن لا يعودوا إلى ما كانوا من عبادة العجل ، وأن يقوموا بالتوراة . فأخذوا التوراة وسجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل ، فين ثم بسجد اليهود على أحد شقي وجوههم .

وهذا هو معنى أخذ الميثاق ، لأنه عهد موثق جعلوه لله . وكان في حال رفع الجبل فوقهم ، لأن في هذه الحال قيل لهم : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ يعني : التوراة بقوة ، أي : بجد و يقين لا شك فيه . وهو قول ابن عباس والسدي .

وقريب منه ما روى العياشي انه سئل جعفر الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى : ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أبقوة من الأبدان ، أو بقوة القلوب ؟

(١) الظاهر ان الصحيح : « عبدالرحمن بن زيد بن أسلم » كما في تفسير الفخر الرازي

فقال : بهما جميعاً<sup>(١)</sup>.

وقيل : أخذه بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجدّة .

الرابع انّ الله ميثاقين على عباده : الأوّل حين أخرجهم من ظهر آدم ﷺ وأشهدهم على أنفسهم . الثاني انه ألزم الناس متابعة الأنبياء . والمراد ههنا هو هذا العهد . وهو قول ابن عباس . وعلى هذا يكون « الواو » في قوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ ﴾ للمطف ، وعلى تفسير غيره للحال .

قال القفال<sup>(٢)</sup> : إنّما قال : « ميثاقكم » ولم يقل موثيقكم لأنّه أراد به الدلالة على أنّ شيئاً واحداً أخذ من كل واحد منهم [ كـ ] ما أخذ من غيره . فلا جرم كان كلّ ميثاقاً واحداً . ولو قيل « موثيقكم » لاشتبه أن يكون هناك موثيق مختلفة أخذت عليهم - لاميثاق واحد - .

مركز تحقيق كامبوتر علوم اسلامی

وقوله : ﴿ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ الضمير في « فيه » يعود إلى الموصول - يعني التورية - أي : احفظوا ما في التورية وادرسوه من أحكام الحلال والحرام ولا تنسوه ولا تنقلوا عنه .

فإن قلت : هلاً حملتموه على معنى أصل الذكّر ؟

قلنا : لأنّ الذكّر الذي ضد النسيان هو من فعل الله ليس بإرادة العبد . فكيف يجوز الأمر به ، ولذلك حملناه على المذاكرة والمدارسة والمحافظة عليه .

(١) كذا في مجمع البيان (١٢٨/١) وفي المائس (٤٥/١) : « أمّوة في الأبدان ،

أمّ قوة في القلوب ؟ قال : فيهما جميعاً » .

(٢) تفسير الفخر الرازي : ٥٥١/١ .

## فصل

[ كيف يمكن رفع الجبل ؟ ]

من المتفلسفة من أنكرا إمكان وقوف مثل الجبل ونحوه من الأثقال في الهواء من غير دعامة ولا عماد . وأما مثل الصواعق وذوات الأذنان وغيرها مما فيه حرارة مصعدة ، أو أدخنة غليظة بقوة حرارتها تقاوم الهابط من الجو ، فيمكن وقوفها زماناً في الهواء . وكذا الأرض معلقة فيما بين الهواء لأنها متدافعة من جميع الجوانب لتكافؤ ثقل أطرافها ، فوقفت بطبعها عند المركز . بخلاف وقوف الجبل في الهواء إذ لا سبب له .

والجواب من وجهين : أحدهما أن أسباب وقوف الثقل في الهواء ليست منحصرة فيما ذكرتم من الدعامة أو الحرارة المصعدة أو تدافع الجوانب - أو ما يجري مجراهما - فإن هيهنا أسباباً إلهية سماوية أو نفسانية مقتضية لمثل هذه الأفاعيل الغريبة ، فإن للنفس أن تصعد الجسم الثقيل بمجرد الهمة والعزم .

ومن هذا القبيل وقوف الطير في جوار السماء . كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَاقَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُنْسِكُنَّ إِلَّا الرِّحْمُنُ ﴾ [١٩/٦٧] ومن هذا الباب صعود الحيوان إلى فوق بقوة نفسانية - لا بدعامة جسمانية - ومنه قلع باب خيبر ورفعه ، فإنه عليه السلام قال (١) : « قَلَعْتُهُ بِقُوَّةِ مَلَكُوتِيَّةٍ ، لَا بِقُوَّةِ جِسْمَانِيَّةٍ » فإن نسبة النفوس القوية العالية إلى غير بدنها من أجسام هذا العالم كنسبة سائر النفوس الضعيفة إلى بدنها ، فلا جرم أثرت همة نفس موسى عليه السلام بقوة استفادها من الله في رفع الجبل فوق قومه .

(١) في البحار (٢٦/٢١) عن أمالي الصدوق : أن أمير المؤمنين قال في رسالته إلى

سهل بن حنيف رحمه الله : « والله ما قلمت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية ، لكنني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة . . . »

وثانيهما أنّ للأجرام والأعظام نحوين من الوجود : أحدهما زجود مادي متعلق بمادّة واستعداد خاصّ . والآخر وجود صوريّ متعلّق بالفاعل غير متعلّق بمادّة قابلة للحركة والفساد .

والذي يراه الإنسان في هذا العالم ويشاهده بحسّه الظاهر على وجهين : أحدهما الشائع المتعارف الأكثرى ، وهو أن يأخذ الحسّ البصري صورة ما يراه وينتزعها من مادّته . والآخر أن ينحدر إلى حسّه من جهة الباطن - وهذا على سبيل النذرة - ومن هذا القبيل رؤية النبي ﷺ وأصحابه تمثّل جبرئيل عليه السلام بصورة دحية الكلبي ، وهذا باب من المعجزة . وقد يقع لبعض الكهنة وغيرهم من هذا القبيل رؤية بعض الأجسام بأسباب باطنية . ولهذا قد يصعب الفرق بين المعجزة والكهانة على النفوس العامة .

ومن وقف على حكاية الجوهرية رأى عجباً من هذا الباب ، حيث خرج بالعجين من بيته إلى الخبز ليطبخ له الخبز في القرن ، وكانت عليه جنابة ، فجاء إلى شطّ النيل ليغتسل ، فرأى - وهو في الماء - مثل ما يراه النائم ، كأنه تزوّج في بغداد ، وأقام مع المرأة ستّ سنين ، وأولدها أولاداً . ثمّ ردّ إلى حاله - وهو في الماء - ففرغ من غسله ، وخرج ولبس ثيابه وجاء إلى القرن وأخذ الخبز وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره .

فلما كان بعد أشهر جاءت تلك المرأة التي رأى أنّه تزوّجها في تلك الحالة تسأل عن داره ، فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرهم . وقيل لها : متى تزوّج ؟ فقالت : « منذ ستّ سنين ، وهؤلاء أولاده مني » . فخرج في الحسّ ما رآه في الباطن أولاً (١) .

(١) هذه الحكاية التي ذكرها المصنف - ربه - في مفاتيح الريب أيضاً (المشهد العشرون من المفتاح العشرون) أخذها من الفتوحات المكية (الباب الثالث والسبعون، السؤال الثاني =



وهذه إحدى المسائل الستة التي أوردها ذو النون المصري ، التي تحيلها العقول المتفلسفة ، والحكايات في هذا الباب كثيرة ذكرها يؤذي إلى الإطناب . فعلى هذا لم يبق شك في جواز رفع جبل طور فوق بني إسرائيل معجزة لموسى عليه السلام ، فقد خص الله أوليائه بقوى شريفة قوية نورانية يقوى على مثل هذه الأحكام . فلا ينكره إلا جاهل بما ينبغي للجناب الإلهي من الاقتدار .

وفي معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاية في هذا المقام مع خرقه للأفلاك ونفوذه في مسافاتها البعيدة التي قطعها في الزمان القليل . كما سنوضح لك في تفسير سورة الإسراء إنشاء الله تعالى .



مركز تحقيق كتاب توير علوم إسلامي

== (الستون: ٨٢/٢) والمراد من ذكرها التمثيل ودفع الاستغراب ، وإلا فالمعارف الإلهية لا يحتاج في إثباتها إلى أمثال هذه الأساطير .

## قوله عز اسمه

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾

هذه الآية من أرجى الآيات وأقواها دلالة على رحمته وتجاوزه عن سيئات عباده العاصين ، لأن وقوع قوله : ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ إلى آخره عقيب ذكر هذه القبائح الشنيعة ، والآثام الرديسة كعبادة العجل ، وكفران النعمة ، وجحود النبوة ، وإنكار المعجزات الجليلة الواضحة ، ونقض الميثاق المؤكّد من قبل الله ، وغير ذلك من صفات القلوب القاسية المظلمة - يدلّ على كمال رأفته وعفوه .

قال القفال (١) : قد يعلم في الجملة أنّهم بعد قبول التوراة ورفس الطور أعرضوا عن التوراة وتركوا العمل بها ونزلوا عنها بأمر كثيرة ، فحرّفوا التوراة ، وقتلوا الأنبياء ، وكفّروا بهم وعصوا أمرهم . ومنها ما عمله أوائلهم . ومنها ما فعله متأنخروهم ، ولم يزالوا في التيه مع مشاهدتهم الأعاجيب ليلاً ونهاراً يخالفون موسى عليه السلام ، ويعرضون ويلقونه بكلّ أذى ويجاهرون بالمعاصي في معسكرهم ذلك حتى أنّه خسف الأرض ببعضهم وأحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون . وكلّ هذا مذكور في تراجم التوراة التي يقرّون بها .

(١) تفسير الفخر الرازي : ٥٥٢/١ .

ثم فعل متأخروهم بالإخفاء به حتى هوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله . والقرآن وإن لم يكن فيه بيان ماتولوا به عن التوراة ، لكن الملة معروفة (١) .

وذلك إخبار من الله عن عناد أسلافهم ، فغير عجيب إنكارهم ما جاء به محمد ﷺ من الكتاب وبحودهم لحقته ، وقد ذكر تعالى من اوصافهم ما ذكر .

المعنى :

﴿ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بعد ما توليتم عن كتابه عقيب تلك الآيات والحجج ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ في الدنيا والآخرة . ولكن فضله ورحمته أمهلكم وأدامكم لترجعوا إلى التوبة وتعودوا إليه لعلكم تفلحون .

وقيل معناه : ﴿ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ بالتوبة بعد أن نكثتم الميثاق الذي واثقتموه ونبذتم العهد الذي أخذناه عليكم وراء ظهوركم ، إذ رفع فوقكم الطور ، وأنعم عليكم بالإسلام ﴿ وَرَحْمَتُهُ ﴾ التي رحمكم بها ، فتجاوز عنكم بمراجعتكم إلى طاعة ربكم ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وقال أبو العالية (٢) : فضل الله الايمان ، ورحمته القرآن ، فيكون معناه :

لولا إقداري لكم على الايمان وإزاحة عنتكم فيه لكانتم من الخاسرين .

وقيل معناه : ﴿ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ في رفع الجبل فوقكم للتوفيق . واللفظ الذي تبثم عنده حتى زال العذاب عنكم وسقوط الجبل عليكم ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ أي من الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنم .

ويحتمل أن يكون الخبر قد انتهى عند قوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾

(١) تفسير الفخر الرازي : فالجملة معروفة .

(٢) مجمع البيان : ١٢٨/١ .

ثم قيل : ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ رجوعاً بالكلام إلى أوله . أي : لولا لطف الله بكم في إظهار تلك الآيات من رفع الجبل وغيره لدنتم على ردكم الكتاب ولكنه تفضل عليكم ورحمكم ، فلطف لكم بذلك حتى تبتم .

## فصل

[ الخير من الله والشر ليس إليه ]

قد تقرر في الأصول العقلية إن الخير ذاتي له ، وهو المعبر عنه بالرحمة . والشور ليست من قبل الله بالذات ، بل لأجل قصور بعض الذوات عن قبول الخير والرحمة وانحرافها عن مسلك الهداية ، ولذلك قال تعالى : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [٧٩/٤]

فحينئذ لقائل أن يستشكل ويقول : إن كلمة «لولا» يفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره ، فهذا يقتضي أن انتفاء الخسران من لوازم فضل الله تعالى . فحيث حصل الخسران وجب أن لا يحصل هناك لطف الله ورحمته . وهذا يقتضي أن الله لم يفعل بالكافر شيئاً من اللطف والرحمة . وهذا يخالف ما حققه المحققون وما ذهب إليه بعض المتكلمين من أن لطف الله واجب ، واقع في حق المؤمن والكافر جميعاً .

والجواب المنقول من الكعبى <sup>(١)</sup> «أنه تعالى سوى بين الكل في الفضل ولكن بعضهم انتفع به دون بعض ، فصح أن يقال ذلك كما يقول القائل قد سوى زيد بين أولاده في العطيّة فانفع بها بعضهم : «لولا أن أباك فضلك لكنت فقيراً» <sup>(٢)</sup> وضعتّه صاحب الكبير <sup>(٣)</sup> بأن «أهل اللغة نصّوا على أن لولا يفيد انتفاء الشيء

(١) تفسير الفخر الرازي : ٥٥٣/١ .

(٢) كذا . والظاهر أن الصحيح ما جاء في تفسير الفخر الرازي : كما يقول القائل

لرجل وقد سوى بين أولاده في العطيّة فانفع بعضهم : لولا أن أباك فضلك لكنت فقيراً .

لثبوت غيره ، وهو يقتضي انتفاء في نفسه - لعدم الانتفاء به مع ثبوته . فكلام الكعبي ساقط .

والذي به ينحل الإشكال أن يقال : إن الله فعله من قبله غير مختلف . فالخير نازل من عنده ، والجود مبذول ، والرحمة واحدة بالنسبة إلى الخلق أجمعين لا تبديل لسنة الله . ولكن الوصول مختلف ، لاختلاف الغرائز والفطر لطافة وكثافة ، وسعة وضيقاً . كالمعلم يفيد تعليماً واحداً ويختلف غرائز المتعلمين في قبول ذلك العلم ، لتفاوت غرائزهم في الذكاء والبلادة ، والاستقامة والاعوجاج ، والشمس شأنها في التنوير واحد ، ومواضع الأرض مختلفة في قبول الضوء .

ففعل الله ولطفه في المؤمن كفعله ولطفه في الكافر . لكن قلب المؤمن أبيض وأجرد ، وقلب الكافر أسود وأكدر . ولفظ الجود واللفظ والكرم - وما يجري مجراها - قد يراد بها ما عند الفاعل ، وقد يراد بها ما عند القابل ، والذي عند الفاعل واحد لا يختلف . والذي عند القوابل مختلفة .

فمن قال : « إن لطف الله شامل للمؤمن والكافر » أراد به أنه تعالى لا يمسك من جوده ولطفه على أحد . ولم يرد « ان لطفه واصل حاصل عند الكافر ، ومع ذلك لا ينتفع به » . لأن ذلك محال ، كما أن يقال : « ان ضوء الشمس موجود في سطح من الأرض ، ولكن ليس بمستضيء » أو « أثر حرارة النار موجود في جسم كذا ، ولكن ليس بمستسخن » . ولا شك في بطلانه . فكذا ما نحن فيه .

فعلم ان الخير مبذول ، والرحمة فائضة ، واللفظ شامل . ألا ترى إلى قوله تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَأْتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [٥٦/٢٨] مع أن شأنه الهداية ﴿ إِنَّكَ لَأَنْتُمْ أَلْمُوتَى وَلَا تَسْمِعُ أَلْصَّمُ أَلدُّعَاءَ ﴾ [٥٢/٣٠] أنك لا تسمع من في القبور <sup>(١)</sup> - مع أن شأنه الإسماع .

(١) يشير إلى قوله تعالى : وما أنت بسمع من في القبور (٢٢/٣٥) .

قوله جل اسمه

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ  
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾

﴿اعْتَدُوا﴾ أي ظلموا وجاوزوا ما حد لهم .

و ﴿السَّبْتُ﴾ من أيام الأسبوع . قال الزجاج : السبت قطعة من الدهر يسمي به ذلك اليوم . وقال أبو عبيدة : سمي بذلك لأنه يوم سبت به خلق كل شيء ، أي قطع وفرغ . وقال قوم : إنما سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه ، أي يقطعون فيه الأعمال . وقال آخرون : سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة . لأن أصل السبت هو السكون والراحة . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [٩/٧٨] ويقال للنائم « مسبوت » لاستراحته وسكون جسده .

والخاسي : البعيد المطرود : يقال للكلب إذا دنا : « إخصاً » أي : تباعد ، وانصرف صاغراً .

والكلام فيه حذف مضاف ، كأنه قال : « ولقد علمتم اعتداء من اعتدوا في السبت » ليكون المذكور من العقوبة جزاء لاعتدائهم ، لأن الجزاء يكون للفعل لالذات .

\*\*\*

وحقيقة الاعتداء غير مذكورة ههنا . والذي يدل عليه اللفظ ههنا أنه كان أمراً محرماً فعله في السبت . وتفصيله مذکور في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ الآية [١٦٣/٧] .

وعن ابن عباس<sup>(١)</sup> : إن هؤلاء القوم كانوا في زمن داود عليه السلام بـ « ايلة » على ساحل البحر بين المدينة والشام ، وهو مكان من البحر يجتمع إليه الحيتان من كل أرض في أشهر<sup>(٢)</sup> من السنة ، حتى لا يرى الماء لكثرتها ، وفي ذلك الشهر في كل سبت خاصة . فحفرُوا حياضاً عند البحر ، وشرعوا إليها الجداول ، فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الأحد ، فذلك الحبس في الحياض هو اعتدائهم في السبت ، ثم إنهم أخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة ، فلما طال العهد عليهم ونشأت الأبناء فعلت بسنة الآباء واتخذوا الأموال ، فمشى إليهم طوائف من أهل المدينة الذين كرهوا الصيد في السبت ونهوهم فلم ينتهوا وقالوا : « نحن في هذا العمل منذ زمان ، فما زادنا إلا خيراً » فقبل لهم : « لا تغتروا فربما نزل بكم العذاب والهلاك » فأصبح القوم وهم قردة حاسئين [ ظ : حاسئون ] فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

وعن ابن عباس أيضاً<sup>(٣)</sup> : وكانوا يتعاونون [ وبقصوا ] ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ، فأهلكهم الله تعالى ، وجاءت ريح فهبت بهم ، وألقتهم في الماء ، ولم يتناسلوا وما مسخ الله أمة إلا أهلكتها .

فهذه القردة ليست من نسل أولئك الممسوخين . واجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والخنازير من هو من أولاد آدم ، ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم . خلافاً لأهل التناسخ . فانهم زعموا أن من الحيوانات - كالكلب والخنزير والقردة ما هو من أولاد الناس الممسوخين .

ومنهم من زعم أن جميع الحيوانات نشأت من الإنسان . قالوا : أنه باب

(١) تفسير الفخر الرازي : ٥٥٣/١ .

(٢) تفسير الفخر الرازي : في شهر من السنة .

(٣) مجمع البيان : ١٢٩/١ .

الأبواب . كل نفس تعلقت أولاً ببدن إنسان ، فإن استكملت بالعلم والعمل تجردت إلى عالم الملكوت . والآن انتقلت إلى بدن حيوان تناسبه في الخلق ، وترددت في الأبدان إلى أن يزول عنها الهيئات ، فنجت إلى ذلك العالم .

\* \* \*

والغرض من ذكر هذه القصة - والله أعلم - أمران : أحدهما معجزة رسول الله ﷺ ، لأنه لم يخالط القوم ولم يقراء الكتب . فدل ذلك على أنه عرف من الوحي . والثاني الإنذار والتخويف ، لئلا يفتروا أحد بالإمهال والتأخير في إنزال العقوبة وقوله : ﴿ قِرْدَةٌ خَاسِئِينَ ﴾ قال صاحب الكشاف : « هما خبران . أي : كونوا جامعين بين القرديّة والخسوف . وهو الصغار والطرد » .

### مركز تحقيق علوم إسلامي

واعلم ان الأمر من الله على ضربين : تشريعي - وهو المعروف ، كقوله [ تعالى ] : ﴿ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [ ١١٩/٩ ] - وتكويني ، كقوله : ﴿ كُنْ فَيَكُون ﴾ [ ١١٧/٢ ] . والمراد ههنا المعنى الثاني . لأنهم ما كانوا قادرين على أن يقلّبوا أنفسهم على صورة القردة ، فيكون أمراً تكويمياً .  
ومن هذا القبيل كلمة الله قد يكون ألفاظاً ، وقد يكون ذاتاً جوهرية . كقوله : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقِيَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [ ١٧١/٤ ] وقد مرّ في المفاتيح<sup>(١)</sup> تحقيق الكلمة والكلام ممّا لا مزيد عليه .

(١) راجع القائمة الثالثة من المفاتيح الأول .



## فصل ٥

[ هل الآية تنفى القول بمطالان التناسخ ؟ ]

وهي هنا بحث عقلي وهو أن التناسخ ممتنع بالبراهين القوية كما أوردنا في الكتب الحكمية . فهينا إن كانت النفس باقية والصورة متبدلة فهو بعينه التناسخ - وهو محال كما عرفت - وإن كان الشخص الذي كان إنساناً قد عُدَّم ووجد شخص من القردة ، فكان إهلاكاً للبعض من الناس وإحداثاً للبعض من القردة .

وقد يدفع الإشكال بما روي عن مجاهد<sup>(١)</sup> أنه سبحانه مسخ قلوبهم - بمعنى الطبع والختم - لانه مسخ صورهم ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [٥/٦٢] ونظيره أن يقول الأستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجح فيه تعليمه : « كُنْ حماراً » .

واحتج على امتناعه بأمرين : الأول أن الإنسان هو هذا الهيكل المشاهد والبنية المخصوصة المحسوسة : فإذا أبطها الله وخلق في تلك الأجسام تركيب القرد وشكله ، كان ذلك إعداماً للإنسان وإيجاداً للقرد . وكان حاصل المسخ على أنه تعالى أعدم الأعراض التي باعتبارها كانت تلك الأجسام إنساناً وخلق فيها الأعراض التي باعتبارها كانت تلك الأجسام قرداً . وبالجملة يكون إعداماً وإيجاداً - ولا يكون مسخاً . الثاني : لو جاز ذلك لما آمنتنا في كل ما نراه قرداً أو كلباً أو خنزيراً أنه كان إنساناً عاقلاً . وذلك يفضي إلى الشك في المشاهدات .

وكلا الوجهين في غاية السخافة ، ولا يدفع بهما إمكان التناسخ . أما الأول : فلأن الإنسان ليس عبارة عن الهيكل والشكل المحسوس ، إذ كثيراً ما يتبدل الهيكل بالنمو والذبول ، والسمن والهزال . والشخص بعينه باق

لا يتبدل ، والباقي غير الزائل . فالإنسان وراء هذا الهيكل ، سواء كان أمراً جسمانياً سارياً في البدن ، أو مختصاً بعضو كقلب أو دماغ . أو أمراً غير جسماني كما يقوله الفلاسفة . وعلى التقادير فلا امتناع في بقائه مع تبدل شكله إلى شكل آخر .  
وأما الثاني فلأنّ القدر في اليقينيّات والشك في المشاهدات إنّما يلزم لوجوز أن هذا الكلب أو القرد بالفعل إنسان عاقل . وأما كونه إنساناً في وقت - وقد انسلخ عن الإنسانية وصار كلباً أو حيواناً آخر . فهذا لا يوجب الشك في المشاهدات كيف وهذا - أي القول بالنسخ - مذهب جمع كثير من الفضلاء ، وينسب إلى أفلاطن وسقراط والأقدمين .

وإن وجهنا نحن <sup>(١)</sup> كلامهم إلى غير ما فهمه الجمهور منه ، من أنّ ذلك بحسب النشأة الآخرة ودار القيامة والبعث ، لافي الدنيا ، فإنّ انسلاخ النفس عن بدن طبيعي إلى بدن طبيعي آخر منفصل عن الأول ممنوع . وأما تقلب القلوب وتحوّل الباطن بحسب رسوخ الأخلاق والملكات من نشأة بشرية إلى نشأة ملكية أو شيطانية أو سبعية أو بهيمية جائزة عند العرفاء المحققين ، والحكماء الكاملين . وعليه براهين كثيرة ليس ههنا موضع بيانها .

ومن لم يعرف حكمة الأقدمين من الحكماء الذين أنوار حكمتهم مقتبسة من مشكوة النبوة حمل كلامهم في تناسخ الأرواح وتصورها في الآخرة بصور الأبدان المناسبة لأخلاقها المكتسبة في هذا العالم على مذهب التناسخية المعروف . وشأنهم أرفع من هذا ، بل مذهبهم يوافق مذهب الأنبياء عليهم السلام في أنّ النفوس الإنسانية تحشر في الآخرة على صور أعمالهم ونياتهم ، ويحشر الناس على صور مختلفة ، وعلى هذا يحمل آيات المسخ والأحاديث الدالة على ثبوته . ولهذا قيل : « مامن مذهب إلا وللتناسخ فيه قدم راسخ » .

\* \* \*

فإذا تقرر ما ذكرناه فنقول : ان ما ذكره مجاهد - وإن كان غير مستبعد جداً وله وجه حسن - لا لما ذكره بعض المفسرين كالإمام الرازي وغيره<sup>(١)</sup> : « بأنه مجاز شائع ، فإن الإنسان إذا أصرّ على جهالة بعد ظهور الآيات ووضوح البيّنة فقد يقال في العرف إنه حمار وقرود . وإذا كان هذا المجاز من المجازات المشهورة لم يكن في المصير إليه محذوراً ألبتة » - بل لما أشرنا إليه من حقيقة المسخ بحسب الباطن والقلب ، كما وجهنا إليه كلام الأقدمين من الحكماء . ولكن مع ذلك لا حاجة بنا إلى العُدول إلى ما ذكره عن الظاهر المتعارف .

وذلك لمعنى لطيف نذكره ، وهو ان مسخ الصورة وتبدّلها على وجهين : أحدهما أن ينتقل النفس من بدن إنسان مثلاً عند موته إلى بدن حيوان آخر حين ولادته وهو المسخ المعروف عند التناسخية - وهذا باطل عند المحققين .

والثاني أن يتحوّل شخص واحد من صورته إلى صورة حيوان آخر كما وقع في بني إسرائيل - وهذا جائزٌ لادليل على استحالته .

والسبب فيه ان الأبدان تابعة للنفوس ، والأشكال فائضة عليها من المبدء بوساطة النفوس . ولهذا ما ترى تغيّرات البدن عند تغيّرات النفس ، من الشهوة والغضب والخوف والفرح وغيرها ، فإذا لاستبعاد من كون بعض النفوس في شدة خلقها الردي وتأكدها بحيث تؤثر في البدن تأثيراً شديداً يُشكّل البدن بشكل يناسب ذلك الخلق ، فيكون بمسخ الظاهر تبعاً لمسخ الباطن على وجه الإتصال .

وهذا ممّا كان في أمة موسى عليه السلام ، وسبب هلاك ذلك الممسوخ زوال عقله ، فلا يمكن تدبير بدنه بغذاء يناسبه ، فيموت بعد ثلاثة أيام ونحوها .

ودليل استحالة التناسخ لا يجري في هذا النحو من المسخ المتّصل ، بل يجري في المسخ المنفصل .

وإنما لم يكن هذا المسخ في أمة محمد ﷺ لعدم رسوخ صفاتهم الرديّة النفسانية على ذلك الحدّ ، أو لعدم قبول أبدانهم وأمزجتهم ذلك التحوّل في الشكل لاعتدال مزاجهم .

\* \* \*

واعلم إن مسخ الباطن كثير في هذه الأمة ، فترى الصوّر صوّر الأناسيّ ، والباطن انقلب إلى غير تلك الصوّر من ملك أو شيطان أو صورة بهيمة أو سبع ، وبالجملة صورة حيوان مناسب لما هو باطنه عليه من كلب أو خنزير أو قرد أو أسد . وكلّ ذلك يخالف ما فطر عليه الإنسان في مقام بشريته الطبيعيّة إما حالاً أو ساقلاً .

ومسخ البواطن قد كثّر في هذا الزمان ، كما ظهر المسخ في الصورة الظاهرة في بني إسرائيل ، حين جعلهم الله فردة وخنزير . كما دلّت عليه هذه الآية وغيرها ، ولايجوز حملها على المجاز . وما ذكرنا من مسخ الباطن في هذه الأمة ممّا يشاهده العارف البصير فيرى الصورة الأخرويّة بعين قلبه لذلك الممسوخ في الباطن .

ولله في العالم أعين شاهدة لمثل هذه الصور المحجوبة عن أعين الناس ، كما نقله بعض الفضلاء ، عن أستاذه أنّه كان في غلّة الحال ، إذ دخل عليه شخصٌ من عظماء البلد ، فقال لخادمه : « أخرج هذا الجمار من البيت » فتعجّب التلميذ وانفعل من ذلك الرجل . ثمّ سئل عن الأستاذ : « لمّ قلتَ كذا وهو فلان ؟ » فقال : « إنّي ما قلتُ إلا كما رأيت » .

وبدلّ على هذا المسخ أيضاً ماورد في الحديث من قول النبي ﷺ يُخبر عن ربّه في صفة قوم من أمته<sup>(١)</sup> أنّهم : « إخوان العلانية أعداء السريرة ، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمرّ من الصبر » .

## بسمه تعالى

الى هياتم ماكتبه المؤلف - نورالله مضجعه  
في تفسير سورة البقرة ويتبعه تعليقات الفيلسوف  
الالهى المولى على النورى (ره) وكما ذكرت  
في القسم الثانى انى لم أجد نسخة مصححة من هذه  
التعليقات، فاضطرت الى استنساخها مما طبع على  
حواشى النسخة المطبوعة بطهران رغم ما فيها من  
الانغلاط والسقطات وليتنبه القراء الكرام ان وضع  
نقط كهذه (...) يدل على عدم امكان قراءة كلمة  
او كلمات بصودة صحيحة لكونها غير مقروءة او  
مطموسة بالكلية فالمرجو من الله الكريم التوفيق  
لاكمالها واستدراك ما فاتنى هناك انشاء الله  
ومن الله التوفيق وعليه التكلان  
محسن بيدار فر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص ٢٠ س ١٥ قوله : جوهر واحد - فإنها كلمات الله ، وكلام الله أمر واحد بالذات . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾ [٥٤ / ٥٠] وتعدده وتكثره إنما هو من جهة متعلقاته التي هي ماهيات الأشياء وأعيانها المختلفة بأنفسها . ومن وجه آخر تلك الأرواح التي هي كلمات الهية مترتبة طولاً ، ترتبها الطولي لكون المفيض البيذونة (ظ : بينونة المفيض) هنا صفة لاعزلية ، تؤدي إلى الوحدة المحضة - كما تقرر في محله .

٢ ص ٧٦ س ١٦ قوله : أيضاً موضع تأمل - اه - وجه التأمل هو أنه يكون لكل نبي وولي فرعون يقابله، فالفرعون الذي يقابل الختم في الخلافة يجب أن يكون ختماً في الشقاوة - فلا تغفل .

٣ ص ٧٧ س ١٩ قوله : لأن علم الله بالأشياء هو عين حقائقها - يعني أن علمه تعالى بها عين وجوداتها في العين التي هي حقيقتها التي يترتب عليها أحكامها وذلك العلم مع كونه عين وجود الأشياء في الخارج يكون سابقاً على وجود الأشياء ، ووجود الأشياء تبعاً له . سر ذلك هو كون الأشياء بحسب أنفسها وبقياس بعضها إلى بعض كائناً حادثاً ، وبعد أن لم يكن متغيراً زائلاً وثانياً (ظ : فانياً) غير باق . ولكنها

بالقياس اليه تعالى أزيات ، سرمديات ، ثابتات باقيات . ومن ههنا قالوا : ان علمه تعالى الذي هو عين وجود الاشياء - بما هو علم أزلي سرمدي - غير متغير ، وأما العلوم التي هي أنفس الاشياء بعينها فهي متغيرات ، مدائرات ( ظ : دائرات ) ، حادثات ، ثنائيات . وفيه سر قولهم : « انه تعالى يعلم الجزئيات المتغيرات بوجه الكلية ، بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء - تطف فيه فانه من المعارف التي صعب ، مستصعب منالها ، لا يمكن . . . الا الاوحد الفريد في الله .  
ص ٧٧ س ٢٠ قوله : الموافاة المنسوبة الى أصحابنا اى كون العبرة بالمخاتمة  
انما يؤخذ عن علم الله بحاله انه يتوفى على الايمان او على الكفر .

ص ٧٩ س ٣ قوله : الا ان الملائكة الارضية - قد سبق منه قدس سره المقدس وجه آخر في هذا المقام الذي تحيرت فيه الأوهام واختلف فيه الافهام . محصل ذلك الوجه هو التفصيل ، بأن يقال : ان اريد من آدم أبونا أبو البشر ومن هو من بنيه من سائر الانبياء الماضين ، فالمراد من الملائكة الارضية . وان اريد منه آدم المحمدي ﷺ ووزيره العلوي وآلهما ﷺ فالملائكة المأمورون هم مطلق الملائكة - علوية كانوا أم أرضية سفلية . ولكن الظاهر حينئذ من رأيه قدس سره ان مراده من الملائكة السماوية التي هي الملائكة المدبرات ، التي هم أرواح الابدان والاخر العلويات كلها ، فتأمل - يعم بحيث يشمل الارواح الالهية الكلية الماهية كما سيصرح به ، سيما روح القدس الاعلى ، المسمى بالمحمديه البيضاء ، وهو عقول الكل المحمدي ، وهو آدم الاول الذي من آدم أبي البشر منزلة الاب من الابن ، ومنزلة النعنى من الصورة ، والكنه والاصل من الوجه والكل والصنم والفرع .  
وأما جمهور الحكماء ، فله أيضاً وجه موجه بالقياس الى أمثالنا من الادمي ، اى المنسوب الى الادم ، وبون بين ابن آدم والادمي ، ورب آدمي ليس بابن آدم بل ابن حمار أو بعير أو خنزير أو قردة . فالمشكلة في الصورة لاعبرة به ، والا يلزم أن

يكون صورة الادمي في الجدار آدم ، و آدمنا ليس كذلك وذلك ظاهر لا يخفى سره على اولي النهي .

ص ٨٠ س ١٢ قوله : وفيه صورة الاسماء كلها - يعني مقام روح القدس الاعلى الذي هو امام أئمة الاسماء الحسنی ، او مقام اللوح المحفوظ وام الكتاب ، التي فيها صور حقائق الاسماء ، وكلا المقامين عالم المعاني دون الصور - فتدبر .  
ص ٨١ س ٣ قوله : عن الفطرة الاصلية - هي صورة الاسماء التي هي فطرة التوحيد لله التي فطر الناس عليها ، وهي الادمية الاولى والادمية الحقيقية التي تسمى بالمحمدية البيضاء ، ومعرفتها بعينها معرفة الله تعالى في مقام الخلافة الالهية - فاحسن التأمل فيه .

ص ٨١ س ١٦ قوله : بخلاف صور الجنة الاولى - ان قلت : فالصور البداياتية ماذا قلت؛ حسبما تقتضيه القواعد العلمية والمدارك البرهانية ، يمكن أن يقال ان تلك الصور تمثلات المعاني التي تتضمنها الاعيان الثابتة ، متقررة في صقع من العلم الازلي ، فكل عين من الاعيان في عالمه الامكاني المقرر في ذلك الصقع الالهي لها هيئات وصفات ذاتية ، في قوس التنزلات - في كل منزل بما يناسبه - فافهم ان هذا الذي احتملنا ههنا من حال الصور البداياتية لا ينافي ما سيجيء من المفسر - ره - من كون كل منزلة من الاخروية عين ما يقابلها من المنازل الابتدائية - كما يعرفه أهل العلم .

ص ٨٢ س ٦ قوله : ويكشف البرزخ - سر ذلك هو تمكينه من الانسلاخ عن جلباب الدنائس العنصري ، والعروج الى ملكوت هذه السموات الذي هو محل الهندسة القدرية ، المسمى بلوح القدر العملي وبلوح المحو والاثبات . فيقرء ويشاهد من ذلك اللوح النفساني المثالي مثال الرؤيا الصادقة ، يرى كل شخص بعين شهود الملكوتي الصوري الخيالي وذلك اللوح هو لوح خيال الكل - فتأمل جداً .

ص ٨٦ س ١١ قوله : واعلم ان كل شهادة مطابق - الى قوله - زوج تركيبي



- حسبما وجد في بعض النسخ الذي هو الاصح<sup>(١)</sup> - متصل بقوله . « واستقامت » وهذا الاتصال هو المناسب للملائم لرواية الحسن عن رسول الله ﷺ المنقولة سابقاً - كما لا يخفى .

ص ٩٤ س ٢٠ قوله : كان الشيطان من جملة أسباب التقدير - اه - اشارة الى كون القضاء ملاك الخير لاغير ، والى كون القدر ملاكاً للشر الذي هو خير في نظام القضاء ، لكون القدر طفيل القضاء في النظام الاكبر - فالشيطان مطيع في القضاء عاص في القدر - فاحسن التدبير .

تو هر نيك و بديرا می نزن دم \* که هم ابلیس می ماند هم آدم  
از حکیم ای عزیز بدناید \* آنچه او کرد آنچه آنچنان باید  
دیده پاک اینچنین بیند \* نازنین جمله نازنین بیند  
پیر ما گفت خطا بر قلم صبح نرفت \* آفرین بر نظریاک خطا پوشش باد  
یعنی دیده پیر دیده قضا بین است ، قدر را مستهلك در قضا دیده است .

ص ٩٥ س ١ قوله : لا يقبل الشركة - اه - نعم ما قيل :

بلی سلطان معشوقان غیور است \* ز شرکت ملک معشوقیش دور است  
نمیخواهد چه ز انجام وجه ز آغاز \* درین منصب کسی را با خود انباز

ص ٩٥ س ٦ قوله مستصلاً لعمارة الدارين - لكل نفس وجهان ، وجه يلي ربه ، يسمى في السنة الرمز بـ « داعي النور والحق » . ووجه يلي نفسه ، يسمى فيها « داعي الظلمة والباطل » المسمى بالشيطان كما وقع ونزل بلسان الوحي : ﴿ وَمَا أَنبَأْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ [ ٦٣/١٨ ] فمن هنا قد يعبر عن انانية الانبياء ﷺ بالشيطان ،

(١) الصحيح ما أشار إليه المحشى - ره - غير ان المصنف - ره - أضاف هذه الفقرة في نسخته التي كتبها بيده الشريفة في العاشية ، فاشتبه موضعها على بعض النساخ وأتوا بها في آخر هذا الفصل .

ومرجعه ما تقرر فيما قبل منه .

ص ٩٦ ص ٩ قوله : من أجزاء أرضية سفلية - اه - اذ الارض ضعيف الخلقة ،  
والسماة شديد الخلقة ، وقوة الخلقة وشدتها تنافي كونها مادة عمارة والاخرة ( ؟ )  
اذ المادة مالا يابى عن وجود الصورة فهي ملاك صحة وجود الصورة وقوة الوجود  
و شدتها تأبى من التأثر والانفعال والانكسار . وأما الارض فلما وقعت في صف النعال  
من الكون ولا باثنية لها . ومن ههنا توصف السموات السبع بـ « السبع الشداد » .  
ص ٩٦ ص ١ قوله أربعين حجاباً - بأمر الحكمة البالغة اخذت فيضات تسع  
من العلويات وفيضة واحدة من المادة العنصرية ، فأدار تلك الفيضات العشر في  
مدارات أربعة ، الجمادي ، والنباتي ، والحيواني ، والحيواني الانساني - صار حاصل  
ضرب العشرة في الاربعة أربعين صباحاً وحجاباً وقوة من القوى التي عمارة هي مبادئ  
الاخرة ومباني عمارة الدنيا . حتى تنتج من العمارتين نتائج نشأتها فوق النشأتين .  
كما اشير اليها في قوله تعالى : ﴿ فَأَخْلَعْنَا نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾  
[١٢/٢٠] فكل من أراد أن يدخل الواد المقدس قبل أوانه الذي بعد خلع النعلين  
يطرد بجواب « لن تراني » الى أن يحين ويحضر وقته كما قال تعالى : ﴿ فَكَانَ  
قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [٩/٥٣] فأين وأنى « لن تراني » من مقام « من رآني فقد  
رأى الحق » .

ص ٩٦ ص ١٣ قوله : اذ لو لم يخرج عنها - اي كالملائكة الذين هم سكان  
عالم الجنة ولم يتعلق أرواحهم مثل الارواح البشرية بالابدان العنصرية ، ولم ينصلحوا  
لعمارة الدنيا ، بل ولم ينصلحوا لعمارة الاخرة ، مثل انصلاح آدم . . . كما  
تقرر في محله .

ص ٩٧ ص ٤ قوله : الى مقام - اه - ذلك المقام هو مقام أصل فتلك الحجاب  
ان لكل حجاب أصلاً في العوالم الاعلى ثم لذلك الاصل أصلاً في عالم الاسماء

وله في عالم حقيقة حقائق الاشياء التي هي أصل الاصول في الوجود ، وهو حضرة المعبود الحق ، الغني المطلق ، فكل فرع هو صنم أصله الذي يحكى عنه ويدعو اليه فكل حجاب عن حضرة الحق إنما هو باب من أبواب الحق ، فإذا أخذته من وجهه يصل بك الى الحق والى قربه الذي هو ، وكذلك الاصلي .

ص ٩٩ س ٧ قوله : وحد ذلك العالم - هيهنا العالم النفساني ، المسمى في وجهه بـ «الملكوت الصوري» و«الخيال الكلّي» و«اللوح الصوري العلمي» وفي وجه آخر أعم مما ذكر يعني عالم النفس الكل التي بمقاميها المترتبين في الوجود منزلتها من العقل الكلّي وعقل الكل منزلة اللوح من القلم الاعلى ، ومنزلة حوا من آدم الاول المسمى بـ «المحمدية البيضاء» كما ان النفس الكل تسمى بـ «العلوية العليا» . ومن هنا قال عليه السلام : «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة» يعني البرية والخليفة كلها . وكما ان للوح مقامين مترتبين ، كذلك للقلم المقام الاعلى وهو القلم الابيض . والمقام الاسفل وهو القلم الاصفر والدرة الصفراء . كما ان القلم الابيض هو درة البيضاء فالفلك العرشي المحيط بالكل هو الوجود الثاني لعقل الكل المسمى بالقلم الاعلى ومنزلة وجود الثاني مبن الاول منزلة الجسد واللفظ من الروح والمعنى والفلك الكرسي المسمى بالفلك البروج (ظ : بفلك البروج) وفلك الثوابت وفلك المنازل كما هو المشهور بين الجمهور ايضاً هو الوجود الثاني لنفس الكل المسمى بام الكتاب والكتاب المبين ، واللوح المحفوظ ، والامام المبين عليه السلام انه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم عليه السلام وأما السموات السبع والارضين السبع فهما بمنزلة نوع من التفصيل بالقياس الى العرش والكرسي . وشرح المقام لا يكفي فيه أمثال هذا الاجمال . «لكل مقال مقام ، ولكل مقام منال» .

ص ٩٩ س ١٨ قوله : احتاجوا الى العمل من غير ارادة منهم - يحتمل رجوع الضمير الى من ساء عمله ، ويحتمل الاعم ولا يتجه الا بتأويل - فلا تغفل .

وعلى التعميم ينبغي أن يراد من الارادة المحبة التي تقابل الكراهة ، لا الارادة التي اريد منها في العمل الاختياري - سواء كان مع الكراهة والمشقة أصلا ، كما في حق تعالى . . . من الاولياء وأهل الله تعالى - أحسن التأمل .

ص ٩٩ س ١٤ قوله : هو موضع الحساب - اي القيامة الوسطى التي هي تقوم بنفخة الفزع في كل اسبوع هو سبعة أيام من الايام الربوبية ، ويعاد الاجسام الدنياوية التي ماتت بمفارقة النفس الملكوتية عن الابدان العنصرية الى ارواحها ويبعث من الاجداث . وتنقلب الانفس الملكوتية الصورية الى الارواح اللوحية المدبرة ثم عند القضاء (ظ : قضاء) سبعة أسابيع ومدة خمسين ألف سنة تقوم القيامة الكبرى بنفخة الصعق ، وينقلب اليوم الربوبي الى اليوم الالهي الذي اليه ينظر قوله تعالى : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ثم بنفخة ثانية يحمي بها كل من فنى بنفخه ، ويتجلى سبحانه بالتجلى الاعظم ويظهر المظهر الاعظم المسمى بالروح الاعظم ، ويفوض اليه امر عبادة الآخرة التي هي دار الخلود وموطن الابد ، فببإشراف ذلك الروح الاعظم ايصال أهل جنة الخلد اليها ، وأهل النار الى دار خلدتها . ودار الخلود هي دار الجزاء الموعود والوعيد. هذا هو مشرب صدر المحققين صاحب هذا التفسير ، والامر على ما حصله وحققه خطر خطير ، قل من يتمكن من نياله كما هو حق مناله . . .

ص ١٠١ س ٦ قوله : وكتوله له : ﴿الْهَيْكُمُ الْتَكَثَّرَ﴾ اي : شغلكم التباهي بالكثرة ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى اذا استوعبتكم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتهم بالموتى أما قوله تعالى : ﴿لَتَسْتَلْنَ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [٢٠١/٨] فحاصله عن كل نعم ، سيما عن رسول الله ﷺ وأهل بيته ، الذين هم جامع جوامع النعم ، نعماء الدنيا والآخرة ومعدنها الذي هو المبدء والمعاد - فلا تنفل .

ان عالمنا هذا هو عالم الكثرة ، المعبر عنها بالمقابر ، فزيارة هذا العالم كائنة

بعد العالم يكون مسبوقه بالوجود في عالم آخر - فتدبر .

ص ١٠٢ س ١٤ قوله : والزعفران - كناية عن عالم الدرّة الصفراء ، عالم رقائق المعاني ، المسبوقه بحقائق المعاني .

ص ١٠٣ س ١١ قوله : جبل شعاعهم - ذلك الحبل حبل الله المتين ، الذي هو تجليات أنوار الارواح الالهامات النبوية والولاية ، وتلك التجليات التي هي أشعة شمس بواطن الانبياء والاولياء الاوصياء عليهم السلام على بواطن أشياعهم الذين هم الاولاد الروحانية للانبياء ، انما هي روابط اتصالية ، ووسائط ارتباطية بين الانبياء وقلوب أتباعهم ، الذين هم أشعتهم عليهم السلام ، وتلك الروابط روابط ايجابية وافاضات ايجابية ... بواطن أصحاب القرب ، وينشرح بها صدور أرباب الافئدة ، وهي خيوط ... متدلّية من ذروة عرش الولاية الى أرض قلوب أتباع الولاية ، وأشياع النبوة .

ص ١٠٧ س ٢ قوله : فقي الانسان كلمات الانسان - اي العقل الجزئي الذي هو رأس من رؤوس العقل الكلي الالهي المسمى بالمحمدية البيضاء . وهو آدم الاول والقلم الاعلى .

ص ١٠٧ س ٢ قوله وكلمات الانسان النفسى - اي النفوس الجزئية التي هو وجود نفس الكل ، المسمى بالعلوية العليا ، وهي حواء الاولى ، واللوح الاول ، الذي هو ام الكتاب .

ص ١٠٧ س ٣ قوله : كلمتي - اي الكلمتين الكليتين الالهيتين اللتين احديهما آدم الاول والاخر [حواء] الاولى كما أشرنا .

ص ٧٠١ س ٨ قوله : كانت الملائكة - وفي وجه من الاعتبار ينبغي أن يقال : ان الملائكة الجبروتية العقلانية مأمورون لسجود الانسان العقلي ، والملائكة النفسانية الملكوتية مأمورون لسجود الانسان الملكوتي النفساني ، والملائكة السفلية الناسوتية مأمورون لسجود الانسان السفلي . والكل في وجه يسجدون حقيقة للانسان العقلاني

الذي يعبر عنه برب النوع الانساني ، الذي هو آدم الاول ، والانسان الالهي .  
 ص ١١١ س ١ قوله : فلا بد في تكثير هذا النوع - الى قوله : - من التوالد  
 والتناسل وقع موقع الجواب عن قوله : «لما لم يجز وقوفها عند حد» الى آخره .  
 ص ١١١ س ٦ قوله : كان العقاب ابدياً والخلاص مستحيلاً - هذا منه نور الله  
 مضجعه الشريف مخالف صريحاً لما سبق منه في هذا الكتاب واشتهر منه حسبما اختار  
 في كثيرة من كتبه المعروفة من البالغ الى مذهب محي الدين المعروف من القول  
 بانقطاع العذاب بمعنى الايلام والالم على طوائف الكفار المخلدين في دار النار  
 فلا تغفل .

ص ١١٢ س ١٦ قوله : لكن النبي واجب الاتباع - ظاهرة كما يرى . اذ  
 وجوب الاتباع بعد البعثة لا ينافي حرمة الاتباع قبلها . لعل المراد منه انه لما صدق بعد  
 البعثة ايضاً كونه مذنباً ايضاً في الجملة ، صدق حرمة الاتباع ايضاً كذلك . لعل سر ذلك  
 من قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨/٩٩] وسر السر كون التدارك  
 عن تقصيرها محالاً . والتدارك بوجه التوبة يستلزم صرف نفس آخر من أنفاس العبد  
 بدلا عن هذه النفس التي قصرت فيه وفي كل نفس يكون العبد مكلفاً بتكليف يختص  
 به فيلزم من صرف نفس آخر موقع هذا . . . موضعه كما يختص به - كما لا يخفى  
 هي هنا ، اذ له قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ .

ص ١١٢ س ١٨ قوله : لقوله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [٦/٩] الآية  
 هذا ايضاً كما ترى ، اذا العصمة بعد البعثة يصحح قبول الشهادة بعد البعثة . نعم في  
 المقام سر آخر يمنع عن الذنب مطلقاً كبيراً ، صغيراً ، عمداً ، سهواً . وهو كون فطرة  
 الانبياء المبعوثين بالشرايع الالهية مستكفيه ، ملازمة لشهود البرهان النازل من عند  
 ربهم الاعلى ، كما يشير اليه قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [٢٤/١٢]  
 ولكن شهود البرهان لا يجعل الانبياء مضطربين في الطاعة حتى يكون صدور المعصية

عنهم محالا وممتنعاً بالذات ، بل بقي بعد كونهم مختارين .

ص ١٢٩ س ٩ قوله : وحقبة الانابة - اي حقيقة الندم السير والسلوك الى عالم العند ، وذلك العالم هو عالم نور الله . . . لجميع ظلمات الحجب الوهمية ، كما قال تعالى : ﴿ اِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ [١٦/٥٣] والسدرة هي حبه موسى ، حبة الكمل من الانبياء والاولياء والحكماء المتألهين .

ص ١٢٩ س ١٠ قوله : سبحانك وبحمدك - كأنه نزل منزلة النشر على الترتيب . وقوله « لا إله الا أنت » منزلة اللف قبل النشر . ومحصل النشر هو الجمع بين التنزيه والتشبيه ، كما هو وظيفة الانبياء . فالعارف ما لم يستغرق في شهود الجلال لم يتمكن من شهود الجمال . اذا التخلية مقدمة على التحلية .

قال ﷺ : ان الله تسمعه وتسمين اسماً من أحصاها دخل الجنة . وهي جنة المأوى ، جنة القرب ، ولا أقرب من الله تعالى من محمد حبيبه ﷺ الوارثين بكماله . ص ١٣٠ س ١ قوله : مكتوباً على العرش - الى آخره - قال جل من قائل : ﴿ حَمْدٌ \* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ \* اِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ اِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ \* فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ \* أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا اِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [٤٤ / ١ - ٥] حم : محمد . والكتاب المبين : أمير المؤمنين . وليلة مباركة : فاطمة . فيها يفرق كل أمر حكيم : امام بعد امام من بطن فاطمة . والقرآن نزل من العرش الى الفرش . . . الفرقان . والعرش له منازل مترتبة نزولاً . وهو المظهر الجامع . ومحمد هو الظاهر الجامع ، وهو اسم الله الاعظم وأئمة الاسماء الحسنی - فلا تغفل .

ص ١٣٠ س ٩ قوله : اشارة الى ما أولنا أولاً - يعني اذ قال : « وتلك الكلمات كلمات الله التي لا تبديد ولا تنفذ أبداً » الى آخره - توسل آدم بهم . . . الوسيلة التي اكتسبها آدم في هذه النشأة التي هي دار الكسب والاكتساب . وتلك الوسيلة هي الرابطة الاختصاصية التي قد يعبر عنها بالمودة . كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ

[ عَلَيْهِ أَجْرًا ] إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿ [ ٢٣ / ٤٢ ] وقد يعبر عنها بالتولى بولايتهم وبما ضاهانا - فافهم .

ص ١٣١ س ٦ قوله : الم تخلقني بيديك - اعلم ان يدي الله هما الاسماء الجمالية والجلالية ، و آدم مخلوق بيديه تعالى ، ومنزلة الاسماء منزلة الربوبية ، و آدم مخمر بيديه وقال الصادق عليه السلام (١) : العبودية جوهره كنهها الربوبية - فافهم .

ص ١٣٢ س ٣ قوله : توجه بوجهه - ان التوجه الى الله تعالى لهو محو الموهوم من قبل العبد . وتوجهه تعالى الي العبد لهو صحو المعلوم . ولقد جمع بينهما قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [ ٤٤ / ١٧ ] التسييح تنزيه بمحو الوهم والحمد تشبيه بصحو الفهم . حاصله محو آية الليل وصحو آية النهار . ولقد أنشدت فيه رباعية وهي هذه :

بربام فلك طبل معما زده اند \* طيلي بنواي لا والا زده اند  
ازنكنه محو وصحو گويا حرفي \* درپردۀ روز وشب بايمازده اند

ولقد تقرر في جملة ان البشرية في عين التشبيه هو سيرة الانبياء . والتسييح جلالي ، والتحميد جمالي . والتسييح تجلية وتصفية .

ص ١٣٣ س ١٢ قوله : للاتصال بها - وان شئت أن تتمكن من معرفة هذا الاتصال ومن تصويره وتصويره في عالم الصورة على وجه جرت المثل فاعتبر بحال المرايا المتعددة الموضوعة في مقابل الشخص الواحد حيث تترامى في كل مرآة من تلك المرايا صورة من الشخص المتجلي عليها ، فتري صوراً متعددة كل صورة في مرآة ، وذو الصورة الظاهر بهذه الصور الكثيرة واحد بالشخص غير متغير بتغير الصور وغير متكرر بتكررها ، ولا متجزء حيث تكثرها وتعددتها ، وغير ذلك مما ينافي وحدة - الشخص وثباته وبقائه بحاله .



ولو تحققت بما ألقينا اليك في هذا الضرب من المثال لاقتدرت وتمكنت من رفع ما اعترض واورد الشيخ الرئيس ابن سينا وأمثاله وأتباعه على هذا الاعتبار والاتحاد الذي ... أساطين الحكمة وسلاطين ملك المعرفة . ولقد قرر ... وصدقهم ألسنة القرآن والتنزيل كما اوضحنا السبيل ، وأشرنا الى السر الدليل ، ولكن الحق درك حقيقة الاتصال وادراك كيفية حاله صعب مستصعب المنال . كيف لا وقد جهله وأنكره رؤساء القوم الذين هم أئمة الفلسفة المشهورة فلا تغفل .

والسرفيه ان للجوهر المفارق الفعال الفياض علينا بافاضة الصور العلمية على قلوبنا وجوداً وحصولاً لنا . والحصول لنا هو اتصالنا واتحادنا به . ذلك الحصول الاضافي هو حصول الصور العلمية وصدورها عنه لنا وفيها . فوجود هذه الصور - النورية العقلية الفائضة عنه عند صيرورتها ملكة جوهرية لنا بصير ملكة اتصالنا واتحادنا به . فانا نتحد معه في الوجود . اي في الوجود الاضافي الفائض عنه علينا لافي وجوده الحق الحقيقي الذي هو وجوده في نفسه الفياض علينا . اللهم عند صيرورتنا عقلاً محضاً ، ونوراً صرفاً ، فعلاً فياضاً ، بعد أن كنا جوهرأ نفسانياً منفعلاً مستفيضاً ، وعند ذلك يتحد معه في وجوده في نفسه . ويصير حينئذ جوهرأ قدسياً الهياً عقلاً فياضاً جبروتياً باقياً بقاء الله تعالى . محشوراً لله سبحانه ، فانياً عن وجودنا ، خارجاً عن أنفسنا ، داخل في عالم الحق وعالم أمره الذي هو خارج عن عالم المخلوق والحاصل ان لنا أن نصعد بأرواحنا بوساطة العلم والعمل الى عالم القرب ونحشر مع المقرين من الروحانيين الالهيين ، ونصير من زمرة العالين - فالحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

كما قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾

[ ١٠/٣٥ ] والصعود اليه تعالى هو ذلك الارتباط والاتصال بالعقل الفعال الذي قال

به أساطين الحكمة . ولقد قل من وصل او اتصل الي حق مرادهم من مقالهم هذا  
وأمثاله ، ودليل الوصول هو ماأشرنا اليه والهداية أمر من لديه .

ص ١٣٧ من ٥ قوله : يران - من الرين . والاظهر هو « ليغان قلبي » اذ « الرين  
يلازم الرسوخ ، وهو رَسُوخٌ منزه عنه . وأما « الثين » فكأنه من باب الخطورات  
والخيالات التي هي حجب عن الاستغراق في شهود الانوار . ليس المراد الوسوس  
الظلمانية الجهلانية ، بل المراد خيالات عقلية وصور نورانية حاجبة عن شهود عالم  
المعاني - فلا تغفل

ص ١٣٧ من ١٦ قوله : فان النبي من فرط - يشهد لما قال وأفاد - قدس الله روحه  
المقدس - قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ \* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ \* الَّذِي  
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [ ٩٤ / ١ - ٣ ] اذ ذلك الوزر هو يضيق عليه عن أن يسع الحق  
والخلق جميعاً . وعن أن تفي قوته وسعته . . . الجانبين معاً .

ص ١٣٩ من ٢١ قوله : ومعنى قول القائل - اه - كأنه تعريض مذهب اليه  
الاشاعرة المنكرون للحسن والقبح العقليين .

ص ١٤٠ من ٩ قوله : بكونه محجوباً - كأنه بيان معنى اعراض عن الله .

ص ١٤٠ من ٢١ قوله وَيَذَرُكَ فان تركها - هذا الترك بعينه الانابة الى الله . والتوبة  
هو معنى الانابة . ومن ههنا ناسب ذكر هذا الحديث في مقامنا هذا .

ص ١٤١ من ٢١ قوله : لا بمعنى ان العلم بخلقة العبد - . . . والحق الحقيقي  
بالتصحيح والتصديق هو أن يقال : ان محصل معناه لا يعني ان العبد يخلق العلم بذاته  
في نفسه ، وان ذلك - اي : كون العبد خالق العلم في ذهنه ونفسه - محال ضروري  
البطلان . بلى الخالق للعلوم والصور العلمية في ذهن العبد ونفسه ، وخالق سائر الاحوال  
والاعمال في نفس العبد وذاته ، هو الله تبارك وتعالى ، ولكن على وجه يقول به أهل  
الحق الذين اقتبسوا أنوار علومهم الحقيقية من مشكاة النبوة والولاية ، فحاصل ترجمة

العبارة «لا بمعنى ان العلم بايجاد العبد واحداثه اياه في نفسه وذهنه» وحينئذ ينبغي أن يقال بدل «وحدوثه» «واحدائه» .

وبالجملة فحق معنى هذه العبارة هو هذا ، بقريئة قوله : بل العلم والقدرة - الى آخره - الصريحة المصرحة بكون المراد هو هذا . وان سامح ووقعت المسامحة منه في حق العبارة ، ولم يأت بحق العبارة ، لكن . . . ظهور المدعى سهل - كما لا يخفى .

ص ١٤١ س ٢١ قوله : لا بمعنى ان العلم بخلقه العبد وحدثه ، فان ذلك محال هذا بظاهره كما ترى ، فلو كانت النسخة الاصل هذه لعل معناه ان ذلك العلم لما لم يكن له دخل وسببية وعلية لامثال هذه الاحوال والاعمال ، فلا يدخل تحت الوجوب الشرعي مقصود ههنا لان هذه العلية والسببية محال بخلاف العلم الذي له دخل وعلية فانه يجب تحصيله شرعاً . . . . . الحكماء هو كون الترتيب مؤدياً الى الوحدة اي الى كون العلة واحدة حقيقة ، وتلك العلة الواحدة هي ذاته تقديس وتعالى عن الشريك في خلقه الاشياء والاستعانة بها .

وأما قول أهل الحق هو الجمع بين الحقيين ، والامر بين الامرين . ونيل ذلك الجمع كما هو حقه صعب مستصعب قل في الاعصار من يتمكن من أداء حقه . وقد مر مراراً في هذا الكتاب المستطاب اجمالاً وتفصيلاً .

ص ١٤٢ س ٥ قوله : زعمه المعتزلي - ان المعتزلي هو المشرك بالشرك الجلي . وأما الحكيم الجمهوري فهو تنزيهي فقط لا يتمكن من الجمع بين التنزيه والتشبيه ، وبين الوحدة والكثرة . وأما الأشعري فعليه مفاصد لا تحصى أقلها انكار مقتضى بديهية العقل من جهات شتى لاتكاد تحصى - فلا تغفل .

ص ١٤٣ س ١ قوله : وغسله بماء الدموع - قلت فيه رباعية بالفارسية :

دل من آتش عشق افروز است \* ماه شب تار و آفتاب روز است

برباد ده خاك گناه است فردا \* اين گريه كه روى آب امروز است (؟)

ص ١٤٣ س ٩ قوله : فكانه لم يعرف - اه - وذلك كما هو سجية فطرة من أنكر كون الحسن والقبح في الاعمال وما يتعلق به الامر والنهي عقليين ، وكانه يقول بانه لا ربط ولا اتصال ولا ارتباط عقلا بين الاعمال ونتائجها المقررة من عند الشارع بوجه اصلا - فافهم .

ص ١٤٣ س ٧ قوله : ان القلب يتأثر بالمعاصي - كيف لا وقد قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ \* كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ [٨٣/١٤-١٥] وقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجَّيْنُ ﴾ \* كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ [٨٣/٧-٩] وقال في باب الطاعات وتأثر القلب بآثارها : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ ﴾ \* كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمَقَرَّبُونَ ﴿٢٠﴾ [٨٣/١٩-٢٠] .

ص ١٥٥ س ١٥ قوله : ان لك منه غطاء - ان الغطاء الذي هو غير غطاء البدن المعروف عند العامة هو البدن المثالي الصوري . . . النوري الجناني الذي الانسلاخ والانخلاع عنه صعب مستصعب جداً . اذ الانسلاخ عن هذا البدن المحسوس العنصري ضروري الوقوع بحلول الموت وان كلف العبد بالانسلاخ عنه ايضاً بالارادة والاختيار ولكن المهم المعظم هو الانسلاخ عن البدن النوري المستصعب انسلاخه . لا يتمكن (ظ: ويتمكن) العبد من الانسلاخ عنه بضرب من المجاهدة والرياضة الخاصة المختصة باهل السلوك الى الله تعالى . كما امر موسى بن عمران بقوله تعالى : ﴿ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [١٢/٠٢] وبالجملة فالسالك الى الله لابد من طرح الكونين وخلع النعلين حتى يتمكن من الرجوع الى الله وينصلح للدخول الى عند الله ، التي هي لب لباب الحيات ، كما أضافها الى نفسه سبحانه في قوله : ﴿ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴾ [٢٩/٨٩] وتلك الجنة الالهية هي الجنة الحققة الحقيقية

التي سائر الجنات <sup>(١)</sup> من الروحانية والجسمانية ، وهي المتجلية بصورها ، فمنها مبدئها واليه مرجعها ، ومنزلتها منزلة امام الائمة في الاسماء - فلا تغفل .

ص ١٥٦ س ٣ قوله : في الثلث الاخير منه - وأما اختصاص النزول بالثلث الاخير هو منصوص بالنص انصلح (ظ : الصحيح) الصريح ، وقد اشتهر بين الاصحاب بالتجربة في هذه الاجابة بهذه الساعة ، وقد تعرضوا لتعيين هذه الساعة بالتصريحات التي في تعيينها وارده في الاخبار هي هنا وبينونها في تعيين كتبهم الفقهية وفي سائر الكتب الاختصاصية بهذه المقامات مثل الكفعمي والاقبال وأمثالهما .

ص ١٥٦ س ١١ قوله : فجنوا من غير جنون - الى آخره - فيه حكاية ما هن قول قبله العارفين علي عليه السلام بوجه من الله والصواب من الاشارة ، حيث قال في الكشف عن خصال الكلية الالهية المعبر عنها في السنة اخواننا بالعلوية العليا وشجرة طوبى وجنة المأوى و... الله العليا ، بقاء في فناء ، النعيم في شقاء ، غنى في فقر ، عز في ذل ، صبر في بلاء . وهذه الطريقة الوسطى الجامعة بين الاطراف المتباعدة المتقابلة ، يعبر عنه في باب السير والسلوك الى الله بالصراط المستقيم ، وقد فسر هذا الصراط بعلي أمير المؤمنين عليه السلام ، ويسمى بصراط التوحيد .

ص ١٦١ س ١٢ قوله حين صارت منفوخا فيهما روح الله - النفس المنفوخ فيها هي الجسد ... الصوري المثالي ، وهو القالب الجنائي من آدم عليه السلام ... النفخة الروحانية الالهية ، فهي الموجود بالوجود ... الاعلى ، المسمى بالجبروت ، فهما - اي الروح والقالب الملكوتي مخلوقان مترتبان ... في العام بالدهر المطلق وان كان دهر الروح هو الدهر الايمن ، ودهر الغالب هو الدهر الايسر والايسر هو المتأخر ، مع كون نفحه الروح في القالب فرع وجود القالب قبلا . ورفع الاشكال وحل عقده هو كون القبل والبعث في الدهر واحداً - تثبت فيه ، فاين (ظ : فانه) مشكل جداً .

(١) الظاهر وقوع سقط في العبارة .

ص ١٦١ س ١٣ قوله : وبالقالب الى هذا العالم - لو اريد من القالب هيهنا الملكوتي منه فلاستقامة له ، اذ هذا الهبوط انما هو بعد تناول ثمار الجنة ، فلا بد ان مراده منه القالب الجنيني في رحم الام ، ويريد من الهبوط بالقالب الى هذا العالم الخروج [ من ] بطن الام الى فضاء الخارج عن الرحم ، ولكن توجيه بهذا الوجه لا يستقيم في حق شخص آدم ابي البشر ، ففيد بترجمة ، وهو كون منزلة بني آدم عليهم السلام من منازل نفس آدم كالولد سرأبيه ، فالحكم يسرى . وفي المقام سر آخر اللفظ مما اظهرنا ، ولا مجال هيهنا لبيانه .

ص ١٦٥ س ٢ قوله : بعد وجود المبادي والاسباب . . . . . البداء الذي قال به أصحابنا الامامية . . . . . لكل ما قال به أئمتنا وسادتنا الذين هم أئمة الكل في الكل وسادة الجل والقل عليهم السلام ، انما هو بيد من بيده مفتاح هذه الضابطة الموروثة عن أساطين العلم والحكمة . اذ اس الاسطقات في بناء البداء وقاعدة البدائية الموروثة عن معادن العصمة والطهارة هو كون مجرى الأحكام البدائية على خلاف مجرى الامور الطبيعية بالمعنى الذي قرره المصنف المفسر قدس الله مرقدته في هذا المقام من التفرقة عن الاسباب الغريبة والعلل والاسباب الذاتية ، فمجري البداء عند خواص أصحابنا - وهم أساطين العلم ، المقتبسين مصابيح علومهم من مشكاة النبوة والولاية الختمية - على جري الامور الاتفاقية الغير الذاتية التي علمها مكنون مكنوم عن غير أهله ولا يعلمه الا هو . وأما الكمل من الانبياء فقد يكشفون عنه ويخبرون بوحى الله تعالى واخباره لهم ، لكن مع احتمال البداء - تثبت فيه فان المقام مزلة الاقدام ، واستقم كما امرت .

ص ١٦٥ س ٣ قوله : لكن الكلام - اه - حاصله بيان التفرقة بين النظر القضائي الكلي الاحاطي ، وبين النظر القدرى القابل للمحو والاثبات وبين النظرين والنظامين بون بعيد مثل بون بين الارض والسماء - فاعتبروا يا اولى الابصار .

ص ١٦٧ س ١٣ أقول : ان حق التقليد في الاركان الایمانية تقليد يكون ملاكه الظن والتخمين كما هو المعروف في الفنون الاجتهادية والعلوم الظنية العملية ، وتقليد يكون ملاكه الاعتقاد الراسخ الثابت الغير المتزلزل عند هجوم الشبهات العادية وغير العادية ، كالشبهة المذكورة . فالاول باطل غير مجوز عند التحقيق . والثاني منه مجوز يجب تجويزه وصحته ببرهان باهر كاشف عن وجه كونه لا بد منه . ومن الشواهد على ما ادعينا من كون كثير من المشاهير بالفضل والكمال [مقلداً] هو اعتراف العلامة الخوانساري قدس روحه في تعليقاته على الشفا بالعجز عن الجواب عقلا عن الشبهة المعروفة بشبهة ابن كمونة من تلامذة الشيخ المقتول ، وقال قدس روحه المقدس باستحالة اقامة البرهان القاطع الباهر العقلي على توحيد الله تعالى ، بحيث يحسم مادة تلك الشبهة المشهورة المعروفة باستصعاب حل عقدها وهذا العلامة من أجلة مشاهير علماء فنون علم الحكمة ، وهو الفريد في عصره ، بل في كثير من الاعصار - فضلا عن الامصار - وقد ذهب عجزاً واضطر الى القول بكون الاعتقاد والایمان بوحدانية الله تعالى وفردانيته وتوحيده بالوحدانية وتفرقه في الفردانية تقليدياً بحثاً ، حاصلًا بمجرد التصديق بقول الشارع ، ويقول بعدم امكان اقامة البرهان الحكمي والحجة العقلية على الوحدانية الكبرى ، وهي ركن الاركان في الدين . ولا يخفى على اولي النهي ان التقليد في اصل التوحيد الحق يلزمه القناعة بالتقليد في سائر الاصول الایمانية ، كيف وهو أصل الاصول ، وذلك من العلامة أجلة الفحول ، ومن الائمة في الاصول مع دعوى الوصول . وقد نزلت قدمه في هذه المنزلة العليا ، والمرتبة القصوى ، التي هي غاية الغايات في الدين .

ص ١٦٧ س ١٤ قوله : لان ذلك - اه - ذلك محل كلام عند المحققين في هذه المسئلة أهل الحل والعقد ، والمحقق هو المحق . كيف لا - وجل عوام الناس بل جل من المعروفين بأنهم من الخواص لويعمق في أحوالهم المشهودة وأطوارهم

المحسوسة يقطع بكونهم من أهل التقليد في أمر الدين [و] التوحيد .  
ص ١٦٨ س ١٦ قوله : مبادئها - أي حقائقها . إذ حقائق الأشياء هي عللها  
الفياضة ومبادئها المتجلية بها وبصورها ، إذ منزلة المعلومات من العلة منزلة الصور  
من المعاني ، ومنزلة الأظلة [و] الأمثلة من الحقائق .

ص ١٧٢ س ٦ قوله : ومن تأمل في تضاعفه - اه - بظاهره غير مستقيم ،  
فلا بد في استقامته من تقدير الجواب والجزاء <sup>(١)</sup> ، ومن تأويل كونه عطفاً على  
« طائفة أهل الكتاب » أي هو . . . من أهل الآخرة . والثاني لا يخلو من ضرب من  
العناية - فتأمل .

ص ١٧٢ س ١٤ قوله : على جميع ذلك - لعله رمز من الجميع بمعنى الجمع  
والمجموع . . . للواحد والاثنين .

ص ١٧٦ س ١١ قوله : وهي تنقسم - أي سلامة القلب وطهارة النفس . ولعل  
بين سلامة القلب وبين طهارة النفس بوناً ما . وقد ورد في سلامة القلب أن يلقي العبد ربه ،  
وليس في قلبه سواه . وإن أمكن أن يقال إن هذه السلامة أيضاً نوع من الطهارة ،  
فللفقاء نشأت ومقامات متفاوتة جداً .

ص ١٧٦ س ١٤ قوله : بنور الإيمان والحكمة - فاراد من الحكمة على ما أسس  
الحكمة العملية ، لأنها تنصلح للتوسيط والتعديل ، وأما الحكمة النظرية التي هي  
العلم بحقائق الأشياء كما هي فعلى الظاهر مسافة هبنا ، بل على صريحه يلزم أن  
لا ينصلح لهما ، ولا يكون صالحاً للإصلاح كما في الحكمة العملية ولكن في المقام  
تحقيق وهو الحري بالتصديق . محصله كون الأمر بين الأمرين والمنزلة بين المنزلتين  
ونخير الأمور أوسطها ، المعبر عن كل منها في وجه من الاعتبار بتعاقب الأطراف  
المتباعدة من جهة واحدة مما لا مفر ولا مخلص من جربانه في العلوم الحققة

(١) كان الجزء سابقاً وقد أتينا به في الكتاب تكهلاً . فراجع المتن .



الحقيقية . كما قالوا : ان الجمع بين التنزيه والتشبيه لا بد منه . . . علم التوحيد . وهو طريق الانبياء الى غير ذلك من الاشارات والتصريحات الكاشفة عن الطريقة الوسطى في تلك العلوم الحقيقية .

ص ١٧٨ س ١ قوله : كالتوفيق والهداية - تمثيل لمادة الجمع بين الخارجة والداخلة . ولعل المراد من التوفيق تهيئة الاسباب الخارجة . ومن الهداية الاهتداء . فالجمع بينهما هو المثال ، لا كل منهما - فلا تغفل .

ص ١٧٨ س ٦ قوله : في أربعة - متعلق بقوله : منحصرة - كما لا يخفى

ص ١٨٠ س ١٧ قوله : من أكرم ارومة - وفي الخبر الموثقة من طريق الخاصة في بيان فضل نسب النبي ﷺ وشرفه ما حصله ان الله تعالى اصطفى مادة فطرته وأصل خليقته ﷺ . . . . . ظهوره بهذا الوجود البشري من أكرم ارومة تلك الدورة . كما قيل في مديحه ﷺ ومدحه نسبة وشرف مادة فطرته نظماً بالفارسية :

صاف مرواريدرا بيختند      تاكه لوح سينه اترا ريختند

ويقرب منه ما قيل ايضاً فيه :

كتاب فضل نورا آب بحر كافي نيسبت      كه تر كنى سرانگشت و صفحه بشمارى

ص ١٨٤ س ١٨ قوله : الى الامكانات الناشية - اه - لا بد في هذا الوجه من نوع اعتبار واستبصار بتوجه بهما فحوى قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [٧٨/٤] فاعتبر واستبصر . وأحوال اعتبار . . . بين الوجود والماهية وكيفية المقابلة بينهما معيار لنظرك ومنظرك .

ص ١٩١ س ٢ قوله : الي بالنوافل - اه - ان مرتبة قرب النوافل عرضية للعبد طارية بالسير والسلوك والمجاهدة ، وأما قرب الفرائض كما قالوا فهي ذاتية له ، ففضل قرب النوافل بصيرورة نوره سبحانه آلة للعبد ، باصرة له ، وسامعة له وهكذا .

وتحصل قرب الفرائض بكون العبد آلة للحق بصرأ لله تعالى وسمعا له جل وعلا .  
وهكذا - ففي الاول كما يقول الحق في بعض الاحيان : بي يبصر العبد ، وبي يسمع  
- اه - وفي الثاني كأن يقول العبد : بي يبصر الحق وبي يسمع . كما قيل في  
« سمع الله لمن حمده » .

ص ١٩١ س ٨ قوله : على وجه يستعلم - اه - ان ذلك الوجه لهو الجمع  
بين الاطراف المتقابلة الذي قد يعبر عنه بتعاقب الاطراف المتضادة ، وبالجمع بين  
التوحيد والتكثير والتنزيه والتشبيه ، والجمع والتفرقة والضيق والسعة . كل ذلك  
من جهة واحدة . وسراستقامة ذلك ينكشف لاهله من قول قبلة العارفين على المرتضى  
أمير المؤمنين سيد الاوصياء عليه السلام - روى له القداء - : « توحيده تميزه عن خلقه  
وحكم التمييز بينونة صفة ، لا بينونة عزلة » .

يعني كما قال : « مع كل شيء لا بمقارنة . وغير كل شيء لا بمزايلة » وقال :  
« داخل في الاشياء لا كدخول شيء في شيء » . « خارج عن الاشياء لا كخروج شيء  
عن شيء » الى غير ذلك من الكلمات القدسية الالهية التي صدرت عن معدن الولاية  
وورثته ، الذين هم اولياء الحكمة وخزائن العلم والمعرفة .

والسر الحكمي البرهاني في ذلك كما هو المورد من أساطين الحكمة  
وسلاطين ملك المعرفة هو كون مابه الاشتراك بعينه عين ما به الامتياز . وذلك هو  
روح القول بالاشتراك المعنوي ، المعروف بين المحققين في باب الوجود  
وكمالات الوجود وأحوال الوجود بما هو موجود . كما تقرر في محله في  
مسفورات أرباب الكمال الذينهم غير أصحاب القبل .

ص ١٩٥ س ١٣ قوله : فانتشرت - اه - فانه لا يقال : جاء الله من ذلك الموضع  
الا اذا تبع تلك الواقعة وحي نزل في ذلك الموضع .

ص ١٩٥ س ٢١ قوله : لقد انكشف السماء - يعني ان انكشاف ملكوت

السموات على السلاك الى الله من الانبياء والاولياء والمتألهين من الحكماء انما هو من تجلى جمال كمال المحمدية البيضاء التي هي نور عقل الكل ، الذي هو الكل في الكل .

ص ١٩٦ س ٣ قوله : وسينزع في نسبك اغراقاً - ونزع يحتمل أن يراد منه ارتفاع النسب بصيرورته ربيعاً متعالياً عن مرتبة البشرية ، لمرتبة الحقانية والربانية .  
 كما قال الله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ..... وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [١/٩٤-٤] وكما قال سبحانه : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [٩/٥٣] والنزع : «بركته شدن از مراتب نازله بمقامات عالىه - اي : سينزع فيه من المنزل الادنى الى المنزل الاعلى ، الذي هو مقام قاب قوسين أو أدنى . ويحتمل أن يراد منه المنازعة والاختلاف في القول بربوبيتك والهيئك ، بقرينة الاغراق - ولكنه بعيد جداً .

ص ١٩٧ س ٤ قوله : قد تخال الارض الظلام - يعني ان الظلام أحاط بالارض ، وصارت الارض مظلمة كما هو مقتضى قوله : « فامسري مصباحك » وكذلك قوله هذا القول متصلاً به : « وغطى على الامم الضباب » والضباب : نوع من السحاب . و غطى - بالغين المعجمة - من الغطاء وهي الغشاوة - هذا .

ص ١٩٨ س ١ قوله : ومنها دعاء ابراهيم واسماعيل - اه - هذا بظاهره غير ملائم العطف على ماتقدم من وجوه بشارات وقعت في كتب الانبياء المتقدمين . اللهم الا أن يتم النقل الى العربية حتى يشتمل ما نقل في القرآن . ولعل في العبارة سقطاً .

ص ٢١٤ س ١٧ قوله : انه يوجب الايمان بما يقوله ﷺ وأما الوجه الاول فبعكس ذلك من كون الايمان به . . . للايمان بهما ، لمكان الموافقة . فاذا قالوا بهما يلزمهم القول به على الوجه الثاني - بخلاف الوجه الاول . فان الموافقة فقط . ومجرد الموافقة لا يلزمهم ولا يقوم حجة عليهم في القول به ﷺ وبما جاء به

حسبما قرره .

ص ٢١٧ س ١٩ قوله : عند أبنائها - متعلق بنفس الجاه . لا بالحقير والحقارة -

كما لا يخفى .

ص ٢٢٦ س ١٢ قوله : خط وعلم كيف يجتمعان - لعله أراد من الخط عالم

الصورة . ومن العلم عالم المعنى والصورة على خلاف المعنى . وبالعكس مثل

مثال الشيء ونفس الشيء - لا يجتمعان في مرتبة واحدة من الوجود ، وان ظل

الشيء هو ذلك الشيء بعينه - فافهم .

ص ٢٤٤ س ٦١ قوله : من ادركته يصيب بها . اي ينال بهما المسيء من

اشتعال نار السطوة الالهية والعصمة الربانية أنرا يزول باعوجاج النفس الامارة

وانحرافاتهما عن صراط الاستقامة المتأدى بسالكه الى الغاية القصوى التي هي رد

الامانة الالهية التي لا يصلح لحملها الا الفطرة الادمية ، لكونها امس الله في تمام

المخلقة .

ص ٢٤٥ س ١١ قوله : بين يدي الرحمن - اعتبار الاسم « الرحمن » في هذا

المقام لعل سره هو سعة رحمته ، واطاعتها التي لا يبقى معه شيء خارج عن احاطته

سبحانه ، حتى ينصلح لان يلتفت منه عمت رحمة الله . كيف لا وهو جل وعلا

منقطع الاشارة ﴿ اِنِّ اِلٰى رَبِّكَ اَلْمُنْتَهٰى ﴾ [٤٢/٥٣] ﴿ اَلَا اِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ

رَبِّهِمْ اَلَا اِنَّهٗ يَكُلُّ شَيْءًا مَّحِيطًا ﴾ [٥٤/٤١] ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ اَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [٤/٥٧]

﴿ اَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَوَّجَّهَ اللّٰهُ ﴾ [١١٥/٢] فانتبه ايها المسكين ولا تكن من الغافلين .

ص ٢٤٦ س ١ قوله : فاذا دعي بكلتيه اجابه - ان دعاء المصلي بكلتيه وبشراشر

وجوده باطناً وظاهراً ، لهو السؤال الحالي الموجب للاجابة لا مجرد القول ، الخالي

عن الحال . فكما ان كلية الاعدان الامكانية قبل وجودها بايجاده تعالى ، لما سئلت بلسان

الحال الكاشف عن حقيقة الحال وحقيقة السؤال نالت ثمرة السؤال وأدركت الاجابة

بلامهلة ، فكذلك كل سؤال حال لا يتصور فيه تخلف الاجابة . اذ السؤال الحالي ليس الا الاستحقاق التام للاجابة . كيف لا - وهو المجيب اذ لاسائل ، كما انه عالم اذ لا معلوم . وخالق اذ لا مخلوق . بصير ، سميع اذ لا مبصر ولا مسموع . فسر عدم الاجابة في أكثر الموارد هو كون السؤال مجرد قال . من دون حال . فمجرد القول في السؤال بمنزلة الجسد الخالي عن الروح . فلا يترتب على مجرد الصورة الجسدية آثار الحياة . والا فالنقش على الجدار يلزم أن يكون حياً ذا حس وحركة ارادية . وهو كما ترى - هذا .

ص ٢٤٥ س ١١ قوله : ان الصلوة هي الصلة . وصله رحم الله يلزمه رفع الحجاب الفاصل القاطع المانع عن الصلة ، والحجاب هو جبل ائمة العبد ، وهو اله المنحرف عن جهة الله ، ووجه الذي قال : ﴿ وَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ فهو المحيط في الحضور « يا من خفي من فرط حضوره ظهوره » فالحجاب ليس الا الوجود الاضافي الوهمي - فافهم .

ص ٢٥٤ س ١٦ قوله : والعذاب - اه - ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتَهُ حِسَابَهُ ﴾ [ ٢٤/٣٩ ] وعلى خلافهم ﴿ رِجَالٌ لِأَتْلِهِمْ تِجَارَةٌ وَأَلْبَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا يَذْكُرُوا اللَّهَ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [ ٢٤/٣٧ ] .

ص ٢٦٨ س ١٦ قوله : في وصايا لقمان - اه - . . . اي لقمان عليه السلام الحكيم العريف ، والصديق الواقف بسر الامر ، وبدون اليقين لا يضمن ولا يفني العمل من جوع . ولكن تحصيل اليقين موقوف على محو الوهم . اي قتل النفس الامارة بالسوء . وقتل الناس لا يتيسر الا بالالتجاء الى الله ، والانقطاع اليه ، وطلب النجاة من لديه عن صميم القلب المنكسر المتضرع الخائف الخاضع المتخشع بين يديه مشتغلا بتلطيف السر ، كما جاء به الشرع النازل من لديه . والشرع ضروري

الصدق لولا حجاب سحاب ... والسفاهة ، ان جعل انصاف العقل القطري حكماً  
و... العقل الضروري سلماً . فافهم (١) .

ص ٢٦٩ س ٥ قوله : منهم تنكرون - «تنكرون» بصيغة الخطاب - لا النية -  
مثل « تعرفون » والحاصل : انكم ثلاثة اصناف : صنف منكم تكون صحبة الامراء  
معروفاً عندهم ، ومخالطتهم محبوباً غير منكر . وصنف آخر منكم تكون صحبة  
الامراء ومخالطتهم منكراً غير محبوبة عندهم . وصنف ثالث تكون مصاحبة الامراء  
ومخالطتهم مكروهة غير محرمة ولا واجبة ولا مستحبة . فالصنف الاول - وهم الذين  
تكون المصاحبة المذكورة معروفة غير منكورة ، ولا مكروهة أي واجبة أو مستحبة  
عندهم - ابعدهم الله حيث قال تعالى : ﴿ بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [ ٤٤/١١ ] وأما  
الصنفان الاخران فحالهما حال البراءة من الظالمين والتبري منهم أو حال السلامة من  
ضرهم وشرهم .

مركز تحقيق كتاب توير علوم اسلامي

ص ٢٦٩ س ١٢ قوله : وكانوا يردون اليهم - اي يردد الصحابي الى بعض  
التابعين ، ويرجع اليه في علم الفناوى عند مس الحاجة ، فيعلمه حقائق اليقين ودقائق  
المعرفة وكيفية الطريقة الى الاخرة . لان الصحابة كانوا أقوم من التابعين في عام  
الآخرة . وكان دأب الصحابة في ورودهم على السابقين لحاجة تحصيل علم الاحكام  
الفرعية [و] تعليم التابعين في الخلوات علم الطريقة والحقيقة - رضي الله عنهم انشاء  
الله تعالى .

ص ٢٧٥ س ١٣ قوله : وخاضوا في بحر العلم بالفهم - اه - هو نور اليقين  
فما لم تتجرد النفس الناطقة القدسية اللاهوتية ، ولم تنسلخ عن جلباب الكونين ، و  
لم تخلع النعلين ، اي الصورة الدنيوية والصورة الآخروية لم يتيسر لها دخول جنة  
عالم الحقائق واللطائف اليقينية - فضلا عن الدخول في الجنة الايقانية - بون بين

(١) اشارة الى كون الفطرة سالمة عن عصبية الجاهلية وحمية الناصبية - منه ده .

اليقين والايقان ، كالبون بين كرسي الرب وعرش الرحمن .

ص ٢٧٥ س ١٣ قوله : في غيب الغيب - عالم الصور الملكوتية المحسوسة بحس الخيال والوهم ، الملازم للخيال و غيب الغيب عالم المعاني واللطائف الجبروتية التي مدركها العقل الروحاني المنسلخ عن جلباب العالم الصوري دنيوياً كان أو اخر اوياً .

وأما قوله : سر السر - فيحتمل أن يكون عطفاً تفسيرياً ، واحتمال كونه غير تفسيري غير بعيد ، لكون المراد من «السر» غيب الغيب ومن «سر السر» عالم حقيقة الحقائق . أو الحقائق التي هي فوق عالم اللطائف . وحقيقة الحقائق له مقام فوق الحقائق - فضلا عن اللطائف - وتلك العوالم الثلاثة الروحانية الالهية فوق عوالم الصور مطلقاً . وعالم الصور عالم القوالب والقشور . وعالم المعاني عالم الارواح واللباب . ص ٢٧٥ س ١٦ قوله : لا يعني به - اه - استدراك منه قدس سره من قوله « هم الذين كملوا في جميع العلوم » اذ ربما يتوهم من قوله جميع العلوم . اي خبير الجزئيات . فلدفع هذا الوهم قام بالاستدراك . فقال : «يقف به» الى آخره .

ص ٢٧٥ س ٢٠ قوله : والعلوم الجزئية - مرادهم من العلوم الجزئية العلوم العملية التي ثمرتها وفائدتها نفس العمل . والعمل هو تهذيب الظاهر والباطن وتطهيرهما بوجه يؤدي بالعامل السالك الى المقصد الاصلي الكلي ، الذي هو معرفة الله تعالى بالنورانية .

ص ٢٧٦ س ٥ قوله : بيتاً أنت ساكنه - اه - لعل قوله : «أنت» كناية منه عن شهوده لحضرة الحق ، واستغراقه في مشاهدة جماله في تلك الحالة التي هي وقت الانقطاع الى الله . بعني التشرف بشرف حضوره وشهوده يغني عن قول «لا اله الا الله» اذ القول هذا انما يصح عند الغيبة . فالالتفات من الحضور الى الغيبة في مثل هذه الحالة ينافي الانقطاع اليه تعالى والاستغراق في شهود جلاله . . . يمنع عن

رؤية ماسواه وينافي الالفات الى شيء مما سواه ، وانكان الشيء هو قوله : « لا اله الا الله فافهم فهم نور ، لاوهم زور .

ص ٢٨٢ س ١٦ قوله : علوم الاعمال ، لعلوم المكاشفات - اه - قد مر ان العلم علمان : علم المعاملة ، وعلم المكاشفة . وفي الخبر المؤيد بالبرهان الحكمي : « ان العلماء سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة » فالمراد من العلماء - الذين هم السادة - هم علماء الوراثة ، وعلماء الولاية ، وهم الحكماء المتألهون المتجردون عن جلباب الكونين بخلع النعيلين . قال عليه السلام : « انما العلم ثلاثة : آية محكمة ، وفريضة عادلة ، وسنة قائمة » اراد بالآية المحكمة : علم الحكمة المطلقة - وهو العلم بحقائق الاشياء كما هي . كما قال : « رب أرني الاشياء كما هي » والفريضة العادلة علم الاخلاق المعروف بعلم الطريقة . والسنة القائمة الى يوم القيامة : علم الاحكام ، والاعمال المعروف بعلم الشريعة . والحكمة هي المعروفة بعلم الحقيقة .

ص ٢٨٣ س ١ قوله : وهي تورث الاحوال ، والاحوال توجب الاعمال - اه - فكون الاعمال بمنزلة نتائج وأثمارا انما هي من جهة كونها لواحق باعتبار ، كما انها سوابق باعتبار آخر .

ص ٢٨٣ س ١٢ قوله : والحركة من النتائج لهما - اه - اي في مجرد حكم الاحقية وأما النتيجة المقصودة بالذات وبالاصالة هو العلم اليقيني الذي له مراتب . وأقصى مراتبه يسمى بحق اليقين ، المسمى بالحقيقة .

روي انه عليه السلام قال : « الشريعة أقوالي ، والطريقة أفعالي ، والحقيقة حالي » فتقدم العلم على الاحوال النفسانية والملكات الداعية على الاعمال الصالحة المصلحة للنفس ، المعدة لها للترقي والعروج الى مقصد الحقيقة لاينافي تأخره عنهما من جهة الغاية . اذا العلم من الحقائق المشككة التي يقبل الشدة والضعف ، والتقدم والتأخر والكمال والنقص . كيف لا ، ويشهد له البرهان ، بل والقرآن كما قال خليل الرحمن



أبو الانبياء : ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ في الجواب عن سؤاله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ تَوْمِنَ ﴾ [٢/٢٦٠] وغير ذلك مما كثر في الكتاب والسنة من . . . المرام .

ص ٢٨٣ س ١٤ قوله : ان العلم بالمنعم - الى آخره سر كل ذلك كون العلم الحق الحقيقي القيومي المطلق هو أصل اصول حقائق الاشياء ورقائنها ، لطائفها وكتائفها اي اللطائف والحقائق الروحية النورية ، والكتائف الكونية الظلمانية الجسمانية الهيولانية . فلو ادرك وعرف معنى الاصلية والفرعية بحق معناهما الذي لا يعرفه الا الراسخ في العلم بحقائق الاشياء كما هي ، فلم يبق له حالة منتظرة في التصديق بكون منزلة العلم الحقيقي من كلية الاشياء بحقائقها ورقائنها ولطائفها وكتائفها منزلة الكنه والحقيقة من الوجه والصورة . فكون العلم أصل الحال والعمل ، وأصل الصبر والشكر وسائر الامور المتحققة في متن الواقع بما هي امور متحققة ، موجودة ، نازلة من عند الله بقضائه وقدره - جل وعلا . . . بناء كلمات أهل العلم في أمثال هذه المقامات على المعجازات العرفية ، والتوسعات الجمهورية - فلا تغفل .

ص ٢٨٤ س ٢ قوله : من عرف الترتيب - يعني في الترتيب العروجي والصمودي ، كما سيصرح به . وذلك الاعتبار انما هو على طباق مقامه الذي ساق الكلام فيه - فتأمل فيه .

ص ٢٨٥ س ١٨ قوله : ملكا آخر - اه - فهو نوع من الملكة الراسخة الحاصلة الكائنة فيه تدريجاً ، الى أن يصير راسخة جوهرية ، وحينئذ بذاته يكون حالاً غير راسخة وبالعلم يتقوى تدريجياً الى أن يصير الحال ملكة ، وهكذا في جانب الملك العلامة فهما ملكان علامة وعمالة تتجوهر بهما فطرة الانسانية تدريجياً ولهما مقامات ، في كل مقام حفظه وأعوان ما نراها بحواسنا . اللهم الا بالقوة الوجدانية وبالقوة العقلية التي هي مستعمل كل من دينك المسلكين بجنودهما . فهم الملائكة المسخرة للفطرة الادمية المطيعة الساجدة لها .

ص ٢٩٨ س ١٠ قوله : ومعنى رجوع الكل اليه سبحانه ألا انه بكل شيء محيط - فانتبه باممكور حتى تشاهد . . . معنى قوله تعالى ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ حيث قال جل من قائل : «تصير» - باصا - ولم يقل : «تسير» - بالسين - . قال عليه السلام : «كان الله ولم يكن معه شيء» لما ذكر هذا النبوي عند أبي ابراهيم موسى ابن جعفر عليهم أفضل الصلوات الزكيات . قال : «الآن كما كان» . كيف لا - ولقد قال عليه السلام : «من رأني فقد رأى الحق» . وفي النبوي : «خلق الله آدم على صورته» وترجمة هذا منه قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ فافهم ان كنت أهل الاشارة ، والاقم عليه السلام : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ . . .

ص ٣٠١ س ١٢ قوله : فهو ذاتي بالقياس الى سبب آخر ، وذلك السبب هو السبب . . . . اي اذا لوحظ مجموع الامور المؤدية الى الاثر الاتفاقي بالنظر الى بعض منها بصير الاتفاقي ذاتياً - فافهم .  
ص ٣٠٢ س ٢ قوله : وكذا ما زعمته - اه - ان هذا الزعم لراجع الى القول بالارادة الجزافية التي قال بها الأشاعرة . وأما القدر الذي قاله الثنوية من كون الاثباتات في لوح المراد صادرة من الخير والمحو بعد كل اثبات والفساد بعد كل كون بارزاً من ناحية الشرير .

ص ٣٠٢ س ٢ قوله : وكذا ما قال الثنوية - الى قوله : - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ان سر كون الثنوية وكون القدر الذي قال به الثنوية مؤدية الى البخت والاتفاق ، الباطل المبين بطلانه هو كون الثنوية هو . . . الاصلين في باب الوجود والايجاد ملزومة موجبة لكون كل من الاصلين الازليين بائناً عن الاخر بينونة العزلة فاقتدا كل منهما لوجود الاخر . فصار كل محدوداً مقيداً في الوجود ، والوجود المقيد المحدود - كما تقرر في محله وبرهن عليه في مقره - ممكن محتاج . فلهزم كون وجود العالم الموجود ، الضروري الوجود بمجرد الطبيعة الامكانية والماهية الجوازية ،

ونتيجة حلية مجرد الطبيعة الجوازية المدومة في نفسه ، بانتفاء علتها ان هي الامجرد البخت والاتفاق ، الذين ملاك القول به - اي واحتماله - انما هو السفسة الملازمة بالسفاهة .

وبالجملة - أصل ملاك ابطال القول بالبخت والاتفاق في العالم وسائر الاقوال المؤدية اليه كالثبوية والقول بالارادة الجزافية ، والمنع عن كون الحسن والقبح في الامر والنهي التشريعيين ذاتياً . والقول بكونهما شرعيين غير عقليين هو قولنا بأن الشيء مالم يجب لم يوجد . ومنه يلزم بطلان القول بالبخت والاتفاق ، والارادة الجزافية ، والاولوية الذاتية والغيرية وسائر ما يشرب من أمثال هذه المشارب الكدرة الواهية ، المنافية للقول بالتوحيد الحق ، وبدين التوحيد المطلق ، القائم به النبي الختمي ﷺ والحافظ له [و] آله الوارثين لكمالهم ﷺ والتابع فيه شيعتهم الذين هم خاصة أشعتهم ﷺ . «يك نكته از اين دفتر گفتيم همين باشد» .

ص ٣٠٣ س ٣ قوله : مؤدياً واصلًا - اه - كان الوصول كناية عن مرتبة التعلق والتشبه ، مثل تسخن الحديد في ابتداء مجاورته للنار لغلبة صفات الحديدية ، واضمحلال مشابهته في السخونة والحرارة بالنار واستهلاك هذه المشابهة والانقلاب اليه ، كأنه اشارة الى مرتبة تخلق الطبيعة الحديدية باخلاق النار ، ورسوخ الصفات النارية فيها بحيث تكاد أن تنتفي صفات الحديدية وتغلب صفات النارية باستهلاك صفات الحديدية في النارية ، بحيث لا يكاد يبدو منها أثر أصلاً . وأما الانقلاب اياه من دون توسط الروابط الحرفية مثل حرف «الي» وغيره ، فكأنه رمز الى استحالة تجوهر الحديدية ، وانقلاب طبيعتها النارية ، بحيث لا يبقى من الطبيعة الحديدية لآعين ولا أثر .

وهذه المنزلة العليا والغاية القصوى - المعبر عنها بالفناء عن الفناء ، ومحو المحو ، والاتحاد طراً - انما هي خاصة سر الانسان المحمدي الختمي ، ومسلكه

الجامع للجوامع، لاحظ ولا نصيب لغيره فيه أصلاً . وهذا سر سثير مستور عن بصائر كثير من أفاضل الأعمار وأكابرهم الذين هم في الشهرة والاشتهار كالشمس في رابعة من النهار . ولب مغزاه هو ما قال شاعر اخوان الصفا :

تواو نشوى ولى اكر جهدكنى \* جائى برسى كز تو توئى بر خيزد  
وذلك كما قال جل من قائل : ﴿لَمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١٦/٤٠]  
فاعتبروا يا ولى الأبصار .

ص ٣٠٣ س ١٦ قوله : معية الحق الاول لكل موجود - ومن ههنا قال جل من قائل : ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [٥٤/٤١]  
وفيه نعم ما قيل - ولصاحب القول نصيب وحظ من المعرفة - :

كفتم بكام وصلت خواهم رسيد روزي \* گفتا كه نيك بنگر شايد رسيد به باشى  
وأما الانسان الكامل الجامع لجوامع الكلمات التامة، والمعلم بالتعليم اللدني بجوامع الاسماء الحسنی ، فهو الواصل الى مقام الخلافة الالهية التي يكاد يحل عبادته بخلافته العامة التامة المحيطة ، بل له مقام فوق ذلك ، وذلك هو مقام البيان الذي قال سبحانه فيه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [١١/٤٢] تفتن .

كيف لا والانسان الجامع للجوامع كلها هو وجه الله الباقي بعد فناء الاشياء جلها وقلها هذا .

ص ٣٠٨ س ١٤ قوله : فكلما أمعنت هذا النشأة - اه - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيعَةٍ يَحْسَبُهُ الضَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَقَّيَهُ حِسَابَهُ﴾ \* أو كظلمات في بحر لحي ﴿الاية [٢٤/٣٩-٤٠] كلية طبيعة الطاغوتيه راجعة الى اللبسية ، ومن ههنا صار اسم ابليس : اب ليس . اي : أبو اللبسية . كما ان طبيعة الادمية المضادة للابسية راجعة الى الايسية كلما (ظ : كما) ينكشف ذلك عند الفحص عن بطون اسم آدم . فابليس في شق عدم أو عدمي . و آدم في شق وجود

أو وجودى لبني آدم أو آدمي ، وبون ما بين آدم و آدمي - فافهم .

ص ٣٠٨ س ١٧ قوله : لان الله تعالى - اه - فهو معنى قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا ﴾ [ ١٤٨/٢ ] كما أشرنا .

ص ٣٠٨ س ٢٠ قوله : و أفاض بكل النور - اه - هذه الافاضة انما هي النفخة الثانية بعد الاولى ، التي يسمى بنفخة الصعق وخراب الدنيا بالكلية ، وهو موت الانسان الكبير المسمى بالانسان المحمدي يترتب على نفخة الصعق . ثم ينفخ نفخة ثانية يتفرع عنها ابصال أهل الجنة بجنة الخلد . و ابصال أهل النار بنار الخلد المسماة بجهنم الكبرى .

ص ٣٠٨ س ٢٢ قوله : من وراء ظهره - اه - فيكون ضعيفاً و معرضاً عنه ، لالتفات الملائكة الى العدم ، والمستقبل اليه الى عام الوجود والنور غير مستشعر به ولاشاعر . ولا يستشعر الالعدم والظلمة . وهما مضادان للوجود والنور ، وضدان لاصل الفطرة الادمية التي فطر الناس عليها ، وهي فطرة نور التوحيد ، لان اشراق ( بقية العاشية ساقطة ) .

ص ٣٠٩ س ١٨ قوله : الى ما هو الخير الحقيقي - لما علمت من كون الغايات الرومية باطلة كما قال عز من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَنْسَبُ الظَّلْمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْتًا وَّوَجَدَ اللَّهُ عِنْدُفَوْقِهِ حِسَابَهُ ﴾ [ ٢٤ ] . فقوله سبحانه « ووجد الله عنده » صريح في كون معاد الكل هو الله تعالى ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ .

ص ٣١٢ س ٧ قوله و أما النعمة - خلاصة التفرقة البرهانية بين معنى النعمة - بالكسر - والنعمة - بالفتح - هو التفرقة بين العطية الامرية ، وبين العطية الخلقية . اذ العطية الامرية التي هي عين اعطاء المعطي تعالى ان هي الاصفة المعطية و أما العطايا الخلقية والنعماء الخلقية ان هي بالانعماء كائنة ومخلوقات موجودة بايجاده

تعالى ، وانه تعالى لا يوصف بخلقه كما في صريح حديث الكافي ، الوارد عنهم **عليه السلام** . وسر هذه التفرقة العرشية لا ينكشف الا للحكيم الراسخ في الحكمة العرشية ، فمن هنا قالوا في التفرقة بين الامر التكويني والايجابي ، وبين الامر التشريعي . . . التكويني عين المأمور ، بل وعين إخبار المأمور كما قال تعالى : **﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾** [٨٢/٣٦] فيكون الكاشف عن استحالة التخلف ، وذلك بخلاف الامر التشريعي . - فافهم .

ص ٣٢٦ س ٨ قوله : في سمادتها دائمة - كما في قوله تعالى : **﴿ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ﴾** [١٣/٥٧] بجملة الاسمية مع تقدم الظرف - فلا تغفل .

ص ٣٢٥ س ١٩ قوله : الامر و - الدهور و كرور الاعصار - فان لم ينضم اليه نوع من الكفر يكون مخلداً في النار ، فيفرغ نفس الممذّب في النار بعد مرور الدهور عليه و كرور الاعصار من دار الاخرة ، فلا نجات له بوجه من الوجوه ، ولا يمكنه الخروج منها ، وكلما أراد الخروج أعيد كما كان في دار الدنيا ، حيث كان أراد الخروج من الكفر وسائر الكبائر عاد اليها ، فهذه الحالة والخصلة التي كانت له في دار الدنيا يتصور ويتمثل له في دار الاخرة . . . في النار ، انما هي أعمالكم وأحوالكم ترد عليكم من داخل أنفسكم .

ص ٣٢٦ س ١١ قوله : فهي من عالم القدس - اهـ كيف لا وقد قال تعالى : **﴿ فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾** [١٣/٥٧] فالباطن الذي فيه الرحمة بتأ انما هو ذلك الروح القدسي اللاهوتي الالهي كما قال : **﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾** [٧٢/٣٨] فافهم واستقم .

ص ٣٢٦ س ١٤ قوله : وهو من العرشيات - اي كون النفس الحيوانية باقية محشورة في الاخرة ، ويحتمل أن يكون مراده كلا المطلبين من استحالة تكدر الروح القدسي ، وكون النفس الحيوانية باقية محشورة .

ص ٣٢٧ ص ٥ قوله : لكونه متوقفاً - اه - هذا بظاهره ينافي احتمال حصول هذا المقام على الندرة لمن يرتكب الكبيرة من دون تصفية كاملة بالغة . اللهم الا أن يراد من الاحتمال المذكور وامكانه من دون التصفية البالغة الكاملة احتمال اهتزاز علوي وجذب الهي ينزع نزعاً به ينسلخ العبد من جلباب الكونين ، ويرفع إنته من البين بلامين ولاشين . وذلك لكون فطرة ذلك العبد عنصر نور وجودها غالباً على ظلمة ماهيتها في بدء الفطرة . ولعل فيه سرّاً آخراً ، والحكمة الالهية لها زوايا، فيها خبايا ، لا يحتمل دركها الا من شاء الله .

وحاصل كلامي ان الصفاء الكامل البالغ جداً ، الذي هو شرط حصول ذلك المقام ، قد يكون فطرياً لاتعارض ولا يرفعه ارتكاب المعصية معارضة يعتد بها .

ص ٣٣١ ص ٧ قوله : لئلا يلزم ارادة المعنى المشترك - واحتمال كون عبارة «ارادة المعنى المشترك تصحيحاً» - بأن كان أصل العبارة «ارادة معني المشترك» فصحف بالصورة الموجودة في هذه النسخة ونسخة اخرى رأيناها - خير بعيد كل البعد .

وبالجملة فلا بد من ارتكاب محل وتكلف ما حتى يستقيم الكلام كما لا يخفى .

ص ٣٢٧ ص ١٨ قوله : في قوله فَلَا تَقْرَبُوا - يعني من الانسان الكامل او جامع الجوامع - فتأمل فيه .

ص ٣٢٨ ص ٦ قوله : ومن التضاد - والاضداد لا يجتمع .

أقول : قالت أساطين العلم : «ان أنواع الكفر خمسة : كفر الجحود . وكفر التهور . وكفر النفاق . وكفر الاستبداد . وكفر تجوهر الكبائر بارتساعها في النفس وصيرورتها ملكات جوهرية راسخة بحيث لا يبقى معها مثقال ذرة من نور الفطرة بانقلاب الفطرة الادمية الى البهيمية أو السبعية أو الشيطانية النكراوية ، وبطور التركيب منها ضروبه لانهاية لها . وقد تقرر في محله ان بعض المنافقين . . . دين الاسلام وهو . . . ورئيسهم كان مجمع جوامع تلك الانواع الخمسة - فلا تنفل .

ص ٣٣٥ س ١٠ قوله : واحد من امته -اه- يعنى الامة امة الاجابة ، وهم الامامية الاثنا عشرية اللهم الا المتعذرين من انه الدعوة دون الاجابة ، وهم طوائف وقبائل لا يكاد يحصى . وخلاصة مشرب الحق ان الموجب للخلود والابود في النار ودار البوار هو العناد والاستكبار لدين الحق وأهله بما هم أهله . ومن ههنا يعلم كون غالب طوائف أهل الخلاف بالمعنى العام مآلهم ومآل أمرهم الى النجاة بتفاوت درجات النجاة وطبقات أهلها .

وبالجملة مدار الامر على ما أشرنا اليه في المقام تفصيل لا يسهه هذا المجال .

ص ٣٣٦ س ٤ قوله : قال العُجَب - السر كون العُجَب - وهو من رؤساء الملكات الرذيلة المهلكة - شراً من الذنوب التي هي من أعمال الجوارح والاعضاء كبيرة كانت أو صغيرة كونه ملكة رذيلة نفسانية مهلكة للنفس الادمية ، ومبدءاً للذنوب ومبدء الشرور هو شر الشرور - كما تقر في محله .

ص ٣٣٧ س ١٣ قوله : مخدوش مرسل - اي : يخدش ويناقش معه ، ثم ينجى ويرسل ولا يحبس في النار . وأما المكروس : فهو الذي يحبس في النار ابوداً وانقطاعاً .

ص ٣٣٨ س ٢ قوله ﷺ بأشد من أشدة في الحق -اه- لعله من المناشدة بالله والمسئلة المؤكدة بالقسم بالله . وقوله : « من المؤمنين لله » حينئذ متعلق بـ «أشد» فحاصل المعنى على هذا الاحتمال : ما من أحد منكم أشد مناشدة ومسئلة في الحق - اي في الله وفي سبيله - من المؤمنين لله . اي من الذين هم أهل الله . وقوله : « قد تبين لكم » معترضة وقع في البين . اي : قد ظهر - أو يظهر - لكم ما ذكر يوم القيامة فهي جملة حالية ، وفيه تكلف لا يخفى . ولعل في عبارة الحديث نوع اسقاط وتصحيف<sup>(١)</sup> بزيادة او نقصان - والله يعلم - ويحتمل أن يكون قوله : « من المؤمنين »

(١) راجع ما نقل في ذيل الصفحة (٣٣٨) من نسخة مصدر الحديث .



متعلقاً بقوله : «تبين» بصيغة مجهول المضارع . وفاعل «تبين» حينئذ مضمون قوله : يقولون - اه - فحينئذ ينبغي أن يكون معنى قوله : « بأشد منّا شدة » ليس أحد منكم بأشد شدة منّا - بكسر ميم «منّا» - اي منه الذين ومن آله الذين في الحق . اي في حق الشفاعة . يكون الالف واللام عوضاً عن المضاف اليه . اي مع كوننا كذلك تبين وتظهر من المؤمنين في الله والله يوم القيامة - الي آخر ما أشرنا اليه احتمالاً ثانياً . ولكن الحق هو احتمال وقوع التصحيف .

ص ٣٣٩ س ١٩ قوله : قال ليس ذلك لك - اه - حاصله ان كل مرتبة من مراتب الايمان سوى مرتبة التوحيد لها ضرب من التعلق والاختصاص وأما مرتبة التوحيد فهي حاجتي خاصة - فتفتن .

ص ٣٤٢ س ١٥ قوله : لا يتناهى قدراً - اه - يعني كيفاً . لصيرورته جوهرياً وكل جوهرى اخروي دائمى غير زائل .

ص ٣٤٢ س ١٧ قوله : صاحب هذه الكبيرة - اه - اليه يرجع كفر التجاهر بالفسوق والفجور ، كما تقرر في باب الكفر : ان أنواعه خمسة : كفر الجحود قلباً ولساناً . وكفر النفاق ، اي قلباً للساناً . وكفر التهور على عكس كفر النفاق . وكفر الاستبداد بالرأى . وكفر التجاهر بالفسق والفجور . كل كفر من هذه الأنواع الخمسة يوجب [الخلود] والابود في النار عند المحققين المحققين . فالحق ان احاطة الخطيئة كما قرره - قدس سره - بخارجة عن محل النزاع - على ما تقرر في باب الكفر . ونقل عن المحققين المحققين - ومن رؤساء المحققين هو أنار الله برهانه - فنظره ايضاً اخراج صاحب الخطيئة المحيطة بصيرورتها جوهرية راسخة ذاتية احاطية عن دائرة أهل الايمان طراً ، وادخاله في زمرة أهل الطغيان والعداوة .

ص ٣٤٢ س ٢١ قوله : كان مقتضى العدل - اه - ذلك كما قال عليه السلام : «حب علي حسنة لا يضر معها سيئة» وعلى عكس ذلك بغض علي عليه السلام - يعود بالله منه .

ص ٣٤٤ س ١٢ قوله : بشفاعة الانبياء لامهم - اه - أراد من امم الانبياء عليهم السلام الاجابة ، لامم الدعوة اعم من أن يكون من أهل الاجابة ، أم لا . ولعل في الامم الذين لم يفوزوا بفوز الاجابة تفصيلا كما هو مقرر عند المحققين ، اذ العبرة والاعتبار في ابود النار هو العناد والاستكبار والاستنكاف عن دين الحق - كما تقرر في محله .

ص ٣٦٥ س ٢٠ قوله : لان ذلك مما يحصل - اه - سر ذلك كون الاسباب والعلل الاخروية داخلية غير خارجة من ذات كل من يعاينها ويشاهدها . فهي كلها جوهرية ذاتية يتجوهر ويتقوم بها جوهر ذات كل شخص من أشخاص النشأة الاخروية غير واردة عليه من الامور الخارجة ، ولان العلل والاسباب الاتفاقية ، كما يشاهد في عالمنا العنصري الدنياوي من تصادم العلل والاسباب من طريق البخت والاتفاق . ومن ههنا يكون المعاملات الاخروية معنا من جهة عللنا دائمية ، بخلاف معاملات العلل والاسباب الكائنة الاتفاقية الحادثة بعد أن لم يكن . فانها ليست بدائمة ولا أكثرية كما تقرر في محله في الحكمة الحقة - وقد تقرر ان الذاتي لا يختلف ولا يتخلف . ومن هنا صار دار الاخرة دار القرار ، مع تفاوت ما بين دار النعيم ودار النار ﴿ كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [٥٦/٤] سر هذه التفرقة المرموزة ، وهو كون دار النار ودار البوار حقيقة دار الدنيا التي لا ثبات لها ولا قرار فاعتبروا يا اولي الابصار .

ص ٣٦٩ س ١٢ قوله : أطيب عنده من ريح المسك - اه - سر كون تلك الرائحة الكريهة مطلوبة للملائكة كونه من مقولة نعيماً في شقاء ، وبقاء في فناء فلا تغفل .

ص ٣٦٩ س ١٩ قوله : لاتحصل الا بتخليية المدرك - اه - نازل منزلة الخبر لقوله : « وكذلك استفاضة العلوم اللدنية والمعارف الالهية » . وأما قوله : « وهي

ضرب من المكالمة لان حقيقة التكلم « الى آخره - فهي معترضة في البين بيانا لاحتياج التخلية باستفاضة العلوم اللادنية الى تخلية المدارك - الى آخره .

ص ٣٧٠ س ١٥ قوله : في القوس النزولية - مقتضى طبيعة قوس النزول وان كان البعد عن غلبة حضرة النور ، اذ النزول هو الحركة الى قاعدة الظلمة والاكوار ولكن البعد عنه في عين القرب منه بعيد في عين قربه ، قريب في عين بعده فاحتجب في عين المعرفة ، وتعرف في عين احتجابه كما قال عليه السلام : « حاضر غير محدود ، غائب غير مفقود » تعالى سبحانه عن ثنوية التقابل . لا ضده ولا ند - تطف .

ص ٣٧٦ س ٨ قوله : ميزان صحيح - قال قلة العارفين علي عليه السلام ما حصله ان العلم ليس في السماء حتى ينزل عليكم ، ولا في الارض حتى يخرج اليكم ، انما هو مجبول في قلوبكم . فروحوا وتخلقوا بأخلاق الروحانيين لكي يظهر لكم صدق ولي الله - روعي له الفداء .

ص ٣٧٦ س ٨ قوله : بميزان صحيح - اه - ذلك الميزان هو المستنبط والمستخرج من قوله تعالى : ﴿ اِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ وَمَا ضَاهَا مِنْ الْاَيَاتِ الْكَاشِفَةِ عَنْ حَقِيقَةِ ذَلِكَ الْمِيزَانِ مِنَ الْقِسْطِ . وعن كفيته ، كما جاء به الشرع المقدس . بحيث لا يبقى لكل سليم الفطرة شائبة اوربية وعائقة شك وشبهة .

ص ٣٧٦ س ١٠ قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ﴾ - يعنى رفع المحمدية البيضاء . ووضع العلوية العليا مقامها . والمحمدية البيضاء هي عقل الكل . والعلوية العليا هي نفس الكل .

ص ٣٨٠ س ٩ قوله : بواسطة الملائكة والانبيا - وساطة الانبياء في الدنيا وساطة اعداد ظهراً ووساطة ايجاب وايجاد بطناً . وأما في الاخرة فهي ايجابية ايجابية لا غير . لان دار الاخرة - سيما دار نعيمها - دار فعل لانفعال فيها . وهذا هنا لا ينافي تالم أهل منها . وكذلك تنعم أهل الجنة . اذ شيء منها ليس من مقولة

أن يفعل ، كما في الوجود الدنياوي . إذ الانفعال منوط ومربوط بوجود المادة الهولانية ، والمادة الاخروية انما هي قوة الفاعلية وقدرتها على تصورات وتمثلات قائمة بنفس العبد وروحه - منعماً كان أو معدباً - قيام صدور ، لاقيام عروض وحلول - فافهم .

ص ٣٨٠ س ٩ قوله : بواسطة الملائكة والانبياء - ان وساطة الملائكة في سلسلة الابدان . . . كما ان وساطة الانبياء في سلسلة الاعداد بالهداية والارشاد . وبعبارة اخرى تكون وساطة الملائكة في الوجود التكويني - فانهم رسل الله في تبليغ الامر والنهي التكوينيين . وأما الانبياء فانهم وسائط في الوجود التشريعي ، فانهم رسل الله في تبليغ الامر والنهي التشريعيين . والتفرقة بهذا الوجه الذي بيناه لاينافي كون الملائكة مرسلات الى الانبياء في الاوامر والنواهي التشريعية . اذ وساطة الملائكة هذه ايضاً طور من الوساطة التكوينية ، كما يراه أهل البيت الذين هم أهل فهم . . . يرون وساطة الملك . والامر التكويني وكذلك ماهيته (تهيته - ن) لما كان عين الابدان للشيء هو عين وجود الشيء لايتصور منه التخلف . كما قال تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ - فافهم واستقم .

ص ٣٨٤ س ٥ قوله : من جفاء المنعم - وأما بنعمة ربك فحدث .

ص ٣٨٤ س ١٣ قوله : فيلزم الشكر على تلك النعم ان أراد من النعم المقترنة بالنعم التي بينها وبين الشدة نوع اتصال عقلا ، ويكون من لوازم تلك الشدة فله وجه موجه . وان أراد مجرد الاقتران الزماني ، فهو كما ترى .

ص ٣٨٤ س ١٩ قوله : في صورة كريمة - اشارة الى كون الملاذ الاخروية وصورها المحبوبة الحسية المطلوبة الملمذة ظاهرة في الدنيا بالصور الكريمة . وبالعكس الالام الاخروية والصور الكريمة ظاهرة في الدنيا بالصور الحسنة الملمذة الغير . . .

ولولم يكن بناء أمر الآخرة والدنيا على هذه الوثيرة من التخالف لما كانت الطاعات مشقة تحتاج الى المجاهدة . والمعاصي راحة غير محوجة الى ارتكاب الرياضات الشاقة .

والسر في ذلك هو كون . . . النشأة الآخروية على مقتضى العقل الذي هو حزب الرحمن . . . الدنيا على اقتضاء الفطرة الجهل الذي هو حزب الشيطان . ومن ثمة يترجم العقل بما عُبد به الرحمن . ويفصل الجهل بالنفس الامارة وبابليس الابالسة . وابليس محلل «أبي ليس» معناه . أب ليس . وحقيقة الادمية التي هي طبيعة العقل الكلبي ، اي الجامع لجوامع الكمالات والسعادات ينحل في ملاحظة بطون لفظه وبتباينها الى الاليس والاليسية . والاليس معدن الخير والليس معدن الشر كما تقرر في محله .

ص ٣٨٨ س ١٧ قوله : **بالحقيقة هي الذي سخره لك - اه -** لعمر الهي ان أمر التوحيد - ذاتياً كان أو وصفاً ، وصفتياً أو فعلياً - ألطف وأخفى وأرفع وأعلى مما يتراءى من ظاهر هذا التمثيل وأمثاله . ولا ينكشف عن حق سره وحقيقة أمره الا قول حضرة قبة العارفين الموحدين ، أمير تلك الولاية ، سلطان سلاطين مملكة الخلافة لعلى أمير المؤمنين **عليه السلام** ، حيث قال : «توحيدته تمييزه عن خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة» وقال **عليه السلام** : «مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة» ونيل حق معناه ودرك حقيقة مغزاه صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان . نعم هذا التمثيل وأمثاله نوع تنبيه واعانة ، وفيه ضرب من الاشارة لا ينالها الا الاوحد الفريد في الدهر .

ص ٣٩٠ س ١٦ قوله : **في الصحة والسلامة - سئل عن سلامة القلب قال :** « أن تلقى ربه وليس في قلبه سواه » سر ذلك هو كون كل شيء سواه راجعاً اليه تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّا رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ .

ص ٣٩١ من ٣ قوله : وذلك لامرين - يعني ان الشكر العملى له و . . .  
بنعمه .

ص ٣٩١ من ١١ قوله : وصرف الشيء في مصرفه الطبيعي - اه - فالشكر  
حينئذ ان هو الا السير والسلوك الى التقرب بحضرة الحق والتحقق بصفاته العليا ،  
والتجوهر بأسمائه الحسنى . بأن ذلك السير على صراط الاستقامة ، كما جاء به  
الشريعة المحمدية الختمية ، وهو صراط التوحيد ، المعبر عنه حينئذ بالطريقة المؤدية  
الى الحقيقة التي هي ذلك التخلق . والتحقق بالشكر بهذا الاعتبار انما هو السفر من  
الخلق الى الحق في وجه . بل كل من الاسفار الاربعة يمكن أن يعتبر بوجه يكون  
شكرا له تعالى ﴿ فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ .

ص ٣٩١ من ٢٠ قوله : في التأثير والاثار - اه - ان سر استحقاق الوسائط  
للشكر وهو كون وساطة الوسائط منطوية في فعله تعالى ، راجعة اليه برجوع أنفس  
الوسائط اليه تعالى ، اذ فعل الوسائط وتأثيرها انما هو من مقامات فعله تعالى . . .  
بأمر خارج عنه ، خروج شيء عن شيء آخر غير راجع الى ذلك الاخر - احسن  
التدبير فيه .

ص ٣٩٢ من ١٢ قوله . كأرباب الارادة - اه - هذه الارادة في مقابل ذلك  
التسليم الاضطراري .

ص ٣٩٢ من ١٢ قوله : في مقام التسليم - اه - كأنه أراد من التسليم التسليم  
التقليدي الاضطراري في وجه من الاعتبار .

ص ٣٩٢ من ١٦ قوله ﴿ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ كأنه يتضمن الإشارة  
الى لحاظ وساطة الوسائط . وكذا قوله : «على كل حال» - فأحسن التأمل فيه .

ص ٣٩٣ من ٣ قوله ﴿ وَنَزَلَتْ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ - اي بركة  
مصاحبة الصائمين والابرار، الذين هم حضروا معكم الافطار ، واجتمعوا معكم في

مصاحبة . ولذلك الاجتماع نوع من الوسائط في استئزال البركات - فافهم .  
 ص ٣٩٦ س ١٧ قوله : على قلب حبيب الله ﷺ بالحق - اه - اي : بالحقيقة  
 من دون وساطة ملك ، كما في صورة انزال الكتاب على سائر الانبياء فانه لا بد فيه  
 من توسط الملك الحامل للوحي الكتابي اذ الروح الكلي الامر الكسلافي ما  
 لم يتصور ويتمثل ، ولم يتنزل من الموطن المعنوي الروحاني الى المنزل الصوري  
 الجسداني لم يمكن أن يتوسط في نزول الوحي على الحس الباطن من النبي ،  
 حتى يتمكن من استماع كلامه بسمعه الحسي الباطني فضلا عن السراية الى الحس  
 الظاهري منه - فلا تغفل .

ص ٣٩٦ س ٢٠ قوله . بان أحدهما - اه - يعني ان كلام المتكلم صفته التي  
 اتصف بها . وأما الكتاب بالنسبة الى الكاتب يكون صورة الكتابة فعل الكاتب  
 الصادر عن الكاتب في المادة اللوحية التي انفعل بتلك الصور .

وفي تكلمنا البشرية اعتبار ان تكون الحروف والكلمات في لوح نفسنا - بفتح  
 الفاء - صادرة من نفسنا - بسكون الفاء - فينفع لوح نفسنا - بفتح الفاء - من تأثير نفسنا  
 - بسكون الفاء - التي هي الكاتب ونوح نفسنا - بالفتح - حينئذ يصير كتاباً مبائناً  
 لوجود نفسنا المفارقة عن المادة الخلقية من عالم الانفعال الذي هو صفة النفس  
 - بالفتح - وأما الاعتبار الاخر فهو اعتبار نزول النفس - بسكون الفاء - الى مقام النفس  
 - بالفتح - وصيرورتها موجودة بعين وجود النفس - بالفتح - فحينئذ يصير متكلماً  
 بأن يكون الحروف والكلمات صفة للنفس - بسكون الفاء - النازلة في مقام النفس  
 - بفتحه - المتحدة به في الوجود بعينه . ومن ههنا قالوا : « ان كل كتاب كلام من  
 وجه ، لا بالعكس » . - لكن درك ما قالوا قل امله .

ص ٣٩٩ س ٥ قوله : والفرق بين الباري - اه - حاصل الفرق [ ان ] الباري  
 هو جاعل الشيء وموجده ومبدعه لامن شيء ، والمخالق هو جاعل الشيء ومكونه

من لاشيء ، الذي هو المادة القابلة للحاملة لقوة وجود الشيء واستعداده . وهذا هو الفرق بين الابداع والتكوين .

وأما الاختراع : فهو برزخ بينهما كما اشتهر بين القوم . اذ العوالم ثلاثة أنواع : عقلي مفارقي بالمرّة ، ونفساني برزخ بين العالمين ، وخلقى هيولاني . فلكل اعتبار يسمى بحسب ذلك الاعتبار .

ص ٤٠٩ س ٦ لكن ترك العمل به في انزال الكتاب - يعني من ترك العمل هيئنا وترك القول باستحالة انزاله . فبقي القول بها في رؤيته تعالى على خلاف الاشاعة . ولا يخفى ان هذا القائل التارك في انزال الكتاب والقائل في باب الرؤية حسبما استند اليه من الاستناد بظاهر اللفظ الذي هو استناد ظني واجتهاد فقهي لم يتيسر له تحصيل القطع والعلم اليقيني والايمان الايقاني بالضرورة من الدين المبين الذي هو مدلول نص الكتاب المحكم من قوله تعالى : ﴿لَا يَدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ﴾ ونظائره من الايات البيّنات والمحكمات الباهرات ، فان الظن لا يغني من الحق شيئاً فاعتبروا يا اولي الابصار .

ص ٤٠٩ س ٨ قوله : انما وقع التعويل على ضرب الامثلة يعني من مواد مخصوصة يحتمل وجودها من المحامل التي لا يقي معها الوثوق والاعتماد فضلا عن يقين من الاعتقاد الذي يجب تحصيله في مثل هذا المقام .

وقد تقرر في محله ان قدر المرء بقدر نورايمانه ويقينه وابقانه كما يشير اليه قوله تعالى : ﴿لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [٣٦/١٠] فلا تغفل .

ص ٤٠٩ س ١٨ قوله كالمصباح - قال تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ وَالْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [٣٥/٢٤] الابه - ان المشكوة لهي الصدر المعنوي المسمى بالنفس والقلب المعنوي المتقلب الذي ينقلب في بعض



الموارد الى أهله مسروراً ، وفي بعض آخر يصير مصدوقة كريمة : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [ ٢٢٧/٢٦ ] وأما المصباح فهو العقل النوري الذي أصله هو العقل الكلبي المحمدي ، هو شمس حقيقة حقائق الاشياء كلها . المسماة بالمحمدية البيضاء . وكل قلب نوراني معنوي منزلته من المحمدية البيضاء منزلة القمر البدر والهجالي بصوره المختلفة في الاستنارة ، المتفاوتة قدراً فيها ، حسبما تفيضه (ظ : تقتضيه) الاوضاع المختلفة . أما القلب الظلماني بتفاوت درجات ظلمته فهو بقدر حيولة أرض النفس الامارة بالفحشاء والمنكر بينه وبين مواجهته وتوجهه واقباله الى شمس المحمدية البيضاء بصير منخسفاً بخسف تلك الارض ، ويعتمد ويتكى عليها ، ويقطع رابطة اتصاله الفطري الذي فطر قلب الادمي عليه بها طراً فيسقط القطع في الدركة التي هي أرضها الخاسفة به .

ص ٤١٠ س ٢١ قوله : « مظهر من مظاهر ذاته - اه - قال قلة العارفين علي عليه السلام : « تجلى للاوهام بها وامتنع بها عنها » حاصله : انه سبحانه وصف نفسه تعرف لنا بنا في عين حجابنا عنه . وقد قيل فيه باطن لا يكاد يخفى ظاهر لا يكاد يبدو فانه سبحانه تعرف للحق بالخلق ، باطن في ظهوره ، ظاهر في بطونه .

ص ٤١١ س ١ قوله : بل واقع لقوله عليه السلام : « من رآني فقد رأى الحق » أقول : في تحقيق هذا المقام وأمثاله قال اولياء العلم والمعرفة ، وبذلك وردت الاخبارات الالهية - اي الايات الكتابية ، والبيانات الإيجابية - مثل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [ ٣/٥٧ ] وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴾ [ ٤/٥٧ ] وقوله : ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [ ٢١/٥١ ] وقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [ ٥٣/٤١ ] وقوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ [ ٥٤/٤١ ] وغير ذلك من الايات الباهرات الكاشفات عن سرائر أسرارته تعالى في أمثال مقامنا هذا .

ومحصل كلامهم هيئنا انه تعالى وصف نفسه بنا فاذا شهدنا هذه في مواقف قرب النوافل شهدنا أنفسنا في مشاهد سمعنا وبصرنا بما ورد : « كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » واذا شهدنا في مواقف قرب الفرائض شهد نفسه في مشهد سمعته ، كما ورد في : « سمع الله لمن حمده » يعني يقص سمعنا الراجع اليه تعالى اي الى سمعته فيه . فيصير في مواقف الفرائض وبحسبه سمعنا سمعته ، وبصرنا بصره . الى غير ذلك مما يرجع منا اليه سبحانه .

والحاصل ان الامر في المؤمنين بحسب نفسه كان كذلك لا بحسب وهمنا . فان وهمنا يحكم لو خلي بطبيعته وفطرته المضادة للعقل النسوري القدسي الالهي على خلاف ماهو الامر في نفسه من رجوع الامور اليه تعالى ، كما قال هو : ﴿ اَلَا اِلٰى اللّٰهِ تَصِيْرُ الْاُمُوْر ﴾ [٥٣/٤٢] قال ﷺ : « كان الله ولم يكن معه شيء » وقال ابنه أبو ابراهيم موسى الكاظم عليه السلام عند استماع هذا النبوي وذكره في محضره ومسمعه : « الان كما كان » فتناطف وتثبت يا بنتي في كل ذلك ، فانه حرى بذلك .

ص ٤١١ س ١ قوله ﷺ : من رأني فقد رأى الحق - لعله صدر عنه ﷺ إشارة الى موقف جامع من قرب النوافل . وأما احتمال حمله على الإشارة الى طور قرب الفرائض فبعيد جداً . اذ المشاهد الرائي في قرب الفرائض هو الله - لا غيره - فافهم .

ص ٤١١ س ١٠ قوله : لظهور سلطان الاخرة - ام - فلعل تكلمه ومكالمته لبعض الانبياء في بعض الاحيان والاركان هذا المشهد الثاني مع كون النبي بعد في الدنيا بضرب من الانجذاب وفي سائر احوال الوحي النبي غير منفكة عن ضرب من الانجذاب ، وان كان جذبة حال المكالمة فوق الانجذاب الذي يشاهد فيه الملك الحامل للوحي كما لا يخفى .

رب ادنى مگوى وير طور مرو \* از دور جواب لن ترانى مشنو

خواهي كه بجشم حق بيني حق را \* باز آو حديث من رآني بشنو  
ص ٤١١ س ١٢ قوله : وأغشيه ظلمانية - اهـ - لكون النشأة نشأة غلبة عنصر  
الفناء ونوابعه من الدثور والزوال والتفضي والانصرام كما هو مقتضى طبيعة النار .  
ص ٤١١ س ١٢ قوله : وهذه الحواس - اهـ - اذ نشأتها نشأة طبيعة النار لتخالطه  
بماء الهيولي ، المسماة بالبحر المسجور ، والطبيعة سيالة غيرقارة - كما تقرر في محله .  
ص ٤١٢ س ٩ قوله **إِنَّا** : ألتستراه في وقتك هذا - كأنه اشارة منه **إِنَّا** الى  
الثاني من الاقسام ، وقوله **إِنَّا** : « وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين » - الى آخره -  
اشارة منه **إِنَّا** الى الرابع منها .

ص ٤١٢ س ٩ قوله **إِنَّا** : في وقتك هذا - كأنه يشير الى نفسه حيث يكون  
قائمة بخلافة حضرة الحق الحقيقي الغني القيومي تعالى ، ومعلمة بجميع الاسماء  
الالهية متحققه بها ، وبذلك التعلم والتحقيق بحقائق الاشياء التي هي مجالي ذاته الاقدس  
وصفاته العلياء وأسمائه الحسنی ، بل وهي أسمائه الحسنی في عين كونها مظاهرها  
. . . كلمة الجامعة لجوامع الكلمات التامات الالهية ، وخليفته الذي رؤيته هي  
رؤيته تعالى بذاته وبصفاته العلياء وأسمائه الحسنی . كيف لا - وأضاف سبحانه أنفسهم  
الى ذاته - جل شأنه - حيث حكى عن عيسى بن مريم وقال حكاية : **وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي**  
**نَفْسِكَ** [١١٦/٥] .

وقد فسروا **إِنَّا** قوله **نَفْسِكَ** بأمر المؤمنين قبله العارفين **إِنَّا** ، ومن  
هيئنا سميت نفس الكل التي هي العلوية العلياء بذات الله العلياء ، ومن هيئنا قال - جل  
من قائل - : **كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةَ** [١١٢/٦] والنفس الالهية والمكتوبة عليها  
الرحمة ان هي الا أنفسهم التي هي الكتاب المبين ، واللوح الكريم .

والطور \* وكتاب مسطور \* في رق منشور : ان الطور لهو عقل الكل ،  
والمحمدية البيضاء ، والقلم الاعلى ، وآدم الحق الاول . والكتاب المسطور لهو

اللوح المحفوظ ، والعلوية العليا ، وحواء الاولى .

وأما الرق فهو لوح القدر الزماني الذي هو مرتبة نازلة دون مرتبة اللوح المحفوظ ، وتلك المراتب لهم . بل وهم الملكوت - هذا .

اللهم أن ينقلب ملكه ملكوتاً ، وينجذب اليه انجذاباً ينسلخ عن جلباب الهيولانية . وذلك يتصور بوجهين : أحدهما بغلبة حكم ملكة الملكوتية الصورية على حكم الطبيعة الشهادية والملكية ، بحيث يسرى حكم الى الظاهرة ويستره ويغفرله بأن يمحوه طراً . وثانيهما بانقلاب وانجذاب ينجذب به السافل الى العالى لانقطاع من النفس المتصلة المتحددة بالسافل بجذبه من العالى وامتزاز منه ينجذب وينقلب بهما السافل الى العالى وبسببه يكون العروج الجسماني .

ومعراجه الملكوت . . . العنصري الغالب عليه حكم الملكوتي في حقه الملكوت من هذا القبيل الثاني . كيف لا - وقد ورد عن اولياء العلم الملكوت : ان التراب لا ياكل أبدان الكمل من الانبياء والاولياء الاصفياء الملكوت .

هذا هو ماخطر - ان كان حقا . . . الى الافاضة . وان كان باطلا فمن دعاية نفسي الكذابة ووهمي الحارف من ناحية الواهية .

ص ٤١٢ س ١١ قوله الملكوت : وليست الرؤية بالقلب - لعله الملكوت أراد من القلب هيهنا العقلاني ، والقلب النفساني الملكوتي المثالي . فيعم حيثئذ القسم الثالث والرابع كليهما معاً . وأما قوله الملكوت : « كالرؤية بالعين » فيعني الملكوت منه العين الدنياوية التي هي آلة جسمانية هيولانية ظلمانية ، وهي مشارالغلط والخطأ ، وهي دائرة زائلة يدركها الموت مثل سائر الحواس الظاهرة . . . للموت . ومعلوم ان بهذه الحواس الظلمانية الهيولانية لا يدرك الا الامور الظلمانية الهيولانية ، لضرورة كون نشأة المدرك والمدرك واحدة ، كما هو مقتضى اتحاد الحاس بمحسوسه ، والعاقل بمعقوله كما رآه اولياء العلم والمعرفة .

ص ٤١٣ س ١٨ قوله : نحو آخر من الوحدة - اي الوحدة الاحاطية ، وبعبارة اخرى الوحدة الحققة بالنسبة الى وحدات آحادها الشخصية التي وحدة كل منها وحدة عددية لها ثانية في الوجود ، بخلاف الوحدة الحقيقية النوعية بالنسبة الى آحاد أشخاصها وليست وحدة شيء . منها ثانية لوحدتها السارية فيها ، ومحيطة بها احاطة الاصل لفروعها ، والحقيقة لاصنافها وأمثلتها التي منزلتها من الحقيقة منزلة الصورة من حقيقة المعنى التي تجلت منزاته وتصورت بصورتها التي هي ظل الحقيقة . ودرك حقيقة الحال ههنا صعب المنال لايناله [ الا أهل ] الاشارة الذين هم ليسوا بأهل العبارة - فتظن ان كنت أهلاً له فافهم .

ص ٤١٧ س ٤ قوله : خطاب مشافهة - يعني ان هذا الخطاب بخصوصه خطاب مشافهة اختصاصية يقوم طلبوا الاراءة والرؤية من موسى ، وما كان موسى منهم ، بل كان خارجاً عنهم ومحل مناقشتهم ومنازعتهم في طلبهم منه عمل الاراءة ، كما لا يخفى فاولى بتبديل قوله « فلا يلزم » بـ « يلزم عدم تناوله له الجلال » - . ولا تغفل ص ٤١٧ س ٧ قوله : فضيه صمق موسى - عدم لزوم البطلان من جهة البيئونة بين القضيتين ، فلا استبعاد في موت موسى في القصة الاخرى .

ص ٤١٧ س ١٨ قوله : وبعد العلم الضروري - اه - ان مراد أهل العلم من كون العلم الضروري الاضطراري مانعاً ومنافياً هو كون النفس الادمية بملكاته التي جبلت عليها وتجوهرت بها في مدة حيوتها الدنياوية متطورة بأطوار وآثار هي من تبعات تلك الملكات الجوهرية التي تجوهرت بها ، ولا يتمكن من تبديلها بعد الموت فتضطر في معاينتها ومشاهدتها حين تصورت وتطورت بملكاتها الجوهرية ، وتمثلت بهذه الصور الحسية الملمذة او القبيحة الموحشة المولمة تمثل روح الشخص بصورة قلبه الذي يلزمه شهودها بتفاوت حالتي القلب في الصحة والمرض - فافهم .

ص ٤١٨ س ١١ قوله : أصله الاحسان - اه - اعلم ان الرحمة الالهية رحمتان

رحمة متبائة غير مسبوقة باستحقاق وقابلية واستعداد ، وغير منوط بسابقة سؤال استحقاقى . فمن ههنا قيل :

داد حق را قابليت شرط نيست \* بلکه شرط قابليت داد اوست

اذ لو لم يكن ما يشاء لا يتصور شيء حتى يتصور أن يكون قابلاً لفيض وجودي وغير وجودي من الاستحقاقات الذاتية ، فلا امتياز ولا استحقاق في الأعدام الصرفة ورحمة وجوبية استحقاقية - كما تقرر في محله - .

ص ٤٢٠ س ٢ قوله : عادين - بالعين الغير المعجمة كما في بعض النسخ . ولكن لفظة « عادين » بالعين العجمة من العدو ، والغداة اي : السير في النهار - لعله أنسب ، بقرينة « فامسوا » كما لا يخفى . فلو كان بالعين المهملة لا بد أن تشتق من « العدو » .

ص ٤٢١ س ١٤ قوله : ورفعت - اي : بتدليل الفعلية الى الاسمىة لافادة الثبات والدوام .

ص ٤٢٢ س ١٦ قوله : في حياة موسى وليس كذلك اذ هو <sup>عَلِيٌّ</sup> قَدْ [مات] في التيه ولم يبق معهم عند هذا البتة ، بل هذا هو وجه الاشكال ظاهراً . والجواب هو الحمل على لسان يوشع .

ص ٤٢٧ س ١ قوله : ظاهره من قبله العذاب - كما قال عز من قائل : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ الْإَوَارِدُهَا ﴾ [٧١/١٩] اذ الوجود الدنياوي والكون الزماني داره دار بلاء ومحنة ، ودار شقاء ومشقة ، ولكن في حق السعداء . بتفاوت مقاماتهم في . . . ودرجاتهم في احتمال المحنة والمشقة شقاء في نعيم ، وفي حق الاشقياء نعيم وهماً شقاء عقلاً . وأما باطن النفس الناطقة . . . انما هو عالم العقل المضاد للجهل ، والنور المضاد للظلمة ، والحياة المضادة للموت ، والبقاء المضاد للفناء .

وسر ذلك هو كون عالم العقل المضاد للجهل عالم الحق ، لا يتطرق اليه

الباطل بوجه من الوجوه ، فهو الباقي بالبقاء الحقاني ، والموجود بالوجود السبحاني وهذا لا ينافي كون بعض نشآت الجنة صورية جسدية ، إذ الأمثلة الجنانية إنما هي تمثيلات الحقائق الحقانية وأظلة الحقائق الالهية - فاحتفظ بما أو مانا .

ص ٤٢٧ ص ٣ قوله : ذنوب وجوداتنا - كما قيل : « وجودك ذنب لا يقاس به ذنب » إذ تلك الاضافة الوهمية والنسبة السرابية حجاب شركي يمنع عن شهود الحق بالوحدانية الكبرى . والوجود الحقيقي إنما هو أمانة الله التي عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ومن حملها . والانسان المحتجب بآئته الوهمية وانانيته السرابية حملها جهلاً بحسبه ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

ص ٤٢٧ ص ٧ قوله : على الباب مثال محمد ﷺ : خلق الله آدم على صورته . وآدم الحق الحقيقي هو الحقيقة المحمدية ﷺ .

ص ٤٢٩ ص ١٢ قوله : راجعين - يعني راجعين عن المواجهة حال الدخول في الباب بأن استدبروا عن المواجهة ودخلوا الباب مستدبراً ، بجعل دبرهم موجهاً للباب . فبالغوا في اسائة الادب والاستهزاء .

ص ٤٣١ ص ٥ قوله : والجواب عن الاول - وجه آخر في الجواب عن الاول ان القول بدلالة لفظة « إذ » لما كان قولاً زمانياً كائناً بعد أن لم يكن كان قول ولي من اوليائه تعالى أسند الى نفسه سبحانه تقريباً لوليه منه تعالى في مقام خلافة الولي له تعالى وقيامه مقامه ، واسند ثانياً الى القائل الذي يتولى لولائه تعالى ويقوم بأمره الذي أمره به في هداية عباده . وهذا الجواب منوط بالضابطة المقررة الموروثة من أئمة أهل البيت ﷺ في حل عقدة اسناد العقاب والافعال الخلقية الكونية اليه تعالى فاحتفظ .

ص ٤٣١ ص ١٠ قوله : والسكون - اه - وجه آخر هو ان الدخول رعاية حال

القلب وما يناسب طوره ، والسكون رعاية حال القلب بما يناسب شأنه اذ الدخول بلا طمأنينة قلبية معنوية صورة بلا روح .

ص ٤٣١ س ١٤ قوله : بل بالكون فيها - لا يلائم قوله قبيل هذا « وأما اذا لم يكن مشروطاً به » كما لا يخفى .

ص ٤٣٢ س ٤ قوله : ويقولوا حطة ثانياً - فيه انه مامعنى التخلية بعد التحلية ؟ فيقال في حله : ان التخلية بعد التحلية يكون تداركاً عن نقصانات التحلية المتقدمة مثل النافلة بعد الفريضة .

ص ٤٣٤ س ٩ قوله : وله شعبتان تتقدان - اهـ اي تتقدان في ظلمة الليل مثل نفوذ شعاع النير المنير للظلمات كان الشعبتين نيرين ، مثل الشمسين المنيرين .

ص ٤٣٤ س ١٣ قوله : لا يرتحلون منقلة - اهـ لعل لفظة منقلة سهو من القلم بل كان بلفظة « ينقله » بالباء بمعنى مع ، اي : كانوا عند ارتحالهم ينقلون الحجر معهم بوضع من الاوضاع الحسية الذي كان الحجر منهم . ثم كانوا يجدونه مع أنفسهم عند انتهاء الارتحال من المنزل الاول في المنزل الاول بعين الوضع والاضاع التي كان منهم فيه - فالفهم .

ص ٤٣٤ س ١٧ قوله : ففر به - اي : فر الحجر بالثوب ليشاهد الاسباط كذب مارموه .

ص ٤٣٤ س ١٩ قوله : في نحلاته - <sup>(١)</sup> اي في عطياته التي أعطاها الله له <sup>(١)</sup> اي جعل عطاه مفقوداً .

ص ٤٣٧ س ١٦ قوله : تكونه فيه شيئاً فشيئاً وخروجه - اهـ اي على المجرى الطبيعي المعروف ، بانقلاب المواد العنصرية بصورها بعضها الى بعض عند تصادم

(١) الظاهر وقوع تصحيف في نسخة المحشى (ره) والصحيح : « في مخلاته » كما

أثبتته في المتن .



الأمور المتضادة الاتفاقية . فان التكونات العنصرية على المجرى الطبيعي وانقلابات موادها على الوجه العادي امور اتفاقية مستندة الى اسباب وامور كذلك ، حسبما اقتضاه النظام القدري المخادم للنظام القضائي . وقد يجرى الامور لا على المجرى الطبيعي ، بل على المجرى البدائي الذي هو مشرب أذواق أئمة أهل بيت النبوة والولاية عليهم السلام وهو مذهب شيعتهم الاثنى عشرية .

وأما تصرفات النفوس القوية مثل نفوس الانبياء والاولياء الاوصياء عليهم السلام ، بل ونفوس المتألهين من الحكماء الذين هم اولياء العلم والمعرفة ، فهي خارج عن طور البداء . وأمر البداء أمر الهي اختزاني من أسراره المخزونة ، المكتوم سرها في وجه من الاعتبار عن الانبياء والاولياء عليهم السلام أيضاً - فاحسن التأمل .

ص ٤٣٨ س ٢١ قوله : نفس عالم الكبير - يعني نفس الكل ، التي هي خليفة الله في خلقته ، وهي المسماة بذات الله العليا ، وهي لوح القضاء ، ولها لوح القدر بعد القضاء ، وتصرفات تلك النفس الكلية ، لا على المجرى الطبيعي ، فهي راسة قالت بها أصحابنا الامامية تبعاً لائمتنا وسادتنا سادة الكل في الكل .

كيف لا - وتلك النفس الكلية الالهية هي مقام العلوية العليا ، التي [هي] المسماة بذات العليا ، كما ينظر اليه قوله تعالى حكاية عن عيسى بن مريم عليها السلام : ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [١١٦/٥] فان نفس الله الهي المحيطة بمحيطات سائر الانفس الكلية ، كأنفس سائر الانبياء التي رؤوس تلك النفس المحيطة بالكل ووجوهها المستفيدة منها والمفيدة لما تحتها من الرعية والامة - فافهم فهم نور .

ص ٤٣٩ س ١٠ قوله : نحو آخر من الوجود - اه - أما في المشاعر الحسية - سيما الباطنية من المشاعر والحواس - فقيام الصور بها هو قيام صدور ، لقيام عروض وحلول انفعالي عند تصور النفس الحساسة ايها ، صادرة عنها ، قائمة بها قيام الفعل بفاعله ، لقيام الصورة بمحلها وقابلها .

وأما في باب المرايا المعروفة فقد تقرر في محله قيام الصور العكسية المرئية بوساطة المرايا قيام صدور بالعاكس الذي ينجلي عند مواجهته للمرآة عند المرآة بتلك الصور . فالمرآة مظهر لها . لامقام ولامحل - فأحسن التأمل .

ص ٤٣٩ س ١٧ قوله : تفسير آيات المعاد - والصور المعادية والاجساد الحشرية كلها قائمة بالنفوس المحشورة بها قيام صدور لاقبام حلول في المادة الانفعالية فاللذة والالم هناك انما فهما يادراك الملائم لجوهر النفس ، وغير الملائم لها ، اذ الملكات الحميدة الكريمة الشريفة الروحانية تنزل وتمثل وتنشأ وتتصور بصور كريهة موحشة مولمة ، مثل النفس الظاهر مع المعاد مثل العنوان ( ظ : العيون ) الصافية ينبع منها الماء الاجاج والعذب الفرات ، ومثل أنفاس الخبيثة مثل العنوان ( ظ : العيون ) الكدرة المفننة المتعفنة ينبع منها الماء الاجاج القطاع للاحشاء والامعاء . فالحاصل كفى بنفسك اليوم حسيباً . « أي نور چشم من بحر از كشته ندروي »

ص ٤٤١ س ٣ قوله : على طريق الاولى - لعل وجه الاولوية كون استحالة الماء على المجرى الطبيعي أسهل من الاجسام النباتية والحيوانية ، ولكن استحالة الماء بالحجر المعهود بعيد جداً .

ص ٤٤١ س ٣ قوله : على طريق الاولى - لعله قدس سره كان يريد من استحالاته الى الهواء المجاور بناء على كون هذه الاستحالة جارية على المجرى الطبيعي . وأما لو بني أمر الاستحالة منها على مجرى الاهتزازات العلوية من باب خوارق العادات الطبيعية مثل ما ذكرنا من تصرفات النفوس القوية ، فالامر ظاهر من دون اشكال وهذا هو اولى .

ص ٤٥٥ س ٢ قوله : وهذا يدل - اه - يعني ان بين الايمان والعمل الصالح وبين جزائهما اتصال عقلي يمنع انفكاك كل منهما عن الاخر - فأحسن التدبر .  
ص ٤٥٧ س ٨ قوله : والقوة الفعلية - اه - أي مبدء التغيير المعاللق حتى

يشمل مبدء التغيير من اللبسية الذاتية الى الایسية الغيرية ان كان درك كيفية التغيير من اللبسية الذاتية الى الایسية الغيرية صعباً مستصعباً لكون... الذاتى عن الذات وتبدله بالغيرى مستحيلاً كما هو المعروف من السنة المحصلين .

ص ٤٥٧ س ١٢ قوله : جعل الله واسطة - اه - يعنى من الواسطة الاعداد ، اي اعداد المادة لصلوحها وانصلاحها لقبول الصلوة ، فهذه العلية مرجعها رفع وجود الموانع عن المادة القابلة فيتفرع عنها صحة وجود لشيء ، لانفس الوجود . وأما علة الوجود حسبما اقتضاه عرف البرهان اللمسي في المشرب الالهيين ، فهي فياض الوجود ومعطيه برسم الابداع ، اي : لامن شيء أصلا . فالوسائط الابداعية تكون وساطتها من مراتب علية العلة الاصلية ، التي هي علة العلل المحيطة بالكل في العلية ، اي لا تعرف عن علية مثقال ذرة من العلية . كما في باب أصل الوجود وسائر صفاته الكمالية وفيه سر التوحيد الثابت في عين التكثير ذاتاً وصفة وفعلاً وأثراً - فتأمل فيه .

ص ٤٥٧ س ١٨ قوله : انه ما اودع في العقول يعنى العقل المطبوع - وهو الفطرة - فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولولا المطبوع من العقول لا ينفخ المسموع منها . اذ المطبوع بمنزلة البصر ، والمسموع بمنزلة ضوء الشمس . . . .

ص ٤٥٨ س (٤٦) قوله : وهذا النوع من الميثاق أقوى الموائيق - اه - كيف لا وهو مرجع الموائيق كلها ومبدؤها ومعادها .

\* \* \*

تمّ والحمد لله

تم الكتاب بحمد الله  
ويليه الفهارس  
مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## فهرس العناوين

- قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ . . . ﴾ [٣٤] ٤
- معنى السجدة وسبب مسجودية آدم ٥
- هل كان ابليس من الملائكة ؟ ٩
- المفاضلة بين الملك والبشر . ذكر أقوال الاوائل ١٧
- مقاله الصابثون في تفضيل الملائكة على الانبياء وأجوبتهم ٢٠
- أقوال علماء الاسلام القائلين بتفضيل الملك على البشر ٣٦
- حجج القائلين بتفضيل الانبياء على الملائكة ٥٠
- وجوه عقلية ذكرها الفلاسفة لتفضيل الملك على البشر ٥٤
- أجوبة المخالفين عن هذه الادلة ٥٧
- تحقيق الحق في كيفية المفاضلة بين الملك والبشر ٥٩
- الجبر والتفويض في هذه الاية ٧١
- الكفر والايمان والاقوال في كفر ابليس ٧٢
- أول من كفر ابليس ٧٥
- العاصي كافر ، أم لا ؟ ٧٦
- جميع الملائكة امروا بالسجدة لادم ، أم بعضهم ؟ ٧٨

- ٨٠ قوله جل اسمه : ﴿وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ . . .﴾ [٣٥]
- ٨٠ مقامات الانسان
- ٨١ جنة آدم هل كان جنة الخلد ، أم غيرها ؟
- ٨٤ الوقت الذي خلقت زوجة آدم
- ٨٩ كلام في النهي والامر لادم وزوجته
- ٩٢ الشجرة المنهية
- ٩٣ تأويل معصية آدم ﷺ
- ٩٦ قوله عزوجل : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَخْرَجَهُمَا . . .﴾ [٣٦]
- ٩٦ حكمة خلق آدم واهباطه الى الارض
- ٩٧ لمية اخراج النفوس من جنة الارواح
- ١٠٠ هبوط النفس وصعودها في القرآن وكلمات المعصومين والحكماء
- ١٠٧ معنى قوله تعالى : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾
- ١٠٩ معنى قوله تعالى : ﴿اهبطوا﴾
- ١١٠ سر هبوط آدم
- ١١١ عصمة الانبياء عليهم السلام والاقوال فيها
- ١١٢ احتجاجات النافين لثبوت المعصية عنهم وما اجيب عنها
- ١١٥ مانسب من المعاصي الى آدم ﷺ والجواب عنها
- ١١٨ مانسب من المعاصي الى سائر الانبياء وأجوبتها
- ١٢٥ معنى قوله تعالى : ﴿اهبطوا﴾
- ١٢٦ هبوط الانسان وصعوده
- ١٢٧ معنى قوله تعالى : ﴿ولكنم في الارض مستقر ومتاع﴾
- ١٢٨ قوله جل اسمه : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ . . .﴾ [٣٧]

- ١٣٢ في التوبة وذكر آيات واحاديث فيها
- ١٣٦ معنى الحديث : اني لاستغفر الله في اليوم . . .
- ١٣٧ الاستدلال على أن التوبة مقبولة
- ١٤٨ هل يجب قبول التوبة عليه تعالى ؟
- ١٥٠ في شروط التوبة
- ١٥٢ تصح التوبة عن بعض الذنوب ، أم لا يصح الا عن الجميع ؟
- ١٥٥ الحث على التوبة ، وانها تجب عند كل مرتبة عما قبلها
- ١٥٨ قوله جل اسمه : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا . . . ﴾ [٣٨]
- ١٦٠ كراهية الانسان للهبوط ، ثم للعروج
- ١٦٤ سر الاثيان في الآية بحرف الشك
- ١٦٦ نكات تدل عليها الآية
- ١٦٨ في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا . . . ﴾
- ١٧١ قوله عزاسمه : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي . . . ﴾ [ ٤٠ ]
- ١٧٤ معنى قوله تعالى : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي انعمت عليكم ﴾
- ١٨٤ نسبة الخير والشر اليه تعالى
- ١٨٨ فضل هذه الامة على بني اسرائيل
- ١٨٩ الذكر ومراتبه وخواصه
- ١٩١ معنى قوله تعالى : ﴿ وَاوفُوا بعهدي ﴾
- ٢٠٠ معنى قوله تعالى : ﴿ اوف بعهدكم ﴾
- ٢٠٢ معنى قوله تعالى : ﴿ وَايَا فَا رَهْبُونَ ﴾
- ٢٠٦ اسباب الخوف والرجاء
- ٢١٢ ذكر نكات تشير اليها الآية

- ٢١٣ قوله جل اسمه : ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَتْ مُصَدِّقًا ... ﴾ [ ٤١ ]
- ٢١٧ معنى قوله تعالى : ﴿ أول كافر به ﴾
- ٢١٧ معنى قوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾
- ٢٢٠ معنى قوله تعالى : ﴿ وإياي فاتقون ﴾
- ٢٢١ العلماء السوء وما ورد فيهم
- ٢٢٦ علامات علماء الاخرة
- ٢٣٦ قوله جل اسمه : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ... ﴾ [ ٤٢ ]
- ٣٣٨ في ترهيب علماء السوء
- ٢٤٣ قوله عز اسمه : ﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... ﴾ [ ٤٣ ]
- ٢٤٣ في الصلوة
- ٢٤٨ فضل الصلوة
- ٢٥٠ في الزكوة
- ٢٥٥ معنى قوله تعالى : ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾
- ٢٥٧ قوله جل اسمه : ﴿ أَنَامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ... ﴾ [ ٤٤ ]
- ٢٥٩ المراد من البر
- ٢٦٠ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٢٦٢ الوعظ دون اتعاض الواعظ
- ٢٦٣ الوعاظ الغير المتعضون
- ٢٧٠ علماء الكشف وعلومهم
- ٢٧٧ قوله عز اسمه : ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴾ [ ٤٥ ]
- ٢٨٢ الكشف عن ماهية الصبر
- ٢٩٣ معنى قوله تعالى : ﴿ وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين ﴾
- ٢٩٥ قوله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ... ﴾ [ ٤٦ ]



- ٢٩٦ كلام في رؤيته تعالى
- ٣٠٦ تحقيق المصير الى لقائه تعالى
- ٣١١ قوله جل اسمه : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ... ﴾ [ ٤٧ ]
- ٣١٤ قوله جل اسمه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ ... ﴾ [ ٤٨ ]
- ٣١٦ حث الاية على العمل
- ٣١٧ اوصاف يوم الاخرة
- ٣٢٨ أدلة المعتزله على قولهم بالخلود
- ٣٣٣ احتجاجات القاطعين بعدم خلود أهل الكبائر
- ٣٣٣ احتجاجات القائلين بعفو العصاة
- ٣٤٠ توجيهات المعتزلة للنصوص
- ٣٤١ وجوه في تأييد مسألة الشفاعة
- ٣٤٣ سر الخلود في النار
- ٣٤٣ سر معنى الشفاعة
- ٣٤٦ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ... ﴾ [ ٤٩ ]
- ٣٥٠ سر قتل الابناء قبل ولادة موسى عليه السلام
- ٣٥٥ معنى قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
- ٣٥٦ سر اسمه : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ... ﴾ [ ٥٠ ]
- ٣٥٧ قصة غرق فرعون وقومه
- ٣٦١ كيف كان فرعون كافراً ؟
- ٣٦٢ في قبول ايمان فرعون
- ٣٦٤ الايمان ضروري مع المعجزة ، فكيف تجوز في زمان التكليف
- ٣٦٦ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى ... ﴾ [ ٥١ ]
- ٣٦٨ كانت المواعدة ثلاثين ، أو أربعين ليلة ؟

- ٣٧١ الغرض من تعبير الدنيا
- ٣٧٣ معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعَجَلَ ﴾
- ٣٧٤ السامري والعجل
- ٣٧٦ بماذا يعرف الرسول ؟
- ٣٧٨ ذكرونا تلمح اليها الاية .
- ٣٨٠ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . . . ﴾ [ ٥٢ ]
- ٣٨١ دلالة الاية على العفو عن الكبائر
- ٣٨١ ان الله تعالى اراد الخير ولم يرد الشر
- ٣٨٢ معنى « لعل » في القرآن
- ٣٨٣ الفرق بين الحمد والشكر
- ٣٨٤ ماموضع الشكر ؟
- ٣٨٥ في تحقيق الشكر
- ٣٩١ هل لنا أن نشكر الخلق ؟
- ٣٩٤ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ . . . ﴾ [ ٥٣ ]
- ٣٩٥ الفرقان والقرآن عند أهل الله
- ٣٩٨ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ . . . ﴾ [ ٥٤ ]
- ٤٠٥ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ . . . ﴾ [ ٥٥ ]
- ٤٠٧ سؤال بني اسرائيل الرؤية . وهل هي ممكنة ؟
- ٤١٢ معنى كون الشيء مثالا ومظهراً
- ٤١٤ حلة أخذ الصاعقة عند سؤال الرؤية
- ٤١٥ معنى الصاعقة
- ٤١٧ معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ ﴾
- ٤٢١ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ . . . ﴾ [ ٥٨ ]

- ٤٢٢ القرية التي امروا بدخولها
- ٤٢٥ التكليف بالتوبة هل كان متعلقاً بذكر الحطة ؟
- ٤٢٦ القراءة في « نغفر لكم »
- ٤٢٦ لاهل الاشارة أن يأولوا الآية . . .
- ٤٢٨ قوله جل اسمه : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ . . . ﴾ [ ٥٩ ]
- ٤٢٩ الادعية توقيفية ، أم لا ؟
- ٤٣٠ أسئلة حول الآية
- ٤٣٣ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ﴾ . . . [ ٦٠ ]
- ٤٣٦ كيف ينفجر الماء من الحجر ؟
- ٤٤٢ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ . . . ﴾ [ ٦١ ]
- ٤٤٦ قرب أحوال بني إسرائيل من الحيوانات
- ٤٤٦ هل كان سؤال القوم معصية ؟
- ٤٤٨ أسئلة حول الآية
- ٤٥٠ قوله جل اسمه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ . . . ﴾ [ ٦٢ ]
- ٤٥٥ ماهو الايمان ؟
- ٤٥٦ قوله جل اسمه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُم ﴾ [ ٦٣ ]
- ٤٦٠ كيف يمكن رفع الجبل ؟
- ٤٦٣ قوله عز اسمه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . . . ﴾ [ ٦٤ ]
- ٤٦٥ الخير منه تعالى والشرايس اليه
- ٤٦٧ قوله جل اسمه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ . . . ﴾ [ ٦٥ ]
- ٤٧٠ الآية تنفي القول بالتناسخ
- ٤٧٤ حواشي المولى على النورى (ره) على هذا القسم من التفسير

## فهرس الاحاديث

١٨٠	الائمة من قريش
٤٥	ابده بنفسك
٣٣٧	أتدرون أي يوم هذا ؟ يوم يقال لادم . . .
٢٠٧	أتضحكون ا ما أريكم تضحكون
١٤٦	أتعجبون لرحم ام الفراخ فراخها . . .
٦	الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه
٢٩٢	الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله .
٤٧٣	اخوان الملاية أعداء السريرة ، ألسنتهم . . .
٣٤١ - ٣١٩	ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي .
٢٢٢	اذا بلغت النفس هيهنا - وأشار بيده الى حلقه . . .
٢٤٧	اذا قام أحدكم الى الصلوة فليسكن أطرافه .
١٨٠	اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث . . .
١٤٠	اذا همّ عبدي بالحسنة فاكتبوها له حسنة . . .
٢٨٠	أرحنا يا بلال .
١١٧	أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء .



مركز تحقيق وتوثيق علوم اسلامی

- ٣٢٠ اشفع يوم القيامة فاشفع وبشفع عليّ ...
- ١٨٢ اطلبوا الخير عند حسان الوجه .
- ١٢١ اعقله وتوكل .
- ١٠١ اعلم ان الصورة الانسانية هي اكبر حجة ...
- ٢١١ اعوذ بعفوك من عقابك وبرضالك من ...
- ١٢٩ أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما ذكره ...
- ٣٨ أفضل الاعمال أحمرها .
- ٣٨٧ أفضل الذكر لا اله الا الله و ...
- ٣٩ أفضل الصوم صوم داود عليه السلام .
- ٥٣ أفضل العبادات أحمرها .
- ٤٠ أفضل العباد من طال عمره وحسن عمله صوم يوم اربعاء
- ٣٩٣ أفطر عندكم الصائمون وأكل ...
- ٢١٠ أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ .
- ٢٧٧ اقتلوا القتال واصبروا الصابر .
- ٢٥٠ أقرب ما يكون العبد الى الله عزوجل ...
- ٣٢٩ الذي يشرب في آنية الذهب والفضة ...
- ٢٠٧ الله أرحم بالعبد من الوالدة الشفيقة بولدها .
- ١٣٤ الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل ...
- ١٣٥ الله تعالى أفرح بتوبة عبده المؤمن من ...
- ٢١١ اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك ...
- ٢٠٤ اللهم اني أعوذ بعفوك من عقابك ...
- ٣٨٨ الهي خلقت آدم بيدك واذا سويته ...

- ٣٢٦ أليست نفساً ؟
- ٢٢٤ الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم ...
- ٣٣٦ امتي امة مرحومة لاعذاب عليها في ...
- ٢٨٣ أمر الله تبارك وتعالى أنبيائه بالصبر وجعل ...
- ١٧٣ أنا جليس من ذكرني .
- ١٩٨ أنا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى .
- ٣٧ أنا عند المنكسرة قلوبهم .
- ٤٢٧ أنا مدينة العلم وعلى بابها .
- ١٣٠ ان آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء ...
- ١٤١ ان ابليس قال يارب انك خلقت ...
- ١٦٦ ان الارواح بعد البدن تكون في قلوب ...
- ٢٢٣ ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم ...
- ٣٣٦ ان الاعرابي قال يارسول الله من يلي ...
- ٢٤٥ ان الله اذا تجلى لشيء خضع له .
- ٤٤٠ ان الله تبارك وتعالى لا ينسب الى المعجز ...
- ١٣٥ ان الله تعالى اوحى الى داود أن ...
- ١٤٥ ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله ...
- ١٤٤ ان الله عزوجل يبسط يده بالنبوة لمسيء ...
- ٣٣٦ ان الله كتب على نفسه قبل أن يخلق ...
- ٢٢٧ ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا أثر شهوته ...
- ٢٢٧ ان أهون ما أصنع بالعالم اذا أحب الدنيا ...
- ٢٢٨ ان رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام فجعل ...

- ٢٧٠ ان الشيطان ربما سبقكم بالعلم ...
- ٢٧٩ ان الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم
- ١٤٥ ان عبداً اذا اصاب ذنباً ، قال : يارب ...
- ٢٤٨ ان العبد اذا قام الى الصلوة رفع ...
- ٢٤٥ ان العبد اذا قام الى الصلوة فانه بين ...
- ١٤٤ ان العبد ليذنب الذنب فيدخله الجنة ...
- ٢٢٩ ان العبد لينشر له من الثناء ما بين ...
- ٥١٢ ان العلم ليس في السماء حتى ينزل عليكم ...
- ١٥٦ ان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين ...
- ٢٢٦ ان في النار رجلاً يتأذي أهل النار بريجه ...
- ٢٩٠ ان لربكم في أيام دهركم تفحات من علوم ...
- ١٩٢ ان لله سبعين حجاباً من نور ...
- ٢٠٧ ان لله مائة رحمة . فواحدة منها ...
- ٥٤ ان لي وزيرين في السماء ...
- ٣٣٤ ان النبي ﷺ تلي قول ابراهيم الخليل ...
- ٣٣٥ ان النبي ﷺ لم يزل يسئل في امته ...
- ٣٩١ ان النعم أوابد كأوابد الوحوش فقيدوها ...
- ٨٦ ان المرأة خلقت من ضلع الرجل فان ...
- ٢٦٥ ان من أبغض الخلق الى الله عزوجل لرجلين ...
- ٣٢٠ ان من امتي من يشفع للفتام ، ومنهم ...
- ٣٦٩ ان موسى الخليل وعد بني اسرائيل وهم ...
- ١٤٧ ان جبرئيل سمع ابراهيم الخليل يقول ...

- ١٤٤ ان الحسنات يذهبن السيئات . . .
- ٤٨٤ ان لله تسعة وتسعين اسماً من احصاها . . .
- ٣٣٥ أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في . . .
- ٥٠١ انما العلم ثلاثة آية محكمة وفريضة عادلة . . .
- ٢٤٩ انما مثل الصلوة فيكم كمثل السري - وهو النهر . . .
- ٣٢٢ انما هي أعمالكم ترد عليكم .
- ١١٧ انه ﷺ أخذ حريراً وذهباً . . .
- ٤١١ انه ﷺ رأى في صورة كذا وكذا .
- ٢٠٦ انه كان داود النبي ﷺ يعود الناس . . .
- ٤٢٠ انه كان ينزل عليهم المن من وقت طلوع الفجر . . .
- ٣٧٣ انه عليه وآله الصلوة والسلام لعن المصورين .
- ١٢٣ انه لم يكن أحد عند مشركي مكة أعظم ذنباً . . .
- ١٣٦ انه ليغان (ليران) على قلبي واني لاستغفر . . .
- ١٦١ انها في قناديل معلقة تحت العرش .
- ٤٢٩ انهم دخلوها مستقبليها باستاهم وقالوا . . .
- ٥٥ اني لاستغفر الله في اليوم والليله مائة مرة .
- ٥٧ أنين المذنبين أحب الي من زجل المسيحين .
- ٢٢٧ اوحى الله الي بعض الانبياء : قل للذين يتفقهون . . .
- ٣٥٢ أول ما خلق الله العقل .
- ٣٥٣ أول ما خلق الله نوري .
- ٣٩٢ أول ما يدعى الي الجنة الحمادون الذين . . .
- ١٨١ اياكم وخضراء الدمن .
- ٢٢٢ - ٢٦٣ أيها الناس اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلمكم . . .



- ٢٣٤ بعثت أنا والساعة كهاتين .
- ٣١٤ البقرة تجزيء عن سبعة .
- ٤٥٩ .هما جميعاً
- ١٣٤ .التائب حبيب الله .
- ١٥٥-١٣٤ .التائب من الذنب كمن لا ذنب له .
- ٥١٨ .تجلى للاوهام بها وامتنع بها عنها .
- ١٩١ .تخلقوا بأخلاق الله .
- ١٨١ .تخيروا لنطفكم .
- ٣٢٠ .تزوجوا فاني مكاثربكم الامم غداً في القيامة ...
- ٢٤٧ .تعوذوا بالله من خشوع النفاق .
- ١٥٠ .التوبة يجمعها ستة أشياء على المعاصي ...
- ٥١٤-٤٩٧ .توحيدته تمييزه عن خلقه وحكم التمييز بينونة ...
- ٤١ .تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة .
- ١٥١ .شكلتك أمك أتدري ما الاستغفار ؟ ان ...
- ٣٣٠ .ثلاث أنا خصيهم يوم القيامة ، ومن كنت ...
- ١٣٦ .ثم يستغفر أبداً حتى يكون الشيطان ...
- ٤١١ .جاء حبر الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال ...
- ٤٤٠ .جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال أيقدر الله أن يدخل ...
- ٥١٢ .حاضر غير محدود ، غائب غير مفقود ...
- ٢٥١ .حب الدنيا رأس كل خطيئة .
- ٥١٠ .حب علي حسنة لا يضر معها سيئة .
- ١٨٧ .الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب .

- ٣٨٥ الحمد لله على كل حال .
- ٩٦-٣٧٠ نحرمت طينة آدم بيده (بيدي) أربعين صباحاً .
- ٥٠٣ خلق الله آدم على صورته .
- ٤٩٧ داخل في الاشياء لا كدخول شيء في شيء ...
- ١٣٤ ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة ...
- ٢٠٦ رأس الحكمة مخافة الله .
- ٢٠٨ رأى ﷺ جبرئيل متعلقاً بأستار ...
- ٢٨٢ رب زدني علماً .
- ١٠١ رحم الله امرء أعده لنفسه واستعد ...
- ٨٧ سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ...
- ١٩٣ ستفرق أمتي ...
- ٢٧٩ سدوا مجاري الشيطان بالجوع .
- ١٨١ السعادة طول العمر في طاعة الله .
- ٢٦٩ سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتذكرون ...
- ٢٣٠ شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار ...
- ٥٠١ الشريعة أقوالها والطريقة أفعالها والحقيقة حالها .
- ٢١٠ شيببني سورة هود وأخواتها .
- ٤٠ الشيخ في قومه كالنبي في الامة .
- ٢٨٧ الصوم جنة من النار .
- ٢٨٧-٢٧٩ الصوم وجاء .
- ٢٥٥ صلوة الرجل في جماعة تفضل صلوة ...
- ٢٤٨ الصلوة عماد الدين .



- ٢٨٧ الصلوة معراج المؤمن .
- ٢٢٢ طلبة العلم ثلاثة فاعرفوهم بأعيانهم وصفاتهم ...
- ٤٨٥ العبودية جوهرة كنهها الربوبية ...
- ٢٣٠ العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ...
- ٢٢٣ العلم علمان علم على اللسان ، فذلك ...
- ٢٢٩ العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا ...
- ٢٢١ العلماء رجلا ن : رجل عالم آخذ بعلمه ...
- ٢٢٨ علماء هذه الامة رجلا ن : فرجل آتاه ...
- ٢٥٠ عليك بالصدقة فان فيها ست خصال ...
- ٤٤٧ الغنى غنى النفس .
- ٢٢٩ فتنة العالم أن يكون الكلام احب اليه ...
- ٢٨٧ قره عيني في الصلوة .
- ٢٦٢ - ٢٨٢ قصم ظهري رجلا ن عالم مهتك ...
- ٢٢٣ قل لفلان قد ملات الارض نفاقاً ...
- ٤٦٠ قلعته بقوة ملكوتية ولا بقوة جسمانية ...
- ١٨٢ قيمة كل امرء ما يحسنه .
- ٥٢٩ - ٥٠٣ كان الله ولم يكن معه شيء .
- ٢١٩ كان حيي بن أخطب وكمب بن أشرف ...
- ٣٩٧ كان خلقه بني القرآن .
- ١٤٥ كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ...
- ١٧٤ كانت الانبياء اذا حزمهم أمر فزعوا الى ...
- ١٣٦ كلما قدرت أن تطرحه في ورطة وتتخلص ...

- ٥١٩ كنت سمعه الذي يسمع به وبصره . . .
- ٢٢٧ كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى . . .
- ٣٧٧ لاتعرف الحق بالرجال اعرف الحق . . .
- ١٧٧ لاعيش الا في الاخرة .
- ٢٢٤ لانا من غير الدجال أخوف عليكم من . . .
- ٣٢٩ لالفين أحدكم يوم القيامة على رقبتة شاة . . .
- ٣٢٩ لايبغضنا أهل البيت رجل الادخل النار .
- ٤٤٩ لايجل دم امرء مسلم الا باحدى ممان ثلاثة . . .
- ٣٣٥ لايرضى محمد ﷺ وأحد من امته في النار .
- ١٩١ لا يزال يتقرب الي العبد بالنوافل حتى . . .
- ١٧٣ لايسعني أرضي ولاسمائي ولكن يسعني . . .
- ١٤٤ لله أفرح بتوبة العبد . . .
- ٢٤٨ للمصلي ثلاث خصال اذا هو قام . . .
- ٢٤٥ لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها . . .
- ١١ لم يكن ( ابليس ) من الملائكة ولم يكن يلي . . .
- ٩ لوأمرت أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت . . .
- ٢٤٥ لوخشع قلب هذا خشعت جوارحه .
- ٥٤ لودنوت انملة لا حترقت .
- ١٠٥ لوغاش ( أرسطو ) حتى عرف ما جئت به . . .
- ٣٣٧ لو علم الكافر سعه رحمة الله ما آيس من . . .
- ١٤٤ لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم . . .
- ٢١٤ لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي .

- ١٤٦ . . . لو لا انكم تذبون لخلق الله خلقاً يذبون . . .
- ٣٣٦ لو لم تذبون لخشيت عليكم ما هو شر من . . .
- ٣٣٧ لو لم يذبوا لخلق الله خلقاً يذبون ليغفر لهم .
- ٣٣٦ لو لم يذبوا لذهب بهم وجاء بخلق آخر . . .
- ٣٨٧ ليس شيء من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد .
- ٣٣٦ ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت . . .
- ٦٩-٤١٤ لى مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب . . .
- ٢٤٨ ما تقرب العبد الى الله تعالى بشيء بعد المعرفة . . .
- ٢٥٣ ما من رجل يكون له ابل او بقرة او غنم . . .
- ٢٥٣ ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي . . .
- ٢٤٥ ما من صلوة يحضر وقتها الا نادى ملك . . .
- ٢٥٠ ما من عبد من شيعتنا يقوم الى الصلوة الا . . .
- ٢٥٢ ما من عبد منع من زكوة ماله شيئاً الا جعل . . .
- ٣٩٢ ما من عبد ينعم عليه نعمة فحمد الله الا كان . . .
- ٢٥١ مانع الزكوة يطوق بحية قرعاء تأكل من دماغه .
- ٢٨٠ ما يمنع أحدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا . . .
- ٢٦٦ مثل الذي يعلم الناس ولا يعمل به كالسراج . . .
- ٢٤٩ مثل الصلوة مثل عمود القسطنطين . اذا ثبت . . .
- ٤٢٧ مثل الله على الباب مثال محمد ﷺ وعلي ﷺ . . .
- ٢٢٥ مثل علماء السوء كمثل الصخرة وقعت على . . .
- ٢٦١ مرت ليلة اسرى بي يقوم تفرض شفاهم . . .
- ٢٩٠ المصلي مناج ربه .

- ١٩٢ - ٥١٤ مع كل شيء لا بمزاولة وغير كل شيء لا بمزايلة .
- ٤٩٧ مع كل شيء لا بمقارنة ...
- ٢٥١ ملعون ملعون كل مال لا يزكي ...
- ٢٥٢ من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته ...
- ١٧٥ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ..
- ٣٧١ - ٩٧ من أخلص لله أربعين صباحاً ...
- ٣٩٩ من أراد أن ينظر الى ميت يمشي فليُنظر الى ...
- ٢٢٤ من ازداد علماً ولم يزد هدى ...
- ١٤٧ من استفتح أول نهاره بالخير و...
- ١٧٩ من أصبح معافي في بدنه آمناً في سربه ...
- ٧٠ من أطاعني فقد أطاع الله . مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي
- ١٤٨ من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ...
- ٢٤٨ من ترك الصلوة فقد كفر ...
- ١٣٢ من تقرب الى شبراً تقربت الله ذراعاً ...
- ٢٩٦ من حلف على يمين ليقطع بها مال ...
- ١٩١ - ٤١١ - ٥١٨ - ٥٠٣ من رأني فقد رأى الحق .
- ٢١٦ من سن سنة حسنة فله ...
- ٣٢٩ من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب عنها ...
- ٢٢٢ من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به ...
- ٣٩٢ من عطس او تجشى فقال الحمد لله ...
- ٢٣٢ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم .
- ٣٨٧ من قال سبحان الله فله عشر حسنات ...

- ٣٤٢ من قال لا اله الا الله دخل الجنة .
- ٣٩٣ من قال لآخيه : جزاك الله خيراً ...
- ٢٤٩ من قبل الله منه صلوة واحدة لم يعذبه .
- ٣٢٩ من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة .
- ٤٠٤ من قرب الى شبراً قربت اليه ذراعاً ...
- ٣٢٦ من كان آخر كلامه لا اله الا الله ...
- ٣٣٦ من لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت ...
- ٢٨٨ من مات فقد قامت قيامته .
- ٣٩٩ موتوا قبل أن تموتوا .
- ١٨٢ الناس أبناء ما يحسنون .
- ٦٧ الناس معادن كمدادن الذهب والفضة ...
- ٤٢٥ - ٤٢٧ نحن باب حطتكم .
- ١٥٦ الندم توبة .
- ١٧٩ - ١٨٢ نعم العون على تقوى الله المال .
- ١٨٠ نعم العون على الدنيا المرأة الصالحة .
- ١٧٩ نعم المال الصالح للرجل الصالح .
- ٤٣٩ نعم وفي أصغر من البيضة قد جعلها كلها ...
- ٤١٢ نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة ...
- ٢٨٢ نعوذ بالله من علم لا ينفع .
- ٢٨٢ نعوذ بك من أن أقول في العلم ...
- ٢٤٧ هكذا خرجت عظمته من قلوب بني اسرائيل ...
- ٢٣١ هذا يقول : اعرفوني .
- ٣٩٥ هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ...

- ١٠٥ هو (أرسطو) نبي من الانبياء جهله قومه .
- ٤٨ - ٤٩ واذا ذكرني عبد في ملا ذكرته في ملا . . .
- ٣٣٦ والذي نفسي بيده الله أرحم بعبده . . .
- ٢٣٥ والله ماديا كم عندي الا كمفظة عنز . . .
- ١٩٠ وان ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي .
- ٣١٤ ولا تجزيء عن أحد بعدك .
- ١٠١ وليحضر عقله وليكن من أبناء . . .
- ١٧٧ وهل تعلم ماتمام النعمة ؟
- ٢٧٩ وهو (رمضان) شهر الصبر .
- ٤١٢ ويحك ما كنت أعبد رباً لم أزد .
- ٤٤٠ ويحك ان الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر . . .
- ٢٢٢ ويل للعلماء السوء كيف تظني عليهم النار .
- ١٠٥ يا ارسطاطاليس هذه الامة .
- ١٤٦ يا عبادي اني حرمت على نفسي الظلم . . .
- ١٠٥ يا علي أنت ارسطاطاليس هذه الامة .
- ٣٢٩ يا كعب بن عجرة اعينك بالله من امارة . . .
- ٨ يا معاذ ما هذا ؟ . . . كذبوا على انبيائهم .
- ١٣٥ يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب . . .
- ٣٤٢ يخرج من النار قوم بعد ما امتحشوا .
- ٤٢٠ يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي أكثر من بني تميم .
- ٢٦٦ يطلع قوم من أهل الجنة الى قوم من أهل . . .
- ٢٠٥ يقول الله عز وجل : اخرجوا من النار . . .
- ٢٢٤ يؤتى بالعالم فيلقي في النار فتندلق . . .



## فهرس الاعلام

ابن أبي عمير: ١١٠	٣٧-٣٦-٢٦-١٥-١٠ الى ٤: آدم*
ابن اسحق: ٣٤٨	- ٥١-٥٠-٤٨-٤٤-٤٣-٣٨
ابن الأنباري: ٣٨٠	٩٧-٨٧ الى ٧٨-٧٥-٥٧-٥٢
ابن جذعان: ٩٢	١١٨-١١٦-١١٥-١١٤-١١٠
ابن جريح: ٢٥٩-٩٢-٤٢٠	١٣١-١٣٠-١٢٨-١٢٧-١٢٦
ابن جنبي: ٣٥٦	١٦٦-١٦٠-١٥٩-١٤١-١٣٢
ابن دريد: ٢٤٧-١٤	٢٢٨-٢٠٨-١٩٢-١٨١-١٨٠
ابن زياد: ٤٢٢	٤٢٤-٣٧٠-٣٣٨-٣٢٧-٢٥٣
ابن سينا: ٣٠٤-١٦٠-١٠٢-٤٨٦	٤٩٠-٤٨٥-٢٨٢-٢٧٦-٤٥٩
ابن عباس: ٩٢-٨٥-١٤-١٢-١٠	٥٢٤-٤٩١
١٢٧-١٣٠-١٣١-١٩٤-٢٢٠	آسية: ٣٦٧
٢٢٨-٢٤٥-٢٦٩-٣١٢-٣٣٠	آل ابراهيم: ١١٤
٣٥٠-٣٥٧-٣٧٣-٣٧٤-٣٨٢	آل عمران: ١١٤
٣٩٤-٤١٩-٤٢٢-٤٢٣-٤٢٥	آل فرعون: ٣٧٤-٣٦٤
٤٤٣-٤٥١-٤٥٦-٤٥٨-٤٥٩	آل قصي: ١١٧
٤٦٨	أئمتنا <sup>٤</sup> : ٥٢٤-٥٠٩-٣٢٥-٢٧٩
ابن عمر: ٢٣١	٥٢٦
ابن كيمونة: ٤٩٢	ابراهيم <sup>٥</sup> : ١١٤-١١٣-٤٢-٤٢
ابن قتيبة: ٤١٧	٢٠١-١٩٨-١٩٧-١٩٣-١٤٧
ابن المبارك: ٤٢٥	٣٥٠-٢٣١-٢٠٩-٢٠٨-٢٠٧
ابن محبوب: ٨٥	٥٠١-٤٩٦-٣٥١
ابن مسعود: ١٠-٨٥-٩٢-١٢٨	ابليس: ٧ الى ١٢-١٥-٤٣-٧٣
١٢٩-٢٣١-٢٣٧-٢٧١-٢٩٥	الى ٧٦-٧٨-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥
٤٤٣-٤٤٥	١٠٨-١٠٩-١٢٦-١٢٧-١٤١
ابن منبه: ٣٤٨	١٤٥-١٦٠-٢٠٨-٥٠٥

- أبو ادريس الخولاني : ١٤٦-١٤٧ .  
 أبو أيوب : ١٤٥ .  
 أبو برهدة : ٧٦ .  
 أبو بصير : ٤١٢ .  
 أبو بكر الباقلاني : ٣٧ .  
 أبو جريح : ٢١٥ .  
 أبو جعفر - الباقر  
 أبو جهل : ١٢٣-٣٠٥ .  
 أبو الحسن بن سالم : ٢٩٣ .  
 أبو الحسين الطيب البصري : ١٩٦-١٩٩ .  
 أبو الدرداء : ٢٢٧ .  
 أبو ذر (ره) : ١٦٤-٢٣٠-٢٥٢ .  
 أبو زيد : ٢٥١ .  
 أبو السرار القنوي : ٣١٥ .  
 أبو سعيد : ١٢٥-٣٣٧ .  
 أبو طالب : ١٢٣ .  
 أبو العالية : ٢١٥-٤٦٤ .  
 أبو عبد الله - جعفر بن محمد الصادق  
 أبو عبد الله الحلبي : ٣٧ .  
 أبو عبد الله الخواص : ٢٧٢ .  
 أبو عيسى : ١٧٤-٤٥١ .  
 أبو علي الجبائي : ١٠٨ .  
 أبو علي الرودباري : ٢٠٦ .  
 أبو عبيدة : ١٣٢-١٣٦-٣٢٧-٤٦٧ .  
 أبو القاسم البلخي : ٨٣ .  
 أبو مسلم : ٢٥٩ .  
 أبو مسلم الاصفهاني : ٨٣-٢٢٤ .  
 أبو مسلم الخولاني : ١٤٦-١٤٧ .  
 أبو هاشم : ١١٢ .  
 أبو هريرة : ٣٢٩ .  
 أبو يوسف : ٥ .  
 أبي بن كعب : ٤٤٥ .  
 أحبار المدينة : ٢٥٩ .
- أحمد بن حنبل : ٢٧٥ .  
 أحمد بن محمد بن خالد : ٢٢١ .  
 أخفش : ٢٥٧-٤١٨ .  
 اخوان الصفا : ٢٣٣ .  
 اخوة يوسف : ١١٨-٥ .  
 ادريس : ١٧-٢١ .  
 أرسطو (أرسطوطاليس) : ٤١٠-٤١٥ .  
 ارقليطوس : ١٠٦ .  
 أزرقمة : ١١٢ .  
 أزهرى : ٢٢٣ .  
 أسامة بن زيد : ٢٢٤ .  
 اسحق : ١١٣ .  
 اسرائيل : ١٧٣ .  
 اسكندر الافروديسي : ٣٠٤ .  
 اسماعيل : ١٩٤-١٩٧-١٩٨-١٩٦ .  
 أشاعره : ٣٦-٥٩-٧٦-١١٢ .  
 ١٢٢-١٢٨-١٢٩-١٤٤-٢٠٠ .  
 ٢٩٦-٢٩٧-٣١٠-٣٢٥-٣٦٤ .  
 ٣٨٢-٤٨٨-٥١٧ .  
 أشعيا : ١٩٧ .  
 أصحاب أبي الحسن الأشعري : ٨٢ .  
 أصحاب رسول الله : ٢٤٦ .  
 أصحاب الروحانيات : ١٨ .  
 أصحاب الفراسة : ١٨١ .  
 بعض أصحاب القلوب : ٩١ .  
 بعض أصحاب الكشف : ٣٥١ .  
 أصحاب الكهف : ٤١٦ .  
 بعض أصحاب المعارف : ٢٧٠ .  
 أصحاب الموافاة : ٧٣ .  
 أصحابنا : ٧٧-٩٠-٩١-٢٣٨-١٩ .  
 ٣٢٥-٣٣٣-٢٧٦-٢٩١ .  
 أصم : ٧٦-٢٢٢ .  
 أصمعي : ١٣٦-١٣٧-٢٢٢-٢٢٤ .

- أمير المؤمنين<sup>٤</sup>: ١٥٠-١٨٢-١٩٢-٢٢١-٢٢٢-٢٣١-٢٣٥-٢٧٧  
 ٤٩٠-٤٦٠-٤٤٠-٤٣٩-٤١٢  
 ٤٨٢-٥١٤-٥١٢-٥١٠-٤٩٥  
 ٤٢٧-١٣٦-١٣٥-٥٢٠-٤٨٠  
 انباز قلبي : ٣-١-٣٠٢  
 أنبياء بني اسرائيل<sup>٥</sup>: ١٩٥-٤٧١  
 أنس بن مالك : ٢٦٩  
 اوريا : ١٢٠  
 \*\*\*\*  
 باقلاني : ١٨٦  
 بحيرا الراهب : ٢٥٢  
 براء الشني : ٢٥٢  
 بشر العريسي : ٣٢٤  
 بلعم بن باعورا : ٢٠٩-٢٢٥  
 بنو اسرائيل : ٥٢-١٢٠-١٨٠-١٩١  
 ٢٤٧-٢٣٨-٢٣٢-٢١٢-١٩٤  
 ٢٥٦-٢٥٣-٢٥٠-٢١٧-٢٨١  
 ٢٦٤-٢٦٢-٢٦٠-٢٥٨-٢٥٧  
 ٢٠٣-٢٩١-٢٨١-٢٦٧-٢٦٦  
 ٢٢٦-٢٢٣-٢٢٢-٢١٨-٢٠٦  
 ٢٥٧-٢٧٢-٢٦٢-٢٧٣  
 بنو سماعيل : ١٩٢  
 بنو تميم : ٣٢٠  
 بنو هاشم : ٦  
 البهائي (شيخ) : ١٤٨  
 بيضاوي : ١٣٦-١٣٧-١٦٨  
 \*\*\*\*  
 التابعين : ٣٢٥  
 التناسخية : ٣٠٩  
 تهامة : ١٧٣  
 \*\*\*\*  
 ثاسطيوس : ٣٠٤
- اعشى : ٢٢٥  
 اعشى : ٢٢٤  
 اغاثا ذيمون : ١٧-٢١  
 بعض الافاضل : ٣٢٧  
 افلاطون : ١٠٤-١٠١-٢٧١  
 بعض اكابر الكشف : ١٥١  
 اهل الاشارة : ٢٢٦  
 اهل الله : ٣١٠-٣٩٥-٤١٤  
 اهل البصرة : ٣٦٦  
 اهل البيت : ١٣٠-٣١٠-٢٢٧  
 اهل التناسخ : ٢٦٨  
 اهل الحق : ١٨٦-٢٨٨  
 اهل السرى : ٢٧٤  
 اهل سبا : ١٩٧  
 اهل السنة : ١٨٦-٣٣٣  
 اهل الكتاب : ١٧٢-١٨٨  
 اهل المدينة : ٤٢٦-٤٢٢  
 اهل المعرفة والشهود : ٢٠٢-٢٠٣  
 اهل مكة : ٢١٥  
 اهل النظر : ٤١٤  
 امام الحرمين : ١١٢  
 الامام الرازي : ١٥٨-٢٠٠-٢٩٦-٢٣٨  
 = ٤٧٢ = فخر الرازي  
 الامامية : ١٠-٣٧-٢١-٧٣-٧٦  
 ١١٢-٤٥١-٥٠٩-٥٢٦  
 اصحابنا الامامية : ٢٤٩-٢٥٥-٢٢٠  
 امه محمد ص : ٣٥٩-٣٦٠-٣٦١  
 ٣٦٤-٣٨١-٣٧٨  
 امه عيسى ع : ١٩٢  
 امه موسى ع : ١٩٢-٣٥٩-٣٦٠  
 ٣٢٢-٣٦١
- أمير المؤمنين<sup>٦</sup>: ٨-٩٢-١٠١-١٣٠

- ٢٢٦-٢٢٢-٢١٥-٣٧٤ : حسن  
 .٢٢٨-٢٥١-٢٢٥-٢٣٥  
 .١٣٠ : الحسين\*  
 .١٢٠-١١٩-١١٢ : الحشوية\*  
 -٢٢-٢١-٢٠-١٨-١٧ : الحنفاء\*  
 .٢٢٢ : حفص بن غياث  
 .٢٢٢ : حفص بن غياث  
 ١٠٢-١٠٠-٧٨-٧٤-٦٨ : الحكماء\*  
 ٢٩٩-٢٥٨-٢٠٠-١٦٥-١٢٢  
 .٤٧١-٣٠٢  
 ١٥٥-١٠٢-٩٩-٩٧ : بعض الحكماء\*  
 .٢٠٣-١٧٩  
 .٤٠١ : بعض أئمة الحكمة والتوحيد  
 .٣٩٩ : بعض أعاضم الحكماء\*  
 .٦١ : الحكماء الإلهيون  
 .٤٧٢ : الأقدمين من الحكماء\*  
 .٢٧٦ : جمهور الحكماء\*  
 ٩٤-٨٧-٨٥-٢٣-٢٨ : حواء\*  
 ١٣٢-١٣١-١١٠-١٠٩-١٠٨  
 ١٥٩-١٦٠-١٦٦ = زوجة آدم  
 .٢٢٠-٢١٩ : حي بن أخطب  
 \*\*\*\*  
 .٣٢٤ : الخالدي  
 .٢٧٥ : الخزاز  
 ٢٥١-٢٤١-٢٣٨-٢٣٤ : الخليل  
 = إبراهيم  
 .٢٢٤-١١٢ : الخواارج  
 .٢٩٢ : الخوانساري  
 \*\*\*\*  
 .١٣٥ : دانيال\*  
 ١٩٩-١٣٥-١٢٠-١١٠ : داود\*  
 .٤٦٨-٢٢٧-٢٠٩-٢٠٦  
 .٤٦١-٢١٤ : دحية الكلبي
- ٠ ٣٠٤ : تامسطيوس  
 .٣٩٥ : ثعلب  
 .٥٠٣-٣٠٩-٣٠٢ : الثنوية\*  
 .٢٦٦-٨ : الثوري  
 \*\*\*\*  
 .٢٦٩ : جابر بن عبد الله  
 .٨ : الجاثليق  
 ١٥٩-١٥٨-٨٤ : الجبائي (أبو علي)  
 .٢٠٢-٢٧٢  
 ٦٩-٥٤-٥٢-٢٧-٢٦ : جبرئيل\*  
 ٢٠٧-١٥٩-١٤٧-١٢٦-١٢٤  
 ٣٢٦-٣٣٤-٢٧٣-٢١٣-٢٠٩  
 ٢١٤-٣٧٧-٣٧٥-٣٧٤-٣٥٨  
 .٤٦١-٢٣٢-٢١٥  
 -٨٧-١١-١٠ : جعفر بن محمد الصادق\*  
 ٢٥١-٢٥٠-٢٤٩-٢٢٢-١٢٨  
 ٢١٢-٢١١-٢٨٣-٢٨٠-٢٦٢  
 .٤٨٥-٢٥٨-٢٤٠-٢٢٢  
 .٣٨٣ : الجمهور  
 .٢٢٢-١١ : جميل بن دراج  
 .٢٢ : جنيد  
 .٢٦١ : الجوهرى  
 \*\*\*\*  
 .٢٧٥ الى ٢٧٢ : حاتم الأصم\*  
 .١٩٥ : حبقوق  
 .٢٥٢ : حبيب النجار  
 .٢٦٩ : حذيفة  
 .٦ : حسان  
 .١٣٠ : حسن بن علي\*  
 - ٢٠٦ : حسن بن علي العسكري\*  
 .٢٢٩-٢٢٧  
 ١١٠-٨٦-٨٤-١١-١٠ : حسن  
 ٣٦٨-٣٢٢-٢٦٩-١٢٩-١٢٧

- سليمان<sup>٤</sup> : ١١٠-١٢٠-١٢١-١٧٤  
 . ١٨٢-٣٥٣  
 سماك بن هاني : ٨  
 سنان (سنان) : ١٩٧  
 سهل بن عبد الله التستري : ٢٠٦-٢٢٨-٧  
 \*\*\*\*  
 شارح الأناجيل : ٧٣  
 شبلي : ٢٧٦-٢٩٢-٢٩٣-٣٩٠  
 شعبي : ٢٣٠  
 شعيب<sup>٤</sup> : ٤٣٤  
 شيبث<sup>٤</sup> : ١٧-٢١  
 الشيخ المقتول : ٤٩٢  
 بعض فرق الشيعة : ١١٢  
 الشيطان : ٥٣-٩٤-١٠٨-١١٣-  
 ١١٧-١١٨-١٢١-١٣٦-١٥٢  
 ٢٣١-٢٧٠-٢٧٩-٢٩١-٤١٣  
 . ٤٧٨  
 \*\*\*\*  
 الصابئة : ١٧-١٨-٢٠-٢٤-٢٥  
 . ٥٤-٦٤-٤٥٣  
 صاحب احياء العلوم : ١٣٨-١٥٢-٢١١  
 . ٢٣٣ = الغزالي  
 صاحب اخوان الصفا : ٧٨-٢٣٣  
 صاحب التفسير الكبير : ٣٨٢-٤١٧-  
 . ٤٥٣-٤٦٥ = الامام الرازي  
 صاحب العوارف : ٢٩٣  
 صاحب الكشاف : ١١-١٦٥-٣٨١-  
 . ٤٠٧-٤٦٩-٤٢١ = زمخشري  
 صاحب الفتوحات : ٨٢ = يحيى الدين  
 صاحب مجمع البيان : ٩٠ = الطبرسي  
 صاحب الملل والنحل : ٢٠  
 صالح بن حميان (كيسان) : ٢٢٧  
 الصحابة : ٢٢٠-٢٣١-٣٢٥
- الدجال : ٢٢٤  
 الدهرية : ٣٠٩-٣٣٧  
 \*\*\*\*  
 ذوالنون المصري : ١٢٢-١٥٠-١٥٤-٤٦  
 ذيمقراطيس : ٣٠٢  
 \*\*\*\*  
 ربيع بن أنس : ٩٢  
 الرضي (السيدرة) : ١٥١  
 \*\*\*\*  
 زجاج : ١٠٩-٢٥٩-٣٥٧-٤٢٨  
 . ٤٤٣-٤٦٧  
 زراره بن أعين : ٨٧  
 زكريا<sup>٤</sup> : ٢٢٨  
 زمخشري : ٣١٢ = صاحب الكشاف  
 زهرى : ٤٥٠  
 زوجة آدم<sup>٤</sup> : ٨١-٨٢-٨٥-٨٦  
 - حواء  
 زيد : ١٢٤  
 زيد بن عمرو بن نفيل : ٤٥٢  
 زينب بنت جحش : ١٢٤  
 \*\*\*\*  
 السامري : ٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥  
 . ٣٧٨-٤٠٥  
 سدي : ٨٥-٩٢-٢٥٩-٣٤٩-٣٥  
 . ٤٠٦-٤٢٣-٤٥١-٤٥٢-٤٥٨  
 سعيد بن جبير : ١٢٩-٤٠٠-٤٢٢  
 سعيد بن المسيب : ٢٦٩  
 سفيان الثوري : ٢٦٩-٤٥٣  
 سفيان بن عيينة : ٢٦٧  
 سقراط : ٢٥١  
 سلعان الفارسي : ٤٥٢  
 سلمة : ٢٣٠  
 سليم بن قيس الهلالي : ٢٢١

- ناس من الصحابة: ٠٨٥  
 الصدوق (الشيخ ره): ٠٢٤٥-٨٧-١١  
 صهيب: ٠٨  
 الصوفيّة: ٠٣٩٢-٣٢٥-١٨  
 بعض الصوفيّة: ٠٢٤٧-٢٤٤  
 مشائخ الصوفيّة: ٠١٣٧  
 \*\*\*\*  
 ضحّاك: ٠٤٢٢-٢٢٨  
 \*\*\*\*  
 طاووس: ٠١٥  
 الطباعيّة: ٠٣٠٩  
 طبرسي (شيخ): ٠٤٤٣-٤١٩-١٢٩  
 صاحب مجمع البيان  
 طنافسي: ٠٢٧٤  
 الطوسي (شيخ): ٠١٢٨-٣٧-١٠  
 الطوسي (خواجه): ٠١٥٢-١٤٨  
 \*\*\*\*  
 ظاهر بن صلاح الدين: ٠٢٣٩  
 \*\*\*\*  
 عبد الله: ٠١٤٦  
 عبد الله الأنصاري: ٠٦٨  
 عبد الله بن عوف بن أسلم: ٠٤٥٨  
 عبد الله بن عمر: ٠٢٦٩  
 عبد الله الديباني: ٠٤٣٩  
 عبد الرحمن بن أبي ليلى: ٠٢٣٠  
 عبد المطلب: ٠١٢٣  
 العبرانيين: ٠١٧٣  
 العرب: ٠٢٨١-٢١٢-١١٠-١٤  
 ٠٤٤٣-٣٩٩-٣٦٧-٣١٦  
 العرفاء: ٠٣٧٧-٣٧٦-٣٠٩-٢٩٥  
 ٠٢٧١-٣٨٦  
 بعض العرفاء: ٠٣٧٠-٢٠٤-١٨٩-٨١  
 عزازيل: ٠١٥ = الشيطان  
 العسكري = حسن بن علي  
 عطّار (شيخ): ٠٣٥٢  
 عكرمة: ٠٤٢٥-١٢٩  
 العلامة الحلّي: ٠١٢٨  
 علماء القبط: ٠٣٥٣  
 بعض العلماء: ٠٣٧٤-٢١١  
 العلماء الراسخون: ٠٤١١  
 علي بن إبراهيم: ٠٢٦٤-٢٢٢  
 علي بن رزين الطبري: ٠١٩٦  
 علي بن عيسى: ٠٣٤٧  
 علي بن موسى الرضا: ٠٤٣٩-١٢٢  
 العمالقق: ٠٤٢٢-٤١٩  
 عوج بن عنق: ٠٤٢٢  
 عياشي: ٠٤٥٨-١١  
 عيسى: ٠١٩٩-١٩٦-١٩٥-١٩٢  
 ٠٢٢٧-٢٢٥-٢٢٤-٢٢٢-٢٠١  
 ٠٢٥١-٤١٦-٣٣٩-٣٣٤-٣٣٣  
 ٠٤٥٢-٥٢٠-٤٥٢ = المسيح  
 \*\*\*\*  
 الغزالي: ٠٢٩١-٢٨٢-٢٤٠  
 \*\*\*\*  
 الفارابي: ٠٢٢٦  
 فارقليطا: ٠١٩٨  
 فاطمة: ٠٤٨٤-١٣٠  
 فخر الرازي: ٠٢٠٦-١٥٦-٨٢-٧١  
 = الامام الرازي  
 فراء: ٠٤٤٣-٣٩٥-٢١٩  
 فرعون: ٠٢٠٤-٢٧٢-١٨٨-١٧٤  
 ٠٢٥٣-٣٥١-٣٥٠-٣٢٩-٣٢٨  
 ٠٣٦٢-٣٦١-٣٥٩-٣٥٧-٣٥٥  
 ٠٣٧٣-٣٦٧-٣٦٦-٣٦٤-٣٦٣

- كليفي (ره) : ١٣٢-٢٢١-٢٢٥-٢٢٨  
 . ٢٢٩-٢١١  
 الكمل من العلماء<sup>١</sup>اللاهيين : ٣٩٢ .  
 \*\*\*\*  
 لقمان : ٢٦٨-٢٩٨ .  
 لوط<sup>٢</sup> : ٥٧ .  
 مازني : ٢٥٧ .  
 مالك بن دينار : ٢٢٧ .  
 مأمون : ١٢٢-١٢٣-١٨١ .  
 مبرد : ٢١٦ .  
 المتصوفة : ٣٢٥ .  
 المتكلمون : ١٧-٢٠٢-٣١٢ .  
 أكثر المتكلمين : ٢٥٧ .  
 بعض المتكلمين : ٢٦٥ .  
 بعض متكلمي الامامية : ٢٠٧ .  
 المتفلسفة : ٣٢٥-٢٦٠ .  
 مجاهد : ١٥-١٢٢-٢٠٩-٢٠٠ .  
 ٢٧٢-٢٧٠-٢٥١-٢٢٢-٢١٩  
 مجسمه : ٣٠٩ .  
 المحققون : ٥٩-٣١٢-٣١٩-٢٧٢  
 بعض المحققين : ٢٢٦-٢٨٢-٢٥٢-٢٦٤  
 المحقق الطوسي : ١٢٨-١٥٢=الطوسي  
 محمد رسول الله<sup>٣</sup> : ٧-٨-٩-٣٧ الى  
 ٢٠-٢٢-٢٤-٢٤-٢٥ الى ٢٩-٥٢-  
 ٥٣-٥٤-٧٤-٨٦-٩٧-١٠٩-  
 ١٢٢-١٢٣-١٣٠-١٣٥-١٣٦  
 ١٣٧-١٣٨-١٤٠-١٤٢- الى  
 ١٤٨-١٢٠-١٧١-١٨٠-١٨٢  
 ١٨٢-١٨٧-١٩١- الى ١٩٩-  
 ٢٠١-٢٠٢- الى ٢٠٨-٢١٠-  
 ٢١٢ الى ٢٢١-٢٢٣-٢٢٤-  
 ٢٢٧- الى ٢٣٤-٢٣٧-٢٣٨-
- فرعون : ٣٨٧-٣٩٢-٢٢٥ .  
 فرفوريسوس : ١٩٠-٣٠٤ .  
 بعض الفضلاء : ٢٧٣ .  
 الفقهاء : ٢٣-١٨٢-٣٧٣-٢٥١ .  
 بعض الفقهاء : ٢٧٢ .  
 الفلاسفة : ١٣٣-٢٧١ .  
 فلاسفة الاسلام : ١٨ .  
 الفلاسفة المتأخرون : ٥٢ .  
 جمهور الفلاسفة : ٦٧ .  
 \*\*\*\*  
 القائلون بالبخت : ٣٠٩ .  
 قابوس : ٣٢٨ .  
 قارون : ٢٠٧ .  
 القاضي عبد الجبار : ٧١-٧٢-١١١-  
 ٢٢٢-٢٢٤ .  
 القبط : ١٨٨-٣٥٠-٣٦٧-٣٧٢  
 قتادة : ٨-١٠-١٢٩-٢١٥-  
 ٢٢٢-٢٢٦-٢٢٣-٢٥١ .  
 قرهش : ١١٧-٢١٥ .  
 قريضة : ٢١٦ .  
 قس بن ساعدة : ٢٥٢ .  
 قصي : ١١٧ .  
 قطرب : ٢٩٥ .  
 تقال : ١٣٢-٣١١-٣١٦-٢٠٧  
 ٢٢٥-٢٢٦-٢٥٩-٢٦٣ .  
 قوم موسى (له) : ٣٨١ .  
 \*\*\*\*  
 الكاشاني شارح الفصوص : ٧٠ .  
 كعب بن أشرف : ١٩-٢٢٠ .  
 كعب بن عجرة : ٣٢٩ .  
 كعبي : ٢٦٢-٢٦٥-٢٦٦ .  
 الكسائي : ٢٢٧-٢٧٧-٢٧٨-٢٢٣  
 كلبى : ٢٠٢ .

- المعتزلة : ٣٧-٧٦-٨٢-٩٠-١١٢  
 ١٢٢-١٤٨-١٤٩-٢٠٠-٢٩٦  
 ٣١٥-٣٢٢-٣٢٨-٣٢٠  
 ٢٦٤-٣٨١-٢٠٧-٢٣٦-٢٨٨  
 المفسرون : ٨٢-٨٩  
 المفيد (الشيخ ره) : ١٠-٣٧  
 مقاتل بن سليمان : ٣٢٢-٣٢٦  
 الملاحدة : ٢٣٧  
 المنافقين : ٢٥٣  
 موسى \* : ٢٢-٤٢-٩٤-١١٤  
 ١١٩-١٩٢-١٩٤-١٩٥-٢٠١  
 ٢٠٧-٢٠٩-٢٢٨-٢٢٦-٢٢٧  
 ٣٣٩-٣٤٩-٣٥٠-٣٥٢-٣٥٥  
 ٣٥٧-٣٦٤-٣٦٩  
 ٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٨٨-٣٩٤  
 ٣٩٥-٣٩٨-٤١٦-٤١٧-٤٠٢  
 ٤٠٣-٤٠٥-٤٠٦-٤١٢-٤١٥  
 ٤١٩-٤٢٠-٤٢٢-٤٢٤-٤٣٦  
 ٤٣٧-٤٤٤-٤٤٥-٤٤٦-٤٥١  
 ٤٥٦-٤٥٨-٤٦٠-٤٦٢-٥٢٣  
 ٥٢٢-٤٨٩-٤٦٣  
 موسى بن جعفر \* : ٢٩٨-٥١٩  
 موسى بن ظفر : ٣٧٣  
 المولى الرومي : ٢٢٥  
 ميحا : ٣٧٣  
 ميكائيل \* : ٥٤-٣٢٦  
 \*\*\*\*  
 نافع : ٢٢٦  
 النخعي : ١٣١  
 النصارى : ٤٢-١٧١-١٧٢-٢٢٩  
 ٢٥٣  
 بعض النصارى : ١٩٨  
 النضير : ٢١٦  
 محمد رسول الله ﷺ : ٣٣٩-٣٤٠-٣٤١  
 ٣٤٢-٣٥٩-٣٦٠-٣٥٢-٣٥٣  
 ٣٦١-٣٦٢-٣٥٩-٣٦٠-٣٧٣  
 ٣٧٦-٣٧٧-٣٧٨-٣٨٥-٣٨٧  
 ٣٩١-٣٩٢-٣٩٥-٣٩٦-٣٩٩  
 ٤١١-٤١٢-٤١٤-٤١٥-٤٢٢  
 ٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٥٢  
 ٤٦١-٤٦٢-٤٦٤-٤٦٩-٤٧٣  
 ٤٧٨-٤٨٠-٤٨١-٤٨٤-٤٩٦  
 ٥٠١-٥٠٥-٥٠٩-٥١٠-٥١٩  
 ٥٢١  
 محمد بن اسحق : ٢٠٢-٢٠٥  
 محمد بن علي الباقر \* : ٩٠-١٢٩  
 ١٣٢-١٣٥-٢١٩-٢٢٢-٢٢٨  
 ٢٥٠-٢٥٢-٢٥٩-٣٢٠-٣٣٥  
 ٢٢٥-٢٢٣-٢٥٠  
 محمد بن علي بن بابويه : ٢١١-٢١٢  
 ٢٢٩- الصدوق ره  
 محمد بن مسلم : ١٣٤-٢٤٨-٢٥٢  
 محمد بن يعقوب = كليني ره  
 يحيى الدين بن العربي : ١٥-١٦-٢٩  
 ٢٣٩-٣٦٢-٣٧٥-٤٨٣  
 المرتضى (سيد ره) : ٣٧  
 بعض المرجئة : ٣٢٦  
 مسعدة بن صدقة : ٢٦٤  
 مسلم : ١٤٦-٣٣٤  
 المسيح \* : ٢٢-٢٣-١٧٢-٢٦٤  
 عيسى \*  
 بعض المشائخ : ٣٨٣  
 مشركي العرب : ٢٥٩  
 مشركي مكة : ١٢٣-٣٧٨  
 مصعب بن ريان : ٣٢٨  
 معاذ بن جبل : ٨-٢٢٩



یحییٰ ۴ : ۲۴۸ .	نمرود : ۲۷۴ .
یحییٰ بن معاذ الرازی : ۲۶۷-۳۴۲ .	نوح ۴ : ۱۱۴-۵۷-۵۲-۴۴ -
یعقوب ۴ : ۱۱۳-۱۱۴-۱۱۸-۱۷۳	۰۴۵۵-۴۵۱-۲۰۸-۱۱۸
۰۴۵۰	****
یوسف ۴ : ۵-۱۱۳-۱۱۸-۱۱۹ -	ہاجر : ۱۹۷ -
۰۳۲۸	ہرمس : ۲۱-۱۷ .
یوشع بن نون : ۳۵۸-۴۲۰-۴۲۲ .	ہرون : ۱۲۰-۳۵۷-۳۷۴-۳۷۳
یونس ۴ : ۱۲۲-۲۰۷-۲۱۰-۶۲	۴۰۲-۴۰۳-۴۰۵-۴۲۰-۳۵۰
الیسہود : ۱۷۱-۱۷۲-۱۹۵-۱۵	****
۲۱۶-۲۲۹-۲۴۷-۲۵۹-۷۸	واسطی : ۲۷۵ .
۳۲۲-۳۸۷-۴۴۷-۴۵۰-۵۳	واصل بن عطاء : ۸۴ .
یسہودا : ۴۵۰ .	ولید بن مصعب : ۳۴۸ .
****	وہب : ۳۴۸-۴۱۹ .

## الموضوعات والاصطلاحات

- |                                    |                         |
|------------------------------------|-------------------------|
| الآخرة : ٣١٧ الى ٣٢٣-٣٦٣           | الاتفاق : ٣٠١-٥٠٣       |
| ٥١٢                                | الأحاديث : ٣٤٠          |
| آدم ٤ : ٩٢-٩٦-٥٠٥ - سرخلقه من تراب | الاحباط : ٧٣            |
| ٣٧٠ - سرهبطه ١١٠-١٦٦ اعصته         | الأحوال : ١٩-٢٨٢        |
| والشبه فيها ١١٥ الى ١١٧ - فضله     | احياء الميت : ٤١٦       |
| على الملائكة ٥٠-٥١-٥٢ الكلمات      | الاختراع : ٥١٧          |
| التي تلقىها ١٢٩-١٣٠-١٣١            | الاختيار : ٣٨٢          |
| مسجوديته ٦-٧                       | الأدعية : ٤٢٩           |
| آدم الحق الأول : ٥٢٤               | الاذن : ٣٢٣             |
| آدم الأول : ٢٧٦                    | الأربعين : ٣٧٠          |
| الآدمية الاولى : ٢٧٧               | الأرواح : ٥٦-٣٧٥        |
| آل : ٣٤٦                           | الأرواح الكلية : ٦٠-٣٥٣ |
| الآلام : ٣٢١                       | الأرواح المهيمه : ٦٨    |
| الآية : ١٦٨                        | الأرواح النبوية : ٦٨    |
| الابداعيات : ٢٤                    | الاستحالة : ٢٤٦         |
| الأبدان : ٢٧٢                      | الاستسقاء : ٤٣٣         |
| ابن : ١٧٢                          | الاستغفار : ١٣٦-١٥١     |
| ابراهيم (ع) اعصته : ١١٨            | اسرائيل : ١٧٣           |
| الابصار : ٤٦١                      | الاسرائيليات : ٢٣٢      |
| ابليس : ٥٠٥-٥١٤ - أول من كفر ٧٢    | الاسم الأعظم : ٦٦       |
| ٧٥ - شبهاته ٧٣                     | أسماء الله الحسنى : ٣٥٢ |
| أمن الملائكة أم لا ٩ الى ١٧        | أصحاب الروحانيات : ١٨   |
| اتحاد العاقل والمعقول : ٣٠٤        | أصحاب الكبائر : ٢٣٥-٣٣٤ |

- أصحاب الموافاة : ٠٧٣  
 الأصلح يجب رعايته : ٠٣١٣  
 اصول الموجودات : ٠٥٩  
 الأعمال : ٠٣٢٢-٢٨٢  
 الافتاء : ٠٢٦٩-٢٣٠  
 أفلاطون القبط : ٠٣٦١-٣٤٨  
 الأفلاك : ٠٥٦  
 أكابر الملائكة : ٠٧٩-٧٨  
 الأكوان الابداعية : ٠٦١  
 الأكوان الحادثة : ٠٦١  
 الله تعالى : الأول والآخر ٣٠٦-٣٠٢  
 توحيد ٣٨٦- حجه ١٩٢- الخير  
 منه ٤٦٥- ذكره للعبد ١٨٩ رحمة  
 ١١٠-٢٠٧- رؤيته ٢٠٨ الى ٢١٥  
 الشربليس اليه ٤٦٥- الغاية ٢٩٩  
 غناه عن العبادة ٣٧٩- فيضه ٣٢٢  
 كلمته ٤٦٩- كلامه وكتابه ٣٩٦-  
 ٢٧٥- لطفه ٤٦٦- مظاهره ٢١١  
 لا مؤثر غيره ٣١٨  
 أم الكتاب : ٠٣٥٢  
 الأمانة المعروضة : ٠٢٠١  
 الامر- دلالتة على الوجوب : ٠٧٧  
 الأمر بالمعروف : ٠٢٦٠-٢٦١-٢٦٢  
 الأمر التشريعي : ٠٩١-٤٦٩  
 الأمر التكويني : ٠٤٦٩  
 أمر القضاء والتكوين : ٠٩١  
 اسم الاجابة : ٥١١  
 اسم الدعوة : ٠٥١١  
 اسم الاسلام : ٠٣٩٦  
 اسم محمد ص : ٠٣٦٠-٤٧٣  
 اسم موسى : ٠٤٧٢  
 الاهتداء : ٠١٦٧  
 أهل الظاهر : ٢٠٢
- أهل القلب : ٠٢٠٢  
 الاناس : ٠٤٢٣  
 الانبيات : ٠٤٤٣  
 الأنبياء : ٠٢٤-٢٥-٢٤٤-٢٥٢  
 ٣٥٣- عصمتهم ٩٠-٩٥-١١٠-  
 الى ١٢٥- علومهم ٢٨- وساطتهم  
 ٠٣٢-٥١٣  
 الانجاء : ٠٣٢٦  
 الانسان : ٠٩٢-٩٣-١٠٦-١١٠-  
 ١٦٧-١٦٩-١٧٠-١٧٤-٢٠٣  
 ٢٨٤-٢٨٥-٢٨٩-٢٩٢-٢٩٤  
 ٣٠٥-٣٠٧-٣٠٨-٣٥١-٣٧٠  
 ٣٧٢-٣٧٠-٤٧٠-٤٧٢- أقسامه ١٦٩  
 خلقه واهباطه ٩٦-١٦٦- تجليه  
 تعالى فيه ٦- مسجوديته ٦- فعله  
 ٣٨٢- نشأته ٩١-١٢٦- مقاماته  
 ٠٧٩-٩٩- والملائكة ١٧-٧١  
 الانسان الجسماني : ٠١٠٦  
 الانسان الحسي : ٠١٠٦  
 الانسان العقلي : ٠١٠٦  
 الانسان الكامل : ٠٧٠-٨٠  
 الانسان المحمدي : ٠٥٠٢  
 الانسان النفساني : ٠١٠٦  
 الانسان النفسي : ٠٤٨٢  
 الانسانية : ٠٤٢٦  
 الانفجار : ٠٤٢٣  
 الأنوار القهارية : ٠٢٠٣  
 أول ما صدر : ٠٦٦  
 الايمان : ٠٧٣-٧٤-٧٥-١٧٠-١٩١  
 ٠٣٧٦-٣٨٠-٤٥٣-٤٥٥  
 \*\*\*\*  
 الباء : ٠٤٢٤  
 البارقة النورانية : ٠٢٩٩  
 البارئ : ٠٣٩٩

- التكليف : ١٢٥-٣٦٤-٢١٧ .  
 التمثل : ٢١٢ .  
 التمثلات النفسانية في الآخرة : ٥٢  
 تنازع أهل الجنة : ٩٢ .  
 التناسخ : ٢٦٨-٢٧٣ .  
 التوبة : ١٣٠ الى ١٥٧-٣٨١ .  
 التوحيد : ١٦٩ .  
 التوحيد الأفعالي : ١٨٢-٣٨٧ .  
 التوراه : ٣٦٦ .  
 \*\*\*\*  
 الثمن : ٢١٩ .  
 \*\*\*\*  
 الجاه : ١٨٠-١٨٢-١٨٣ .  
 جبال فاران : ١٩٥-١٩٦ .  
 الجبر : ٢١-٣٨٢-٣٨٣ .  
 الجذب الالهي : ٦٨ .  
 جذبة الحق : ٢٩٠ .  
 الجزاء : ٣١٢ .  
 الجسمانيات : ٢٢ .  
 الجمادات : ٦٤ .  
 الجمال : ١٨١-١٨٢ .  
 الجن : ١٢ الى ١٦-٦٣ .  
 الجنة : ١٦١ .  
 الجنة الاولى : ٨١ .  
 جنة الخلد : ٨١-٨٢ .  
 الجبهة : ٢٠٧ .  
 الجواهر : ٥٩ .  
 الجواهر المعدنية : ٦٦ .  
 الجوهر : ١٨ .  
 جوهر الروح القدس : ٣٢٢ .  
 جوهر النبوة : ٣٢٢ .  
 \*\*\*\*  
 الحال في الشكر : ٣٨٦-٣٨٩ .
- البارئ : ٣٩٩-٥١٦ .  
 باعث الدين : ٢٨٦ .  
 باعث الهوى : ٢٨٦ .  
 البخت : ٥٠٣ .  
 البداء : ٢٩١-٥٢٦ .  
 البدن : ٤٣٨-٦٢ .  
 البسر : ٢٥٧-٢٥٩-٢٦٠ .  
 البرزخ الأخير : ٨١-٨٢ .  
 البرزخ الأول : ٨٢ .  
 البرازخ السفلية : ١١١ .  
 بسيط الحقيقة كل الأشياء : ٦٤ .  
 البشر وفضله علي الملائكة : ١٧ .  
 البقاء بنور الحق : ١٩٠ .  
 البقل : ٢٤٣ .  
 بنى اسرائيل : فضلهم ١٨٨-عذابهم ٣٣٩  
 نعمهم ٣٥٩-بلادتهم ٣٦٢ .  
 \*\*\*\*  
 التأييد : ٣٣١ .  
 التأثير : ٣١٧ .  
 تجسم الأعمال : ٣٢٢ .  
 التحميد : ١٣٠ .  
 تخاصم الملائكة الأعلى : ٩٢ .  
 التسبيح : ١٣٠-٤٨٥ .  
 التصوير : ٣٧٣ .  
 تعانق الأطراف المتضادة : ٢٩٥ .  
 التعليم : ٦٥ .  
 التعيين الأول : ٣٥٢ .  
 التعمينات اللاحقة للوجود : ٣٥٢ .  
 التفويض : ٢١-٣٨٣ .  
 التقديس : ٣٨٦ .  
 التقليد : ١٦٧-٣٧٨ .  
 التقيية : ١١٢ .  
 التكلم : ٢٣١-٣٦٩ .

- دار الآخرة: ٢٥٣ - الآخرة  
 الداعية: ٣٨٢  
 داود: عصته: ١٢٠  
 الدعاء: ٢٢٣  
 الدلال: ٩١  
 الدنيا: ١٢٦-١٧٩-٣٢٠-٧١  
 \*\*\*\*  
 ذات الله العليا: ٥٢٦  
 الذاكرة: ١٧٢  
 الذكر: ١٧٣-١٨٩  
 الذنب: ١١٢-١٤٣  
 \*\*\*\*  
 الرجاء: ٢٠٢ الى ٢١٢-٣٦٢ -  
 ٤٦٣  
 الرجز: ٢٢٨  
 الرجل: ٨٦  
 رجوع العبد الى الله تعالى: ١٣٢  
 الرحمن: ٢٠٥  
 الرق المنشور: ٥٢١  
 الركوع: ٢٥٥  
 الرهبه: ٢٠٢  
 الرياء: ١٨٣  
 الروح: ٣٢٦  
 الروح الانساني: ٣٧٢  
 الروح الحيواني: ٣٢٦  
 الروح الكلى: ٦٠  
 الروح النطقى: ٣٢٦  
 روحانى جزئى: ١٩  
 روحانى كلى: ١٩  
 الروحانيات: ٢٠  
 الروحانيات والجسمانيات: ١٧-٧١  
 \*\*\*\*  
 الزكوة: ٢٥٠ الى ٢٥٥
- الحجاب: ٣٧٠  
 الحجب: ١٩٣-٢٧٩  
 الحجر: خروج الماء منه: ٢٣٧  
 حديث النفس: ٢٨٩  
 الحركة: ٣٢١  
 حزب الله: ١١٣  
 حزب الشيطان: ١١٢-١١٥  
 حطه: ٤٢١-٤٢٤-٤٢٥  
 الحقيقة الانسانية: ٤١٣  
 الحقيقة المحمدية: ٦٦  
 الحقيقة النبوية: ٤١٤  
 الحكمة: ١٧٦  
 الحمامة المطوقة: ١٠٢  
 الحمد: ٣٨٣-٤٨٥  
 حواء: وقت خلقها: ٨٤  
 حى بن يقظان: ١٠٢  
 حيث: ٨٨  
 الحية: ١٠٨  
 \*\*\*\*  
 الخاسى: ٢٦٧  
 الخالق: ٣٩٩-٥١٦  
 الخبر الواحد: ٣٢١  
 الخشوع: ٢٧٧  
 الخشية: ٢٠٢-٢٠٥  
 خلقه السفليات: ٣٧٢  
 الخلود: ١١١-١٦٩-٣٢٢ الى  
 ٣٤٥  
 خليفة الله: ١٢٨  
 الخوف: ٢٠٢ الى ٢١٢  
 الخيال الكلى: ٤٨٠  
 الخير: ١٧٥-١٨٤-٢٦٥  
 \*\*\*\*  
 دائرة الوجود: ٣٠٣



- عجل السامري : ٣٧٤ .  
العدالة : ١٧٦ .  
العدل : ٣١٥ .  
العذاب : ١٦٨-٢٠٢-٢٠٣ .  
عذاب القرب : ٢٠٢ .  
العرفاء : ٢٧٠ .  
الحرز : ١٨٠ .  
العشق : ٦١ .  
العشيرة : ١٨٠ .  
عصا موسى ع : ٢٢٢ .  
العطف بالواو والفاء : ٢٣١ .  
الصفو : ٣٨٠ .  
الصفه : ١٧٦ .  
العقل : ١٨-٣٣-٦٠-٨٦-٨٧ .  
٢٥٧ .  
العقل الانساني : ١٠٠ .  
العقل الأول : ٣٥٢-٣٥٣-٦٦ .  
العقل بالفعل : ٣٥-٦٤ .  
العقل بالملكه : ٣٥ .  
العقل البسيط : ٣٩٥ .  
العقل العملي : ٣٥ .  
العقل الفعال : ٣٥-٧٠-٣٤٢ .  
العقل الكلي : ٦٦-٩٩ .  
العقل المستفاد : ٣٥ .  
العقل السموع : ٥٢٨ .  
العقل المطبوع : ٥٢٨ .  
العقل النظري : ٣٥ .  
العقل النوري : ٥١٨ .  
العقل الهيلولاني : ٣٥ .  
العقول الفعاله : ٦٨ .  
العقول السجده : ٥٨ .  
العلل الاخرويه : ٥١١ .  
العلل الاتفاقيه : ١٦٢ .  
غلة الوجود : ٥٢٨ .  
العلم : ٢٢١-٢٢٢-٥٠١- في  
الشكر ٣٨٦-٣٨٧-٣٨٨- المفيد  
في الآخرة ٢٣٨ .  
علم الآخرة : ٢٤١ .  
العلم الاجمالي : ٣٩٥ .  
العلم التفصيلي : ٣٩٥ .  
العلماء : ٢١٢-٢٢٢ .  
علماء الآخرة : ٢٢٦ الى ٢٣٥-٢٦٧ الى  
٢٧٥ .  
العلماء الراسخون : ٢٠٣ .  
علماء سوء : ٢١٨ الى ٢٣٠-٢٣٨ -  
٢٦٥-٢٧٥ .  
علماء القشر : ٤١٠ .  
علماء الكشف : ٢٧٠ .  
العلمه الغائيه : ٣٠٠ الى ٣٠٧ .  
العلوم : ٢٥ .  
العلوم : ٢٨٢ .  
علوم المعامله : ١٧٦ .  
علوم الوراثة : ٢٧١ .  
العلويه العليا : ٤٨٠-٥٢٠ .  
العمل في الشكر : ٣٨٦-٣٩١ .  
المعاصر : ٦٣ .  
العهد : ١٩١-١٩٣ .  
عهد الله : ٢٠٠ .  
العوامل الثلاثه : ٥١٧ .  
العين : ٢٣٣ .  
\*\*\*\*  
الغايه : ٦٦-٣٠٠ .  
الغايه الاتفاقيه : ٣٠١ .  
غايه الوجود : ٢٩٩ .  
الغرانيق : ١٢٤ .  
الغفران : ٢٢١ .

القلب	١٢٢-١٢٣-١٦٧-	الغيب الامكاني	: ٠٨٢
	٠٥٢١-٣٧٦	غيب الغيب	: ٠٥٠٠
القلب المعنوي	: ٠٥١٧	الغيب المحالي	: ٠٨٢
القلم الأبيض	: ٠٢٨٠	الغيسن	: ٠١٣٦
القلم الأصفر	: ٠٢٨٠	****	
القلم الأعلى	: ٠٣٥٢	الغاء العاطفة	: ٠٨٩
القوس النزولى	: ٠٥١٢	الفاعل	: ٠٢٥٧
القوة	: ٠٢٤-٢٧٧-٢٥٦	الفاعل الاول	: ٠١٠٥
القوة الشهوية	: ٠١٢٦	فاتحة الكتاب	: ٠٢٢٦
القوة الغضبية	: ٠١٢٦	فارقليطا	: ٠١٩٨
القوة العلمية	: ٠٢٢	فرعون	: ٠٣٢٨
القوة العملية	: ٠٢٢	الفرق	: ٠٣٥٦
القوى حجب	: ٠٣٧٠	الفرقان	: ٠٣٩٦-٣٩٥-٣٩٤
القوى البشرية	: ٠٧٨	الفضائل	: ٠١٧٧
القيامة	: ٠١٦٧-٢١٩-٢٥٣-	العمل	: ٠٦٢
	٢٣٧-٣١٦-٣١٤-٢٥٢	الغقه	: ٠٢٤١-٢٢٠
	٠٢٧١-٣٦٥-٣٣٨	الغقاء	: ٠٢٣٨ الى ٠٢٢١
القيامة الصغرى	: ٠٢٨٨	الصلاح	: ٠١٢٣
القيامة الكبرى	: ٠٢٨٨	فلك البروج	: ٠٩٩
القيامة الوسطى	: ٠٢٨١	فلك المستقيم	: ٠٩٩
****		فناء العبد عن نفسه	: ٠١٩٠
الكافر	: ٠١٨٦-٢٦٦	الفناء عن الغناء	: ٠٥٠٢
الكبائر	: ٠١٥٣-٣٨١	الفوم	: ٠٢٢٣
الكتاب	: ٠٢٩٦-٥١٦	الفيض الالهى	: ٠٣٢٢
الكتاب المسطور	: ٠٥٢٠	****	
كتاب الله	: ٠٢٠١	القيبط غرقهم	: ٠٣٥٨
الكرام الكاتبين	: ٠٢٨٦-٢٨٧	قتل الأبناء فى عهد موسى	: ٠٣٥٠
الكفار	: ٠٢٠١	القدر	: ٠٣٨٣
الكفر	: ٠٧٣-٧٤-١٦٩-٢١٦	القرآن	: ٠٢١٢-٢١٤-٣٩٥
	٠٥١٠-٥٠٨-٢١٧	القرب	: ٠٢٠٢
الكلام	: ٠٣٩٦	قرب السلاطين	: ٠٢٣٠
كلام الله تعالى	: ٠٢٠٥	قرب الفرائض	: ٠٢٩٦
كلمات الله	: ٠١٢٩	قرب النوافل	: ٠٢٩٦



المعاد : ٢٩٦-١٧٠	الكلمات التي تلقى بها آدم : ١٢٩
المعارف الالهية : ٤٠٩	****
المعاصي : ٣٢٣	اللاهوت : ٣٢٥
المعجزة : ١١١-٣٦٠-٣٢٦	الذات : ١٢٥-٣٢١
المصراع : ٥٢١	لعمل : ٣٨٢
المعصية : ٢٦-٩١-٣٢٩	اللعين الأول : ٢٦-٢٧
المقام : ٤١٤	لقاء الله تعالى : ١٢٠-٢٩٦
مقام أخذ الميثاق : ٨٠	لوح القدر العظمى : ٤٧٢
مقامات السالكين : ٣٨٦	اللوح الصوري العظمى : ٢٨٠
المكاشفة : ٢٩٨	****
المكاشفين : ١٣	المال : ١٨٠ الى ١٨٢
الملائكة : ١٧-٣٢-٧١-٨٥	مانع الزكوة : ٢٥١-٢٥٢
٢٨٤-٢٢٦-٤٨٢-المفاضلة	المتناقضتان : ٣٦٦
بينها والبشر ١٠ الى ٧٠-	المثال : ٤١٢
سجدتهم لآدم ٥-٢٨-	المثل : ٤٠١-٤١٢
وساطتهم ٥١٣	المجبرة : ٧١
ملائكة الأرض : ٧٨	المجردات : ٥٩
الملائكة السماوية : ٦٣-٧٨	المحال لا يكون مقدورا : ٤٣٧
الملائكة المقربون : ٥٨-٦٣	محمد ﷺ : ١٢٢-١٢٣
الملائكة المهيمون : ٧٩	البشارات عليه ١٩٢
ملك الصلوة : ٢٨٦	المحمدية البيضاء : ٥٢٠-٤٨٠
ملك الصوم : ٢٨٦	محو المحو : ٥٠٤
الملوك الصوري : ٢٨٠	مدبرات الآثار العلوية : ١٩
الملوك : التردد اليهم ٢٦٩	مدبرات الكواكب : ١٩
الممرورين : ١٣	المرأة : ٨٦
الممكن زوج تركيبى : ٨٧	المسترجع : ١٧٢
المن : ٤١٨-٤١٩	المسحة النورية الوجودية : ٣٠٨
المنفعة : ١٧٥-١٧٢	المسخ : ٤٢٠
الموافاة : ٧٣-٧٧	المشكوة : ٥١٧
موسى عليه السلام : ٣٦٧-عصته ١١٩	المصباح : ٥١٧
المؤمن : ٣٢-١٦٦-١-٤٠-٦٤	مصر : ٤٢٣
الميثاق : ٤٥٦-٤٥٢	المصلى : ٢٢٩
****	المظهر : ٢١١-٢١٢

النار : ١٣-٩٣ .	النكاح المعنوي : ٨٧ .
الناس : أقسامهم ١٣٩-٣٩٢ .	نهر الحيوة : ٢٣٨
الناسوت : ٣٧٥ .	نهى الاشعار والتحريض : ٩١ .
النسب : ١٧٠ .	النهى التشريعى : ٩١ .
النسب <sup>الذري</sup> : ٢٢-٣٥-٢٢٢-علامات	النهى عن المنكر : ٢٦٠-٢٦١-٢٦٢
٣٧٦- رؤيته فى المنام ٤١٣ .	نوح <sup>عليه السلام</sup> : عصمته ١١٨ .
الندم : ١٣٨ .	النور : ١٤٣-٢١٣ .
النسيان : ٢٥٧ .	النور الأحمدي : ١٩٣ .
النصارى : ٤٥١ .	النور المحمدي : ٣٥٢ .
النصرة : ٣١٦ .	النور النبوي : ٢٠١ .
النعمه : ١٧٥-١٨٤-٣١١-٣٨٥	هبوط آدم : ١٥٨-١٥٩ .
٥٠٥ .	الهندي : ١٦٦-١٦٧ .
النعمه : ٣١١-٥٠٥ .	
النفس : ٢٤-٣٣-١٠٠ الى ١٠٦	هورقليا : ١٠٢ .
١٦٠ الى ١٦٢-٢٧١-٢٩١	هياكل : ١٩-٣١ .
٣٢٦-٢١١-٢٣٨-٢٦٠	الهيولى : ٦٦-١٠٢-٣٢١ .
اتحادها بالعقل ٣٠٢-٣٠٩	
٢٠١-خلقها ٨٦-٨٧-لمية	الواصلون : ٢٠٢ .
اخراجها الى الأرض ٩٧-مراحل	الواعظ الغير المتعظ : ٢٦٣ .
سلوكها ٩٩-ملكاتها الراسخة ٥٢٢	واو العاطفة : ٨٩ .
النفس الأماره : ٢٦٨ .	الوحده : ٥٢٢ .
النفس الحيوانية والنباتية : ٧٨ .	الوسواس : ٢٨٩ .
النفس الخيالية المجردة : ٦٦ .	الوعد : ٣٦٦ .
النفس العقلية : ١٠٢ .	الوعيد : ٣٢٤-٣٢٨ .
نفس الكل : ٥٢٠ .	السوعظ : ٢٦٢ .
النفس الكلية : ٦٦ .	السوقت : ٤١٢ .
النفس المنطبعة : ٦٦ .	****
النفس الناطقة : ٣٩٥ .	يعقوب <sup>عليه السلام</sup> : عصمته ١١٨ .
النفوس : ٦٧ .	اليهود : ٤٥٠ .
النفوس الانسانية : ٦٧ .	يوسف <sup>عليه السلام</sup> : عصمته ١١٨-١١٩ .
النفوس النباتية : ٦٦ .	يونس <sup>عليه السلام</sup> : عصمته ١٢٢ .
النكاح الأول : ٨٧ .	يسوم القيامة : ٦٢ .

تسبم والحمد لله

## فهرس الكتسب

- |                               |                                     |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| طهماوس : ١٠٤٠                 | اثولوجيا : ١٠٦                      |
| عوارف المعارف : ٢٧٠-٢٧١٠      | اخوان الصفا : ٠٧٨                   |
| غرر الأدلة : ١٩٦-١٩٩٠         | احياء علوم الدين : ١٣٨-١٥٢-٢٢١      |
| فازان : ١٠٤٠                  | ٢٣٣-٢٤٠                             |
| الفتوحات المكية : ١٥-١٦-٤٩-٨٢ | الأربعين للبهائي (ره) : ١٤٨٠        |
| ٢٣٩-٣٦٢-٣٧٥                   | الاقتصاد : ١٤٨٠                     |
| فصوص الحكيم : ٣٥١٠            | التجريد : ١٤٨-١٥٢٠                  |
| كلمة ودمنه : ١٠٢-٥٨٠          | التعليقات على الشفا : ٤٩٢٠          |
| الكافي : ١٣٢-١٢٨-٢٢٥          | تفسير البيضاوي : ١٦٨٠               |
| ٢١١٠                          | تفسير السنان : ١٩٧٠                 |
| كتاب أشعيا : ١٩٧٠             | تفسير العسكري ع : ٤٠٦-٤٠٧-٤٢٩٠      |
| الكشاف : ١٠٧-١٦٥-٢١٨          | تفسير العياشي : ١١٠                 |
| ٣١١-٣٤٧-٢٠٣                   | التفسير الكبير : ٧١-٨٤-٢٠٠-٢٣٨      |
| مجمع البيان : ١٢٩-٩١٤٠        | ٢٥٩-٢٩٦-٣١٢                         |
| المشوى المولوي : ٢٢٥٠         | ٣١٣-٤٤١-٤٥٣                         |
| مصحف ابن مسعود : ٢٩٥٠         | تفسير الفخر الرازي - التفسير الكبير |
| مصحف عبد الله : ٤٢٥٠          | التوحيد للصدوق : ٤١١-٤١٢-٤٣٩٠       |
| الملل والنحل : ٢٠٠            | رسالة الطهر : ١٠٢٠                  |
| مفاتيح الغيب : ٧٣-٤٠٩-٤٦٩٠    | شرح المصابيح : ١٣٦-١٣٧٠             |
| من لا يخضره الفقيه : ٨٧-٢٢٥٠  | المحيفة السجادية : ٢١١٠             |
| النبو : ٨٦٠                   | صحیح البخاری : ١٢٥٠                 |
| نهج البلاغه : ١٥١٠            | صحیح مسلم : ١٢٥-٣٣٢٠                |



